سلوك العارفين

كتاب جامع لأنواع العلوم المختلفة
من خلق العرش والسموات والأرض إلى فضل العلم والعلماء
إلى أركان الإسلام ومحاسن الأخلاق وذكر الموت والقيامة والحساب

تأليف

الإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي
المتوفى ٥٠٥ هـ

تحقيق

السيد يوسف أحمد

المجلد الأول



دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
أسسها محمد علي بيضون
سنة 1971 بيروت - لبنان

سلوة العارفين

كتاب جامع لأنواع العلوم المختلفة
من خلق العرش والسموات والأرض إلى فضل العلم والعلماء
إلى أركان الإسلام ومحاسن الأخلاق وذكر الموت والقيامة والحساب

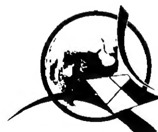
تأليف

الإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي
المتوفى ٥٠٥ هـ

تحقيق

السيد يوسف أحمد

الجزء الأول


دار الكتب العلمية®
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales @al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Title	**SULWAT AL-ᶜĀRIFĪN**	الكتاب	: سلوة العارفين
Classification:	Manners	التصنيف	آداب وسلوك
Author	: Imām Abu Ḥāmid al-Ğazāli	المؤلف	: الإمام أبو حامد الغزالي
Editor	: Al-Sayyid Yūsuf Aḥmad	المحقق	: السيد يوسف أحمد
Publisher	: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah	الناشر	: دار الكتب العلميـــة - بيروت
Pages	: 768 (2 volumes)	عدد الصفحات	: 768 (جزءان)
Size	: 17*24	قياس الصفحات:	17*24
Year	: 2011	سنة الطباعة	: 2011
Printed in	: Lebanon	بلد الطباعة	: لبنـــان
Edition	: 1st	الطبعة	: الأولى



DKi
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون،القبة،مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ٩٤٢٤-١١ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠





ISBN 978-2-7451-6476-6
ISBN 2-7451-6476-7

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين نحمدك اللهم حمداً طيباً طاهراً مباركاً فيه، حمداً يوافي نعمك ويكافئ مزيدك والصلاة والسلام علىٰ خير خلقك الرحمة المهداة محمد بن عبد الله سيد الأولين والآخرين بعثه الله تعالىٰ بشيراً ونذيراً للناس أجمعين فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، فأخرج الناس من ضيق الشرك إلىٰ رحابة التوحيد ومن ظلمات عبادة الأوثان إلىٰ أنوار طاعة الواحد الديان، ثم أمرنا ﷺ إلىٰ التمسك بكتاب الله وسنته وهديه وحذرنا من البعد عنهما وترك السير علىٰ ما أمر الله ورسوله.

علماء الإسلام والسنة:

قام علماء الإسلام بجهد كبير في الحفاظ علىٰ السُّنَّة وتدوينها وتنقيتها من كل ما هو خارج عن الدين لأنها الأصل الثاني في الدين فلا يستقيم الدين إلا بها، فلا يلتفت إلىٰ من قال أن الإسلام هو القرآن وحده بدون السُّنَّة فهم فرقة خبيثة ذات عقيدة باطلة أطلقت علىٰ نفسها اسم القرآنيون، فلا هم أخذوا بالسنة ولا هم فهموا القرآن، لأن القرآن لا يفهم أبداً إلا من خلال السنة، فهما قرينان لا يفترقان، وانظر إلىٰ الإمام ابن تيمية إذ يقول في كتابه "أعلام الموقعين" إن السُّنَّة مع القرآن لها ثلاثة أوجه:

الأول: أن تكون السُّنَّة موافقة للقرآن من كل وجه، وهذا من باب توارد الأدلة وتضافرها بمعنى أن القرآن يأمر بالتوحيد والصلاة والصيام والزكاة والحج فتأتي السُّنَّة هي الأخرى لتؤكد هذه الأركان

الثاني: أن تكون السُّنَّة بياناً وتفسيراً لما جاء في القرآن علىٰ سبيل الإجمال، فالله تعالىٰ أمر في القرآن بالصلاة والصيام لكن كيف نصلي وما أوقات الصلاة وما عددها

وما أركانها وما واجباتها وما مبطلاتها كل هذا ليس في القرآن، وإنما يوضح هذا كل سنة سيد الأولين والآخرين

الثالث: أن تكون السُّنَّة موجبة لما سكت القرآن عنه إيجابه أو محرمة لما سكت القرآن عن تحريمه وهذا من أخطر أوجه السُّنَّة مع القرآن وفي الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث المقدام أن النبي ﷺ قال: «**ألا إني أُوتيتُ الكتاب ومثله معه ـ يعني السُّنَّة ـ ألا يوشك رجل شبعان متكئ علىٰ أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السباع ولا لقطة المعاهد**» وفي رواية: «**ألا إن ما حرَّم رسول الله كما حرَّم الله**»

والقرآن نفسه يأمر باتباع السُّنَّة ويأمر بالإيمان بالنبي ﷺ واتباع سنته والتسليم لحكمه وطاعته في كل ما يأمر، وتصديقه في كل ما يخبر، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ﴾ [**النساء: ١٣٦**] الآية

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [**النساء: ٥٩**] الآية

وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ﴾ [**آل عِمرَان: ٣١**]

فهل يستطيع مسلم علىٰ وجه الأرض أن يؤخر السُّنَّة أو يرد السُّنَّة أو أن ينكر السُّنَّة أو أن يقتصر بعقله أيا كان عقله علىٰ فهم القرآن دون أن يرجع إلىٰ سُنَّته ﷺ فالقرآن والسَّنَّة لا يفترقان أبداً

الإسلام والتصوف:

نظراً لأن صاحب هذا الكتاب من كبار علماء الإسلام والذي اتخذه الصوفية أحد رموزهم الكبار فوجب بيان التصوف ومعتقداتهم حيث يحتل الشيوخ في الفكر الصوفي مكانة كبيرة، فالصوفية لا يزعمون أن طبيعة مشايخهم مثل طبيعة الأئمة، بل هم يرونهم أولياء الله فقط

والباحث في التصوف إما صوفي يدافع بشدة وبحرارة عن سلوكه واعتقاده دون

أن يطلع علىٰ مناهل الفكر الصوفي وحقيقة ما يؤمن به، أو ناقد للتصوف لم يعش التجربة الصوفية ويتعرف علىٰ منهج القوم في تهذيب النفس

ظهور التصوف:

ظهر التصوف بعد عصر تبع الأتباع وهذا ما يحدده القشيري في رسالته بقوله: اعلموا رحمكم الله أن المسلمين بعد رسول الله ﷺ لم يتسم أفاضلهم في عصر بتسمية سوى صحابة رسول الله إذ لا فضيلة له فوقها، فقيل لهم الصحابة، ثم لما أدرك الصحابة أهل العصر الثاني سُمي من صحب الصحابة: التابعين ورأوا ذلك أشرف سمة، ثم قيل لما بعدهم: أتباع التابعين ثم اختلف الناس، وتباينت مراتبهم فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعباد، ثم ظهرت البدع وحصل التداعي بين الفرق، فكل طريق ادعوا أن فيهم زهاداً فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله الحافظون قلوبهم من طوارق الغفلة باسم التصوف، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة

الصوفية والمغالاة في شيوخهم:

جعل الصوفية من لقاء موسى والخضر عليهما السلام الحجة والدليل والبرهان حيث تبوأ الخضر عليه السلام مكانة عظيمة في الفكر الصوفي فهو شيخ الصوفية الأكبر، بل إن له دوراً مستمراً، فشيخ الطريقة في الظاهر نائباً عن الخضر، وفي الباطن هو صورة الاستمرار للعلم الباطن، فظن كل شيخ أنه الخضر عليه السلام

والمريد لن يُسقى من العلم الباطني مهما بلغ في السلوك إلا بواسطة شيخه، ولذلك يحدد أحمد بن أبي الحواري علامات المريد الصادق أنه لو قال له شيخه: ادخل التنور دخل، ثم إذا دخل لا يحترق، فإن احترق فهو كاذب

ولذا اخترع المشايخ مجموعة من الآداب وصنفوا فيها الكتب ونظموا لها الأشعار، ولا يكاد يخلو أي كتاب صوفي في تناول هذا الموضوع الذي استنبطوه من قصة موسى والخضر عليهما السلام

الإسلام ومكانة علمائه:

الإسلام لا يعرف طائفة خاصة لها سلطة روحية أو سيطرة دينية خاصة تعرف باسم رجال الدين علىٰ النحو المعروف في بعض الديانات، ولكن الدين بنصوصه وأحكامه

ومبادئه وتعاليمه وأصوله وفروعه محتاج دائماً علىٰ علماء من أهله يدرسون مسائله، ويفقهون تعاليمه، ويبينون للناس أحكامه ويبلغون للعالمين دعوته.

وللإسلام علوم تحتاج إلىٰ جهد وتفرغ ودراسة وتبيان؛ فالتفسير والحديث والفقه والتوحيد والأصول، والأخلاق والسيرة وآراء الدين في مشكلات الحياة الفردية والجماعية، كل هذه أمور دقيقة عميقة واسعة تحتاج إلىٰ صبر وعكوف وتحتاج إلىٰ إعداد واستعداد

ونحن نعيش عصر التخصص والناس ينادون به في نواحي المختلفة فلا مانع من وجود طائفة للفقه وأخرى للحديث، وأخرى للفتيا، وغيرها للتفسير وهكذا

الغزالي وموقعه في الدين الإسلامي:

يحتل هذا الإمام الجليل مكانة كبيرة في كل فروع الدين الإسلامي فالمتتبع لحياته وعلمه ومصنفاته يعلم أنه طرق كل فروع الدين إلىٰ أن وصل إلىٰ هذه المكانة.

فهو من الجامعين الشاملين لجميع فروع الفكر الإسلامي وتخصصاته المختلفة، إلىٰ جوار أنه يحتل في تاريخ الفكر الفلسفي الإسلامي مكانة كبيرة حيث أثرى هذا الفكر بمؤلفات كثيرة وهذه المؤلفات ثمرة لثقافته الواسعة الشاملة، فقد درس علم الكلام علىٰ إمام الحرمين الجويني، ودرس مذاهب الفلاسفة سواء فلاسفة اليونان القدامى أو فلاسفة الإسلام الذين سبقوه كالكندي والفارابي وابن سينا واهتم بتفنيد مذاهب الفلاسفة وتكفيرهم في عدة مسائل وهي قولهم بقدم العالم وعلم الله بالكليات دون الجزيئات والخلود النفساني لا الجسماني إلىٰ غير ذلك والذي ظهر في كتابه "تهافت الفلاسفة"

التعريف بالمصنف:

هو الإمام الجليل محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، أبو حامد الطوسي الغزالي، حجة الإسلام، ولد بطوس سنة (٤٥٠ هـ)، وكان والده يغزل الصوف ويبيعه في دكان بطوس، ولما حضرته الوفاة أوصى به وبأخيه أحمد إلىٰ صديق له متصوف من أهل الخير، ولما تعذر علىٰ الصوفي القيام بقوتهما أشار عليهما أن ينضما إلىٰ مدرسة كأنهما طلاب للعلم لتوفير القوت لهما وفي ذلك يقول الغزالي: طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله.

وقرأ في صباه شيئاً من الفقه ثم سافر إلىٰ جرجان ثم رجع إلىٰ طوس، وقدم نيسابور ولازم إمام الحرمين وجد واجتهد حتى برع في المذهب والخلاف والأصلين، والجدل والمنطق، وقرأ الحكمة والفلاسفة، وتصدى لأرباب هذه العلوم ورد عليهم في إبطال دعاويهم ولما مات إمام الحرمين قصد الوزير نظام الملك وناظر الأئمة والعلماء وقهر الخصوم، وظهر كلامه علىٰ الجميع واعترفوا بفضله .

وقدم بغداد وتولى التدريس بالنظامية سنة (٤٨٤ هـ) إلىٰ أن رفض الدنيا وترك كل ذلك وقصد بيت الله الحرام فحج وعاد إلىٰ الشام سنة (٤٨٨ هـ) وجاور بيت المقدس، ثم عاد إلىٰ دمشق واعتكف في زاويته بالجامع الأموي، ولبس الثياب الخشنة وأخذ في التصنيف ثم عاد إلىٰ بغداد، وعقد مجلس الوعظ وحدَّث بكتاب الإحياء، ثم عاد لخراسان ودرس بالنظامية بنيسابور مدة يسيرة ثم رجع إلىٰ طوس وتوفى بها سنة (٥٠٥ هـ)

كتاب سلوة العارفين:

هذا الكتاب من الكتب الجامعة الشاملة لفروع كثيرة حتى أن اسمه يدل عليه فهو "سلوة" أي يطيب نفسه به، "العارفين" والعارف له مكانة في الفكر الصوفي، يقال فلان عارف بالله. أي فهو تطييب النفس لكل عارف بالله ويجوز تسلية النفس لكل عارف بالله تعالىٰ

وفعلاً نجد أن الكتاب عالج كثيراً من الفروع المختلفة، فبدأ بخلق العرش والسموات والأرض، والشمس والقمر، وما تحت الأرضين وخلق الملائكة، ثم ذكر خلق آدم والنبي ومولده ورضاعه، وبعثه ونكاحه ومعجزاته، إلىٰ فضل العلم والعلماء والإيمان وأركان الإسلام من صلاة وزكاة وصيام وحج، ثم انتقل إلىٰ النساء والزواج وصلة الأرحام وحسن الخلق والبعد عن الفحش والمحارم وبيان ما أمر به الإسلام، ثم ذكر الموت والقيامة والحساب والسؤال، وصفة الجنة والنار وبه ختم كتابه متحدثاً في كل باب علىٰ حدة عمّا ورد فيه من الآيات والأحاديث، وما ذكر عن السلف من الصحابة والتابعين وما جاء بعدهم من علماء الإسلام العظام، وجمع فيه شتى أنواع العلوم المختلفة، وهو يدل علىٰ سعة علم الإمام الغزالي رحمه الله

مؤلفات الإمام الغزالي:

له مؤلفات كثيرة فبجوار كتابه الكبير "إحياء علوم الدين" فهناك "فضائح

الباطنية" و"الاقتصاد في الاعتقاد"، و"المنقذ من الضلال"، و"معيار العلم"، و"البسيط"، و"الوجيز"، و"الخلاصة"، و"المستصفى"، و"تحصين الأدلة"، و"شفاء العليل"، و"منهاج العابدين" وغيرها، فرحم الله هذا الإمام الجليل ونفعنا ونفع المسلمين بعلمه آمين.

خاتمة المقدمة:

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتوجه إلىٰ الله تعالىٰ أن يتقبل منا صالح أعمالنا وأن يجعل ما قمنا به في هذا التحقيق في ميزان حسناتنا يوم يقوم الناس لرب العالمين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم

ولا يفوتني في كل كتاب يوفقنا الله لتخريجه أن أترحم علىٰ أبي وأمي داعياً المولى لهم بالرحمة والمغفرة مصداقاً لقوله تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [**الإسراء: ٢٤**]

وكذلك أدعو الله تعالىٰ لزوجتي لما قامت به من المساعدة في إخراج هذا العمل في توفير الهدوء والراحة في بيتنا المتواضع داعياً المولى لها بأن يجعله في ميزان حسناتها يوم القيامة

وأهدي عملي هذا إلىٰ فلذات الأكباد أولادي الأحباء الكبرى "رنا" داعياً المولى لها بالنجاح في تعليمها الجامعي في فرع اللغة العربية بكلية الآداب، وأخويها أحمد بالشهادة الإعدادية، ومحمد بالمرحلة الابتدائية راجياً الله أن يكونوا له طائعين عابدين، ولسنة نبيه ﷺ متبعين إنه نعم المولى ونعم النصير

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [**الحشر: ١٠**]، ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [**البقرة: ١٢٧**]

وصلى الله وسلم وبارك علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم

المحقق

السيد يوسف أحمد

في يوم الجمعة ٢١ من ربيع آخر سنة ١٤٣٠ هـ

١٥ من إبريل سنة ٢٠٠٩م

القاهرة ـ عزبة النخل الغربية بالمطرية



صورة الصفحة الأولى من المخطوط



صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط

سلوة العارفين[1]

(1) وجد بجوار العنوان وفي الصفحة التي قبله هوامش عديدة جمعناها في أول الكتاب، وكذلك جمعنا ما ذُكر من الهوامش علىٰ مدار الكتاب وأثبتناه كلٌ في موضعه كما سيأتي:

بالهامش: القبلة خمسة: العرش والكرسي والبيت المعمور والكعبة والبيت المُقدس.

فالعرش قبلة حملة العرش، والكرسي قبلة الكروبيين والبيت المعمور قبلة أهل السماوات، والكعبة قبلة المسلمين، والبيت المقدس قبلة بني إسرائيل.

وبالهامش أيضًا: لا تجمعوا بين الإدامين فإنه من طعام المنافقين.

وبهامش الصفحة الأولى: وسئل بعض الحكماء عن معادن أرواح الأنبياء بعد الموت، قال: إن أرواح الأنبياء في جنة عدن في اللحد مؤنسًا في الأجساد، ساجدة لربها وأرواح الشهداء في الفردوس وسط الجنة في حواصل الطير الأخضر، يطير في الجنة حيث شاء، ثم ترجع إلىٰ قناديل معلقة بالعرش[1].

وأرواح ولدان المسلمين في حواصل العصافير بالجنة عند جبال المسك إلىٰ يوم القيامة.

وأرواح ولدان المشركين يدورون في الجنة ليس لهم مأوى إلىٰ يوم القيامة، ثم يخدمون المؤمنين.

والذين عليهم ديون ومظالم معلقة بالهواء، لا تصل إلىٰ الأرض ولا إلىٰ السماء حتى يؤدي عنه الدين.

وأرواح فساق المسلمين المصرين تعذب في القبر مع الجسد.

وأرواح الكفار والمنافقين في سِجِّين نار جهنم، أعاذنا الله منها ومن عقوبتها. آمين (كشاف)[2].

وبالهامش: وفي حديث أبي بكر: «**سلوا الله العفو والعافية من الآفات**»[3].

فالعفو محو الذنوب، والعافية السلامة من الأسقام والبلايا، وهي الصحة وشفاء المرض، والمعافاة أن يعافيك الله من الناس ويعافيهم منك، أي يغنيهم عنك ويغنيك عنهم وينصرف أذاهم عنك وأذاك عنهم.

ولو أن مذنبًا تاب عن الذنوب بلسانه ولم يتب بقلبه، لم تنعقد توبته بلسانه لفساد سرّه، ولو

---

(1) الحديث أخرجه: مسلم في صحيحه [١٢١ - (١٨٨٧)] كتاب الإمارة، ٣٣ - باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، وأنهم ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [**آل عِمرَان: ١٦٩**]، وابن ماجه (٢٨٠١) وأحمد في مسنده (٦/ ٣٨٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٨٠٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٢٦).

(2) أظنه نقلاً من كشاف الزمخشري

(3) أخرجه: أحمد في مسنده (١/ ٨)، والحاكم في مستدركه (١/ ٥٢٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٧٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٤٨٩)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٧، ٩/ ١٤٨) والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٥٥٨)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه نستعين، رب أتمم

الحمد لله الذي لا تحصى نعماؤه، ولا تنفد آلاؤه، ولا يرد قضاؤه، ولا يزال كبرياؤه.

هو الله الذي لا إله إلا هو، عظيم الشأن، صادق البرهان، قوي الأركان، شديد السلطان، عاليَ المكان

تاب بقلبه دون لسانه تنعقد توبته[1].

ولو أن كافراً أسلم بلسانه دون قلبه سقط عنه السيف، لكن لا ينعقد إسلامه في حكم الآخرة، ولو أُكره بكفر فكفر ظاهرًا عياذًا من السيف والعقوبة يجوز، ولا يكفر لصلاح سره، وطمأنينة قلبه علىٰ الإسلام "روضة العلماء"

قال النبي ﷺ: «**الناس علىٰ ضربين مؤمن وكافر**»[2]

والكافر في النار بالإجماع، والمؤمن علىٰ ضربين عاص ومطيع، فالمطيع في الجنة بالإجماع والعاصي علىٰ ضربين: عاص بالكبائر وعاص بالصغائر.

فالعاصي بالصغائر في الجنة بإجماع، والعاصي بالكبائر علىٰ ضربين: تائب ومصر، والتائب في الجنة، والمصر علىٰ ضربين: مستحل وغير مستحل، فالمستحل في النار بالإجماع، وغير المستحل علىٰ أمر الله تعالىٰ، إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة.

قال النبي ﷺ: «**لكل شيء مفتاح، ومفتاح الجنة حب الفقراء والدنو منهم**»[3]

مطلب: الحرب أول ما تكون فتنة تسعى بزينتها بكل جهودها حتى إذا اشتعلت وشب ضرامها ولت عجوزاً غير ذات حليل، شمطاء ينكر لونها وتغيرت مكروهة الشكل.

وبالهامش: الناس علىٰ ثلاث طوائف: طائفة لا تقبل روايتهم ولا شهادتهم كالفساق والصبيان والمجانين، وطائفة تقبل روايتهم ولا تقبل شهادتهم كالعبيد والنساء، وطائفة تقبل روايتهم

---

(١) التوبة ثلاثة أركان: الإقلاع، والندم علىٰ فعل تلك المعصية، والعزم علىٰ ألا يعود إليها أبدًا، فإن كانت المعصية لحق آدمي فلها ركن رابع، وهو التحلل من صاحب ذلك الحق، وأصلها الندم وهو ركنها الأعظم، واتفقوا علىٰ أن التوبة من جميع المعاصي واجبة، وأنها واجبة علىٰ الفور لا يجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة، والتوبة من مهمات الإسلام وقواعده المتأكدة، ووجوبها عند أهل السنة بالشرع وعند المعتزلة بالعقل، ولا يجب علىٰ الله قبولها إذا وجدت بشروطها عقلاً عند أهل السنة، لكنه سبحانه يقبلها كرمًا وفضلاً

النووي في شرح مسلم (٥٠٨٧) طبع دار الكتب العلمية.

(٢) لم أقف عليه

(٣) أخرجه: الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٨٢)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٢٨٣)، والسيوطي في اللآلئ (٢/ ١٧٤)

فسبحانه لم يحدث في زيادة ولا نقصان، ولم يوصف بحيث ولا أين ولا مكان.

والصلاة علىٰ رسوله محمد ﷺ سيد المرسلين(١)، وخاتم النبيين صلى الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه، صلاة دائمة إلىٰ يوم الدين

أما بعد: فهذا كتاب (سلوة العارفين)(٢) المنتخبة من الكتب الزواهر وأكثرها من خزانة العلوم من تأليف الشيخ الإمام حجة الإسلام (أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي)

قدس الله روحه، ونور ضريحه

وأنا أستعيذ بالله من زلة القلم، وهفوة اللسان عليه توكلت وإليه أُنيب

---

(١) في فضل الصلاة علىٰ النبي ﷺ ما رواه مسلم في صحيحه [٧٠ ـ (٤٠٨)] كتاب الصلاة، ١٧ ـ باب الصلاة علىٰ النبي ﷺ بعد التشهد، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشرًا**»

(٢) بالهامش: سلوة ـ بفتح السين المهملة وسكون اللام ـ أي وسعتها، يقال: هو في سلوة من العيش ـ أي في رغد وسعة، ووجدت في نسخة قديمة تحتها بفارسية خوشى

باب في ذكر أول ما خلق الله تعالى

عن ابن عباس ﷺ أنه قال: أول ما خلق الله غمامة[١]، خلق من ذلك الغمام ظلمة، وخلق من ذلك الظلمة نورًا، وخلق من ذلك النور دُرة، وخلق من تلك الدُرَّة ماء وكان غلظ تلك الدرة كغلظ سبع سموات، وسبع أرضين

فلما نظر إليها ذابت وماعت وارتعدت هيبة، وصارت ماء فهي ترتعد إلىٰ يوم القيامة من مخافة الله تعالىٰ

فإذا نظرت راكدًا تراه يرتعد، وجاريًا تراه يرتعد، وفي الإناء كذلك من هيبة الجبار .

ثم خلق الله تعالىٰ الريح، فرفع الماء علىٰ الهواء، ثم خلق الله العرش[٢] فوضعه علىٰ الماء، ثم خلق الكرسي[٣] من النور، فتكرس من حول العرش

ثم خلق الله لوحًا من درة بيضاء وسماه محفوظًا

ثم خلق قلمًا من نور مسيرة خمسمائة عام، فسماه برًا، قال: أول ما نطق به القلم ثمانية وعشرين حرفًا وهي أصل الكلام

والصواب الذي سمع أول حرف نطق به من الكلام:

(أ) الله الواحد الذي لم يزل أولاً ولا يزال آخرًا

(ب) باري[٤] بديع الخلق، باري كل شيء ، تمت كلماته

(ت) تام العز والملكوت

---

(١) ما روي «**أول ما خلق الله القلم ثم خلق النون**» أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/٣١٨)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٥٤)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ٤٥٣)

(٢) روى البخاري في صحيحه (٣١٩١) كتاب بدء الخلق، ١ ـ باب ما جاء في قول الله تعالىٰ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [**الروم**: ٢٧] ، عن عمران بن حصين رفعه « **كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه علىٰ الماء، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض**». . . الحديث

(٣) عن ابن عباس قال سئل النبي ﷺ عن قوله ﷻ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [**البقرة**: ٢٥٥] قال: «**كرسيه موضع قدميه والعرش لا يقدر قدره إلا الله** ﷻ»

وقد رواه الحاكم في مستدركه وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين .

(٤) اسم الله الباري أي المخترع الموجد، والخالق هو المقدر، والمصور هو المرتب للصور والمخترعات

(ث) ثابت لم يزل ولا يزول

(ج) جبار[١] لا يحيف جليل لا يوصف، جواد لا يبخل

(ح) حي لا يموت، حليم[٢] لا يعجل، حكيم لا يجور

(خ) خالق الخلق من غير شيء، خبير بما كان وما يكون

(د) دائم لا يزول، ديان يوم الدين، دينه التوحيد من دان لغيره لا يقبل

(ذ) ذرأ كل شيء بقدرته، ذو الجود والكبرياء، ذكر الجنة لأوليائه والنار لأعدائه .

(ر) رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، رقيب [٣] لا يسهو

(ز) زرَّاع الزرع من غير بذر، زائد كل شيء بقدرته

(س) سامع الأصوات، سيد السادات، سديد القول الفعَّال

(ش) شاهد[٤] كل شيء ، لا يغيب عن شيء لشيء

(ص) صمد[٥] لم يزل، صادق الوعد، صابر علىٰ كل من عصاه

(ض) ضمن لأوليائه الرضا والرضوان[٦] ويضيء لهم بنوره يوم لا شمس ولا قمر فيه.

---

(١) الجبار: هو الذي جبر الخلق علىٰ ما أراد، وقيل: هو من قولهم جبرت الكسر إذا أصلحته

(٢) الحليم: هو ذو الصفح والأناة الذي لا تحمله زلات العصاة علىٰ استعجال عقوباتهم، مع غاية الاقتدار وكما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾، وقيل: معناه العفو

(٣) الرقيب: هو الحافظ لا يغيب عنه شيء، قاله الزجاج، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨]

(٤) **الشهيد**: يرجع معناه إلىٰ العليم مع خصوص إضافة، فإنه تعالىٰ عالم الغيب والشهادة، والغيب عبارة عما يكن، والشهادة عبارة عما يظهر، وهو الذي يشاهد، فإذا اعتبر العلم مطلقًا فهو العليم وإذا أضيف إلىٰ الغيب والأمور الباطنة فهو الخبير، وإذا أضيف إلىٰ الأمور الظاهرة فهو الشهيد

(٥) **الصمد**: هو السيد الذي يصمد إليه في الحوائج، وأصل الصمد القصد، قال البخاري: قال أبو وائل: هو السيد الذي انتهى سؤدده، وقيل: معناه الدائم، وقيل: الباقي بعد فناء الخلق .

(٦) بالهامش: وفي الأخبار السالفة أن نبيًا من الأنبياء شكى إلىٰ الله عز وجل الجوع والفقر والعمل عدة سنين، فما أجيب إلىٰ ما أراد، ثم أوحى الله تعالىٰ إليه: لم تشكو هكذا كان بدوُّك عندي في =

(ط) طويل الرأفة، طاب من أخلص توحيده طوبى لمن أطاعه في الدارين

(ظ) ظاهر علىٰ كل شيء، وظهر أمره، وظفر أهل محبته بالجنة

(ع) عالي بالربوبية والملك والقدرة، عليم بما هو كائن

(غ) غياث المستغيثين، غفور(١) للمذنبين

(ف) فعال لما يريد، فرد تفرد بالملك والبقاء، فاز وليه بالجنة الدائمة

(ق) قيوم(٢) لا يبيد، قائم علىٰ كل نفس وقادر

(ك) كريم كان قبل كل شيء، كائن بعد كل شيء، كاف كل بلية

(ل) له ما في السماوات والأرض، لا إله إلا هو، له الخلق والأمر(٣) من بعد ومن قبل(٤)

(م) محمود علىٰ جميع الحالات، منان بالفضل ملأ كل شيء عدله

= أم الكتاب قبل أن أخلق السماوات والأرض، وهكذا سبق لك، وهكذا قضيت عليك قبل أن أخلق الدنيا، أفتريد أن أعيد خلق الدنيا من أجلك؟ أم تريد أن أبدل ما قدرت عليك، فيكون ما تحب فوق ما أحب؟ ويكون ما تريد فوق ما أريد؟

وعزتي وجلالي لئن تلجلج في صدرك هذا مرة أخرى لأمحونك من ديوان النبوة (إحياء. ك. أي كتب. يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر ذي القعدة سنة (١١٨٠).

(١) **الغفار**: هو الغفار لذنوب عباده مرة بعد أخرى بإسبال الستر عليها في الدنيا والتجاوز عنها في الآخرة، والغفر في اللغة: الستر ومنه سمي المغفر مغفرًا

(٢) القيوم: هو القائم الدائم بلا زوال، وهو نعت المبالغة في القيام علىٰ الشيء، وقيل: هو القيم علىٰ كل شيء بالرعاية

(٣) قال تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [**الأعراف: ٥٤**] أي له الملك والتصرف ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [**الأعراف: ٥٤**] وفي الدعاء المأثور عن أبي الدرداء مرفوعًا: «**اللهم لك الملك كله، ولك الحمد كله، وإليك يرجع الأمر كله، أسألك من الخير كله، وأعوذ بك من الشر كله**»

تفسير ابن كثير (٢/ ٢٢٦).

(٤) قال تعالىٰ: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَا بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ قال ابن كثير: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [**الروم: ٤**] أي من قبل ذلك ومن بعده، فبنى علىٰ الضم لما قطع المضاف، وهو قوله قبل عن الإضافة ونويت، تفسير ابن كثير (٣/ ٤٤١)

(ن) (نادا)[١] كل بالإحاطة والقدرة

(و) ولي المؤمنين، ويل للكافرين في الهاوية

(هـ) هادي من الضلالة من قدر له ذلك بمشيئته، هادي المؤمنين، وهيأ الهاوية للكافرين

(لا) لا إله إلا هو سبحانه لا ولد له ولا والدة

(ي) يأتي الساعة بغتة ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] [٢]

باب خلق العرش

وروي عن كعب الأحبار أن الله تعالىٰ خلق العرش من جوهرة خضراء، وللعرش ألف ألف وستمائة ألف رأس، وفي الرأس ألف ألف وستمائة ألف وجه

الوجه الواحد كطباق الدنيا ألف ألف وستمائة ألف مرة (ولكل وجه ألف ألف وستمائة فم وفي كل فم ألف ألف وستمائة لسان)[٣]

وفي الوجه ألف ألف وستمائة لسان، تسبح الله بألف ألف وستمائة ألف لغة

خلق الله بكل لغة من لغات العرش حلقًا في ملكوته تسبح الله وتقدسه بتلك اللغة

فإذا كان يوم القيامة يقول العرش وهبت لأمة محمد ثواب هذا التسبيح

[وفي الخبر المشهور: يقول الله تعالىٰ خلقت الخير والشر، فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير علىٰ يديه، وويل لمن خلقته للشر، وأجريت الشر علىٰ يديه وويل ثم ويل لمن قال: لِمَ وكيف[٤] (إحياء)

(١) كذا بالأصل

(٢) الأعراف (١٨٧)

أمر الله تعالىٰ رسوله ﷺ إذا سئل عن وقت الساعة يرد علمها إلىٰ الله تعالىٰ، فإنه هو الذي يجليها لوقتها أي يعلم جلية أمرها ومتى يكون التحديد، لا يعلم ذلك إلا هو تعالى، ولهذا قال: ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، تفسير ابن كثير (٢/ ٢٧٧) .

(٣) وجدناه أعلى السطر

(٤) أخرجه: الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩/ ٦٥٢)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٣٣٥)

وروي أن موسى قال: يا رب دُلني علىٰ أمر فيه رضاك حتى أعمله، فأوحى الله تعالىٰ إليه إن رضاي في كرهك وأنت لا تصبر علىٰ ما تكره

قال: يا رب دلني عليه قال: فإن رضاي في رضاك بقضائي[١] (إحياء)[٢]]

وروي أنه ﷺ قال: إن بين القائمة من قوائم العرش إلىٰ القائمة الثانية خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام

والعرش يكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور، لا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله

والأشياء كلها في العرش كحلقة في الفلاة[٣]

وإن لله تعالىٰ ملكًا يقال له حزقيائيل له ثمانية عشر ألف جناح، ما بين الجناح إلىٰ الجناح الأخرى خمسمائة عام

فخطر له خاطر: هل فوق الله شيء[٤]

---

(١) اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر، ومعناه أن الله تبارك وتعالىٰ قدر الأشياء في القدم وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالىٰ وعلىٰ صفات مخصوصة، فهي تقع علىٰ حسب ما قدرها سبحانه وتعالىٰ

وأنكرت القدرية هذا وزعمت أنه سبحانه وتعالىٰ لم يقدرها ولم يتقدم علمه سبحانه وتعالىٰ بها وأنها مستأنفة العلم، أي إنما يعلمها سبحانه بعد وقوعها، وكذبوا علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ وجل عن أقوالهم الباطلة علوا كبيرًا، وسميت هذه الفرقة قدرية لإنكارهم القدر.

شرح مسلم للنووي (١/ ١٣٨) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) روى ابن مردويه بسنده عن أبي ذر الغفاري أنه سأل النبي ﷺ عن الكرسي، فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده ما السماوات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وإن فضل العرش علىٰ الكرسي كفضل الفلاة علىٰ تلك الحلقة**»

(٤) في اسم الله الظاهر والباطن: هو الظاهر بحججه الباهرة وبراهينه النيرة، وشواهد إعلامه الدالة علىٰ ثبوت ربوبيته، وصحة وحدانيته، والباطن هو المحتجب عن أبصار الخلق ولا يستولي عليه توهم الكيفية، وقيل: الظاهر الذي ظهر فوق كل شيء بقدرته، وقد يكون الظهور بمعنى العلو، وبمعنى الغلبة، وفي الصحيح أنه ﷺ كان يقول: «**أنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**»

انظر ابن الإمام في سلاح المؤمن (ص٢٦٤).

فزاده الله مثلها أجنحة أخرى، فكان ستًّا وثلاثين ألف جناح ما بين الجناح إلىٰ الجناح خمسمائة عام، ثم أوحى الله تعالىٰ إليه: أيها الملك طر، فطار مقدار عشرين ألف سنة لم ينل رأس قائمة من قوائم العرش

ثم ضاعف الله له في الجناح والقوة، وأمره أن يطير، فطار مقدار ثلاثين ألف سنة لم يبلغ أيضًا رأس قائمة العرش

فأوحى الله تعالىٰ إليه: أيها الملك لو طرت إلىٰ نفخ الصور مع أجنحتك وقوتك لم تبلغ ساق العرش

فخر ساجدًا، فقال: سبحان ربي الأعلى

فأنزل الله تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [**الأعلى**: ١] [1]

فقال النبي ﷺ: «**اجعلوها في سجودكم**»[2]

وروي أن العرش أخوف خلق الله، وأن بعض ألسنته لينطق هذه الكلمات: أعوذ بالله من غضب الله، وأعوذ بالله من سخط الله، وأعوذ بالله من نقمة الله، وأعوذ بالله من كيد الله.

ويقال: إن الله تعالىٰ ينظر إلىٰ العرش عند السحر نظرة فيتسع ألف ألف سعة، فيزداد بكل سعة ألف ألف عام، كل عام منها، لا يعلم وسعه إلا الله سبحانه وتعالىٰ.

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٦٢/ (٨٧٨)] كتاب الجمعة ١٦ ـ باب ما يقرأ في صلاة الجمعة، عن النعمان بن بشير قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة ب ـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [**الأعلى**: ١]، و﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾

قال النووي: فيه استحباب القراءة في العبد بقاف واقتربت، وكلاها صحيح، فكان ﷺ في وقت يقرأ في الجمعة الجمعة والمنافقين وفي وقت سبح وهل أتاك، وفي وقت يقرأ في العيد قاف واقتربت، وفي وقت سبح وهل آتاك .

(٢) أخرجه: أبو داود في سننه (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٥٥)، والدارمي في سننه (١/ ٢٩٩)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٣٢٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٨٧٩)، والزيلعي في نصيب الراية (١/ ٣٧٦)، والألباني في إرواء الغليل (٢/ ٤٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٨٦)، وابن حبان في صحيحه (٥٠٦ ـ الموارد)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٥٩)، والحاكم في مستدركه (١/ ٢٢٥)، وابن خزيمة في صحيحه (٦٧٠)

ثم يهتز[١] فيثقل على الحملة حتى يحطم ويموج بعضهم في بعض، وهم بعدد ما خلق الله أضعاف جميع ما خلق الله

فيقول العرش سبحانك أينما كنت وأينما تكون

وينادي حملة العرش: سبحان من لا يعلم أين هو إلا هو، سبحان من لا يعلم ما هو إلا هو

[وقد قال النبي ﷺ: «**إن الله ﷻ بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين، وجعل الغم والحزن في الشك والسخط**»[٢] (إحياء)

وقال بعض العلماء: لا يشغلنك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل، فتُضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا إلا ما قد كتبه الله لك. (إحياء)

وقال يحيى بن معاذ: في وجود العبد الرزق بغير طلب دلالة على أن الرزق مأمور بطلب العبد[٣] (إحياء)

---

(١) في اهتزاز العرش: روى البخاري في صحيحه (٣٨٠٣) كتاب مناقب الأنصار، ١٢ ـ باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه، عن جابر رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ: «**اهتز العرش لموت سعد بن معاذ**»، وكذا أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٣ ـ (٢٤٦٦)]. ، (١٢٤) كتاب فضائل الصحابة، ٢٤ ـ باب فضائل سعد بن معاذ رضي الله عنه عن جابر: « **اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ** »

قال النووي: واختلف العلماء في تأويله فقالت طائفة هو على ظاهرة واهتزاز العرش تحركه فرحًا بقدوم روح سعد، وجعل الله تعالى في العرش تمييزًا حصل به هذا، ولا مانع منه كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ٧٤]، وهذا القول هو ظاهر الحديث وهو المختار. وقال المازري: قال بعضهم: هو على حقيقته وأن العرش تحرك لموته قال وهذا لا ينكر من جهة العقل، لأن العرش جسم من الأجسام يقبل الحركة والسكون، قال: لكن لا تحصل فضيلة سعد بذلك إلا أن يقال إن الله تعالى جعل حركته علامة للملائكة على موته. وقال آخرون: المراد اهتزاز أهل العرش وهم حملته وغيرهم من الملائكة.

النووي في شرح مسلم (١٦/ ١٨) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) أخرجه: العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٣٣٧)

(٣) حديث: «**إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله**» أخرجه: ابن حبان في صحيحه (١٠٨٧) ـ الموارد والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٣١٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٧٢)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٤٧٧) وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١١٧) والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٣٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٨٦)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (١/ ٢٢٦)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٣١٥)

وقال إبراهيم بن أدهم[(١)] سألت بعض الرهبان من أين تأكل؟ فقال: ليس هذا العلم عندي، ولكن سل ربي من أين يُطعمني. (إحياء)[(٢)]]

وروي أن تحت العرش مائة ألف قنديل معلقة بالعرش، السماوات والأرضون والجنة والنار كلها في قنديل واحد، ولا يعلم ما في القناديل الأخر إلا الله ﷻ

وعن كعب الأحبار[(٣)] أنه قال: لما خلق الله العرش قال: لم يخلق الله خلقًا أعظم مني، فاهتز ، فطوقه الله بحية، للحية سبعون ألف جناح، في الجناح سبعون ألف ريشة في كل ريشة سبعون ألف وجه، في كل وجه سبعون ألف لسان، يخرج من أفواهها كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر، وعدد ورق الأشجار، وعدد الحصى والثرى، وعدد أيام الدنيا، وعدد الملائكة أجمعين

فالتفت الحية بالعرش والعرش إلىٰ نصف الحية

[لم يخلق خلقًا أعظم مني فأضافه إلىٰ نفسه، وقال: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ **[التّوبَة: ١٢٩]**

فلما أعجب العرش[(٤)] بنفسه تكبر، فخلق الله حية لها ستمائة وسبعون ألف

---

(١) إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر، أبو إسحاق العجلي، وقيل التميمي البلخي الزاهد، أحد الأعلام، قال ابن منده بسنده عن يونس بن سليمان: كان إبراهيم بن أدهم من الأشراف، وكان أبوه شريفا كثير المال والخدم والجنائب والبزاة، بينما إبراهيم يأخذ كلابه وبزاته للصيد وهو علىٰ فرسه يركضه إذا هو بصوت من فوقه يا إبراهيم ما هذا العبث ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ **[المؤمنون: ١١٥]** اتق الله وعليك بالزاد ليوم الفاقة، قال: فنزل عن دابته ورفض الدنيا

قال النسائي: إبراهيم بن أدهم احد الزهاد ثقة مأمون وقال الدارقطني: ثقة، توفي سنة (١٦١) .

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) كعب الأحبار أبو إسحاق بن ماتع الحميري اليماني الكتابي، أسلم في خلافة أبي بكر أو أول خلافة عمر، وروى عن عمر وصهيب وعن كتب أهل الكتاب، وكان في الغالب يعرف حقها من باطلها لسعة علمه وكثرة اطلاعه

وعنه: أسلم مولى عمر وأبو سلام الأسود وابن امرأته تبيع الحميري، ومن الصحابة: أبو هريرة وابن عباس ومعاوية، وقد سكن الشام. وغزا بها وتوفي بحمص، وتوفي سنة (٣٢)هـ .

(٤) في الاسْتَوَاء عَلَى الْعَرْشِ للناس مقالات كثيرة ولكن نرجع لمذهب السلف الصالح مالك والأوزاعي والثوري، والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة =

رأس في كل رأس ستمائة وسبعون ألف وجه، عرض شق وجهها مثل سماء الدنيا سبعمائة ألف وسبعون ألف مرة

ثم أمر الله الحية أن تدور بالعرش أربعة الآف طوق، ورفعت رأسها مرة من فوق العرش مقدار ألف سنة، وأدلت ذنبها تحت العرش مقدار ألف سنة، وهي محيطة .

فما من يوم إلا والعرش يتعوذ منها أربعين ألف مرة مخافة أن تبتلعه الحية وهي الآية الكبرى التي رآها رسول الله ﷺ ليلة المعراج(١)

فقالت الحية يا رسول الله اضمن لي شفاعتك فضمن لها الشفاعة، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النّجم: ١٨]](٢)

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**وجدت في سرادقات العرش، لا إله إلا الله محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الفاروق، حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله .**

وكان مكتوبًا علىٰ الساق: لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي ونصرته» .

= المسلمين قديما وحديثا وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلىٰ أذهان المشبهين منفي عن الله، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه و ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشّورى: ١١]

تفسير ابن كثير (٢/ ٢٢٦) .

(١) قال القاضي عياض: اختلف الناس في الإسراء برسول الله ﷺ فقيل: إنما كان جميع ذلك في المنام، والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أسري بجسده ﷺ والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها

ثم قال القاضي عياض أيضاً: وفي علو منزلة نبينا ﷺ وارتفاعه فوق منازل سائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وبلوغه حيث بلغ من ملكوت السماوات دليل علىٰ علو درجته وإبانة فضله، وقد ذكر البزار خبراً في الإسراء عن علي كرم الله وجهه، وذكر مسير جبريل عليه السلام علىٰ البراق حتى أتى الحجاب وذكر كلمة وقال: خرج ملك من وراء الحجاب فقال جبريل: والذي بعثك بالحق إن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت، وإني أقرب الخلق مكاناً، وفي حديث آخر فارقني جبريل وانقطعت عني الأصوات هذا آخر كلام القاضي .

النووي في شرح مسلم (٢/ ١٨١، ١٩٠) طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) وجدناه بالهامش

قال وهب بن منبه: إن حول العرش سبعين ألف صف من الملائكة، صف يقف خلف صف يدورون حول العرش[(١)] ، ويطوفون، يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء، فإذا استقبل بعضهم بعضًا هلل هؤلاء وكبر هؤلاء

ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام أيديهم إلىٰ أعناقهم، قد وضعوها علىٰ عواتقهم

فإذا سمعوا تكبير أولئك وتهليلهم رفعوا أصواتهم فقالوا سبحانك وبحمدك ما أعظمك وأجلك، أنت الله الذي لا إله غيرك، أنت الأكبر، الخلق كلهم لك راجون.

[وقال ﷺ: «**من سرّه أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يديه**»[(٢)] (إحياء)

وقرأ قوله تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [**الفرقان: ٥٨**] إلىٰ آخرها، فقال: «**ما ينبغي للعبد بعد هذه الآية أن يلجأ إلىٰ أحد غير الله**»[(٣)] إحياء][(٤)]

---

(١) قول تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [**غافر: ٧**]

وفيه يخبر تعالىٰ عن الملائكة المقربين من حملة العرش الأربعة ومن حوله من الكروبيين بأنهم يسبحون بحمد ربهم أي يقرنون بين التسبيح الدال علىٰ نفي النقائص والتحميد المقتضي لإثبات صفات المدح، ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [**غافر: ٧**] أي خاشعون له أذلاء بين يديه وأنهم ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [**غافر: ٧**] أي من أهل الأرض ممن آمن بالغيب فقيض الله تعالىٰ ملائكته المقربين أن يدعوا للمؤمنين بظهر الغيب، ولما كان هذا من سجايا الملائكة عليهم الصلاة والسلام كانوا يؤمنون علىٰ دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب كما ثبت في صحيح مسلم «**إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك آمين ولك بمثله**».
تفسير ابن كثير (٤/ ٧١).

(٢) أخرجه: العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٢٣٩)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٣٨٨)

(٣) روى الترمذي في سننه (٢٥١٦) كتاب صفه القيامة والرقائق والورع، عن ابن عباس قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوما فقال: «**يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**».... الحديث.

(٤) وجدناه بالهامش

وروي في الأخبار: لما خلق العرش، خلق ملكًا من النور[١] فقال له: خلقتك لتحمل عرشي فاسألني من القوة ما شئت

قال: أسألك قوة أقدر بها أن أرفع سبع سموات بأصبع واحد

فقال: لك ذلك

ثم خلق آخر من الرحمة[٢] فقال له مثل ما قال للأول فقال: أسألك قوة الأرضين فأعطاه ذلك ثم خلق آخر من الريح فقال أسألك قوة الريح فأعطاه ذلك، ثم خلق آخر من الماء قال أسألك قوة الماء فأعطاه ذلك

ثم قال: احملوا عرشي، فوقفوا يرفعوه ويحركوه تحت العرش سبعين ألف ألف سنة فلم يقدروا أن يرفعوه أو يحركوه ، حتى سال من أجسادهم من العرق كالماء قدر بحور الدنيا

ثم نادوا لا طاقة إلا بقدرتك

فخلق لهم من القوة أضعافًا فلم يطيقوا فخلق مع كل واحد من أعوانهم مثل جنود من في سبع سموات وسبع أرضين وعدد الحصى والثرى والأوراق

فقال لهم: احملوا عرشي فلم يطيقوا

فقال: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله[٣]

---

(١) بالهامش: من النور والرحمة والريح والماء

(٢) روى أبو داود في سننه (١٩٢٤) كتاب الأدب باب في الرحمة، باب ما جاء في رحمة المسلمين عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، الرحم شجنة من الرحمن، فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله**»

وفي الترمذي (١٩٢١) في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الصبيان، عن ابن عباس رفعه: «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر**» .

(٣) قال النووي: قال العلماء: سبب ذلك أنها كلمة استسلام وتفويض إلىٰ الله تعالىٰ واعتراف بالإذعان له وأنه لا صانع غيره ولا راد لأمره، وأن العبد لا يملك شيئا من الأمر، ومعنى الكنز هنا أنه ثواب مدخر في الجنة، وهو ثواب نفيس كما أن الكنز أنفس أموالكم

قال أهل اللغة: الحول الحركة والحيلة أي لا حركة ولا استطاعة ولا حيلة إلا بمشيئة الله تعالىٰ

وقيل: معناه لا حول في دفع شر ولا قوة في تحصيل خير إلا بالله .

وقيل: لا حول عن معصية الله إلا بعصمته ولا قوة علىٰ طاعته إلا بمعونته .

النووي في شرح مسلم (١٧/ ٢٢) طبعة دار الكتب العلمية .

فلما قالوها استقلوا عرش ربنا

قال: فنفذت أقدامهم في الأرض السابعة علىٰ متن الثرى فلم يستقر

فكتب علىٰ كل قدم منهم اسمًا من أسماءه فاستقرت أقدامهم

فسبحانه ثم سبحانه ما أعظم شانه

باب في ذكر خلق اللوح والقلم

[وإن الله تعالىٰ قال: «**أنا الله لا إله إلا أنا من لم يصبر علىٰ بلائي ولم يشكر نعمائي، ولم يرض بقضائي، فليتخذ ربًا سواي**»[(١)] ومثله في الشدة قوله تعالىٰ فيما أخبر عنه نبينا ﷺ أنه تعالىٰ قال: قدرت المقادير ودبرت التدبير وأحكمت النسخ، فمن رضي فله الرضا مني حتى يلقاني، ومن سخط فله السخط مني حتى يلقاني[(٢)] (إحياء)

التحيات لله معناه: الملك أو العظمة أو البقاء الدائم أو السلامة من الآفات[(٣)]].

قال ابن عباس[(٤)] خلق الله تعالىٰ لوحًا من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وسماه محفوظًا

فما علم جميع الخلائق إلىٰ يوم القيامة إلا خطٌّ واحدٌ من خطوط اللوح، وسائر الخطوط علمها عند الله

قال: إن في صدر اللوح: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ودينه الإسلام ومحمد عبده ورسوله ، فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة[(٥)]

---

(١) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٩/ ٦٥١)

(٢) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٩/ ٦٥١)، والفتني في تذكرة الموضوعات (١٨٩)

(٣) وجدناه بالهامش

(٤) أخرجه: السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٣٥) وفي اللآلىء (١/ ١١)

(٥) رواه البغوي من طريق إسحاق بن بشر أخبرني مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال... إلىٰ هنا وزاد، قال: واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وحافتاه من الدر و الياقوت ودفتاه ياقوته حمراء وقلمه نور وكلامه معقود بالعرش وأصله في حجر ملك
تفسير ابن كثير (٤/ ٥٠٠).

وحفتاه الدر والياقوت ودفتاه من ياقوتة حمراء أصله من حجر، وملك يقال له ماطريون، محفوظ من الشياطين، ومنصوب معلق عن يمين العرش في جبهة إسرافيل(١)

ولله ﷻ في كل يوم ثلاثمائة وستون لحظة، يحيي ويميت، ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء(٢)

فإذا قضى الله قضاء دلى اللوح المحفوظ، فيقرع جبهة إسرافيل(٣) فإذا فيه صلصلة كصلصلة الماء علىٰ الحجر، فيكشف الغطاء عن وجه إسرافيل، فيرفع بصره وله ستون عينا كل عين أشد نورًا من الشمس، فإذا فيه قضاء الله الذي قضى

فينادي إسرافيل جبرائيل عليهما السلام وبينهما سبعون حجابًا، فيدلى جبريل إلىٰ ملك الموت

وخلق الله تعالىٰ إسرافيل وجبرائيل وميكائيل وملك الموت(٤) بتدبير أمور الخلائق إليهم

---

(١) قال ابن جرير بسنده عن أنس بن مالك في قوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾ قال: إن اللوح المحفوظ الذي ذكر الله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾ في جبهة إسرافيل

وقال ابن أبي حاتم بسنده عن عبد الرحمن بن سَلْمَان قال: ما من شيء قضى الله القرآن فما قبله وما بعده إلا وهو في اللوح المحفوظ، واللوح المحفوظ، بين عيني إسرافيل لا يؤذن له بالنظر فيه، تفسير ابن كثير (٤/ ٥٠٠).

(٢) انظر ما رواه الطبراني بعد هذا

(٣) روى الطبراني في معجمه الكبير (١٢/ ٧٢) بسنده عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله تعالىٰ خلق لوحًا محفوظًا من درة بيضاء، صفحاتها من ياقوتة حمراء، قلمه نور وكتابه نور، لله فيه في كل يوم ستون وثلاثمائه لحظة، يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويعز ويذل ويفعل ما يشاء**»

وكذا أخرجه: السيوطى في اللالئ (١/ ١١)، وابن كثير في تفسيره (٨/ ٣٩٤).

(٤) في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [**السَّجدَة**: ١١] الظاهر من هذه الآية أن ملك الموت شخص معين من الملائكة كما هو المتبادر وقد سمي في بعض الآثار بعزرائيل، وهو المشهور، قاله قتادة وغير واحد وله أعوان، وهكذا ورد في الحديث أن أعوانه ينتزعون الأرواح من سائر الجسد حتى إذا بلغت الحلقوم تناولها ملك الموت

تفسير ابن كثير (٣/ ٤٧٤).

فإسرافيل صاحب التدبير ما يكون إليهم من قضاء اللوح ، وجبرائيل صاحب المرسلين والأنبياء وإهلاك القرى

وميكائيل صاحب الدعاء والأرزاق والأمطار، وملك الموت يقبض الأرواح، وتدبيرها إليهم حتى ينقضي آجال السماء والأرض،

فإذا انقضى قبض الله أرواحهم

وأما القلم[١] فخلقه الله من نور مسيرة ألف وخمسمائة عام وسماه برًا، فكلم الله ، فقال الله تعالىٰ: أيها القلم

فلما سمع كلام الرب انشق رأس القلم بثلاثمائة وتسعين شقة، ويرتعد من هيبة الله تعالىٰ فخر لله ساجدًا، وخرّ اللوح ساجدًا ألف سنة ثم قال الله: أيها القلم قال: لبيك ربي وسعديك سمعًا وطاعة

فقال: أُكتب، فقال: ماذا أكتب يا رب؟

قال: اكتب في اللوح بقدري الذي قدرته علىٰ خلقي، واسم كل شيء أنا خالقه وصفته وأجله ورزقه وحياته وموته ومنقلبه ومثواه إلىٰ أن يستقر أهل الجنة بالجنة وأهل النار بالنار[٢]

فجرى سن القلم بمداد أسود وأبيض، وجرى بذلك كما أمر الله، فكان إذا

---

(١) قال ابن جرير (٢٩/ ١١) بسنده عن ابن عباس قال: "إن أول شيء خلق ربي ﷻ القلم ثم قال له: اكتب فكتب ما هو كائن إلىٰ أن تقوم الساعة، ثم خلق النون فوق الماء ثم كبس الأرض عليه"

وكذا أخرجه: أحمد في مسنده (٥/ ٣١٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٩٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٢٨)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ٤٥٣،٤٥٧)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٢٧٥) .

(٢) روى الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٤٣٣) بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**وإن أول ما خلق الله القلم والحوت فقال للقلم: اكتب قال: ما أكتب؟ قال: كل شيء كائن إلىٰ يوم القيامة**» ثم قرأ: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ فالنون الحوت والقلم القلم

وكذا أخرجه أبو داود في سنه (٤٧٠٠) وأحمد في مسنده (٥/ ٣١٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٠٤) .

كتب الحسنة نبع من سنه مداد أبيض، وإذا كتب السيئة نبع من سنه مداد أسود، فكتب ما هو كائن إلىٰ يوم القيامة(١)

فلا ينزل قطرة ولا تسقط ورقة من شجرة، ولا يخرج نبات ولا تهب ريح، ولا تطرف عين، ولا ينطق ناطق، ولا يخطر في قلب إلا في اللوح المحفوظ مثبتة

فذلك معنى قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾ **[الأنعام: ٥٩]** وله خمسون أنبوبًا من كل أنبوب مقدار خمسين سنة ينبع المداد من أسنانه وله لغة لا يعرفها إلا إسرافيل يجري علىٰ اللوح بما هو كائن إلىٰ يوم القيامة(٢)

باب في ذكر خلق السموات

قال العلماء: لما نظر الله تعالىٰ إلىٰ الدرة وصارت ماء وارتعدت من هيبته حتى صارت دخانًا وتزبد زبدًا

فخلق الله من دخانها(٣) السماوات ومن الزبد الأرضين

---

(١) روى أحمد في مسنده (٢/ ٣٥٥) بسنده عن بلال بن الحارث قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالىٰ ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله ﷻ له بها رضوانه إلىٰ يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالىٰ ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالىٰ عليه بها سخطه إلىٰ يوم القيامة**»

(٢) اختلف العلماء: هل يكتب الملك كل شيء من الكلام؟ وهو قول الحسن وقتادة، أو إنما يكتب ما فيه ثواب وعقاب كما هو قول ابن عباس رضي الله عنهما؟ علىٰ قولين:

وظاهر الآية الأول لعموم قوله تبارك وتعالى: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ۝١٨﴾ [ق: ١٨].

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ۝١٨﴾ [ق: ١٨].

قال: يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر حتى إنه ليكتب قوله: أكلت، شربت، ذهبت، جئت، رأيت، حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله، فأقر منه ما كان فيه من خير أو شر وألقى سائره وذلك قوله تعالىٰ: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ۝٣٩﴾ **[الرّعد: ٣٩]** تفسير ابن كثير (٤/ ٢٢٤).

(٣) قال تعالىٰ: ﴿۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ۝١١﴾ [فصلت: ٩ ـ ١١].

وفي حديث البخاري في صحيحه تعليقا في كتاب التفسير، سورة حم السجدة، عن ابن عباس وفيه من حديث طويل: قال ابن عباس: وخلق الأرض في يومين، ثم خلق السماء، ثم استوى =

فخلق الله السماء الدنيا غلظها مسيرة خمسمائة عام، وما بينها وبين الأرضين خمسمائة عام ولونها لون الحديد المجلاة، واسمها رفيقة

فيها ملائكة خلوا من نور أضعاف عددهم من جميع الثقلين سبعين مرة

يقولون: سبحان ذي الملك والملكوت، وفيها ريح عاصف وفيها ملك يقال له رعد، موكل بالسحاب والمطر

ثم خلق السماء الثانية واسمها قيدوم. علىٰ لون النحاس غلظها مسيرة خمسمائة عام وبينها وبين السماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام، وفيها ملائكة شتى صفوفًا(١) رافعين أصواتهم يقولون: سبحان ذي العزة والجبروت(٢) وخلق فيها ملكًا يقال له حبيب، نصف جسده من النار ونصفه من الثلج، فلا الثلج يطفئ النار، ولا النار تذيب الثلج ويقول: يا من ألف بين الثلج والنار، ألف بين قلوب عبادك الصالحين

وبينها هواء إلىٰ السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام، ثم خلق الثالثة علىٰ لون الشبَّة واسمها ماعون غلظها مسيرة خمسمائة عام

وخلق فيها ملائكة ذوي أجنحة(٣) منهم من له أربعة أجنحة، ومنهم من له ست

= إلىٰ السماء، فسواهن في يومين آخرين، ثم دَحَى الأرض، ودَحْيُها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والجماد والآكام وما بينهما في يومين آخرين، فذلك قوله: ﴿دَحَىٰهَآ﴾ [**النَّازعَات**: ٣٠] وقوله ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [**فُصّلَت**: ٩] فَخُلِقت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخلقت السماوات في يومين .

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [**النّساء**: ٩٦] ....الحديث .

(١) قال تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [**الفجر**: ٢٢] وذلك يوم القيامة، يأتي ربك لفصل القضاء بين خلقه كما يشاء، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفا صفوفًا

(٢) انظر ما سيأتي قريبا نقلا عن المروزي

(٣) قال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾

أي يطيرون بها ليبلغوا ما أمروا به سريعًا ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [**النِّساء**: ٣] أي منهم مَنْ له جناحان ومنهم مَنْ له ثلاثة ومنهم مَنْ له أربعة ومنهم مَنْ له أكثر من ذلك، كما جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ رأى جبريل ليلة الإسراء وله ستمَائة جناح بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب» .

انظر مسلم في صحيحه [٢٨٠ ـ (١٧٤)] كتاب الإيمان، ٧٦ ـ باب في ذكر سدرة المنتهى .

أجنحة[١] ووجوههم شتى وأصواتهم شتى رافعين أصواتهم يقولون سبحان الحي الذي لا يموت أبدًا وهم صفوفًا قيامًا لا يعرف أحدهم لون صاحبه من خشية الله جل ثناؤه

ثم خلق السماء الرابعة وبينها وبين الثالثة مسيرة خمسمائة عام

وغلظها كذلك، لونها كلون الفضة بيضاء، واسمها أزيلون، وفيها ملائكة يضعفون ملائكة السماء الثالثة

كذلك كل سماء أكثر عددًا من التي تحتها إلىٰ السابعة، وهم في ركوع وسجود[٢] وعبادة شيء لا يعرف الذي علىٰ جنبه لشدة العبادة وهم يقولون سبوح قدوس رب الملائكة والروح

وفيها جند الذي قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ **[المدَّثِّر: ٣١]**

ثم خلق السماء الخامسة ما بينها وغلظها مثل ما ذكرنا، لونها علىٰ لون الذهب، واسمها الباحيقوم، وفيها ملائكة أضعاف ما تحتها فهم في ركوع لم يرفعوا أبصارهم ولا يرفعون إلىٰ يوم القيامة

فإذا كان يوم القيامة قالوا: ربنا لم نعبدك حق عبادتك

ثم خلق السماء الدنيا (دسة)[٣] غلظها وما بينهما كما ذكرنا واسمها عاروبين، وهي من ياقوتة حمراء

---

(١) قوله تعالىٰ: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ **[فَاطِر: ١]**
قال السدي: يزيد في الأجنحة وخلقهم ما يشاء.
وقال الزهري وابن جُرَيْج في قوله تعالىٰ: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ **[فَاطِر: ١]** يعني حسن الصوت، رواه عن السدي البخاري في الأدب عن الزهري.
انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٥٦٤).

(٢) روى ابن ماجه في سننه (٤١٩٠) كتاب الزهد، ١٩ ـ باب الحزن والبكاء، عن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، إن السماء أطت وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء علىٰ الفرشات، ولخرجتم إلىٰ الصعدات تجأرون إلىٰ الله**»

(٣) كذا بالأصل

وفيها جند الله الأكبر الكروبيون والروحانيون، وعليهم سبعون ألف ملك[١]، كل ملك منهم جنوده تسعون ألف، وهم الذين يبعثهم الله في أمور الدنيا، وهم رافعون أصواتهم بالتسبيح والتهليل

ثم خلق الله السماء السابعة واسمها الرقيع وهي من درة بيضاء وغلظها أيضًا مسيرة خمسمائة عام، وفيها جنود الله من الملائكة، وعليهم ملك، وهو علىٰ سبعمائة ألف ملك، منهم من له من الجنود مثل قطر السماوات ونبات الأرضين وعدد الحصى وأوراق الأشجار، يسبحون الله تعالىٰ ويقدسونه[٢]

ومن السماء السابعة إلىٰ مكان يقال له مرمويا مسيرة خمسمائة عام

---

(١) قال محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة حدثنا إسحاق بن محمد بن إسماعيل العدوي بسنده عن عبد الله بن عمر أن عمر جاء والصلاة قائمة ونفر ثلاثة جلوس أحدهم أبو جحش الليثي، فقال: قوموا فصلوا مع رسول الله فقاموا إلا أبو جحش وقال: لا أقوم حتى يأتي رجل هو أقوى مني ذراعين فصرعه قال عمر حتى حجزه عنه عثمان فلما خرج عمر إلىٰ رسول الله ﷺ إلىٰ أن قال له رسول الله ﷺ: **«اجلس حتى أخبرك بغناء الرب تبارك وتعالىٰ عن صلاة أبي جحش إن لله تعالىٰ في السماء ملائكة خشوع لا يرفعون رؤسهم حتى تقوم الساعة، فإذا قامت رفعوا رووسهم، ثم قالوا: ربنا ما عبدناك حق عبادتك، وإن لله في السماء الثانية ملائكة سجود لا يرفعون رووسهم حتى تقوم الساعة فإذا قامت الساعة رفعوا رووسهم وقالوا: سبحانك ربنا ما عبدناك حتى عبادتك: فقال له عمر: وما يقولون يا رسول ؟ فقال: «أما أهل السماء الدنيا فيقولون: سبحان ذي الملك والملكوت، وأما أهل السماء الثانية فيقولون سبحان ذي العزة والجبروت وأما أهل السماء الثالثة فيقولون سبحان الحي الذي لا يموت»**. . . . الحديث

(٢) روى الزبيدي في الإتحاف (١٢٦/٩، ٢١٧/١٠) عن عدي بن أرطاة قال سمعت رجلا من أصحاب النبي ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: **«إن لله تعالىٰ ملائكة تُرعَد فرائصهم من خيفته، ما منهم ملك تقطر منه دمعة من عينه إلا وقعت علىٰ ملك يصلي، وإن منهم ملائكة سجودًا منذ خلق الله السماوات والأرض لم يرفعوا رءوسهم ولا يرفعونها إلىٰ يوم القيامة، وإن منهم ملائكة ركوعًا لم يرفعوا رءوسهم منذ خلق الله السماوات والأرض ولا يرفعونها إلىٰ يوم القيامة»**

«فإذا رفعوا رءوسهم نظروا إلىٰ وجه الله ﷻ قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك» وكذا رواه الخطيب في الفقيه، والمتفقه (١٠)، وفي تاريخ بغداد (١٢/ ٣٠٧)، وابن كثير في تفسيره (٨/ ٢٩٧) وقال ابن كثير عقبه بعد أن ذكره عن طريق محمد بن نصر المروزي: وهذا إسناد لا بأس به .

وعليه جند الله من رئيس الملائكة وعظمائهم من دون اللوح، وحملة العرش لهم وجوه وأجنحة شتى رافعين أصواتهم شتى بالتسبيح والتهليل

وينظرون إلىٰ العرش لا يطرفون، لو أن الملك منهم نشر جناحه لطبق الدنيا بريشة، ولا يعلم عددها إلا الله

ومن فوق مرمويا غمامة غلظها كغلظ سبع سموات وسبع الأرضين

وفوق ذلك عليون(١) وفوقه عرش الرحمن لا يعلم منتهاه إلا الله جل ثناؤه

باب في ذكر خلق الشمس والقمر

قالت العلماء: خلق الله تعالىٰ الشمس(٢) أعظم من القمر

قال بعضهم هما سواء طولهما وعرضهما تسعون فرسخًا في تسعين فرسخًا

قال ابن عباس: إن القمر مثل الدنيا ثلاث مرات، وأن الشمس مثل الدنيا مائة وأربعة وعشرين مرة، والكواكب أعظمها اثنا عشر فرسخًا في اثنا عشر فرسخًا

وخلق الله الشمس والقمر عجلة لها ثلاثمائة وستون عروة تحمل عليها كل يوم

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨﴾ [المطفّفين: ١٨] قال الأعمش عن شَمر ابن عطية عن هلال بن يَسَاف قال: سأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر عن سجين قال: هي الأرض السابعة وفيها أرواح الكفار، وسأله عن عِلّيين فقال هي السماء السابعة وفيها أرواح المؤمنين

وهكذا قال غير واحد إنها السماء السابعة.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨﴾ [المطفّفين: ١٨] يعني الجنة.

تفسير ابن كثير (٤/ ٤٨٦).

(٢) روى البخاري في صحيحه (٦/ ١٥٣، ١٥٤) عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أتدري أين تذهب هذه الشمس؟»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها تذهب فتسجد تحت العرش، ثم تستأمر فيوشك أن يقال لها: ارجعي من حيث جئت»**

وقال أبو العالية: ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع لله ساجدًا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له، فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلىٰ مطلعه، وأما الجبال والشجر فسجودهما بفَيء ظلالهما عن اليمين والشمائل.

ثلاثمائة وستين ملكا، وللشمس ثلاثمائة وستين مطلعا وثلاثمائة ومغربًا، مائة وثمانون من مطلع الشتاء ومغاربها ومائة وثمانون من مطالع الصيف ومغاربها(١)

وكذلك القمر يتلوا أثرها فذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [**المعَارج: ٤٠**] وإن الشمس لتغرب في عين حمئة، ثم تقطع الأرض ثم يرفعها إلىٰ السماء في أسرع من طيران الملائكة حتى تقع ساجدة تحت العرش(٢) فيسلب ضوءها، ثم تكسى نورًا جديدًا ثم تؤمر أن تنصرف فتهبط من السماء إلىٰ سماء فكلما هبطت إلىٰ السماء انفجر الصبح حتى تنتهي إلىٰ السماء الدنيا علىٰ الأفلاك حين يسفر النهار

فإذا انتهت إلىٰ الأرض حملت علىٰ عجلتها(٣)، ثم سارت في السماء

وكذلك القمر حتى إذا كان عند اقتراب الساعة تطلع من مغربها(٤) ، وذلك

---

(١) قوله تعالىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥﴾ هذا هو المقسم عليه أنه تعالىٰ لا إله إلا هو ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي من المخلوقات ﴿وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ [**الصَّافات: ٥**] أي هو المالك المتصرف في الخلق بتسخيره بما فيه من كواكب ثوابت وسيارات تبدو من المشرق وتغرب من المغرب، واكتفى بذكر المشارق عن المغارب لدلالتها عليه، وقال تعالىٰ في الآية الأخرى ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ۝١٧﴾ [**الرَّحمٰن: ١٧**] يعني في الشتاء والصيف للشمس والقمر، تفسير ابن كثير (٤/ ٢)

(٢) انظر ما سيأتي عن النووي قريبا

(٣) قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨﴾ [**يس: ٣٨**]، في معنى قوله: ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [**يس: ٣٨**] قولان: أحدهما أن المراد مستقرها المكاني وهو تحت العرش مما يلي الأرض في ذلك الجانب، وهي أينما كانت فهي تحت العرش، وجميع المخلوقات، لأنه سقفها، وليس بكرة كما يزعمه كثير من أرباب الهيئة، وإنما هو قبة ذات قوائم تحمله الملائكة وهو فوق العالم مما يلي رؤوس الناس، فالشمس إذا كانت في قبة الفلك وقت الظهيرة تكون أقرب ما تكون من العرش، فإذا استدارت في فلكها الرابع إلىٰ مقابلة هذا المقام وهو وقت نصف الليل صارت أبعد ما تكون من العرش، فحينئذ تسجد وتستأذن في الطلوع وانظر ما تقدم من حديث البخاري الذي ذكرناه بلفظه قريباً

(٤) روى مسلم في صحيحه [٢٤٨ ـ (١٥٧)] كتاب الإيمان ٧٢ ـ باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، عن أبي هريرة أن رسول ﷺ قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا آمن النَّاسُ كلهم أَجْمَعُونَ فيومئذ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا**»

حين ترفع التوبة[١] ولا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل

فتجيء الشمس والقمر حتى توسَّط، ثم تعود عودها كما بدأها من حيث طلعت.

قال ابن عباس: إن بين السماء والأرض بحر ممدود مسيرة خمسمائة عام، فيه مجاري الشمس والقمر، فلو طلعت الشمس من ذلك وأبرزت لاحترق كل شيء طلعت عليه الشمس ما بين المشرق والمغرب، ولو أن القمر بدا من ذلك البحر لافتتن جميع أهل الدنيا من حسنها حتى يعبدوه من دون الله، فإذا كثر ذنوب الناس وخطاياهم وأراد الله أن يستعتب بني آدم زلت الشمس علىٰ العجلة ودخلت في عمق ذلك البحر فصار الملائكة الموكلون عليها فرقتين فرقة يسوقون العجلة وبمجاريها وفرقة يجرونها علىٰ عجلتها حتى لا تزيد النهار علىٰ عدد ساعاته فإذا أراد الله أن يعظم الآيات علامة غمرت الشمس كلها في الماء حتى لا يرى شيئ[٢]

فذلك المنتهى في عظم الآية، فيظلم الدنيا ويظهر الكواكب، فلا يزال الملائكة يسوقونها ويجرونها بالتسبيح والتهليل حتى تخرج الشمس وتجلى قليلا قليلاً علىٰ قدر خروجها حتى يلقوها في الفلك

---

(١) التوبة لها ثلاثة أركان: الإقلاع والندم علىٰ فعل تلك المعصية والعزم علىٰ ألا يعود إليها أبدا، فإن كانت المعصية لحق آدمي فلها ركن رابع وهو التحلل من صاحب ذلك الحق، وأصلها الندم وهو ركنها الأعظم، واتفقوا علىٰ أن التوبة من جميع المعاصي واجبة وأنها واجبة علىٰ الفور، لا يجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة، والتوبة من مهمات الإسلام وقواعده المتأكدة، ووجوبها عند أهل السنة بالشرع وعند المعتزلة بالعقل، ولا يجب علىٰ الله قبولها إذا وجدت بشروطها عقلا عند أهل السنة، لكنه سبحانه وتعالىٰ يقبلها كرما وفضلا، وعرفنا قبولها بالشرع والإجماع خلافاً لهم

النووي في شرح مسلم (١٧/ ٥٠) دار الكتب العلمية.

(٢) في حديث البخاري ومسلم عن أبي ذر في أمر الشمس: «**مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة**».

قال النووي: هذا مما اختلف المفسرون فيه فقال جماعة بظاهر الحديث، قال الواحدي: وعلىٰ هذا القول إذا غربت كل يوم استقرت تحت العرش إلىٰ أن تطلع من مغربها.

وقال قتادة ومقاتل: معناه تجري إلىٰ وقت لها وأجل لا تتعداه. قال الواحدي: وعلىٰ هذا مستقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا، وهذا اختيار الزجاج، وقال الكلبي: تسير في منازلها حتى تنتهي إلىٰ أول منازلها واختار ابن قتيبة هذا القول. والله أعلم.

النووي في شرح مسلم (٢/ ١٦٧) دار الكتب العلمية.

وكذلك القمر[١] وهما يجريان في البحر مثل سرعة رمي السهم

وقد حبس الله ذلك البحر في الهواء لأن لا يقطر منه قطرة

قال: فإذا قامت القيامة أُتِي بالشمس والقمر وهما مكروبان مهمومان بعبادة الكفار لهما يقولان ربنا إنك قد علمت طاعتنا لك فلا تعذبنا بذنوب غيرنا

فيقول الله صدقتما أنا قد آليته علىٰ نفسي أن أبدأكما وأعيدكما فكونا كما كنتما.

فيلمع نور كل واحد منهما برقة فتختلط بالعرش، وأما المصابيح فهي معلقة كتعليق القناديل يهتدي بها بنو آدم في ظلمات البر والبحر، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾ [النّحل: ١٦]

وأما الشهاب التي ترمي الشياطين فإنها بأيدي الملائكة

فإذا أراد المارد من الشياطين أن يسترق[٢] السمع رماه الملك[٣] فيصيبه فيلقيه

(١) قال تعالىٰ: ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩] أي: جعلناه يسير سيرا آخر يستدل به علىٰ مضي الشهور كما أن الشمس يعرف بها الليل كما قال ﷻ ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ﴾ [البَقَرَة: ١٨٩] وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ﴾ [يونس: ٥]

فجعل الشمس لها ضوء يخصها، والقمر له نور يخصه، وفاوت بين سير هذه وهذا، فالشمس تطلع كل يوم وتغرب في آخره علىٰ ضوء واحد ولكن تنتقل في مطالعها ومغاربها صيفا وشتاء يطول بسبب ذلك النهار ويقصر الليل ثم يطول الليل ويقصر النهار وجعل سلطانها بالنهار فهي كوكب نهاري وأما القمر فقدره منازل يطلع في أول ليلة من الشهر ضئيلا قليل النور.... إلىٰ آخره. تفسير ابن كثير (٣/ ٥٩١).

(٢) وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ١٦ وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ ١٧ إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ١٨﴾

وقال عطية العوفي: البروج هي قصور فيها الحرس وجعل الشهب حرسا لها من مردة الشياطين لئلا يسمعوا إلىٰ الملأ الأعلى فمن تمرد وتقدم لاستراق السمع جاءه شهاب مبين فأتلفه فربما يكون قد ألقى الكلمة التي سمعها قبل أن يدركه الشهاب إلىٰ الذي هو دونه فيأخذها الآخر ويأتي بها إلىٰ وليه. تفسير ابن كثير (٢/ ٥٦٤).

(٣) روى البخاري في صحيحه (٤٧٠١) كتاب تفسير القرآن، ١ ـ باب **«إلا من استرق السمع فأتبعه شِهَابٌ مُبِينٌ»، عن أبي هريرة يبلُغُ به النبي ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خُضعانًا لقوله كأنه سلسلة علىٰ صَفوان»**

قال علي: وقال غيره: صفوان يَنفُذهم ذلك، **«فإذا فُزّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟** =

في البحر منحلا لا ينتفع به إلىٰ يوم القيامة ثم يرجع الشهاب إلىٰ الملك

فذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصَّافات: ١٠]

وأما الظلمة: قال ابن عباس: لله ملك موكل به، وخلق حجابًا من ظلمة مما يلي المشرق فإذا غربت الشمس قبض الملك من تلك الظلمة قبضة، ثم يرفع يده فيستقبل منها المغرب، فلا يزال الظلمة من خلال أصابعه وهو يراعي الشفق، فإذا غاب الشفق بسط كفه فطبق الدنيا ظلمة

ثم إذا أصبح يسوق الظلمة إلىٰ المغرب ثم يجمعها فيضعها بالمغرب

فذلك حال كل ليلة حتى ينقل تلك الحجب الظلمة من المشرق إلىٰ المغرب، فإذا نقلها قامت القيامة

باب خلق الأرضين

قال العلماء: خلق الله الأرض علىٰ صورة الطير فرأسها الشام، والجؤجؤ مكة[(١)] ومنها دحية الأرض

= **قالوا: الذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو السمع، ومسترقو السمع هكذا واحد فوق آخر ـ ووصف سفيان بيده فَفَرَّج بين أصابع يده اليمنى نَصبَها بعضها فوق بعض ـ فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يَرْمي بها إلىٰ صاحبه فيحرقَه وربما لم يدركه حتى يَرْمي بها إلىٰ الذي يليه إلىٰ الأرض، وربما قال سفيان: حتى تنتهي إلىٰ الأرض فتلقى علىٰ فم الساحر فيكذب معها مائة كذبة فيصدق فيقولون: ألم يخبرنا: يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقًّا؟ للكلمة التي سمعت من السماء»**

(١) قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عِمرَان: ٩٦] يخبر تعالىٰ أن أول بيت وضع للناس أي لعموم الناس لعبادتهم ونسكهم يطوفون به ويصلون به ويعتكفون عنده ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ [آل عِمرَان: ٩٦] يعني الكعبة التي بناها إبراهيم الخليل عليه السلام الذي يزعم كل من طائفتي النصارى واليهود أنهم علىٰ دينه ومنهجه ولا يحجون إلىٰ البيت الذي بناه عن أمر الله له في ذلك ونادى الناس إلىٰ حجه، ولهذا قال: ﴿مُبَارَكًا﴾ [آل عِمرَان: ٩٦] أي وضع مباركا ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٩٦]

وخلق مكة قبل بيت المقدس بأربعين عاما[١] فكان موضع الكعبة ربوة حمراء علىٰ وجه الماء

فلما خلق الله تبارك وتعالىٰ الأرض خلقها سبع أرضين غلظ كل أرض مسيرة خمسمائة عام

وفيما بين كل أرضين هواء مسيرة خمسمائة عام، فأسكن الله الأرض العليا الجن والإنس وشق فيها الأنهار، وأنبت فيها الأشجار وخلق فيها البحار واسمها أرعا.

غلظها مسيرة خمسمائة عام، وما بين طرفيها خمسمائة عام

ثم خلق الأرض الثانية واسمها رمكا، وفيها عرش إبليس، وخلق فيها خلقًا ليس كخلق بني آدم، وجوههم مثل وجوه بني آدم، وأيديهم كأيدي الناس وأفواههم كالكلاب، وأرجلهم، وآذانهم كالبقر وأشعارهم كأصواف الغنم لا يعصون الله طرفة عين ليس لهم ثواب، وعليهم عقاب إن عصوا، فإن غربت الشمس في العين الحامئة تطلع عليهم، فليلنا نهارهم ونهارنا ليلهم

ثم خلق الأرض الثالثة واسمها جريا وفيها ظلمة وعقارب أهل النار كأمثال

---

(١) روى البخاري في صحيحه (٤/ ١٧٧)، ومسلم في [١ ـ (٥٢٠)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة في فاتحته، عن أبي ذَر قال: قلتُ: يا رسولَ الله، أيُّ مَسجِد وُضِع في الأرض أوَّلُ؟ قال: «**المِسجدُ الْحَرَامُ**» قلت: ثم أَيُّ؟ قال: «**الْمسجِدُ الأقْصَى**» قلت: كم بينهما؟ قال: أرْبَعُونَ سَنَةً، وأينما ادركتك الصلاة فصل فهو مسجد»

وقول ابن كثير: بَكَّة من أسماء مكة علىٰ المشهور قيل: سُمِّيت بذلك لأنها تَبُكّ أعناق الظلمة والجبابرة بمعنى أنهم يذلون بها ويخضعون عندها وقيل: لأن الناس يَتَبَاكّون فيها أي يزدحمون.

وذكر حَمّاد بن سلمة عن عطاء عن سعيد بن جُبَير عن ابن عباس قال: مَكَّة من الفجّ إلىٰ التنعيم، وبكّة من البيت إلىٰ البطحاء، وقال عكرمة في رواية وميمون بن مِهْران: البيت وما حوله بكة، وما وراء ذلك مكة وقد ذكروا لمكة أسماء كثيرة: مكة، وبكة، والبيت العتيق، والبيت الحرام، والبلد الأمين، والمأمون، وأُمّ رُحْم، وأم القُرَى، وصلاح، والعرْش علىٰ وزن بدر، والقادس؛ لأنها تطهر من الذنوب، والمقدسة، والناسّة: بالنون، وبالباء أيضاً والحاطمة، والرأس، وكُوثاء، والبلدة، والبَنِيَّة، والكعبة .

تفسير ابن كثير (١/ ٣٨٣) .

البغال السود[١] ، ولها أذناب كأمثال الجبال الطوال يأكل بعضها بعضًا جردًا علىٰ بني آدم

ثم خلق الله الأرض الرابعة واسمها جلدة وفيها حيات أهل النار لها أنياب وأضراس يأكل بعضها بعضًا جردا علىٰ بني آدم ممن عصى الله[٢]

ثم خلق الأرض الخامسة واسمها تبتبا وفيها سلاسل وأغلال لأهل النار

ثم خلق الأرض السادسة واسمها بارا، وفيها حجارة الكبريت المثقبة والصخرة منها كالطود العظيم ، يعلق يوم القيامة في أعناق الكفار ويشتعل النار في وجوههم فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البَقَرَة: ٢٤] [٣]

ثم خلق الأرض السابعة غلظها خمسمائة عام

وكذلك غلظ كل أرض وعرضها ، وما بين كل أرضين مسيرة خمسمائة عام، واسمها عرية

وفيها ناران اسم أحدها سجين، والآخر فلق فأما السجين[٤] فهي مفتوحة إليها

(١) روى مسلم في صحيحه [٢٩ ـ (٢٨٤٢)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ١٢ ـ باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين، عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بجنهم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»

(٢) فيما روى مسلم [٣٤ ـ (٢٨٤٦)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ١٣ ـ باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**احتجت النار والجنة، فقالت هذه: يدخلني الجبارون والمتكبرون وقالت هذه يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال الله ﷻ لهذه: أنت عذابي أعذب بك من أشاء وربما قال: أصيب بك من أشاء وقال لهذه: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها**»

(٣) والمراد بالحجارة هاهنا: هي حجارة الكبريت العظيمة السوداء الصلبة المنتنة، وهي أشد الأحجار حراً إذا حميت، أجارنا الله منها

عن عبد الله بن مسعود: هي حجارة من كبريت خلقها الله يوم خلق السماوات والأرض في السماء الدنيا يعدها للكافرين رواه ابن جرير وهذا لفظه

وقال مجاهد: حجارة من كبريت أنتن من الجيفة، وقيل: المراد حجارة والأنداد التي كانت تعبد من دون الله . تفسير ابن كثير (١/ ٦١) .

(٤) قال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾

يقول تعالىٰ: حقا ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧﴾ [المطفّفين: ٧] أي أن مصيرهم ومأواهم لفي سجين فعيل من السجن وهو الضيق كما يقال فسِّيق وشرِّيب وخمِّير وسكِّير =

ينتهي كتاب الفجار وأرواحهم ، وعليها يعرضون آل فرعون غدوًا وعشيًا

وأما الفلق[(١)] فهي مغطاة لا يكشف عنها إلىٰ يوم القيامة

قال ابن عباس: لما خلق الله السماوات مثل القباب، فالسماء الدنيا قد شدت أقطارها بالسماء الثانية، والثانية بالثالثة والثالثة بالرابعة والرابعة بالخامسة، والخامسة بالسادسة والسادسة بالسابعة والسابعة بالعرش فذلك قوله تعالىٰ: ﴿رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾ [(٢)] يعني أنتم ترونها بغير عمد، وعمداها من فوقها

= ونحو ذلك ولهذا عظم أمره فقال تعالى ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ٨﴾ **[المطفّفين: ٨]** إي هو أمر عظيم وسجن مقيم وعذاب أليم، ثم قال قائلون هم تحت الأرض السابعة، وفي حديث البراء الطويل يقول الله ﷻ في روح الكافر: اكتبوا كتابه في سجين. وسجين هي تحت الأرض السابعة وقيل صخرة تحت السابعة خضراء، وقيل بئر في جهنم» .

(١) في تفسير ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾ **[الفلَق: ١]** قال ابن أبي حاتم بسنده عن جابر قال: الفلق الصبح، وقال العوفي عن ابن عباس ﴿ٱلۡفَلَقِ﴾ **[الفلَق: ١]** الصبح، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ٱلۡفَلَقِ﴾ **[الفلَق: ١]** الخلق

وقال كعب الأحبار ﴿ٱلۡفَلَقِ﴾ **[الفلَق: ١]** بيت في جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره .

وبلفظ آخر« **جب في قعر جهنم عليه غطاء فإذا كشف عنه خرجت منه نار تضح منه جهنم، من شدة حر ما يخرج منه** .

تفسير ابن كثير (٤/٥٧٣) .

(٢) سورة الرعد (٢)، ولقمان (١٠)

يخبر تعالىٰ عن كمال قدرته وعظيم سلطانه أنه الذي بإذنه وأمره رَفَع السماوات بغير عمَد، بل بإذنه وأمره وتسخيره رفعها عن الأرض بُعدًا لا تنال ولا يدرك مداها، فالسماء الدنيا محيطة بجميع الأرض وما حولها من الماء والهواء من جميع نواحيها وجهاتها وأرجائها، مرتفعة عليها من كل جانب علىٰ السواء وبعد ما بينها وبين الأرض من كل ناحية مسيرة خمسمائة عام، وسمكها في نفسها مسيرة خمسمائة عام، ثم السماء الثانية محيطة بالسماء الدنيا وما حوت وبينها من بعد المسيرة خمسمائة عام وسمكها خمسمائة عام خمسمائة عام، وهكذا الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة كما قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ **[الطّلَاق: ١٢]** وقوله ﴿بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾ **[الرّعد: ٢]** روي عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد أنهم قالوا لها عَمَد ولكن لا ترى .

وقال إياس بن معاوية السماء علىٰ الأرض مثل القبة يعني بلا عمد، وكذا روي عن قتادة وهذا هو اللائق بالسياق .

تفسير ابن كثير (٢/٥١٢) .

قال: وكانت الأرض تمور مورًا مثل السفينة فقال الله يا جبرائيل اهبط إلىٰ الأرض واحبس الأرض من الزلازل

فهبط جبرائيل فعالجها، فلم يقدر علىٰ إمساكها

فلما أمسى ارتفع إلىٰ السماء وخرّ لله ساجدًا، وقال: يا رب قد علمت معالجتي الأرض ولم أقدر علىٰ ذلك، فلو أردت ذلك لبعثت بعوضة لأمسكتها

فأرسل الله ملكًا من تحت العرش من ليلة إلىٰ الأرض فهبط الملك ودخل تحت الأرضين ووضع سبع أرضين علىٰ عاتقه، ثم أخرج يديه أحدهما بالمشرق والأخرى بالمغرب، ثم قبض الأرضين السبع ما بين أصابعه

ثم ضبط الأرض فاستقرت، فلم يكن لقدميه قرار(١) ، فأهبط الله ثورًا من أعلى الفردوس له أربعون ألف قرن، وأربعون ألف قائمة (من ياقوت وبين عينيه إحدى عشر بحرًا في كل بحر ما لا يوصف من العجائب، وهو يأكل كل يوم مائة ألف حوت، وله أربعة آلاف رأس ما بين الرأس مسيرة خمسمائة عام)(٢)

فجعل قرار قدمي الملك علىٰ سنامي(٣) ، فلم تصل قدماه فأنزل الله تعالىٰ

---

(١) هذا الكلام من الاسرائليات ولم يصح

وقد روى الترمذي في سننه (٣٢٩٨) كتاب تفسير القرآن، من سورة الحديد، عن أبي هريرة قال: بينما نبي الله ﷺ جالس وأصحابه إذ أتى عليهم سحاب فقال: هل تدرون ما هذا؟.... الحديث .

وفيه: قال رسول الله ﷺ في المسافة بيننا وبين السماء الدنيا: بينكم وبينها مسيرة خمسمائة سنة، ثم عد سبع سموات ما بين كل سماءين كما بين السماء والأرض .

ثم قال: هل تدرون ما فوق ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: فإن فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بعد مثل ما بين السماءين، ثم قال: هل تدرون ما الذي تحتكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: فإنها الأرض ثم قال: هل تدرون ما الذي تحتكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها الأرض، ثم قال: هل تدرون ما الذي تحتها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن تحتها الأرض الأخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة ثم قال: والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم رجلا بحبل إلىٰ الأرض السفلى لهبط علىٰ الله ثم قرأ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [**الحديد**: ٣]

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) كذا بالأصل واظنها سنام الثور فوق ظهره كما للحمل سنام علىٰ ظهره

ياقوتة حمراء من أعلى درجة الفردوس غلظها مسيرة أربعين عامًا

فوضعها بين سنامي الثور إلىٰ إذنه فاستقرت عليه قدماه

وقرون ذلك الثور قد نفذت من أقطار الأرضين فالسموات مشبكة تحت العرش، وهو يتنفس في كل يوم نفسين في بحور الأرضين، فإذا تنفس مد البحار، وإذا رد نفسه جزرت البحار، فكل مد وجزر في البحار من نفس ذلك الثور، وهو بيص بعض البطن

فلم يكن لقوائم الثور قرار فخلق الله كمكا من رمل غلظه كغلظ سبع سموات وسبع أرضين(١) فاستقرت قوائم الثور عليها

ثم لم يكن للكمك قرار، فخلق الله نونا يقال له بلهوت ويقال: لوشا ، فوضع الكمكم علىٰ وتر الحوت الذي يكون في وسط الظهر وسائر جسده خالي

والحوت في البحر ، يقال عمق ذلك البحر كما بين سبع سموات وسبع أرضين، وهذا النون في ذلك البحر كالنون الصغير في البحر الأفيح، وذلك البحر في صخرة يقال لها متقليون فيه أربعة آلاف خرق، ومنها تخرج المياه التي علىٰ وجه الأرض .

قال: وسأل رجل عيسى ابن مريم عن عظم الحوت الذي عليه قرار الأرض(٢)

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ **[الطّلَاق: ١٢]**

يقول تعالىٰ مخبرا عن قدرته التامة وسلطانه العظيم ليكون ذلك باعثا علىٰ تعظيم ما شرع من الدين القويم ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ **[الطّلَاق: ١٢]** كقوله تعالىٰ إخباراً عن نوح أنه قال لقومه«**ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا**» وقوله تعالىٰ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ **[الإسراء: ٤٤]** وقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ **[الطّلَاق: ١٢]** أي سبعا أيضاً كما ثبت في الصحيحين« **من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين**» وفي صحيح البخاري «**خسف به إلىٰ سبع أرضين**»

تفسير ابن كثير (٤/ ٣٨٥) .

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ **[النّحل: ١٥]**

ذكر تعالىٰ الأرض وما ألقي فيها من الرواسي الشامخات والجبال الراسيات لتقر الأرض ولا تميد أي تضطرب بما عليها من الحيوان فلا يهنأ لهم عيش بسبب ذلك .

=

فانطلق به عيسى آخذًا بيده إلىٰ شاطئ البحر فإذا نون يخرج من الماء لم يستتم خروجه ثلاثة أيام

فقال الرجل: يا روح الله[(١)] أهو هو

قال: والله إن له في كل يوم غداؤه ومثل هذا سبعون ألفًا

والصخرة علىٰ متن الريح والريح علىٰ القدرة

فلما أن أصبح جبرائيل ﷺ هبط إلىٰ الأرض ليعالجها

فلما نظر إليها فإذا الأرض قد استقرت ورأى جبل قاف، والجبال الرواسي، فقال: سبحانك إلهي كل هذا الخلق أخذتهم في ليلة واحدة

فقال يا جبرائيل ما غاب عنك أكثر مما علمت قدرتي وعجائبي

باب في ذكر الجبل المحيط بالدنيا

وذكر في قصة ذو القرنين[(٢)] فروى أن ذي القرنين ﷺ لما انتهى إلىٰ الجبل

= ولهذا قال: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾ [النَّازعَات: ٣٢] وقال عبد الرزاق بسنده عن الحسن: لما خلقت الأرض كانت تميد، فقالوا ما هذه بمقرّة علىٰ ظهرها أحدًا فأصبحوا وقد خُلقت الجبال فلم تدر الملائكة مِمّ خلقت الجبال .
تفسير ابن كثير (٢/ ٥٨٢) .

(١) قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النِّساء: ١٧١]
أي لا تفتروا عليه وتجعلوا له صاحبة وولدا تعالىٰ الله عن ذلك علوا كبيرا وتنزه وتقدس وتوحد في سؤدده وكبريائه وعظمته، فلا إله إلا هو ولا رب سواه ولهذا قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النِّساء: ١٧١] أي إنما هو عبد من عباد الله وخَلق من خلقه، قال له: كن فكان، ورسول من رسله وكلمته ألقاها إلىٰ مريم أي خَلقَه بالكلمة التي أرسل بها جبريل ﷺ .
تفسير ابن كثير (١/ ٥٩٠) .

(٢) بعث كفار مكة إلىٰ أهل الكتاب يسألون منهم ما يمتحنون به النبي ﷺ فقالوا: سلوه عن رجل طواف في الأرض، وعن فتية لا يدرى ما صنعوا، وعن الروح، فنزلت سورة الكهف
وقد ساق الإمام أبو زرعة الرازي مع جلالة قدرة حديث عقبة بن عامر في كتابه دلائل النبوة مع =

المحيط بالدنيا والعالم كلها فإذا هو بملك من الملائكة قائم في وسط الجبل في صدفتين من زمردتين زمردة خضراء وزمردة صفراء

قد ضرب بيده علىٰ الجبل وقد قبض عليه، قد ضرب يده اليمنى علىٰ الصدفة الخضراء ويده اليسرى علىٰ الصدفة الصفراء، وهو يبكي ويسيل من عينيه نهر كالفرات أو أكبر وهو يقول: سبحان ربي من الآن إلىٰ منتهى الدهر بصوت عالي رفيع الصوت كالرعد وإذا له عينان كالجمرتين

فأبصر ذو القرنين صورته من مسيرة يوم وليلة ولم يقدر أن يدنو منه

فنزل عن فرسه وصهل الفرس صهيلا ما سمع شيء من الأصوات أحسن منه

وهو يقول: سبحان الملك الأعلى سبحان من يعز من يشاء ويذل من يشاء

متى تمنيت يا ذا القرنين أن تبلغ هذا المبلغ فخر ذو القرنين ساجدًا لربه ﷻ(١) يسأله أن يقويه علىٰ النظر إلىٰ ذلك الملك وكلامه، وقد رأى منه أمرًا عظيما؛ إذا سبح يقع من فيه مثل الجمر

قال: فرفع ذو القرنين رأسه وقد أعطاه الله تعالىٰ ما سأله من القوة(٢)

= ما فيه من النكارة وأنه من الروم وإنما الذي كان من الروم الإسكندر الثاني وهو ابن فيليبس المقدوني الذي تؤرخ به الروم، أما ذو القرنين فقد ذكره الأزرقي وغيره أنه طاف بالبيت مع إبراهيم الخليل عليه السلام أول ما بناه وآمن به واتبعه وكان وزيره الخضر عليه السلام وأما الثاني فهو إسكندر بن فيليبس المقدوني اليوناني، وكان وزيره أرسطاطاليس الفيلسوف المشهور، والله أعلم وهو الذي تؤرخ من مملكته الروم وقد كان قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلثمائة سنة .

(١) وقال وهب بن منبه: كان ملكًا وإنما سمي ذا القرنين لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس قال: وقال بعض أهل الكتاب لأنه ملك الروم وفارس، وقال بعضهم: كان في رأسه شبه القرنين وقال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل قال سئل علي رضي الله عنه عن ذي القرنين فقال: كان عبدًا ناصحًا لله فناصَحَه دعا قومه إلىٰ الله فضربوه علىٰ قرنه فمات فأحياه الله فدعا قومه إلىٰ الله فضربوه علىٰ قرنه فمات فسمي ذا القرنين

(٢) قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [**الكهف**: ٨٤] أي أعطيناه ملكًا عظيمًا متمكنًا فيه له من جميع ما يؤتى الملوك من التمكين والجنود وآلات الحرب والحصارات، ولهذا ملك المشارق والمغارب من الأرض ودانت له البلاد وخضعت له ملوك العباد وخدمته الأمم من العرب والعجم

ولهذا ذكر بعضهم أنه إنما سمي ذا القرنين لأنه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها .

وقوله تعالىٰ ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا﴾ [**الكهف**: ٨٤] قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن =

فإذا هو بين يدي الملك يكلمه وهو يقول: أيها الضعيف الذي خُلق من الضعيف ارفع رأسك فإنك قويت علىٰ النظر إلىٰ وجهي، ولم ينظر إلىٰ آدمي قبلك ولا بعدك غير أبيك آدم ﷺ

قال: فرفع رأسه وسلم عليه وهو يقول: أيها الملك المسلط علىٰ أطراف الأرضين الموكل بهذا الجبل، ما شأنك قابضًا علىٰ طرفي هذا الجبل كأنه يريد أن يزول عن يديك إن أرسلته؟ فقال الملك: يا متعوب يا مغموم يا ذا القرنين ما جاء بك أيها الإنسان إلىٰ هذا المكان، وأنت من ولد آدم الخاطئ؟ كيف قدرت هذه الظلمة التي لم يدخلها أحد قبلك وكيف جزت إليّ وجئتني ها هنا؟

فقال له ذو القرنين إن الله ربي وربك هو الذي قواني علىٰ النظر إليك

بلغني إلىٰ ما ترى، إني تركت الشمس وراء ظهري وأتيت إلىٰ هذا المكان وإني مشيت في الظلمة علىٰ الأرض اليابسة لم تعثر رجلي بحجر ولا مدر ولا سهل ولا جبل، والله أعطاني ذلك

فقال له الملك: أيها الإنسان إنك تظن أنك مشيت في الظلمة، لم يكن مسيرك علىٰ الأرض(١) إلا خمسة أيام

وأما سائر ذلك فإنك مشيت علىٰ الماء وهو البحر السابع، الذي هو محيط بالعالم كله

= جبير وعكرمة والسدي وقتادة والضحاك وغيرهم يعني علمًا، وقال أسلم: تعليم الألسنة، قال: كان لا يغزو قومًا إلا كلمهم بلسانهم .
وقد قال الله في حق بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣] أي مما يؤتى مثلها من الملوك، وهكذا ذو القرنين يسر الله له الأسباب أي الطرق والوسائل إلىٰ فتح الأقاليم والرَّسَاتيق والبلاد والأراضي، وكسر الأعداء وكبت ملوك الأرض وإذلال أهل الشرك .
تفسير ابن كثير (٣/ ١٠٤) .

(١) حث الله تعالىٰ علىٰ السعي والسير في الأرض فقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ [المُلك: ١٥] أي فسافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئًا إلا أن ييسره الله لكم، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [المُلك: ١٥] فالسعي في السبب لا ينافي التوكل

وأمـا الذي تسألني عنه مـا شاء قابض علىٰ طرفي هذا الجبل فإني أخبرك أن هذا الجبل هـو محيط بالعالم كله وهو مستدير بالدنيا والظلمة قد أحاطت بالدنيا كلها

وخلف الظلمة البحر الذي رأيته وهو البحر السابع وليس خلف هذا الجبل أحد إلا الملائكة، وخلف ذلك سبعون ألف حجاب من الظلمة وسبعون ألف حجاب من الثلج وسبعون ألف حجاب(١) من الغمام، وسبعون ألف حجاب من البرد، وسبعون ألف حجاب من الريح العاصف، وسبعون ألف حجاب من الريح الصرصر، وسبعون ألف حجاب من نار، وسبعون ألف حجاب من الدخان، وسبعون ألف حجاب من ماء وسبعون ألف حجاب من نور، غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ومن خلف هؤلاء الملائكة الذي يحملون الكرسي ، أرجلهم تحت الأرضين السابعة السفلى في الثرى، ورؤسهم فوق سبع سموات، والكرسي علىٰ مناكبهم، ولولا هذا الحجب التي بيننا لاحترقت أنا وهذا الجبل من نورهم

فقال ذو القرنين:(٢) وما خلف أولئك؟

قال: سبعون ألف جبل من نار، وسبعون ألف جبل من نور، وسبعون ألف

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٢٩٣ ـ (١٧٩)] كتاب الإيمان، ٧٩ ـ باب في قوله ﷺ إن الله لا ينـام وفي قوله: «**حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»

قال النووي: السبحات بضم السين والباء ورفع التاء في آخره، وهي جمع سبحة، قال صاحب العين والهروي وجميع الشارحين للحديث من اللغويين والمحدثين معنى سبحات وجهه نوره وجلاله وبهاؤه، وأما الحجاب فأصله في اللغة المنع والستر وحقيقة الحجاب إنما تكون للأجسام المحدودة، والله منزه عن الجسم والحد، والمراد هنا المانع من رؤيته وسمي ذلك المانع نورا أو نارا لأنهما يمنعان من الإدراك في العادة لشعاعهما، والمراد بالوجه الذات والمراد بما انتهى إليه بصره من خلقه جميع المخلوقات لأن بصره سبحانه وتعالىٰ محيط بجميع الكائنات .

النووي في شرح مسلم (٣/ ١٣) طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) في المختارة للحافظ الضياء المقدسي بسنده عن حبيب بن حماد قال: كنت عند علي ﷺ، وسأله رجل عن ذي القرنين كيف بلغ المشرق والمغرب؟ فقال سبحان الله سخر له السحاب وقَدَّر له الأسباب وبسط له اليد

جبل من ثلج وسبعون ألف جبل من الزمرد الأخضر، وسبعون ألف جبل من الزمرد الأحمر، وسبعون ألف جبل من الزمرد الأصفر، وسبعون ألف جبل من الياقوت الأحمر وسبعون ألف جبل من الياقوت الأخضر وسبعون ألف جبل من الياقوت الأبيض، وسبعون ألف جبل من الذهب الأحمر وسبعون ألف جبل من فضة بيضاء.

فقال ذو القرنين: فما خلف أولئك؟[(١)]

قال: سبعون ألف بحر من نار وسبعون ألف بحر من نور، وسبعون ألف بحر من ماء، ثم ينتهي إلىٰ أطراف السماوات قد (ظبرت)[(٢)] علىٰ ذلك، ثم بعد ذلك حملة العرش قد مرقت أرجلهم من الأرضين السابعة وجاوزت رءوسهم السماوات كلها وقوائم العرش علىٰ ظهورهم ورقابهم غلظ كل ملك منهم وطول قامة أحدهم كطول أيام الدنيا وطول السماوات السبع والأرضين السبع

ولهم قرون غلظ كل قرن ملك ما بين الخافقين

قال: فما خلف أولئك؟

قال: أرض بيضاء ملساء ضوءها من نورها ونورها من ضوءها، مسيرة الشمس أربعين صباحًا

فلا تقطع تلك الأرض إلا في أربعين يومًا ويقطع هذه الأرض من المشرق إلىٰ

---

(١) في قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [**الكهف**: ٨٦] أي سلك طريقًا حتى وصل إلىٰ أقصى ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المغرب وهو مغرب الأرض، وأما الوصول إلىٰ مغرب الشمس من السماء فمتعذر، وما يذكره أصحاب القصص والأخبار من أنه سار في الأرض مدّة والشمس تغرب من ورائه فشيء لا حقيقة له وأكثر ذلك من خرافات أهل الكتاب واختلاق زنادقتهم وكذبهم وقوله ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [**الكهف**: ٨٦] أي رأى الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط وهذا شأن كل من انتهى إلىٰ ساحله يراها كأنها تغرب فيه وهي لا تفارق الفلك الرابع الذي هي مثبتة فيه لا تفارقه

انظر تفسير ابن كثير (٣/ ١٠٤، ١٠٥).

(٢) كذا بالأصل

المغرب في يوم واحد، وليس فيها موضع شبر إلا وفيه ملك ساجد[١] لم يرفع رأسه منذ خلقه الله تبارك وتعالىٰ ولا يرفعه إلىٰ يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة رفعوا رؤسهم وقالوا: يا ربنا ما عبدناك حق عبادتك

قال: فما خلف أولئك؟

قال: ملائكة يضعفون علىٰ هؤلاء أربعين ضعفًا، لكل ملك منهم أربعون رأسًا، في كل رأس أربعون وجها، في كل وجه أربعون فما، في كل فم أربعون لسانا، في كل لسان أربعون لغة، يسبح الله ويقدسه بكل لسان أربعون نوعًا[٢]

قال: فما خلف أولئك؟

قال: ملائكة يضعفون علىٰ هؤلاء أربعون ضعفًا، طول كل ملك منهم ما بين السماوات السبع إلىٰ الأرضين السبع، وليس في جسده موضع ظفر ابن آدم إلا وفيه لسان ناطق يحمد الله ويقدسه[٣]

قال: فما خلف أولئك؟

---

(١) روى أحمد في مسنده (٥/ ١٧٣) بسنده عن أبى ذر قال: قول رسول الله ﷺ: «**إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولا تلذذتم بالنساء علىٰ الفرشات ولخرجتم علىٰ أو إلىٰ الصعدات تجأرون إلىٰ الله تعالى**»
قال: فقال أبو ذر والله لوددت أني شجرة تعضد .

(٢) روى الطبراني في معجمه الكبير والسيوطي في الحبائك في الملائك (١٠) عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: « **ما في السماوات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً سبحانك ما عبدناك حَقَّ عبادتك إلا أنا لم نشرك بك شيئًا**»

(٣) وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ﴾ **[المدَّثِّر: ٣١]** أي ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالىٰ لئلا يتوهم متوهم أنهم تسعة عشر فقط كما قال تعالىٰ في المدثر: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ **[المدَّثِّر: ٣٠]**
وقد ثبت في حديث الإسراء المروي في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال في صفة البيت المعمور الذي في السماء السابعة، «**فإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم**»

قال: ملك قد أحاط لجميع ما ذكرت لك من الحجب وغيره

ولو أذن الله ﷻ له لجميع ما ذكرت لك وما في السماوات السبع وما في سبعة أرضين ما خلا العرش والكرسي، فألتقمه كله بلقمة واحدة، ولولا ما جعل الله ﷻ بين هؤلاء وهؤلاء لاحترقت الملائكة الذين يحملون العرش

فقال له ذو القرنين: فما خلف أولئك؟

قال الملك: يا ذا القرنين عند ذا انقطع علمي وعلم كل عالم وملك

وليس وراء ذلك إلا الله تبارك وتعالىٰ[١] وسلطان ربها

وأما ما سألتني من قبضي علىٰ الجبل، فإن الله تبارك وتعالىٰ خلق الأرض، وكان عرشه علىٰ الماء[٢]

---

(١) لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين أحدهما وهو مذهب معظم السلف أو كلهم أنه لا يتكلم في معناها بل يقولون يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله تعالىٰ وعظمته مع اعتقادنا الجازم أن الله تعالىٰ ليس كمثله شيء وأنه منزه عن التجسم والانتقال والتحيز في جهة، وعن سائر صفات المخلوق، وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين واختاره جماعة من محققيهم وهو أسلم

والقول الثاني: وهو مذهب معظم المتكلمين أنها تتأول علىٰ ما يليق بها علىٰ حسب مواقعها، وإنما يسوغ تأويلها لمن كان من أهله بأن يكون عارفا بلسان العرب وقواعد الأصول والفروع ذا رياضة في العلم، فعلى هذا المذهب يقال في الإتيان عبارة عن رؤيتهم إياه إلىٰ غير ذلك .
النووي في شرح مسلم (١٨/٣)
طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾

روى مسلم في صحيحه [١٦ ـ (٢٦٥٣)] كتاب القدر ٢ ـ بَاب حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَام عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال وعرشه علىٰ الماء**» .

والبخاري في صحيحه (٤٦٨٤) كتاب التفسير،٢ ـ باب قوله: ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ [هُود: ٧] عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله ﷻ : أنفق أنفق عليك**» وقال: «**يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار**» وقال: «**أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض فإنه لم يغض ما في يده وكان عرشه علىٰ الماء، وبيده الميزان يخفض ويرفع**»

ثم خلق السماء واستوى علىٰ العرش، ثم إن الله ﷻ خلقنا نحن الملائكة

فلما نظر الملائكة إلىٰ الأرض أبصروها تميل مرة يمينًا ومرة شمالاً

فقلنا: نحن الملائكة وذلك شيء ألقاه الله ﷻ في قلوبنا وأجرى علىٰ ألسنتنا إذ قلنا: يا ربنا ما شأن هذه الأرض تزول بأهلها وتزول يمينا وشمالا كيف يستطيع خلقك من الذين تخلقهم أن تستقر علىٰ ظهرها

فلما سمع الله ﷻ ذلك منا تكلم بكلمة طيبة طاهرة مباركة

ففزعنا من ذلك ووقعنا علىٰ وجوهنا، فلما رفعنا رؤسنا اطلعنا إلىٰ الأرض، فإذا ربنا تبارك وتعالىٰ قد أحاط بالأرض كلها هذا الجبل فاستقرت الأرض عند ذلك.

وإن هذا الجبل هو أصل كل جبل علىٰ ظهر الأرض وإن الله تعالىٰ قد جعل لهذا الجبل نفسًا وعقلا ورأيا وعرقا ولسانا تسبح به

وأنه يسمع ويبصر ويطيع الله ﷻ

وبطاعته رفعه الله علىٰ الجبال كلها

وأما ما ترى أني قابض علىٰ طرفيه لأنه مستدير بالدنيا مثل الحلقة المدورة، ولولا قبضي عليه لانفرج بأهل الدنيا ولانخسف بهم

ولكن الله يحبسه بقدرته وعظمته

فإذا أراد الله ﷻ أن يخسف بقوم إذا هم عصوه أو بقرية، أوحى إلىٰ هذا الجبل أن حرك عروق تلك القرية، فإذا حركها خسف الله تبارك وتعالىٰ بالقوم مع ما ينزل ما عنده[1]

---

(١) قال تعالىٰ حكاية عن قارون: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القَصَص: ٨١]

وقال تعالىٰ في سورة الملك: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ [المُلك: ١٦]

وروى البخاري في صحيحه عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء إذ خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلىٰ يوم القيامة**»

ثم يقلبهم الملك على وجوههم

فقال له ذو القرنين هل يأكلون ويشربون وينامون ويلبسوا، الملائكة الذين وصفتهم

فقال الملك: سبحان الله، إن طعام الملائكة وشرابهم التسبيح، ولباسهم النور، لا ينامون ولا يفترون عما وكلوا به، ولذلك خلقهم ربهم

وأخبرك يا ذا القرنين إن الماء المالح والعذب الذي يجري من الأرض، والأرض واحدة من عروق هذا الجبل

فإن الله تعالىٰ جعل في عروقه العذوبة والملوحة

وأما هذا الجبل الذي أنا عليه فإنه لا يستطيع أحدًا أن يصعد فوقه ورأسه ملتزق بالسماء الدنيا وأصله في الأرضين السابعة وهو محيط بالأرضين كلها[1]

باب في ذكر ما تحت الأرضين

روي أن عبد الله بن سلام[2] سأل رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أخبرني ما تحت الحوت التي هي قرار الأرضين عليها إن كنت نبيًا

---

(١) كل ما يذكر خلاف ما ورد من الآيات والأحاديث الصحيحة الثابتة فهو من الإسرائيليات التي نقلت من كتب أهل الكتاب والتي فيها ما فيها من التحريف الذي شاب هذه الكتب مصداقًا لقوله تعالىٰ: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣] وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البقرة: ٧٥] وقال تعالىٰ: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦] وقال تعالىٰ: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾ [المائدة: ٤١]

(٢) عبد الله بن سلام بن الحارث، أبو يوسف الإسرائيلي النسب حليف الأنصار، أسلم عند قدوم رسول الله ﷺ المدينة وكان اسمه الحصين فسماه عبد الله وشهد له بالجنة، وشهد فتح بيت المقدس مع عمر، وكان من الأحبار، وقد شهد اليهود له بأنه عالمهم وابن عالمهم وقال سعد: فيه نزلت: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ [الأحقاف: ١٠]
واتفقوا علىٰ وفاته سنة (٤٣) انظر تاريخ الإسلام ـ وفيات (٤١ ـ ٥٠).

فقال: تحتها بحر يقال لها الغضبان، خلق من غضب الرحمن وتحت ذلك البحر جبل يقال له سكران به يعذب الكفار يوم القيامة، وتحته بحر يقال له صعبان، وتحتها وادٍ يقال له الويل ، فمنها لباس أهل النار(١) وتحتها بحيرة يقال لها قسم وتحتها أرض يقال لها جولان وتحتها بحيرة يقال لها سميد وتحتها أرض يقال لها نهشلة، وتحتها بحيرة يقال لها وقط، وتحتها أرض يقال لها غانية، وتحتها بحيرة اسمها غوجان، وتحتها أرض يقال لها ناعمة، وتحتها بحيرة يقال لها زاخرة، وتحتها بحيرة يقال لها عجبان، وهي الممغتين يوم القيامة، وتحته أرض

فقال يا رسول صف لي من ذلك الأرض إن كنت نبيًا

قال: هي بيضاء كمثل القمر، لها شعاع كمثل الشمس ولونه كلون الزعفران وريحه كريح المسك، هي الأرض التي لا وصم فيها ولا قصم، مستوية، أي ليس فيها شق ولا شين، وهي الأرض التي يحشر عليها الأولون والأخرون

قال: وتحتها بحر يقال له قمقام، وفي ذلك البحر حوت يقال له بهموت، وبين عينيه سبعة أبحر في كل بحر سبعون جزيرة في كل جزيرة سبعون مدينة، في كل مدينة سبعون ملكًا مع كل ملك سبعون ألف ملك يسبحون الله ويقدسونه ويستغفرون

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [الحج: ١٩] ، أي فصلت لهم مقطعات من نار

قال سعيد بن جبير: من نحاس، وهو أشد الأشياء حرارة إذا حمي ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ أي صب علىٰ رءوسهم الحميم، وهو الماء الحار في غاية الحرارة .

وقال تعالىٰ: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝٥٠﴾ [إبراهيم: ٥٠] أي ثيابهم التي يلبسونها من قطران وهو الذي تُهنأ به الإبل أي تطلى، قاله قتادة: وهو ألصق شيء بالنار .

وكان ابن عباس يقول: القَطران هو النحاس المذاب وربما قرأها: «**سَرَابيلهم من قَطِران**» أي من نحاس حار قد انتهى حره .

روي عن أحمد في مسنده (٢/ ٤٥٥) عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يُتْرَكوهن الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة علىٰ الميت والنائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرْع من جَرَب**»

ورواه مسلم في الجنائز (٢٩) .

الله للمؤمنين[١] والمؤمنان، كلهم يقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله

قال: يا عبد الله بن سلام وتحته ريح وتحت الريح رعد وتحت الرعد برق وتحت البرق ماء قائم، وتحتها الهواء وتحته ريح الظلمة وتحتها جهنم نعوذ بالله منها.

وتحت جهنم سبعون حجابًا من ماء أسود يغلي لأهل النار في كل حجاب ماء مثل مياه الدنيا لو قطر منها قطرة في الدنيا يغلي منه جميع الأنهار والبحار وينتن الدنيا كلها بما فيها.

ويحترق ما في الدنيا من حرها

وتحتها سبعون حجابًا من ريح، وتحتها غمام وتحتها سجين وتحتها سبعون حجابًا من نور، وتحتها أرض من ذهب وتحتها أرض من فضة[٢] وتحتها سبعون أرضًا من رخام وتحتها جند من الجند[٣] وتحتها جند من الملائكة كل جند جميع الإنس والجن، وتحتها لوح نور

وتحتها سبعون قلمًا من نور تجري بأمر الله تعالىٰ إلىٰ يوم القيامة بما شاء وكيف

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٧]

يخبر تعالىٰ عن الملائكة المقربين من حَمَلة العرش الأربعة ومن حوله من الملائكة الكروبيين بأنهم يسبحون بحمد ربهم أي يقرنون بين التسبيح الدال علىٰ نفي النقائص والتحميد المقتضي لإثبات صفات المدح ﴿وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ [غافر: ٧] أي خاشعون له أذلاء بين يديه.
وأنهم ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٧] أي من أهل الأرض ممن آمن بالغيب، فقيض الله تعالىٰ ملائكته المقربين أن يَدْعُوا للمؤمنين بظهر الغيب، ولما كان هذا من سجايا الملائكة عليهم الصلاة والسلام كانوا يُؤمِّنون علىٰ دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب.
تفسير ابن كثير (٤/ ٧١).

(٢) روى أبو داود في سننه (٤٧٢٣) بسنده عن العباس بن عبد المطلب قال ﷺ رفعه وفيه هل تدرون بعد مابين العلماء والأرض؟ قالوا: لا ندري، قال: « **بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ثم السماء فوقها كذلك حتى عد سبع سماوات، ثم فوق السابعة بحر ما بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلىٰ سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن مثل ما بين سماء إلىٰ سماء ثم علىٰ ظهورهن العرش ما بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلىٰ سماء ثم الله تبارك وتعالىٰ فوق ذلك**»

وكذا رواه الترمذي وقال: حسن غريب.

(٣) كذا بالأصل وأظنها «**الجن**»

يشاء وتحتها الثـرى علم الله وسلطانـه وملكه، ولا يعلـم أحد إلا الله ما تحت الثرى

قال يا بن سلام لا تسأل عن علم الله وسلطانه بما تحته، فلا يطيق أحد ولا يعلم أحد ما تحته إلا الله الواحد القهار

باب في ذكر خلق الملائكة عليهم السلام

عن ابـن عباس رضي الله عنه قـال: لما خلق الله إسرافيل(١) فإنه من أعظم الملائكة وعليه أجنحة لا يحصي عددها إلا الله تعالىٰ

سأل الله تعالىٰ أن يعطيه قوة سبع سموات فأعطاه، وقوة سبع أرضين فأعطاه، وقوة الجبال وقوة الرياح فأعطاه وقوة الثقلين فأعطاه، وقوة السباع، من لدن رأسه إلىٰ قدمه شعور وأفواه وألسن مغطاة بأجنحة يسبح اللَّه بكل لسان بألف ألف لغة، فيصير من كل نفس ملك يسبحون الله إلىٰ يوم القيامة

وهم المقربون وحملة العرش وكرام الكاتبين(٢) هم علىٰ صورة إسرافيل، وينظر

---

(١) إسرافيل هو أحد الملائكة الكبار المكلف بالنفخ في الصور، وذلك فيما رواه مسلم في صحيحه «**إن إسرافيل قد التقم الصور وحنى جبهته، ينتظر متى يُؤمَر فينفخ**»

وفيما روى ابن جرير في تفسيره (٢٠/ ١٣) عن أبي هريرة رفعه: «**إن الله لما فرغ من خلق السماوات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه علىٰ فيه شاخصًا بصرَه إلىٰ العرش ينتظر متى يؤمر**».

وروى أحمد في مسنده (٢/ ١٦٢، ١٩٢) عن عبد الله بن عمرو قال: قال أعرابي: يا رسول الله ما الصور؟ قال: «**قرن ينفخ فيه**»

(٢) روى ابن ابي حاتم عن مجاهد قال: قال رسول ﷺ: «**أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى حالتين الجنابة والغائط فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بحرم حائط أو ببعيره أو ليستره أخوه**»، **وكذا ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (١/ ٥١)**

وروى الزبيدي في الإتحاف (٩/ ١٠) والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٦٨) عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ينهاكم عن التعرِّي فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يُفَارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات: الغائط والجنابة والغسل،** =

إسرافيل كل يوم وليلة ثلاث مرات إلىٰ جهنم فيذوب وتصير كوتر القوس ويبكي لو أنه سكب دمعه لامتلأ ما بين السماء والأرض بدمعه حتى يغلب علىٰ الدنيا.

ولو صُب جميع البحور والأنهار علىٰ رأس إسرافيل ما وقعت قطرة علىٰ الأرض

ولولا أن الله منع بكاءه ودمعه لامتلأت الأرض بدموعه فصار كطوفان نوح(١) ومن عظمة إسرافيل أن جبريل ﷺ طار بأجنحته ثلاثمائة عام ما بين شفة إسرافيل وأنفه فلم يبلغ إلىٰ آخره

وأما ميكائيل ﷺ فخلقه الله ﷻ بعد إسرافيل بخمسمائة عام من رأسه إلىٰ قدمه شعور من زعفران وأجنحته من زبرجد، وعلىٰ كل شعر ألف ألف وجه

وفي كل وجه ألف ألف فم، وفي كل فم ألف ألف لسان علىٰ كل لسان ألف ألف عين يبكي رحمة علىٰ المذنبين من المؤمنين، وبكل لسان يستغفر فيقطر من كل عين سبعون ألف قطرة فيصير ملكًا علىٰ صورة ميكائيل وأسماؤهم الكربيون، وهم أعوان ميكائيل موكلون علىٰ القطر والنبات والأرزاق والثمار فما من قطرة في البحار ولا ثمرة علىٰ الأشجار إلا وعليها ملك موكل

= **فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه، أو بجرم حائط أو ببعيره**»، روى الترمذي في سننه (٩٨١) كتاب الجنائز،عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من حافظين رفعا إلىٰ الله ما حفظا من ليل أو نهار، فيجد الله في أول الصحيفة وفي آخر الصحيفة خيرا إلا قال الله تعالىٰ: أشهدكم أني قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة**»

(١) قال تعالىٰ: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ وذلك أن الله تعالىٰ أرسل من السماء مطرا لم تعهده الأرض قبله ولا تمطره بعده، كان كأفواه القرب وأمر الأرض فنبعت من جميع فجاجها وسائر أرجائها كما قال تعالىٰ: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾

قال جماعة من المفسرين: ارتفع الماء علىٰ أعلى جبل في الأرض خمسة عشر ذراعا، وهو الذي عند أهل الكتاب، وقيل ثمانين ذراعا وعم جميع الأرض طولها والعرض، سهلها ووديها وحزنها، وجبالها وقفارها ورمالها، ولم يبق علىٰ وجه الأرض ممن كان بها من الاحياء عين تطرف، ولا صغير ولا كبير.

قال الإمام مالك عن زيد بن أسلم: كان أهل ذلك الزمان قد ملأوا السهل والجبل، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: لم تكن بقعة في الأرض إلا ولها مالك وحائز.

قصص الأنبياء لابن كثير (ص ـ ٨٥).

وروي عن ابن عباس عن النبي ﷺ إني رأيت ليلة المعراج[(١)] في مملكة الله رجالا علىٰ أفراس بلق شاكين بالسلاح، طول كل واحد مسيرة ألف سنة

وكذلك كل طول فرس ينصبون متتابعين لا يرى أولهم ولا آخرهم

فقلت يا جبريل من هؤلاء

قال: ألم تسمع قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ **[المدَّثِّر: ٣١]** وما هي وأنا أهبط وأصعد وأراهم كذلك يمرون ولا أدري من أين يجيئون ولا إلىٰ أين يذهبون

وأما جبريل عليه السلام فخلقه الله بعد ميكائيل[(٢)] بخمسمائة عام وله ألف جناح، وستمائة جناح

من رأسه إلىٰ قدمه شعور من زعفران، وشمس بين عينيه، علىٰ كل شعر قمر وكواكب، وكل يوم يدخل في بحر النور ثلاثمائة وستين مرة

فإذا خرج سقط من أجنحته قطرة فيصير ملكا علىٰ صورة جبرائيل[(٣)] ويسبحون الله إلىٰ يوم القيامة

---

(١) في قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ **[النّجم: ١٨]** كقوله: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾ **[طه: ٢٣]** أي الدالة علىٰ قدرتنا وعظمتنا وفي مسند أحمد عن ابن مسعود أنه قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سَدّ الأفق يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم

وعنده أيضاً بسنده عن ابن عباس قال: سأل النبي ﷺ جبريل أن يراه في صورته فقال: ادع ربك فدعا ربه عز وجل فطلع عليه سواد من قبل المشرق فجعل يرتفع وينتشر، فلما رآه النبي ﷺ صعِق فأتاه فنعشه ومسح البزاق عن شِدْقه» .
(تفسير ابن كثير (٤/ ٢٤٨) .

(٢) جبريل هو السفير بين الله وأنبيائه، وهي وظيفته، وميكائيل موكل بالنبات والقطر هذا بالهدى، وهذا بالرزق كما أن إسرافيل موكل بالنفخ في الصور للبعث يوم القيامة

(٣) روى مسلم في صحيحه [٢٠٠ ـ (٧٧٠)] كتاب صلاة المسافرين، ٢٦ ـ باب الدعاء في الليل وقيامة، عن عائشة قالت: "كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة" الحديث

قال العلماء: خصهم بالذكر وأن كان الله تعالىٰ رب كل المخلوقات كما تقرر في القرآن والسنة من نظائره من الإضافة إلىٰ كل عظيم المرتبة وكبير الشأن دون ما يستحقر ويستصغر، فيقال له =

وأما ملك الموت مثل صورة إسرافيل بالوجه والألسنة والأجنحة عليهم السلام.

باب في ذكر خلق بني آدم

وصور الله تعالىٰ في الأرحام

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [المؤمنون: ١٢]

اعلم أن الأحوال ثلاث: حال الأقل وحال الأوسط، وحال الانتهاء

واعلم أن الله تعالىٰ خلقك[١] من سبعة أشياء وخلق روحك من سبعة أشياء ثم خلق سبعة أركان ظاهرة وسبعة أركان باطنة ثم رزقك من سبعة أشياء، ثم أمرك في حال الأوسط بسبعة أشياء من الخدمة ثم وعدك في حال الانتهاء بسبع مقامات في الآخرة

وأما الأحوال السبعة التي خلقك فهي:

= سبحانه وتعالىٰ رب السماوات والأرض، رب العرش الكريم، ورب الملائكة والروح، ورب المشرقين ورب المغربين، رب الناس مالك الناس إله الناس رب العالمين، رب كل شيء رب النبيين خالق السماوات والأرض، فاطر السماوات والأرض، جاعل الملائكة رسلا، فكل ذلك وشبهه وصف له سبحانه بدلائل العظمة، وعظيم القدرة، والملك ولم يستعمل ذلك فيما يحتقر ويستصغر فلا يقال رب الحشرات وخالق القردة والخنازير وشبه ذلك علىٰ الإفراد، وإنما يقال خالق المخلوقات وخالق كل شيء وحينئذ تدخل هذه في العموم، والله أعلم.
النووي في شرح مسلم (٦/ ٥٠)
طبعة دار الكتب العلمية.

(١) قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [المؤمنون: ١٢] وهو آدم عليه السلام خلقه الله من صلصال من حمأ مسنون وعن ابن عباس قال: من صفوة الماء، وقال مجاهد من سلالة أي من مني آدم، قال ابن جرير: وإنما سمي آدم طينًا لأنه مخلوق منه، وروى أحمد في مسنده (٤/ ٤٠٠، ٤٠٦) عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «**إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم علىٰ قدر الأرض جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك/ والخبيث والطيب وبين ذلك وكذا رواه الترمذي (٢٩٥٥)، وأبو داود (٤٦٩٣).**

الأول: حال النطفة(١) وهي أن الله تعالىٰ يرسل ريحا فيهيج النطفة في صلب الرجل حتى يقع في رحم المرأة

عن حذيفة بن أسيد(٢) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن النطفة يخلق منها النسمة تصير في المرأة أربعين يومًا وليلة، ولا يبقى منها شعر ولا بشر ولا عرق ولا عصب إلا دخلت فيه حتى إنها لتدخل بين الظفر واللحم**»

فإذا مضى أربعون يومًا وليلة أهبطها الله إلىٰ الرحم فكانت علقة إلىٰ أربعين يومًا وليلة(٣)، ثم تكون مضغة أربعين يومًا وليلة

ثم يرسل ملك الأرحام ويأمره أن يرفع قبضته من موضع قبره من التراب فيخلطها من النطفة فأينما يدور فيموت في ذلك الموضع

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٢ ـ ٢٦٤٤)] كتاب القدر، عن ابن مسعود رفعه: «**قال يدخل الملك علىٰ النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين، أو خمسة وأربعين ليلة فيقول يا رب أشقي أو سعيد فيكتبان فيقول: أي رب أذكر أو أنثى؟ فيكتبان ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص**»

(٢) حذيفة بن أسيد، أبو سريحه الغفاري صحابي من أصحاب الشجرة، أخرج له: مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، توفي سنة (٤٢)

ترجمته: تهذيب التهذيب (٢/ ٢١٩)، تقريب التهذيب (١/ ١٥٦)، الجرح والتعديل (٣/ ١١٤١)، التاريخ الكبير للبخاري (٣/ ٩٦)، الإصابة (١/ ٣١٧)، الوافي بالوفيات (١١/ ٤٨١)، الثقات (٣/ ٨١) .

(٣) ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ [**المؤمنون: ١٤**] أي ثم صيرنا النطفة وهي الماء الدافق الذي يخرج من صلب الرجل، وهو ظهر، وترائب المرأة، وهي عظام صدرها ما بين الترقوة إلىٰ السرة فصارت علقة حمراء علىٰ شكل العلقة مستطيلة، قال عكرمة وهي دم ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ [**المؤمنون: ١٤**] وهي قطعة كالبضعة من اللحم لا شكل فيها ولا تخطيط ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا﴾ [**المؤمنون: ١٤**] يعني شكلناها ذات رأس ويدين ورجلين بعظامها وعصبها وعروقها ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا﴾ [**المؤمنون: ١٤**] أي وجعلنا علىٰ ذلك ما يستره ويشده ويقويه ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [**المؤمنون: ١٤**] أي ثم نفخنا فيه الروح فتحرك وصار خلقا آخر ذا سمع وبصر وإدراك وحركة واضطراب ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ [**المؤمنون: ١٤**] ، وفي قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ يعني فنفخنا فيه الروح، وقال العوفي عن ابن عباس يعني ننقله من حال إلىٰ حال إلىٰ أن خرج طفلاً، ثم نشأ صغيراً، ثم احتلم، ثم صار شابا، ثم كهلا، ثم شيخا، ثم هرما، وعن قتادة والضحاك نحو ذلك، ولا منافاة، فإنه من ابتداء نفخ الروح فيه شرع في هذه التنقلات والأحوال والله أعلم .

تفسير ابن كثير (٣/ ٢٤٨) .

ثم يخلق مائة وثمانية وأربعين عظمًا ثم يكسوا عليها العصب ثم يخلق فيه سبعمائة وعشرين عرقًا، ثلاثمائة وستين معافاً ساكنًا، وثلاثمائة وستين متحركا مع البلاء، وخلق في الكف خمسة وثلاثين عظمًا

وفي الساعد اثنين وفي العضد واحد، وفي الرجلين خمسة وثلاثين عظما، وفي الساق اثنين، وفي الورك ثلاثة، وفي الفخذ ثلاثة، وفي الصلب ثمانية عشر، وفي الجنب تسعة عشر ضلعا، وفي المنكب ثمانية، وفي الرأس أربعة وفي(١) اثنا وثلاثين.

فتبارك الله أحسن الخالقين

ثم يكسو عليه اللحم، فيخلق يديه ولحمها ودمها وبشرها وشعرها، ومائة ألف وأربعة وعشرين ألف شعر

ثم يقول الله لملك الأرحام صوّره، فيقول يا رب أذكر أم أنثى؟ أجميل أم دميم؟ أقصير أم طويل؟ أبيض أم ديهم؟ ناقص أم سوي؟

فيكتب من ذلك ما يأمره ، ثم يقول يا رب أشقي أم سعيد(٢) ؟

فإن سعيد نفخ بالسعادة في آخر أجله

وإن كان شقيا نفخ فيه بالشقاوة في آخر أجله(٣)

---

(١) كذا بالأصل وفيه كلمة ناقصة

(٢) في لفظ مسلم من حديث ابن مسعود الذي رواه في صحيحه كتاب القدر، ١ ـ باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته رقم (١) رفعه: «**ويؤمر بأربع كلمات، بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**»

(٣) قال النووي في شرح صحيح مسلم في الحديث المتقدم: والمراد بهذا الحديث أن هذا قد يقع في نادر من الناس لا أنه غالب فيهم، ثم إنه من لطف الله تعالىٰ وسعة رحمته انقلاب الناس من الشر إلىٰ الخير في كثرة، وأما انقلابهم من الخير إلىٰ الشر ففي غاية الندور ونهاية القلة

وهو نحو قوله تعالىٰ: « **إن رحمتي سبقت غضبي، وغلبت غضبي**»

ويدخل في هذا من انقلب إلىٰ عمل النار بكفر أو معصية لكن يختلفان في التخليد وعدمه، فالكافر يخلد في النار والعاصي الذي مات موحدا لا يخلد فيها، وفي هذا الحديث تصريح بإثبات القدر وأن التوبة تهدم الذنوب قبلها وأن من مات علىٰ شيء حكم له به من خير أو شر، إلا أن أصحاب المعاصي غير الكفر في المشيئة والله أعلم، النووي في شرح مسلم (١٦/ ١٥٨) طبعة دار الكتب العلمية .

ثم يقول اكتب أثرها ورزقها ومصيبتها وعملها بالطاعة والمعصية

فيكتب من ذلك ما يأمره ثم يقول الملك: ما أصنع بهذا الكتاب؟

فيقول: علقه في عنقه إلىٰ أن يقضى عليه

فذلك قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [آل عِمرَان: ٦].

ثم ينشئ الروح فيه من سبعة أشياء من النار والنور والطيب والريح والعلم والأنس والبقاء

ثم جمعه مع القلب فحينئذ يتحرك الولد في بطن أمه فكل من دخل فيه الروح ويحشر يوم القيامة يموت في صغره أو كبره

فحرارة الروح من النار، وضياؤه من النور وطهارته من الطيب، ونفسه من الريح، وذهنه من العلم، وحياته من البقاء، وألفته من الأنس ثم يحيل غذاءه مما يعلم من دم الحيض(١) إلىٰ حال خروجه (فيربته)(٢)

ويقال إن الله إذا علم أن الولد قد اشتهى شيئًا يوقع شهوته علىٰ أمه (فيرسيه)(٣) كذلك من حال إلىٰ حال إلىٰ وقت خروجه من بطن أمه ويقال مكتوب في وجه كل إنسان بالسريانية ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التّغَابُن: ٢]

وهو قائم منتصبًا رأسه مما يلي رأس أمه ورجلاه مما يلي رجلي أمه وسائر الخلق يكون منكوسًا

---

(١) قال العلماء: للملك ملازمة ومراعاة لحال النطفة وأنه يقول: يا رب هذه علقة هذه مضغة في أوقاتها فكل وقت يقول فيه ما صارت إليه بأمر الله تعالىٰ وهو أعلم سبحانه بكلام الملك وتصرفه أوقات أحدها حين يخلقها الله تعالىٰ نطفة ثم ينقلها علقة، وهو أول علم الملك بأنه ولد لأنه ليس كل نطفة تصير ولدا، وذلك عقب الأربعين الأولى

وحينئذ يكتب رزقه وأجله وعمله وشقاوته أو سعادته ثم للملك فيه تصرف آخر في وقت آخر وهو تصويره وخلق سمعه وبصره وجلده وعظمه وكونه ذكراً أم أنثى.

وذلك إنما يكون في الأربعين الثالثة وهي مدة المضغة وقبل انقضاء هذه الأربعين وقبل نفخ الروح فيه لأن نفخ الروح لا يكون إلا بعد تمام صورته، وأما قوله في إحدى الروايات، فإذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها.

النووي في شرح مسلم (١٦/ ١٥٦، ١٥٧) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) كذا بالأصل

(٣) كذا بالأصل

فإذا جاء وقت الخروج أوحى الله إلىٰ الرحم أن افتح بابها فيدخلها ملك الأرحام فينكس الولد ويخرج باكيًا

ويقال إنما يبكي لأنه يقال له أخرجك الله من بطن أمك طاهرًا فاجتهد حتى تخرج من الدنيا كذلك يقال بكاؤه إلىٰ ستة أشهر شهادة أن لا إله إلا الله(١)

وإلى أربعة أشهد محمد رسول الله ، وإلى ستة أشهر ما أنزل محمد حق، وإلى ثمانية أشهر يدعوا لوالديه بالمغفرة

ثم يخرج له لبنا خالصًا سائغًا للشاربين من بين فرث ودم

فإذا جاء الولد يمص اللبن من الثدي لعلم المرأة أن الولد قد جاع

فإذا شبع أمسك اللبن، ثم خلقك من سبعة أشياء من اللحم والعظم والعروق والعصب والجلد والشعر والظفر

فشدة العظام بالعصب، وشدة العصب بالعروق وشدة العروق باللحم واللحم بالجلد والجلد بالشعر

فتبارك الله أحسن الخالقين(٢)

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ **[الأعراف: ١٧٢]**

يخبر تعالىٰ أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين علىٰ أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو كما أنه تعالىٰ فطرهم علىٰ ذلك وجبلهم عليه قال تعالىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ **[الرُّوم: ٣٠]**

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل مولود يولد علىٰ الفطرة**» وفي رواية: «**علىٰ هذه الملة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تولد بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء**»، **وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال: قال رسول الله** ﷺ: «**يقول الله: إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم**» **تفسير ابن كثير (٢/ ٢٦٧)**

(٢) يعني حين ذكر قدرته ولطفه في خلق هذه النطفة من حال إلىٰ حال وشكل إلىٰ شكل حتى تصورت إلىٰ ما صارت إليه من الإنسان السَّوِيّ الكامل الخلق قال ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ **[المؤمنون: ١٤]**

قال ابن أبي حاتم بسنده عن أنس قال: قال عمر بن الخطاب ﷺ وافقت ربي ووافقني في أربع: نزلت هذه الآية ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [**المؤمنون: ١٢**] الآية، قلت أنا: فتبارك الله أحسن الخالقين فنزلت ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [**المؤمنون: ١٤**]

ثم خلق لك سبعة أركان ظاهرة وسبعة أركان باطنة

أما الظاهرة فاليدين والرجلين والعينين والأذنين والأنف والفم واللسان

فاليدين للأخذ والعطاء، والرجلين للمشي إلىٰ المراد والقيام

والعينين للرؤية، والأذنين للسمع(١) والفم للذوق والأنف للشم، واللسان للنطق

وأما الأركان للباطنة القلب والكبد والكليتان والمرارة والمخ والطحال والرئة.

فالطحال موضع الضحك والكليتان موضع الرأفة والرحمة والرئة موضع البكاء والقلب موضع الحزن والمعرفة فذلك تعلمه

فتبارك الله أحسن الخالقين

ثم رزقك من سبعة أشياء فذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴿٣١﴾﴾(٢)

ثم أمرك بهذه الأركان السبعة بعد هذه السبعة الأشياء بسبعة أنواع من الخدمة، وهو قول النبي ﷺ: «**خلقتم من سبع ورزقتم من سبع، فاسجدوا لله علىٰ سبع**»(٣)

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴿١٠﴾﴾ أي ﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ﴿٨﴾﴾ [**البلد**: ٨] أي يبصر بهما، وَلِسَانًا أي ينطق به فيُعبر عما في ضميره ﴿وَشَفَتَيۡنِ﴾ [**البلد**: ٩] يستعين بهما علىٰ الكلام وأكل الطعام وجمالاً لوجهه وفمه. وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي الربيع الدمشقي عن مكحول قال: قال النبي ﷺ: "**يقول الله تعالىٰ: «يا ابن آدم قد أنعمت عليك نعماً عظاما لا تحصى عددها ولا تطيق شكرها وإن مما أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما وجعلت لهما غطاءً، فانظر بعينيك إلىٰ ما أحللت لك، وإن رأيت ما حرمت عليك فأطبق عليهما غطاءهما، وجعلت لك لسانا وجعلت له غلافا فانطق بما أمرتك وأحللتُ لك»**......... الحديث بطوله.
تفسير ابن كثير (٤/ ٥١٢).

(٢) سورة عبس (٢٧ ـ ٣١)

(٣) روى البخاري في صحيحه (٨١٥/ ٨١٦) كتاب الأذان، الأول: ١٣٧ ـ باب لا يكف شعرا، والثاني ١٣٨ ـ باب لا يكف ثوبه في الصلاة، كلاهما عن ابن عباس أمر النبي ﷺ أن يسجد علىٰ سبعة أعظم ولا يكف ثوبه ولا شعره» =

لكي تؤدوا شكر ما أنعم الله عليكم وهم: الركبتين واليدين والقدمين والجبهة حتى يكون هذا السجود شكر ما خلقتم ورزقتم»

وأما الخدمة الظاهرة التي أُمرتم الوضوء والصلاة والاغتسال من الجنابة والصوم والزكاة والحج وبر الوالدين وصلة الرحم

وأما الباطنة: الإخلاص والتوكل والصبر والرضا والشكر والقناعة والتوبة

فهذا حال الوسط

أما حال الآخرة وله الموت، ونزول ملك الموت، فلا يخلو من الوجهين إما شقيا وإما سعيدا، فيكون السعيد علىٰ أحسن الحالات، والنظر ماذا ينزل بالشقي(١)

= وكذا رواه مسلم في صحيحه [٢٣ ـ (٤٩٠)]، (٢٣١) كتاب الصلاة، ٤٤ ـ باب أعضاء السجود والنهي عن كف الشعر والثوب وعقص الرأس في الصلاة ولفظه: «**أمرت أن أسجد علىٰ سبعة أعظم الجبهة (وأشار بيده علىٰ أنفه) واليدين والرجلين وأطراف القدمين، ولا نكف الشاب ولا الشعر**».

وقال النووي: هذه الأحاديث فيها فوائد منها أن أعضاء السجود سبعة، وأنه ينبغي للساجد أن يسجد عليها كلها، وأن يسجد علىٰ الجبهة والأنف جميعا، فأما الجبهة فيجب وضعها مكشوفة علىٰ الأرض، ويكفي بعضها، والأنف مستحب فلو تركه جاز، ولو اقتصر عليه وترك الجبهة لم يجز، هذا مذهب الشافعي ومالك رحمهما الله تعالىٰ والأكثرين.

وقال أبو حنيفة ﷺ وابن القاسم من أصحاب مالك له أن يقتصر علىٰ أيهما شاء، وقال أحمد رحمه الله تعالىٰ وابن حبيب من أصحاب مالك ﷺ يجب أن يسجد علىٰ الجبهة والأنف جميعاً لظاهر الحديث قال الأكثرون: بل ظاهر الحديث أنهما في حكم عضو واحد لأنه قال في الحديث: سبعة فإن جعلا عضوين صارت ثمانية وذكر الأنف استحباباً.

النووي في شرح مسلم (٤/ ١٧٤) طبعة دار الكتب العلمية.

(١) فيما رواه البخاري (٦/ ٢١١، ٢١٢)، ومسلم في صحيحه[٦ ـ (٢٦٤٧)] كتاب القدر، ١ ـ باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابه رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، عن علي رضي الله عنه رفعه: «**ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة**» قال: فقال رجل يا رسول الله أفلا نمكث علىٰ كتابنا، وندع العمل؟ فقال: «**من كان من أهل السعادة فسيصير إلىٰ عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة، فسيصير إلىٰ عمل أهل الشقاوة**» فقال: «**اعملوا فكل ميسر، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ** ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ =

والحال الثاني: دخول القبر ووحشته وضيقه ووحدته وظلمته

والحال الثالث: مقامات الحشر والبعث من القبر

والحال الرابع: قراءة الكتب، والناس في قراءة الكتب ثلاثة أصناف: صنف أكثر ما في كتبهم الحسنات وهو السابقون

وصنف يكون استوت حسناتهم وسيئاتهم وهو المقتصدون

وصنف يكون أكثر ما في كتبهم السيئات وهم الهالكون

والحال الخامس: عند الميزان

والحال السادس: عقبة الصراط

والحال السابع: الطريقان حيث يصير الخلق فرقتين، فرقة يصيرون إلىٰ النعيم الدائم والسرور، وفرقة يصيرون إلىٰ نار الجحيم والثبور، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [**الشّورى**: ٧]

وسيأتي بيان هذه الأحوال إن شاء الله في آخر الكتاب

فهذه أحوال الآخرة من حين دخول القبر إلىٰ أن يستقر أهل الدارين

= بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾.

قال النووي: قال الإمام أبو المظفر السمعاني: سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس ومجرد العقول فمن عدل عن التوقيف فيه ضل وتاه في بحار الحيرة ولم يبلغ شفاء النفس ولا يصل إلىٰ ما يطمئن به القلب لأن القدر سر من أسرار الله تعالىٰ التي ضربت من دونها الأستار واختص الله به وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من الحكمة وواجبنا أن نقف حيث حد لنا ولا نتجاوزه.

وقد طوى الله تعالىٰ علم القدر علىٰ العالم فلم يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب، وقيل: إن سر القدر ينكشف لهم إذا دخلوا الجنة ولا ينكشف قبل دخولها والله أعلم.

وفي هذه الأحاديث النهي عن ترك العمل والاتكال علىٰ ما سبق به القدر بل تجب الأعمال والتكاليف التي ورد الشرع بها وكل ميسر لما خلق له.

النووي في شرح مسلم (١٦/ ١٦٠، ١٦١)

طبعة دار الكتب العلمية.

باب في ذكر خلق نور النبي ﷺ

قـال الله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾(١)

يعني يا محمد إنا بعثناك شاهدا علىٰ الرسل، ومبشرًا يعني بالجنة للمؤمنين، ونذيراً بالنار، يعني للكافرين، وداعياً خلقه إلىٰ دين الإسلام

ويقال خلق الله تعالىٰ نور محمد ﷺ (٢) قبل أن يخلق الأشياء بسبعة آلاف سنة.

فجعل يطوف فلما بلغ الموضع الذي أمره الله بالسجود، فسجد، فبقي في سجوده مائة سنة

ثم خلق من نوره جوهرًا، وخلق منه ماء عذبًا، وجعل فيه الحركة، وجعل فيه يموج ألف سنة ثم قسم نوره علىٰ عشرة أجزاء، فخلق من الأول العرش، ومن الثاني القلم، ومن الثالث اللوح، ومن الرابع الشمس، ومن الخامس القمر، ومن السادس الكواكب، ومن السابع الملائكة، ومن الثامن الكرسي ومن التاسع نور المؤمنين، ومن العاشر محمدًا ﷺ

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: خلق الله نور محمد ﷺ قبل أن يخلق السماوات والأرض والعرش والكرسي والجنة والنار

---

(١) سورة الأحزاب (٤٥، ٤٦)

روي البخاري في صحيحه (٤٨٣٨) كتاب تفسير القرآن، من سورة الفتح، ٣ ـ باب ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن هذه الآية التي في القرآن ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ ، قال في التوراة: "يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرًا وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله فيفتح بها أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً"

(٢) حديث: «**أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر**» أخرجه: العجلوني في كشف الخفا (١/ ٣١٠).

وقبل آدم[١] بثلاثمائة وأربع وعشرين ألف سنة

ثم خلق الله تعالىٰ اثنا عشر حجابًا: حجاب القدرة، وحجاب العظمة وحجاب المنة وحجاب الرحمة وحجاب السعادة وحجاب الكرامة وحجاب المنزلة وحجاب الهداية، وحجاب النبوة وحجاب الرفعة وحجاب الهيبة وحجاب الشفاعة

ثم مكث نوره في حجاب القدرة اثنى عشر ألف سنة، وفي حجاب العظمة إحدى عشر ألف سنة، وحجاب المنة عشرة الآف سنة، وفي الرابع تسعة الآف سنة، وفي الخامس ثمانية آلاف سنة، وفي السادس بسبعة آلاف سنة، وفي السابع ستة آلالف سنة، وفي الثامن خمسة آلاف سنة، وفي التاسع أربعة آلاف سنة، وفي العاشر ثلاثة الآف سنة، وفي الحادي عشر ألفي سنة، وفي الثاني عشر ألف سنة[٢]

---

(١) حديث: «**كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد**».

أخرجه: الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٠٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٤/ ٢٩٢)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ٤٥٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٥٥)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٣٤١)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ١٩١) وقال العجلوني بعد أن ذكر أيضاً حديث: «**كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث**». قال في المقاصد رواه أبو نعيم في الدلائل وابن أبي حاتم في تفسيره وابن لال، ومن طريقه الديلمي عن أبي هريرة مرفوعًا، وله شاهد من حديث ميسرة الفخر أخرجه أحمد والبخاري في تاريخه والبغوي وابن السكن وأبو نعيم في الحلية، وصححه الحاكم، وفي الترمذي بلفظ: «**كنت نبيًا وآدم بين الروح والجسد**» وقال الترمذي: حسن صحيح، وفي لفظ وآدم منجدل في طينة وكذا رواه ابن حبان والحاكم.

ثم قال: ورواه الطبراني عن ابن عباس قال: قيل يا رسول الله متى كنت نبيًا؟ قال: وآدم بين الروح والجسد، ثم قال السخاوي كغيره وأما الذي يجري علىٰ الألسنة بلفظ كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين فلم نقف عليه بهذا اللفظ، فضلا عن زيادة «**وكنت نبيًا ولا آدم ولا ماء ولا طين**» وقال الحافظ ابن حجر في بعض أجوبته عن الزيادة أنها ضعيفة والذي قبلها أقوى.

(٢) في حديث: «**كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد**»، قال التقي السبكي: فإن قلت النبوة وصف لا بد أن يكون الموصوف به موجودًا، وإنما يكون بعد أربعين سنة فكيف يوصف به قبل وجوده وقبل إرساله

قلت: جاء أن الله تعالىٰ خلق الأرواح قبل الأجساد، فقد تكون الإشارة بقوله كنت نبيًا إلىٰ روحه الشريفة أو حقيقته.

والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها، وإنما يعرفها خالقها ومن أمده بنور إلهي.

ونقل العلقمي عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده مرفوعًا أنه قال: كنت نورًا بين يدي ربي ﷻ قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام. انتهى.

ثم أظهر نوره علىٰ اللوح وكان عليه ألف سنة، ثم علىٰ العرش فكان عليه ألف سنة إلىٰ أن وضعه الله في صلب آدم

ثم نقله إلىٰ صلب شيث، وإلى إدريس، وإلى نوح، وكذلك من صلب إلىٰ صلب حتى وصل إلىٰ صلب عبد الله بن عبد المطلب(١)

باب مولد النبي ﷺ (٢)

يقال إن السماء كانت تفخر علىٰ الأرض قبل مولد النبي ﷺ

وكانت تقول إن العرش والحملة والتسبيح والركوع والسجود فيّ

والشمس والقمر فيّ، والنجوم فيّ

وأنت خالية من هذا كله

والأرض منكسة رأسها

---

(١) نسبه الشريف: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان

(٢) ولد النبي ﷺ عام الفيل يوم الاثنين لثمان خلون من ربيع الأول

وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، وتزوج آمنة عبد الله بن عبد المطلب فحملت برسول ﷺ .

"أوجز السير لخير البشر" لأبي الحسن الرازي (ص٨) .

واختلف الرواة في تاريخ مولده ﷺ فقال ابن إسحاق: ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام الفيل .

السيرة النبوية لابن هشام (١٥٨) .

ونقل محمد بن سعد عن الواقدي بسنده عن أبي جعفر محمد بن علي قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين لعشر ليال خلون من شهر ربيع الأول .

الطبقات الكبرى (١/ ١٠٠) .

وذكر المسعودي أن الذي صح من مولده ﷺ أنه كان بعد قدوم أصحاب الفيل مكة بخمسين يومًا، وكان مولده ﷺ لثمان خلون من ربيع بمكة في دار ابن يوسف .

مروج الذهب (٢/ ٢٨٠) .

ونقل الذهبي عن شيخه الدمياطي في السيرة بسنده عن أبي جعفر محمد بن علي قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين لعشر ليال خلون من ربيع الأول .

الترجمة النبوية ص١٢

فلما ولد النبي ﷺ رفعت الأرض رأسها بالفخر علىٰ السماء وقالت: قد ولد علىٰ ظهري نبيّ مبارك نور العرش من نوره، ونور السماوات من نوره، ونور الأرضين من نوره، ونور الشمس والقمر والنجوم من نوره

وعلى ظهري ولادته، وتربيته، ومبعثه، ودعوته، وعلىٰ ظهري تستعمل شريعته وموته وقبره، فسمع الله افتخارها علىٰ السماء، فقال: حيث افتخرت به جعلت تراب شرقك وغربك طهورًا له ولأمته ، وجعلت شرق الأرض وغربها مساجد لهم ومصلاهم

فلما حملته آمنة[١] بشرت المشارق والمغارب بعضها بعضًا، وكذلك البحار

قالت: آن وقت أبي القاسم

وحين سقط من بطن أمه أضاء من النور ما بين الشام إلىٰ اليمن[٢] ، وولد الاثنين

وظهرت له سبع معجزات عند ولادتها، **الأول**: كل حامل يلحقها العناء والمشقة من حملها ووالدة رسول الله ﷺ لم يلحقها العناء والمشقة

والثاني: يكون للحامل مخاض حال وضع الحمل ولم يكن لأمه ذلك

والثالث: لما انفصل من أمه خرّ ساجدا لله تعالىٰ علىٰ وجهه، وقال في سجوده أمتي

---

(١) آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ولهذا قال الحافظ الذهبي: فهي يعني آمنة أقرب نسبًا إلىٰ كلاب من زوجها عبد الله برجل.
الترجمة النبوية ص ـ ٧

(٢) ولدته أمه بمكة في دار عمه أبي طالب وضيئًا مضيئًا يعلوه النور والبهاء، واضعًا يديه علىٰ الأرض، رافعًا رأسه ناظرًا بعينيه إلىٰ السماء

وقد روى البيهقي عن فاطمة الثقفية أنها قالت: لما حضرت ولادة النبي ﷺ رأيت البيت حين وضع قد امتلأ نورًا، ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت أنها ستقع عليَّ .

وقد قيل إن أمه حين وضعته رأت نورًا ظهرت به قصور الشام فرأتها وهي في مكة .

والرابع: أنه ولد مختونًا[١]

والخامس: منعت الجن والشياطين من السماء لما ولد رسول الله ﷺ ، وذلك أنه كانت الجن تصعد إلىٰ السماء، وتستمع حديث الملائكة ، فلما ولد رسول الله ﷺ أرادوا أن يصعدوا إلىٰ السماء فمنعوا من ذلك[٢]

واجتمعوا إلىٰ إبليس وقالوا: كنا نصعد إلىٰ السماء إلىٰ اليوم ، فالآن منعنا من ذلك

فقال: طوفوا مشارق الأرض ومغاربها لتطلعوا أي حديث علىٰ وجه الأرض، فطافوا حتى أتوا مكة فرأوا فيها بيتًا حفته الملائكة ويسطع منه نور إلىٰ السماء، ويهنئ الملائكة بعضهم بعضًا، فرجعوا وأخبروا إبليس فصاح صيحة فقال: أواه خرج آية

---

(١) وقال الوليد بن مسلم بسنده عن شعيب عن ابن عباس رضي الله عنه: أن عبد المطلب ختن النبي ﷺ يوم سابعه وصنع له مأدبة وسماه محمدًا وهذا أصح مما رواه ابن سعد بسنده عن ابن عباس عن أبيه العباس قال: ولد النبي ﷺ مختونا مسرورا ـ مقطوع السرة ـ فأعجب ذلك عبد المطلب وحظي عنده وقال: ليكونن لابني هذا شأن

قال شيخنا الدمياطي: ويروى عن أبي بكرة قال: ختن جبريل رسول الله ﷺ لما طهر قلبه ـ قلت ـ أي الذهبي ـ هذا منكر .

تاريخ الإسلام للذهبي من السيرة العطرة الجزء الأول .

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾

يخبر تعالىٰ عن الجن حين بعث الله رسوله محمدًا ﷺ وأنزل عليه القرآن وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرسا شديدا وحفظت من سائر أرجائها وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك لئلا يسترقوا شيئا من القرآن فيلقوه علىٰ ألسنة الكهنة فيلتبس الأمر ويختلط ولا يدرى من الصادق وهذا من لطف الله بخلقه ورحمته بعباده وحفظه لكتابه العزيز، ولهذا قال الجن ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ .

أي من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهابا مرصدا له لا يتخطاه ولا يتعداه بل يمحقه ويهلكه ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الجن: ١٠] وهذا من أدبهم في العبارة حيث أسندوا الشر إلىٰ غير فاعل، والخير أضافوه إلىٰ الله ﷻ .

تفسير ابن كثير (٤/ ٤٢٩) .

العالم ورحمة بني آدم ، فلذلك منعتم من الصعود إلىٰ السماء(١)

لأن السماء موضع نظره ونظر أمته، قال الله تعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [**الحِجر**: ١٦]

قال كعب الأحبار: رأيت في التوراة أن الله تعالىٰ أخبر قوم موسى عليه السلام عن وقت خروج محمد ﷺ

قال: إن الكوكب المعروف عندكم اسمه كذا وكذا إذا تحرك وسار عن موضعه فهو وقت خروج محمد ﷺ

فلما ولد محمد ﷺ سار الكوكب فعرفوا جميعًا أنه خرج إلىٰ الدنيا ولكن كتموا حسدًا من عند أنفسهم(٢)

وأخبر قوم عيسى عليه السلام في الإنجيل أن النخلة اليابسة إذا ورقت وأثمرت فهو وقت خروج محمد ﷺ

فلما ولد رسول الله ﷺ أورقت النخلة اليابسة وأثمرت، فعرفوا بهذه العلامة وكتموا

---

(١) فزعت الشياطين في تلك الليلة فأتوا إبليس فحدثوه بالذي كان من أمرهم فقال ائتوني من كل أرض بقبضه من تراب أشمها فأتوه فشم فقال صاحبكم بمكة فبعث سبعة نفر من جن نصيبين فقدموا مكة فوجدوا نبي الله صلى الله تعالىٰ عليه وعلىٰ آله وسلم قائما يصلي في المسجد الحرام يقرأ القرآن فدنوا منه حرصًا علىٰ القرآن حتى كادت كلاكلهم تصيبه ثم أسلموا فأنزل الله تعالىٰ أمرهم علىٰ رسوله ﷺ

(٢) روى البخاري في صحيحه (٤٧٠١) كتاب تفسير القرآن، ١ ـ باب ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ۝١٨﴾ [**الحِجر**: ١٨] عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال: «**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله: كالسلسلة علىٰ صفوان**» ـ قال علي: وقال غيره: صفوان ينفذهم ذلك

فإذا فُزِّعَ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا واحد فوق آخر، ووصف سفيان بيده وفرج بين أصابع يده اليمنى نصبها بعضها فوق بعض فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلىٰ صاحبه فيحرقه وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلىٰ الذي يليه إلىٰ الذي هو أسفل منه حتى يلقوها إلىٰ الأرض»، وربما قال سفيان: حتى تنتهي إلىٰ الأرض، فتلقى علىٰ فم الساحر، فيكذب معها مائة كذبة، فيصدق فيقولون: ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقا؟ للكلمة التي سمعت من السماء» .

وأخبر في الزبور أن العين المعروفة التي غاض ماءها إذا نبع منها الماء، فهو وقت خروج محمد ﷺ

فلما ولد رسول الله نبع الماء فعرفوا بهذا العلامات وكتموا

السادس: أن حليمة ظئرة[(١)] رسول الله ﷺ كان لا يدر اللبن من إحدى ثدييها فلما وضع فيه فم رسول الله ﷺ خرج اللبن

السابع: خرج صوت من الكعبة، وخرج من رواية: صوت ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾[(٢)]

ومن الثانية: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ﴾[(٣)]

ومن الثالثة: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [**المَائدة**: ١٥]

ومن الرابعة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [**الأحزَاب**: ٤٥]

وروي أن عبد المطلب قال: كنت في الكعبة وفيها أصنام سقطت الأصنام من أماكنها وخرّت ساجدة، وسمعت صوتًا في جدار الكعبة يقول: ولد النبي

---

(١) السيدة حليمة السعدية مرضعة النبي ﷺ وأمه التي أرضعته، أبوها عبد الله بن الحارث، ويكنى أبا ذؤيب، ولم يذكر ما يدل على إسلام حليمة وروي عن عطاء بن يسار قال: جاءت حليمة بنت عبد الله، أم النبي ﷺ من الرضاعة إليه يوم حنين فقام إليها وبسط رداءه فجلست عليه

وعن أبي الطفيل أن النبي ﷺ كان بالجعرانة - مكان قرب مكة - يقسم لحما، فأقبلت امرأة بدوية فلما دنت من النبي ﷺ بسط لها رداء فجلست عليه فقلت من هذه؟ قالوا: أمه التي أرضعته.

تاريخ الإسلام للذهبي السيرة العطرة المجلد الأول.

(٢) سورة سبأ (٤٩)

(٣) سورة التوبة (١٢٨)

يقول تعالى ممتنا على المؤمنين بما أرسل إليهم رسولا من أنفسهم أي من جنسهم وعلى لغتهم كما قال إبراهيم عليه السلام ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم﴾ وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عِمرَان: ١٦٤] أي منكم وبلغتكم كما قال جعفر بن أبي طالب للنجاشي والمغيرة بن شعبة لرسول كسرى: إن الله بعث فينا رسولا منا نعرف نسبه وصفته ومدخله ومخرجه وصدقه وأمانته».... الحديث.

تفسير ابن كثير (٢/ ٤١٢).

المختار الذي يهلك بيده الكفار، ويطهرني عن هذه الأصنام، ويأمر بعبادة الملك العلام[١]

باب إرضاعه وحضانته ﷺ

قال كعب الأحبار: إن حليمة لما قضت حق الرضاع جاءت برسول الله ﷺ لترده إلىٰ عبد المطلب

قالت حليمة[٢] فأقبلت أسير حتى أتيت الباب الأعظم هُنَّ أبواب محكمة، فسمعت مناديًا ينادي: هنيئًا لك يا بطحاء مكة، اليوم يرد عليك النور والبهاء والجمال

---

(١) ومن الهمزية النبوية لأمير الشعراء أحمد شوقي:

ولد الهدى فالكائنات ضياء ... وفم الزمان تبسم وثناء
يا خير من جاء الوجود تحية ... من مرسلين إلىٰ الهدى بك جاءوا
بك بشر الله السماء فزينت ... وتضوعت مسكًا بك الغبراء
وبدا محياك الذي قسماته ... حق وغرته هدى وحياء
وعليه من نور النبوة رونق ... ومن الخليل وهديه سيماء
أثنى المسيح عليه خلف سمائه ... وتهللت واهتزت العذراء
يوم يتيه علىٰ الزمان صباحه ... ومساؤه بمحمد وضاء
ذعرت عروش الظالمين فزلزلت ... وعلت علىٰ تيجانهم أصداء

(٢) قالت حليمة السعدية: قدمت مكة نسوة من بني سعد بن بكر نلتمس الرضعاء في سنة شهباء علىٰ أتان لي، ومعي صبي لنا، وقد عُرض رسول الله ﷺ علىٰ كل امرأة لنا، فأبين جميعهن أن يرضعنه، حينما علمن أنه يتيم الأب، وذلك أنا كنا نرجوا المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول: إنه يتيم ما عسى أن تصنع أمه وجده فكنا نكره ذلك، فوالله ما بقي من صواحبي امرأة إلا أخذت رضيعًا غيري، فلما لم أجد غيره قلت لزوجي وهو الحارث بن عبد العزى السعدي - والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي وليس معي رضيع، لأنطلقن إلىٰ ذلك اليتيم ولآخذنه، قال: لا ضرر عليك أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة، فذهبت ثم أخذته بما هو عليه، ثم ركبت أتاني وأخذت محمدًا بين يدي ثم مشت أتاني حتى سبقت دواب الناس الذين كانوا معي وصاروا يتعجبون مني، ثم وصلنا إلىٰ منازل بني سعد ولا أعلم أرضًا من أرض الله أجدب منها فكانت غنمي تروح عليّ حيث قدمنا به كثيرة اللبن فنحلب ونشرب

قال: ثم وضعت رسول الله ﷺ لأقضي حاجتي وأصلح ثيابي فسمعت هدَّة شديدة، فالتفت فلم أره

فقلت: معاشر الناس أين الصبي؟

فقالوا: أي صبي؟

قلت: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، الذي نضر الله به وجهي وأغنى عليلتي، ربيته حتى أدركت فيه سروري وأملي ، أتيت به لأرده وأخرج من أمانتي[١]، اختلس من بين يدي قبل أن يمس قدمه الأرض، واللات والعزى لئن لم أره لأرمين نفسي من شاهق هذا الجبل فتقطعت إرباً إرباً

قالوا: ما رأينا شيئًا

فلما آيسوني وضعت يدي علىٰ رأسي وقلت: وامحمداه واولداه

فبكت الجواري الأبكار لبكائي وضج الناس بالبكاء فإذا الشيخ كالفاني يتوكأ علىٰ عصاه قال: ما لك أيتها السيدة؟

قلت: فقدت ابني محمدًا

فقال: لا تبكي أنا أدلك علىٰ من يعلم علمه إن شاء أن يرده فعل

---

(١) كان من عادة نساء قريش أن يعطين أبناءهن إلىٰ المراضع لأغراض أهمها أن ينشأ الولد في الأعراب فيكون أنجب، ولسانه أفصح كما في الحديث «**أنا أعربكم، أنا من قريش واسترضعت في بني سعد بن بكر**» وكانت هذه القبيلة مشهورة في العرب بالكمال وتمام الشرف، وكانت بلادهم معروفة بطيب الهواء وعذوبة الماء

قال حليمة: فلما فطمته قدمنا به إلىٰ أمه ونحن أحرص شيء علىٰ مكثه بيننا لما نرى من بركته، فكلمنا أمه ورجوناها أن تتركه عندنا حتى يكبر لأننا نخشى عليه وباء مكة ولم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به .

وذات يوم جاء أخوه من الرضاعة يجري إلىٰ أمه حليمة فقال: إن أخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعناه وشقا بطنه، قالت حليمة: فقال أبوه من الرضاع يا حليمة قد خشيت أن يكون ابني قد أصيب فانطلقي بنا كي نرده إلىٰ أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف منه، فحملناه حتى أتينا به إلىٰ مكة وذهبنا به إلىٰ أمه .

قلت: فدتك بنفسي ومن هو؟ قال: الصنم الأعظم هبل

قلت: فدخل وأنا أنظر فطاف بهبل وقبل رأسه وناداه يا سيداه لم تزل منتك علىٰ قريش قديمة، وهذه السعيدة(١) تزعم أن ابنًا لها محمدًا قد ضل

قالت: فانكب هبل علىٰ وجهه وتساقطت الأصنام وقالت: إليك عني أيها الشيخ إنما هلاكنا علىٰ يدي محمد

قالت: فأقبل الشيخ أسمع لأسنانه اصطكاكًا ولركبتيه ارتعادًا وقد ألقى عكازته من يديه وهو يقول: يا حليمة إن لابنك ربًا لن يضيعه فاطلبيه علىٰ مهل

قال: فخفت أن أبلغ الخبر عبد المطلب قبلي، فقصدته

فلما نظر إليّ قال: أسعد نزل بك أم نحس

قلت: بل النحس الأكبر ففهمها مني

قال: لعل ابنك ضل منك قالت: نعم

فظن أن بعض قريش قد اغتاله، فسل عبد المطلب سيفه(٢)

---

(١) قال ابن أبي الدنيا بسنده عن هانئ المخزومي قال: لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ ارتجس إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشر شرفة، وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، ورأى الموبذان إبلاً صعابًا تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها فلما أصبح كسرى أفزعه ما رأى من شأن إيوانه فصبر عليه تشجعا ثم ذكر القصة بطولها في تاريخ الإسلام للذهبي في قصة سطيح من السيرة العطرة في الجزء الأول

(٢) في قوله تعالىٰ ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ [**الضحى**: ٧] وهو كقوله ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ﴾ [**الشّورى**: ٥٢] الآيه ومنهم من قال: إن المراد بهذا أن النبي ﷺ ضل في شعاب مكة وهو صغير ثم رجع وقيل إنه ضل وهو مع عمه في طريق الشام وكان راكبا ناقة في الليل فجاء إبليس فعدل بها عن الطريق فجاء جبريل فنفخ إبليس نفخة ذهب منها إلىٰ الحبشة ثم عدل بالراحلة إلىٰ الطريق حكاهما البغوي

تفسير ابن كثير (٤/٥٢٣) .

لا يثبت له أحد من شدة غضبه ونادى بأعلى صوته يا آل غالب يا آل غالب وكان دعوتهم في الجاهلية

فأجابته قريش بأجمعها وقالوا: ما قصتك؟

قال: فقد ابني محمد[١]

قالت قريش: اركب نركب معك، فإن تسنمت جبلا تسنمنا معك، وإن خضت بحرًا خضنا معك، فركب وركبت قريش معه، وساروا فأخذ علىٰ أعلى مكة وانحدر علىٰ أسفلها فلما لم ير شيئًا ترك الناس وأقبل إلىٰ بيت الله الحرام فطاف أسبوعًا وقال: يا رب رد راكبي محمدًا رده ربي واتخذ عندي يدًا ، يا رب إن محمدًا لو يوجدا ، فجمع قومي كلهم مبدلا

فسمعنا مناديا ينادي من الهواء: معاشر الناس لا تضجوا فإن له ربا لا يخذله ولا يضيعه[٢] فقام عبد المطلب راكبًا منسجًا

---

(١) في نسب النبي المتقدم والذي انتهى عند عدنان، فقد اختلفوا فيما بين عدنان وبين إسماعيل من الآباء فقيل بينهما تسعة آباء وقيل سبعة وقيل مثل ذلك عن جماعة، لكن اختلفوا في أسماء بعض الآباء وقيل بينهما خمسة عشر أباً، وقيل بينهما أربعون أباً، وهو بعيد وقد ورد عن طائفة من العرب ذلك

وأما أنساب العرب فإن أهل العلم بأيامها وأنسابها قد وعوا وحفظوا جماهيرها وأمهات قبائلها، واختلفوا في بعض فروع ذلك.

والذي عليه أئمة هذا الشأن أنّه: عدنان بن أدد بن مقوّم بن ناحور بن تيرح ين يعرب بن يشجب ابن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل بن آزر واسمه تارح ـ بن ناحور بن ساروغ بن راغو ابن فالخ بن عيبر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ابن لمّك بن متّوشلخ، بن خنوخ ـ وهو إدريس عليه السلام ابن يرد بن مهليل بن قينن بن يانش بن شيث بن آدم أبي البشر عليه السلام

وهذا الذي اعتمده محمد بن إسحاق في السيرة، وقد اختلف أصحاب ابن إسحاق عليه في بعض الأسماء، قال ابن سعد: الأمر عندنا الإمساك عما وراء عدنان إلىٰ إسماعيل .

تاريخ الإسلام للذهبي في السيرة العطرة الجزء الاول .

(٢) روى مسلم في صحيحه[١ ـ (٢٢٧٦)] كتاب الفضائل ١ ـ باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، عن واثلة بن الأسقع يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم**» .

فلما سار في بعض الطريق لقيه ورقة بن نوفل فسارا جميعاً

فبينما هو كذلك رأى النبي قائمًا تحت شجرة يجذب الأغصان ويعبث بالورق.

وقال عبد المطلب: من أنت يا غلام

قال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب

قال عبد المطلب: فدتك نفسي فأنا جدك

ثم حمله علىٰ قربوس سرجه فرده إلىٰ مكة واطمأنت قريش بعد ذلك

وتوفي أبوه وأمه حامل به، فكفله عبد المطلب وتوفي هو، وهو ابن ثمان سنين(١)

فكفله عمه أبو طالب حتى كبر(٢)

واسم أمه آمنة بنت وهب

---

(١) بعد وفاة أمه كفله جده عبد المطلب وضمه إليه وجعله معه، ورق عليه رقة لم يرقها علىٰ أولاده، وكان يقربه منه ويدخل عليه ليراه ويطمئن عليه إذا نام، ويجلسه علىٰ فراشه من دون أولاده، وكان يوضع لجده فراش في ظل الكعبة وكان بنوه يجلسون حول ذلك الفراش حتى يخرج إليه أبوهم، ولا يجلس عليه أحد منهم إجلالاً له فكان رسول الله يأتي ويجلس علىٰ ذلك الفراش فيأخذه أعمامه ويبعدونه عنه فيقول لهم عبد المطلب إذا رأى منهم ذلك: دعوا ابني، ثم يمسح علىٰ ظهره بيده ويقول: إن لابني هذا لشأناً عظيماً

وقبل وفاة جده عبد المطلب أوصى ابنه أبا طالب برسول الله.

(٢) توفي عبد الله أبو النبي ﷺ بالمدينة غريبًا، وكان قدمها ليمتار تمرًا، وقيل بل مر بها مريضًا راجعًا من الشام

فروى محمد بن كعب القرظي وغيره: أن عبد الله بن عبد المطلب خرج إلىٰ الشام إلىٰ غزة في عير تحمل تجارات، فلما قفلوا مروا بالمدينة وعبد الله مريض، فقال: أتخلف عند أخوالي بني عدي بن النجار، فأقام عندهم مريضًا مدة شهر، فبلغ ذلك عبد المطلب فبعث إليه الحارث وهو أكبر ولده، فوجده قد مات ودُفن في دار النابغة أحد بني النجار، والنبي ﷺ يومئذ حمل علىٰ الصحيح.

وتوفيت أمه آمنة بالأبواء وهي راجعة به ﷺ إلىٰ مكة من زيارة أخوال أبيه بني عدي بن النجار وهو يومئذ ابن ست سنين ومائة يوم، وقيل: ابن أربع سنين.

فلما ماتت ودفنت حملته أم أيمن مولاته إلىٰ مكة إلىٰ جده فكان في كفالته إلىٰ أن توفي جده وللنبي ﷺ ثمان سنين، فأوصى به إلىٰ عمه أبي طالب.

باب خروجه إلىٰ الشام
بأمر خديجة وتزوجها إياه ﷺ

وروي أن خديجة رأت في منامها أن الشمس نزلت من السماء ودخلت في بيتها ثم خرج نورها، فلم يبقى في مكة بيت إلا تنور بها فلما انتبهت قصت رؤياها علىٰ ابن عمها[١] ورقة بن نوفل لأنه كان معبرًا

وقال: إن نبي آخر الزمان يكون زوجك

فقالت: يا بن عمي إن هذا النبي من أي بلدة يكون؟ قال: من مكة

قالت: من أي قبيلة: قال من قريش

قالت: من أي بطن؟

قال: من بني هاشم

قالت: ما اسمه: قال: اسمه محمد ﷺ

فكانت خديجة تنتظر من أي جانب تطلع عليها هذه الشمس

فيوما من الأيام كان رسول الله ﷺ في بيت عمه أبي طالب يأكل الطعام[٢] وكان عمه أبو طالب وعمته عاتكة ينظران إلىٰ أدبه وحسن سيرته

---

(١) بالأصل عمها وما وجدناه ابن عمها، وكان قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والإنجيل، وله قصة مع رسول الله ﷺ في بيان أنه هو الرسول المنتظر سيأتي خبرها

(٢) قال أبو طالب للنبي ﷺ: يا ابن أخي أنا رجل فقير لا مال عندي وقد قسا الزمان علينا وساءت الحال وليس لنا مادة ولا تجارة وهذه إبل قومك قد حان موعد خروجها إلىٰ الشام، وقد اعتادت خديجة أن تبعث رجالا من قومك يتجرون في مالها وينتفعون بالتجارة لها، فلو ذهبت إليها لفضلتك علىٰ غيرك لما بلغها عنك من طهارتك وأمانتك وإن كنت أكره أن تذهب إلىٰ الشام لأني أخاف عليك اليهود، ولكننا لا نجد من ذلك بدًا

فقال ﷺ: لعلها ترسل إليّ في ذلك فقال أبو طالب إني أخاف أن تولي غيرك، فبلغ خديجة ما حدث من الحوار بينه وبين عمه، كما بلغها من قبل أنه صادق في حديثه، عظيم في أمانته، نبيل في أخلاقه، فقالت: إني لم أعلم من قبل أنه يريد هذا، وأرسلت إليه، وقالت له: دعاني إلىٰ أن أبعث إليك ما بلغني من رغبتك في السفر إلىٰ الشام للتجارة، وإني سأعطيك ضعف ما أعطي رجلا من قومك .

ويقولان: إن محمدنا قد كبر وشب، وليس لنا يسار بأن نزوجه فلا نعرف المصلحة في أمره

ثم قالت عاتكة[١] يا أخي إن خديجة امرأة ميمونة كل من تعلق بها يبارك له في معاشه فإنها تريد أن ترسل العير إلىٰ الشام فنؤاجرها محمدًا لكي يحصل له شيء نزوجه بذلك

وكأن الله تعالىٰ يقول: إن عاتكة وأبو طالب يهيئان له أسباب الإجارة ولا يعرفان أنا هيئنا له أسباب النبوة والرسالة

فشاور في هذا الأمر محمدًا ﷺ فقبله رسول الله ﷺ

فذهبت عاتكة إلىٰ خديجة وأخبرتها بإجارة محمد ﷺ [٢]

فلما سمعت هذا القول تفكرت في نفسها وقالت: هذا تأويل رؤياي، لأن ابن عمي ورقة قال: إنه يكون من العرب، وهذا عربي ومكي وقريشي وهاشمي واسمه محمد، وهو حسن الخلق ، فليس هو إلا نبي الخالق الحق

---

(١) عاتكه بنت عبد المطلب أمها فاطمة بنت عمرو بن عائذ المخزومي

أسلمت بمكة وهاجرت إلىٰ المدينة، وهي صاحبة الرؤيا المشهورة في مهلك أهل بدر، وذلك فيما قاله ابن إسحاق: حدثني يزيد بن رومان عن عروة قال: رأت عاتكة بنت عبد المطلب فيما يرى النائم قبل مقدم ضمضم بن عمرو الغفاري علىٰ قريش مكة بثلاث ليال رؤيا، فأصبحت عاتكة فأعظمتها، فبعثت إلىٰ أخيها العباس فقالت له: يا أخي لقد رأيت الليلة رؤيا ليدخلن منها علىٰ قومك شر وبلاء، فقال: وما هي ؟ فقالت: رأيت فيما يرى النائم أن رجلاً أقبل علىٰ بعير له فوقف بالأبطح فقال: انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث فاجتمعوا إليه ثم أري بعيره دخل به المسجد واجتمع الناس إليه. ثم مثل به بعيره، فإذا هو علىٰ رأس الكعبة فقال انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث....إلى أن قالت ثم أخذ صخرة فأرسلها من رأس الجبل فأقبلت تهوي، حتى إذا كانت في أسفله ارفضت فما بقيت دار من دور مكة ولا بيت إلا دخل فيه بعضها.... وكان ما رأت وهزم الكفار في بدر .

انظر تاريخ الإسلام ـ رؤيا عاتكة في السيرة العطرة .

(٢) كانت خديجة رضي الله عنها تاجرة ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعث بها إلىٰ الشام كعامة قريش، وكانت تستأجر الرجال وتدفع إليهم مالاً للسفر لها في التجارة، وكانت قبيلة قريش مولعة بالتجارة، ومن لم يكن منهم تاجراً فليس بشيء عندهم

فلما خرجت قافلتهم إلىٰ الشام خرج فيهم رسول الله ﷺ ليتجر لخديجة في مالها وكان معه غلام لها يسمى ميسرة .

فهمت بأن تزوج نفسها منه في تلك الحال، ولكنها خافت من التهمة[١]

وقالت: أستأجره الآن وأصبر علىٰ عشقه حتى يفتح الله بيننا

ثم قالت خديجة: يا عاتكة إني استأجرت كل أجير بعشرين دينارًا واستأجرت محمدًا بخمسين دينارًا، فرجعت مسرورة، فأخبرت أبا طالب[٢] وقالت لمحمد ﷺ اذهب إلىٰ دار خديجة واشتغل بما أمرتك

فجاء رسول الله ﷺ إلىٰ باب دارها وجلس كيلنا[٣]

وكانت تقطر دموع عينيه علىٰ خديه فبكت ملائكة السماوات ببكائه رحمة عليه.

فلما آن رحيل العير جاء ميسرة وهو أمير العير وقال: يا محمد البس لباسًا من الصوف وضع قلنسوة الجمال علىٰ رأسك، وخذ زمام القطار وتوجه نحو الشام[٤]

---

(١) روى أحمد في مسنده عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ ذكر خديجة، وكان أبوها يرغب عن أن يزوجه، فصنعت هي طعامًا وشرابًا، فدعت إباها وزُمرًا من قريش، فطعموا وشربوا حتى ثملوا فقالت لأبيها: إن محمدًا يخطبني فزوجني إياه، فزوجها إياه فخلَّفته (طيبته) وألبسته حلة كعادتهم، فلما صحا نظر فإذا هو مخلق فقال: ما شأني، فقالت: زوجتني محمدًا، فقال: وأنا أزوج يتيم أبي طالب، لا لعمري، فقالت: أما تستحي؟ تريد أن تسفه نفسك معي عند قريش بأنك كنت سكران، فلم تزل به حتى رضي

(٢) عاتكة هي شقيقة لعبد الله والد النبي ﷺ ولأبي طالب عمه، وكان عمات النبي ﷺ ستة هن: أميمة، وأم حكيم وبرة، وصفية، وأروى وعاتكة وهن بنات عبد المطلب

وأما أعمامه فهم تسعة بنو عبد المطلب عشرة هم: الحارث أكبر الأبناء، والزبير، وحجل، وضرار، والمقوم، وأبو لهب، والعباس، وحمزة وأبو طالب وعبد الله وكان أصغرهم سنا العباس .

(٣) كذا بالاصل وبالهامش: حزينًا

(٤) لما سارت القافلة حتى وصلت إلىٰ سوق بصرى فنزل الجميع ليستريحوا عند صومعة الراهب بحيرى ما عدا رسول اللّه ﷺ ، فإنه نزل ليستريح تحت ظل شجرة في السوق قريبًا من الصومعة .

وكان فيها راهب من رهبان الشام يسمى نسطورى فنظر إلىٰ ميسرة، وقد كان يعرفه من قبل، وقال له: يا ميسرة، من هذا الذي تحت الشجرة؟ فأجاب ميسرة إنه رجل من أهل الحرم، فبشر نسطورى بنبوته وقال: هذا خاتم النبيين ليتني أدركه حين يؤمر بالخروج .

ففعل رسول الله ﷺ ما أمر

ودخل الطريق باكيًا وقال في نفسه أين والدي عبد الله وأين والدتي آمنة كي يبصرا حالي

ويا ويلاه من اليتم ويا ويلاه من الغربة التي عرضت عليّ فلا أدري أرجع إلىٰ مولودي أو أموت غريبًا

فوقع الأنين والعويل في الملائكة ببكائه ومناجاته وأرسل الله تعالىٰ مزنة بيضاء علىٰ رأسه ﷺ في حر الحجاز(١)

وكانت خديجة أوصت إلىٰ ميسرة إذا فارق بيوت المصر بأن يلبس علىٰ محمد ﷺ أفضل الثياب ويركبه أوفر الدواب ففعل ما أُمر

وكان رسول الله ﷺ ينام علىٰ البعير والمزنة تظله، والنسيم يروحه حتى وصلت العير إلىٰ صومعة راهب كان في الطريق فنزلوا عندها تحت شجر

فخرج الراهب من صومعته ورأى رسول الله ﷺ والمزنة تظله فعرف بذلك أنه ولي أو نبي

فاتخذ ضيافة ودعاهم إلىٰ صومعته ليعرف أيهم صاحب تلك الكرامة، فذهبوا بأجمعهم وتركوا رسول الله ﷺ عند دوابهم وأثقالهم(٢)

---

(١) قال الذهبي بعد أن أن ذكر ما روى الترمذي (٥/ ٢٠٥) في تاريخ الاسلام من حديث قراد أبي نوح من تظليل الغمام وقول الراهب بحيرى لعمه وما كان من أمره: هذا حديث منكر جدّاً، وأين كان أبو بكر ؟ كان ابن عشر سنين فإنه أصغر من رسول الله ﷺ بسنتين ونصف، وأين كان بلال في هذا الوقت فإنّ أبا بكر لم يشتره إلاّ بعد المبعث ولم يكن ولد بعد، وأيضاً فإذا كان عليه غمامة تظلّه كيف يتصوّر أن يميل فيء الشجرة ؟ لأنّ ظلّ الغمامة يعدم فيء الشجرة التي نزل تحتها، ولم نر النّبيّ ﷺ ذكر أبا طالب قطّ بقول الرّاهب، ولا تذاكرته قريش، ولا حكته أولئك الأشياخ مع توفّر هممهم ودواعيهم علىٰ حكاية مثل ذلك فلو وقع لاشتهر بينهم أيّما اشتهار ولبقي عنده ﷺ حسّ من النّبوّة ولما أنكر مجيء الوحي إليه تاريخ الإسلام للذهبي في السيرة العطرة (٣٥٨)

(٢) قال ابن إسحاق في السيرة: إنّ أبا طالب خرج إلىٰ الشام تاجراً في ركب ومعه النّبيّ ﷺ وهو غلام، فلما نزلوا بصرى وبها بحيرا الرّاهب في صومعته، وكان أعلم أهل النّصرانيّة ولم يزل في تلك الصّومعة قط راهب يصير إليه علمهم عن كتاب فيهم فيما يزعمون يتوارثونه كابراً عن كابر، قال: فنزلوا قريباً من الصّومعة فصنع بحيرا طعاماً وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه حين أقبلوا، وغمامة تظلّه من بين القوم، فنزل بظلّ شجرة، فنزل بحيرا من صومعته، وقد أمر بذلك الطّعام =

فخرج الراهب من صومعته ونظر نحو الشجرة وكانت المزنة لم تزل في مكانها فسألهم وقال: هل بقي منكم أحد عند أثقالكم؟

قالوا: لا إلا يتيم يرعى الجمال ويحفظ الأثقال

فعدى الراهب نحوه، وأتى به

فلما دنا منه قام رسول الله ﷺ وصافحه فأخذ الراهب يده وأتى به إلىٰ صومعته.

فلما قصد رسول الله ﷺ في المشي نظر الراهب في المزنة فرآها تسير بحذاء رسول الله ﷺ[1] فلما دخل رسول الله ﷺ صومعة الراهب وجلس علىٰ المائدة، خرج الراهب ونظر إلىٰ المزنة فرآها واقفة علىٰ باب داره

فدخل وقال: يا شباب من أي أصل ؟

= فصنع، ثم أرسل إليهم فجاءوه فقال رجل منهم: يا بحيرا ما كنت تصنع هذا فما شأنك؟ قال: نعم ولكنّكم ضيف وأحببت أن أكرمكم، فاجتمعوا، وتخلّف رسول الله ﷺ لصغره في رحالهم، فلما نظر بحيرا فيهم ولم يره قال: يا معشر قريش لا يتخلّف عن طعامي هذا أحد، قالوا: ما تخلّف أحد إلاّ غلام هو أحدث القوم سنّاً، قال: فلا تفعلوا ادعوه، فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلىٰ أشياء من جسده، فإذا فيه أثر خاتم النّبوّة، فأقبل علىٰ أبي طالب فقال: ما هو منك ؟ قال: ابني، قال: ما ينبغي أن يكون أبوه حيّاً، قال: فإنّه ابن أخي، قال: ارجع به واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفته ليبغنّه شرّاً، فإنّه كائن لابن أخيك شأن فخرج به أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكّة حين فرغ من تجارته .

(١) قال الذهبي: قال ابن إسحاق: ثم إنّ خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصيّ وهي أقرب منه ﷺ إلىٰ قصيّ برجل كانت امرأة تاجرة ذات شرف ومال، وكانت تستأجر الرجال في مالها، وكانت قريش تجاراً فعرضت علىٰ النّبيّ ﷺ أن يخرج في مال لها إلىٰ الشّام، ومعه غلام لها اسمه ميسرة، فخرج إلىٰ الشام، فنزل تحت شجرة بقرب صومعة، فأطل الرّاهب إلىٰ ميسرة فقال: من هذا ؟ فقال: رجل من قريش قال: ما نزل تحت هذه الشجرة إلاّ نبيّ

ثم باع النّبيّ ﷺ تجارته وتعوّض ورجع، فكان ميسرة فيما يزعمون إذا اشتدّ الحرّ يرى ملكين يظلاّنه من الشمس وهو يسير، وحدّثها ميسرة عن قول الراهب وعن الملكين وكانت خديجة لبيبةً حازمةً فبعثت إليه تقول: يا ابن عمّي إنّي رغبت فيك لقرابتك وأمانتك وصدقك وحسن خلقك، ثم عرضت عليه نفسها . تاريخ الإسلام للذهبي في السيرة العطرة (١/ ٣٧) .

قال: من بني هاشم

فقال: ما اسمك؟ قال: محمد

فوقع الراهب عليه وقبل بين عينيه وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ(١)

قال الراهب: أرني علامة واحدة تُطمئن قلبي ويزداد يقيني

فقال رسول الله ﷺ: ما هي؟

قال: تجرد من ثيابك حتى أرى ما بين كتفيك فإن فيها سر نبوتك وعلامة رسالتك، فكشف عن كتفيه فرأى الراهب سر النبوة وكان مكتوبًا عليه: ننج نج توجه حيث شئت فإنك منصور

فمسح الراهب وجهه عليه، وأقبل عليه

وقال: يا زين القيامة ويا شفيع الأمة(٢) ويا رفيع الهمة، ويا كاشف الغمة، ويا نبي الرحمة

---

(١) اعلم أن مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف أن من مات موحدًا دخل الجنة قطعا علىٰ كل حال، فإن كان سالما من المعاصي كالصغير والمجنون والذي اتصل جنونه بالبلوغ والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي إذا لم يحدث معصية بعد توبته، والموفق الذي لم يبتل بمعصية أصلا، فكل هذا الصنف يدخلون الجنة ولا يدخلون النار أصلا لكنهم يردونها علىٰ الخلاف المعروف في الورود والصحيح أن المراد به المرور علىٰ الصراط وهو منصوب علىٰ ظهر جهنم، أعاذنا الله منها، ومن سائر المكروه النووي في شرح مسلم (١/ ١٩٣) طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) روى مسلم في صحيحه [٣٣٠ ـ (١٩٦)] كتاب الإيمان ٨٥ ـ باب في قول النبي ﷺ: «**أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أنا أكثر الأنبياء تبعًا**»

وفي رقم (٣٣٢) عنه: «**أنا أول شفيع في الجنة، لم يُصَدق نبي من الأنبياء ما صُدِّقت وإن من الأنبياء نبيا ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد**»

قال النووي: قال القاضي عياض رحمه الله مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلا ووجوبها سمعا بصريح قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [**طه**: ١٠٩] وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [**الأنبياء**: ٢٨] وأمثالهما وبخبر الصادق ﷺ، وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين، =

فأسلم وحسن إسلامه

فلما وصل العير إلىٰ الشام واتجروا فيها

فكان يوما أبو بكر ومحمد ﷺ وميسرة خرجوا إلىٰ عيد اليهود والمنظارة، فلما وصلوا إلىٰ مصلاهم ، ودخل في بيعهم ونظر إلىٰ القناديل التي كانت معلقة بالسلاسل فانقطعت سلاسلها وسقطت بأجمعها

فخاف اليهود وقالوا لعلمائهم ما هذه العلامة التي ظهرت؟

قالوا: نجد في التوراة أن محمدًا نبي آخر الزمان إذا حضر في عيد اليهود تظهر هذه العلامة فلعله قد حضر اليوم

فطلبوه وقالوا: لو وجدناه لقتلناه ودفعنا شره فلما سمع أبو بكر وميسرة هذا القول كتما محمدًا ﷺ وتبادروا للرجوع إلىٰ مكة وسعوا(١)

وكان ميسرة إذا دنا من مكة مسيرة سبعة أيام يرسل أحدًا إلىٰ خديجة يبشرها بقدومه

فقالوا لرسول الله: يا محمد لو أرسلناك بشيرًا هل تقدر عليه

= وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنن عليها، ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها وتعلقوا بمذاهبهم في تخليد المذنبين في النار، واحتجوا بقوله تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [**المدَّثر**: ٤٨] وهذه الآيات في الكفار .
النووي في شرح مسلم (٣/ ٣١) طبعة دار الكتب العلمية .

(١) روى البخاري في صحيحه (٣٨٢٧) كتاب مناقب الأنصار، ٢٤ ـ باب حديث زيد بن عمرو ابن نفيل، عن ابن عمر أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلىٰ الشام يسأل عن الدين ويتبعه فلقي عالما من اليهود فسأله عن دينهم" . . . . الحديث وكذا لقي عالما من النصارى إلىٰ أن قال لما سأل علىٰ من يتبع دينه فقال: إلاّ أن يكون حنيفاً قال: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلاّ الله، فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم عليه السلام خرج فلمّا برز رفع يديه فقال: اللّهمّ إنّي أشهدك أنّي علىٰ دين إبراهيم»

وروي عن عامر بن ربيعة قال: قال لي زيد بن عمرو بن نفيل: أنا أنتظر نبيًا من ولد إسماعيل عليه السلام من بني عبد المطلب ولا أراني أدركه وأنا أؤمن به وأصدقه وأشهد أنه نبي، فإن طالت بك يا عامر مدة ورأيته فاقرئه مني السلام، وسأخبرك ما نعته حتى لا يخفى عليك، قلت: هلم، هلم قال: هو رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ولا بكثير الشعر ولا بقليله، لا تفارق عينيه حمرة، بين كتفيه خاتم النبوة، واسمه أحمد... إلىٰ أن قال عامر بن ربيعة: فلما أسلمت أخبرت رسول الله ﷺ قول زيد ابن عمرو بن نفيل وأقرأته منه السلام فرد عليه ﷺ السلام وترحم عليه .

فقال: نعم

فرحل ميسرة ناقة وزينها بأنواع الحرير وأركب عليها رسول الله ﷺ ووجهه نحو مكة وكتب كتابًا وقال: يا سيدة قريش إن التجارة في هذه السنة أربح تجارتي في سائر السنين

فساق رسول الله ﷺ الناقة وغاب عنهم

فأوحى إلىٰ جبريل وقال: يا جبرائيل اطو الأرض[١] تحت قدم محمد

ويا إسرافيل احفظه عن يمينه ويا ميكائيل احفظه عن يساره ويا سحاب ظلل عليه

فألقى الله عليه النوم، ونام فأوصله الله في تلك الساعة إلىٰ مكة

فكانت خديجة جالسة علىٰ الوداق فنظرت نحو الشام ورأت راكبًا يقبل والسحاب علىٰ رأسه تظله[٢]

---

(١) روى الترمذي في سننه (٣٤٤٥) كتاب الدعوات، عن أبي هريرة ﷺ أن رجلا قال: يا رسول الله إني أريد أن أسافر فأوصني، قال: عليك بتقوى الله والتكبير علىٰ كل شرف، فلما أن ولى الرجل قال: «**اللهم اطو له الأرض وهون عليه السفر**»

قال: هذا حديث حسن .

(٢) كان سلمان الفارسي مسيحيًا متدينا مولعا بالبحث عن الدين الحق طول حياته متصلا بكثير من علماء الدين المعروفين بالصلاح والطهارة والتمسك بالدين من الأحبار والرهبان، وقد علم من كثرة بحوثه وأسئلته أنه سيبعث بأرض العرب نبي فيه علامات لا تخفى وهي ثلاث: يأكل الهدية ولا يأكل الصّدقة، وبين كتفيه خاتم النّبوّة، وقد عاش بعمورية ما شاء الله أن يعيش وذات يوم مر به نفر من التجار فقال لهم احملوني إلىٰ أرض العرب وأعطيكم بقيراتي هذه وغنيمتي هذه، فقالوا: نعم، فحملوه فلما بلغوا وادي القرى ظلموه وباعوه إلىٰ رجل يهودي باعه لابن عم له من بني قريظة من المدينة وحمله معه إلىٰ المدينة

قال سلمان: وبعث رسول الله ﷺ ثم هاجر إلىٰ المدينة، ولما وصل الرسول إلىٰ قباء احتال سلمان حتى جمع شيئًا مما كان لديه وذهب إلىٰ المصطفى ﷺ وقال: هذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم فقربته إليكم .

فقال الرسول لأصحابه: كلوا، وأمسك يده فلم يأكل فقلت في نفسي هذه واحدة، ثم أعاد مرة أخرى وقال: هذه هدية أكرمتك بها فأكل رسول الله ﷺ وأمر أصحابه فأكلوا معه، فقلت: هاتان اثنتان، فجاء والنبي يتبع جنازة فاستدار خلفه ينظر إلىٰ ظهره فلما رآه النبي ﷺ فألقى رداءه عن ظهره فنظرت إلىٰ خاتم النبوة فعرفه وأسلم وقص علىٰ النبي ما كان من أمره .

وكانت خديجة عندها جوار كثيرة فقالت: هل تعرفن ذلك الراكب الذي يجيء.

قالت واحدة منهن: إنه يشبه محمدًا الأمين

فقالت خديجة: إن هو محمد فقد أعتقت جميعكن بقدومه

فوصل رسول الله ﷺ إلىٰ باب دارها فاستقبلته خديجة وأكرمته وبجلته وقالت: وهبتك الناقة التي تركب عليها مع ما عليها

ثم ذهب رسول الله ﷺ إلىٰ بيت عمه

ومرت أيام فجاء يوما إلىٰ دار خديجة فقالت له خديجة تكلم معي وأخبرني ما تريد(١)؟

فقال: إن عمي وعمتي أرسلاني بأن أسأل الأجرة، يريدان أن يزوجاني

فقال هذا القول واستحيى ونكس رأسه

فقالت خديجة: يا محمد الأجر قليل ، فلا يحصل منه شيء ولكني أزوجك زوجًا أشرف العرب وأحسنها جمالاً وأكثرها مالاً وهي التي رغبت فيها ملوك العرب والعجم فلم تقبل(٢)

---

(١) قال البوصيري رحمه الله:

ورأتــه خــديجـة والــتـقـى ... والـزهـد فـيه سـجـيـة والحـيـاء
وأتـاهـا أن الـغـمـامـة والـسرح ... أظـلـتـه مـنـهـمـا أفـياء
وأحـاديـث أن وعـد رسـول ... بـالـبـعـث حـان مـنـه الـوفـاء
فـدعـتـه إلىٰ الـزواج ومـا أحـسـن ... مـا يـبـلـغ المـنى الأذكـيـاء

(٢) قالت نفيسة بنت منية: كانت خديجة امرأة حازمة جلدة شريفة، مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير، وهي أوسط قريش نسبًا وأعظمهم شرفًا وأكثرهم مالاً، وكل قومها كان حريصًا علىٰ أن يتزوجها لو قدر علىٰ ذلك وقد طلبوها، وبذلوا لها الأموال فأرسلتني إلىٰ محمد بعد أن رجع من رحلته التجارية إلىٰ الشام

فقلت: يا محمد ما يمنعك أن تتزوج؟

فقال: ما بيدي ما أتزوج به، قلت: فإن كفيتك ذلك ودعيت إلىٰ المال والجمال والشرف والكفاءة ألا تجيب؟ فقال: فمن هي؟ قلت: خديجة، قال: وكيف لي بذلك؟ قلت: عليّ، فقال: افعلي، فأرسلت إليه وقالت لرسول الله ﷺ: يا ابن عمي إني قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك في قومك، وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك فذكر ذلك لأعمامه فوافقوا علىٰ أن يتزوجها وأرسلت إلىٰ عمها عمرو بن أسد وأخبرته الخبر لأن أباها كان ميتًا . انظر كتاب عظمة الرسول ص (٦٦، ٦٧) .

فإني أسعى في تزويجها منك وأزوجها

ولكن فيها عيب واحد من عندها، هو أنه كانت لها زوج من قبلك

فإن قبلت بهذا فهي خادمتك وجاريتك

فقام رسول الله ﷺ ولم يجب بشيء وأتى بيت عمه وجلس مغمومًا حزينًا

فسأله عمه وعمته فقال: إن خديجة قد سخرت مني وقالت: كيت وكيت

وقامت عاتكة وقالت: إن كان ما قالت حقا وإلا أنازع منها

فأتت إليها وقالت: يا خديجة إن كان لك مال ونسب فلنا حسب ونسب، فلماذا سخرت من ابن أخي محمد ﷺ ؟

فقالت خديجة واعتذرت وقالت: من يطيق أن يسخر من أنسابكم؟ ولكني عرضت نفسي علىٰ محمد ﷺ فإن قبل فزوجت نفسي منه، وإن لم يقبل فلا أتزوج أحدًا إلىٰ أن أموت

فقالت عاتكة هل عرف هذا القول عمك ورقة بن نوفل[١]

فقالت: لا ولكن قولي لأخيك أبي طالب بأن يتخذ ضيافة ويدعو عمي ويسقيه من الأشربة ويخطبني منه

فرجعت عاتكة وأخبرت أخاها بقول خديجة

فاتخذ ضيافة ودعا ورقة بن نوفل وأشراف العرب وخطب فقال: قبلت إلا أني أشاور خديجة

(١) ما وجدناه عمرو بن أسد وليس ورقة بن نوفل بل ما وجدناه أن ورقة بن نوفل بن أسد تكلم بعد خطبة عم النبي أبو طالب فقال ورقة: الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت وفضلنا علىٰ ما عددت، فنحن سادة العرب وقادتها، وأنتم أهل ذلك كله، لا تنكر العشيرة فضلكم، ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم، وقد رغبنا في الاتصال بحبلكم وشرفكم فاشهدوا علي - معاشر قريش - أني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله، وذكر المهر

فقال أبو طالب: قد أحببت أن يشترك عمها معك فقال عمها عمرو بن أسد: اشهدوا يا معاشر قريش أني قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد، وشهد علىٰ ذلك صناديد قريش .

وهذا يدل علىٰ أن أباها لم يحضر لأنه مات قبل ذلك بمدة .

كتاب عظمة الرسول ص(٦٨) .

وذهب إليها وشاورها فقالت خديجة: يا عمي كيف أرد خطبة محمد ﷺ وله أمانة وصيانة وحسب

فقال ورقة: نعم إلا أنه ليس له مال

فقالت: إن لم يكن له مال فلي مال بلا حد ولا عد فلا حاجة إلىٰ المال ومرادي منه الوصال

فقد وكلتك يا عمي بتزويجي إياه

فرجع ورقة إلىٰ دار أبي طالب وعقد النكاح(١)

وخطب بنفسه خطبة، فدعا رسول الله ﷺ أبا بكر وقال: يا صديقي أبا بكر هل لك أن تذهب معي إلىٰ دار خديجة

فقال أبو بكر: حُبًا وكرامة

ثم أتى أبو بكر بدراعة مصرية وعمامة فألبسهما رسول الله ﷺ، وذهبا إلىٰ دار خديجة(٢)

---

(١) حضر أبو طالب ومعه بنو هاشم ورؤساء سائر مضر فخطب أبو طالب فقال: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضي معد ـ يقصد معدن وأصل ـ وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه، وجعل لنا بيتا محجوجًا وحرمًا آمنًا، وجعلنا الحكام علىٰ الناس ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل إلا رجح به، فإن كان في المال قل فإن المال ظل زائل، وأمر حائل ومحمد من قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها ما آجله وعاجله من مالي، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل المحب الطبري في السمط الثمين (ص١٧) .

(٢) والسيدة خديجة أول زوجة تزوجها رسول الله ﷺ، لم يتزوج قبلها ولا عليها حتى ماتت، وكان زواجهما سعيدًا موفقًا، كله وفاء وتقدير وإخلاص، وقد أقامت معه أربعًا وعشرين سنة وولدت أولاده جميعًا

وقد شجعته عندما نزل عليه الوحي لأول مرة، ووقفت بجانبه تطمئنه وتقول له: «**والله لا يخزيك الله أبدًا؛ إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل، وتقري الضيف وتعين علىٰ نوائب الحق**»

وكانت خديجة خير مثل للزوج الأمينة البارة الوفية وخير مثل للشريكة المحبة المخلصة المتعاونة رأت ما لحق الرسول من إيذاء وما لحق أصحابه من تعذيب فكانت خير معينة للمصطفى في أداء رسالته ونجاح دعوته إلىٰ الحق ودين الحق، وكان ﷺ يذكر خديجة بكل خير طول حياته حتى كانت عائشة تغار وسنذكر ذلك قريبًا .

فكانت خديجة أقامت مائة غلام علىٰ يمين فناء الدار، بيد كل واحد منهم طبق مملوء من دُر وياقوت وزبرجد

فلما حضر رسول الله ﷺ نثر الغلمان والجواري كلها علىٰ رسول الله ﷺ

فدخل رسول الله ﷺ دارها وقدمت الموائد عليها ألوان الأطعمة

فأكلا ثم رجع أبو بكر

فقامت خديجة وقالت: يا محمد إن جميع مالي من الصامت والناطق، والضياع والعقار والديار والإماء والعبيد، الطارف والتليد(١) كلها لك(٢)

وذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ **[الضّحى: ٨]**

يعني بمال خديجة

ويقال: إن خديجة عاشت مع رسول الله ﷺ أربعة وعشرين سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام

خمس عشرة سنة قبل الوحي، والباقي بعده، وكان رسول الله ﷺ يوم تزوجها ابن خمس وعشرون سنة(٣)

فولد له من خديجة سبعة أولاد(٤) ، ثلاث ذكور: قاسم، وطاهر ومطهر، كلهم قد ماتوا في الصغر

---

(١) تقصد المال الذي يكون من قبل

(٢) روت عائشة في حديث لها: ذكر رسول الله ﷺ خديجة يومًا من الأيام فأخذتني الغيرة فقلت له ﷺ: هل كانت إلا عجوزًا قد أبدلك الله خيرًا منها؟

فغضب رسول الله ﷺ وقال: «**لا والله ما أبدلني خيرًا منها، آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني في مالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء**» .

(٣) قال النويري في نهاية الأرب (١٦/ ٢٧٩): كانت وفاة خديجة رضي الله عنها بعد وفاة أبي طالب، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين علىٰ ما صححه الشيخ شرف الدين الدمياطي رحمه الله في مختصر السيرة النبوية، قال: وبقيت عند رسول الله ﷺ قبل الوحي خمس عشرة سنة، وبعده تسع سنين وثمانية أشهر، وهي أول من أسلم من النساء بلا خلاف، ولعلها أول من أسلم من الناس

(٤) اختلفت الروايات في عدد أبنائه ﷺ فذهب ابن فارس إلىٰ أنهم ستة فقال: فأما ولده منها فستة: القاسم وبه كان يكنى والطاهر، ويقال إن اسمه عبد الله، وفاطمة وهي أكبر ولده، =

وأربع إناث فاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم فزوج فاطمة من علي، وزينب من أبي العاص بن الربيع

وأم كلثوم من عثمان بن عفان، فماتت هي ثم تزوج رقية

(وكان للنبي ﷺ تسع زوجات: سودة[١] وخديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى، وعائشة بنت أبي بكر الصديق وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وزينب بنت خزيمة، وميمونة بنت سعد[٢] وصفية بنت حُيي بن أخطب[٣]، وأم سلمة هند بنت أمية، وحفصة بنت عمر بن الخطاب)[٤]

(وفرضت الصلاة علىٰ محمد ﷺ سنة اثنا عشر من البعث، والصوم في السنة الثانية

= وزينب ورقية، وأم كلثوم

انظر أوجز السير لخير البشر (ص١٧، ١٨، ١٩)

وكذلك قال ابن الكلبي في جمهرة النسب (ص١٢٥) وابن سعد عن الواقدي في الطبقات (٨/ ١٦) أما ابن إسحاق فقال: ولدت خديجة لرسول الله ﷺ ولده كلهم إلا إبراهيم: القاسم وبه كان ﷺ يكنى به، والطاهر والطيب وزينب ورقية، وأم كلثوم وفاطمة.

انظر السيرة لابن هشام (١/ ٩٠).

(١) سودة بنت زمعة بنت قيس بن عبد شمس القرشية العامرية، وهي أول من تزوج بها النبي ﷺ بعد وفاة خديجة وهاجر بها إلىٰ المدينة، وانفردت به نحوًا من ثلاث سنين أو أكثر حتى دخل بعائشة، ولما أسنت وفركت وهبت يومها لعائشة رعاية لقلب رسول الله ﷺ، وماتت السيدة سودة بالمدينة في آخر خلافة عمر في شوال سنة أربع وخمسين رضي الله عنها

ترجمتها: الطبقات الكبرى (٨/ ٥٢)، الاستيعاب (٤/ ١٨٦٧)، والسمط الثمين (ص١١٧، ١٢٢)، سير الأعلام (٢/ ٢٦٥)، الإصابة (٧/ ٧٢٠)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٢٦).

(٢) كذا بالأصل وما وجدناه ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية

(٣) صفية بنت حيي بن أخطب بن سعية من سبط لاوي بن يعقوب، ثم من ذرية هارون عليه السلام، وأمها برة بنت سموءل، كانت في السبي يوم خيبر، ووقعت في سهم دحية الكلبي، ثم أخذها النبي ﷺ من دحية وعوضه عنها سبعة أرؤس، ولما طهرت تزوجها وجعل عتقها صداقها، وذلك سنة سبع من الهجرة. وتوفيت سنة خمسين وقبل سنة اثنتين وخمسين في خلافة معاوية.

ترجمتها: تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٢٩)، الإصابة (٧/ ٧٣٨) الطبقات الكبرى (٨/ ١٢٠)، السمط الثمين (ص١٣٧) سير الأعلام (٢/ ٢٣١).

(٤) وجدناه بالهامش

من الهجرة، وفيها فرضت صدقة الفطر وأمره بإخراجها من السنة الرابعة من الهجرة.
وفرضت الزكاة علىٰ المؤمنين في السنة التاسعة من الهجرة (الإحياء)

باب دلالات بعثه ﷺ

وسبب أنه ﷺ عَبَدَ الله تعالىٰ عبادة كثيرة وجاهد في طاعته أربعين سنة حتى اتفق الناس علىٰ حُسن خلقه حتى قالوا إنه محمد الأمين[١]

فلما طال تهجده غلب شوق الله علىٰ قلبه حتى اشتغل بحبه عن سائر أحبائه، فصار دائم الأحزان طويل التفكر

وقيل: إذا لعب الرجل بكل شيء رأيت الحب يلعب بالرجال، حتى اطلع علىٰ حال جميع الناس

فقال عمه حمزة لأخته عاتكة ما داهم محمدنا؟

فإني أره مصفر الوجه دائم التفكر غير مستأنس بالناس

فدعوا رسول الله ﷺ وقالوا: له إن كان في قلبك هم أو داء في نفسك فأخبرنا عنه حتى نكفيك فلم يجبهم بشيء[٢]

---

(١) كانت قريش تسمي رسول الله ﷺ قبل الوحي الأمين، وكانوا يتحاكمون إليه في الجاهلية لأنه عرف بالدفاع عن الحق والتمسك بالحق، وقد اختاروه ليحكم بينهم في رفع الحجر الأسود إلىٰ موضعه عند بناء الكعبة وتنازعت القبائل الأربعة علىٰ وضعه واستمر نزاعهم خمس ليال واستعدوا للقتال ثم اجتمعوا في المسجد الحرام وتشاوروا فيما بينهم وقال أمية بن مغيرة المخزومي: يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم، فكان أول من دخل رسول الله ﷺ، فحكم بينهم أن يجعلوا الحجر الأسود في ثوب ثم يرفعه رجل من كل قبيلة من القبائل الأربع، وبسط رداءه، ثم وضع الحجر وسطه وقال: لتأخذ كل قبيلة بطرف الرداء فرفعوه جميعًا، وساروا حتى بلغوا به موضعه فأخذه رسول الله ووضعه في موضعه بيده الشريفة، وانتهى النزاع بينهم بفضل محمد اليتيم الصادق الأمين

(٢) لما أتت له أربعون سنة ويوم بعثه الله ﷻ إلىٰ الناس كافة، بشيرًا ونذيرًا، فصدع بأمر الله وبلغ الرسالة، ونصح الأمة فشنف القوم له حتى حاصروه وأهل بيته في الشعب، وكان الحصار ولرسوله ﷺ تسع وأربعون سنة وذلك عند خروجه منه

فقالوا إنه صديق لأبي بكر يسأله عن حاله فقال يا أبا بكر القلب في قلق والنفس في حرق والعين في غرق[١]

فلا أدري لماذا سُلب مني القرار، وغلب علىٰ وجهي الاصفرار

ثم أسال الماء واغتسل واتزر بمئزر، وارتدى برداء، وتوجه نحو جبل حراء فصعد الجبل ووضع وجهه علىٰ التراب وبكى بكاء شديدًا وتضرع إلىٰ الله ﷻ حتى صاحت الملائكة[٢]

قلت: ونجيت يونس من ظلمات ثلاث

قال: كذلك أنجي أمتك من ظلمة القبر والقيامة والصراط

قلت: لخضر عين الحياة؟

قال: لك السلسبيل

قلت: لموسى التوراة

قال: لك آية الكرسي

قلت: لعيسى الإنجيل

قال: لك سورة الإخلاص

قال: يا محمد أكرمتك بسورة ليست في الكتب لا في التوراة ولا في الإنجيل، وهي فاتحة الكتاب

من قرأها حرمت جسده علىٰ النار، واخفف العذاب عن أبويه وإن كانا مشركين.

---

(١) بشرت الكتب السابقة بمبعث رسول الله ﷺ، قال في التوراة في السفر الخامس: أقبل الله من سينا، وتجلى من ساعير، وظهر من جبال فاران ومعه ربوات الأطهار عن يمينه، وهذه متضمنة للنبوات الثلاث، نبوة موسى ونبوة عيسى، ونبوة محمد ﷺ فمجيئه من سينا وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى ونبأه عليه إخبار عن نبوته

وتجليه من ساعير هو مظهر المسيح من بيت المقدس وساعير قرية معروفة هنا إلىٰ اليوم وهذه بشارة بنبوة المسيح، وفاران هي مكة التي ظهر فيها محمد بن عبد الله.

(٢) وجد قطع في الكلام هنا وأظنه سقط في ورقة بالمخطوط

يا محمد ما خلقت أكرم عليّ من أمتك، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾﴾ (١)

باب نكاح رسول الله ﷺ عائشة رضي الله عنها

روي أن خديجة لما توفيت اغتم رسول الله ﷺ

فجاء جبريل عليه السلام بورق من أوراق الجنة منقوشة عليها صورة عائشة(٢) وقال: يا محمد الجبار يقرئك السلام ويقول إني زوجت لك البكر التي تشبه هذه الصورة في السماء فتزوجها أنت في الأرض

ثم دعا رسول الله ﷺ الدلالة وعرض عليها هذه الصورة وقال لها: هل تعرفين بكرًا تشبه هذه الصورة(٣)

---

(١) سورة الضحى (٥)

أي في الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيه في أمته وفيما أعدَّه له من الكرامة، ومن جملته نهر الكوثر الذي حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، وطينه مسك أذفر .

وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي بسنده عن ابن عباس قال: عرض علىٰ رسول ﷺ ما هو مفتوح علىٰ أمته من بعده كنزاً كنزاً فسر بذلك فأنزل الله ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾﴾ [**الضحى**: ٥] فأعطاه في الجنة ألف ألف قصر، في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم. رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من طريقه وهذا إسناد صحيح إلىٰ ابن عباس .

تفسير ابن كثير (٤/ ٥٢٣) .

(٢) روى البخاري في صحيحه (٣٨٩٥) كتاب مناقب الأنصار ٤٤ ـ باب تزويج النبي ﷺ عائشة وقدومها المدينة وبنائه بها، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: أريتك في المنام مرتين: آرى أنك في سرقة من حرير ويقول: هذه امرأتك، فاكشف، فإذا هي أنت، فأقول: إن يك هذا من عند الله يمضه» وكذا رواه مسلم في صحيحه [٧٩ ـ (٢٤٣٨)] كتاب فضائل الصحابه، ١٣ ـ باب في فضل عائشة رضي الله عنها

(٣) جاء فيما تقدم أنه رآها في المنام وليس كما ذكر المصنف، وقال النووي: قال القاضي: إن كانت هذه الرؤيا قبل النبوة وقيل تخليص أحلامه ﷺ من الأضغاث فمعناها إن كانت رؤيا حق إن كانت بعد النبوة فلها ثلاثة معان: **أحدها**: أن المراد إن تكن الرؤيا علىٰ وجهها وظاهرها لا تحتاج إلىٰ تعبير وتفسير فسيمضيه الله تعالىٰ وينجزه، فالشك عائد إلىٰ أنها رؤيا علىٰ ظاهرها أم تحتاج إلىٰ تعبير وصرف علىٰ ظاهرها

=

فقالت: نعم إن هذه الصورة بنت صديقك أبي بكر

فدعا رسول الله ﷺ أبا بكر فقال له: يا أبا بكر ألك بنت تسمى عائشة؟

زوجنيها الله في سمائه(١) وأمرك بأن تزوجنيها في الأرض

فقال: يا رسول الله إنها صغيرة، فلا أدري هل تصلح لخدمتك

فقال: لو لم تكن صالحة لخدمتي لما زوجنيها الله تعالىٰ ثم عقد النكاح ورجع أبو بكر إلىٰ منزله وملأ طبقًا من التمر وقال لعائشة اذهبي بهذا التمر إلىٰ رسول الله ﷺ وقولي له: «**إن والدي يقول الشيء الذي سأل رسول الله ﷺ هذا**».

فلا أدري أتصلح له هذه أم لا؟

فأتت إلىٰ حجرة رسول الله ﷺ ووجدته وحيدًا، ووضعت الطبق بين يديه وأدت رسالة أبيها

= **الثاني**: أن المراد إن كانت هذه الزوجة في الدنيا يمضها الله، فالشك أنها زوجته في الدنيا أم في الجنة .

الثالث: أنه لم يشك ولكن أخبر علىٰ التحقيق وأتى بصورة الشك كما قال: أأنت أم أم سالم، وهو نوع من البديع عند أهل البلاغة يسمونه تجاهل العارف، وسماه بعضهم مزج الشك باليقين . النووي في شرح مسلم (١٥/ ١٦٤) طبعة دار الكتب العلمية .

(١) روى أحمد في مسنده (٦/ ٢١٠) بسنده عن عائشة واللفظ له، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ١٥٦)، وفي دلائل النبوة (٢/ ١٥٦) عن عائشة: لمّا ماتت خديجة رضي الله عنها جاءت خولة بنت حكيم إلىٰ رسول الله ﷺ فقالت: ألا تزوّج؟ قال: ومن؟ قالت: إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً قال: من البكر ومن الثّيب، فقالت: أما البكر فعائشة بنت أحبّ خلق الله إليك، وأمّا الثّيب فسودة بنت زمعة، قد آمنت بك واتّبعتك، قال: اذكريهما علي، قالت: فأتيت أمّ رومان فقلت: يا أمّ رومان ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة، قالت: ماذا ؟ قالت: رسول الله ﷺ يذكر عائشة قالت: انتظري فإنّ أبا بكر آت، فجاء أبو بكر فذكرت ذلك له، فقال: أوتصلح له وهي ابنة أخيه؟ فقال رسول الله ﷺ أنا أخوه وهو أخي وابنته تصلح لي . قالت: وقام أبو بكر، فقالت لي أمّ رومان: إنّ المطعم ين عديّ قد كان ذكرها علىٰ ابنه، ووالله ما أخلف وعداً قطّ، تعني أبا بكر، قالت: فأتى أبو بكر المطعم فقال ما تقول في أمر هذه الجارية ؟ قال: فأقبل علىٰ امرأته فقال لها: ما تقولين؟ فأقبلت علىٰ أبي بكر فقالت: لعلّنا إن أنكحنا هذا الفتى إليك تصبئه وتدخله في دينك، فاقبل عليه أبو بكر فقال: ما تقول أنت ؟ فقال: إنّها لتقول ما تسمع فقام أبو بكر وليس في نفسه من الموعد شيء فقال لها: قولي لرسول الله فليأت، فجاء رسول الله ﷺ فملكها... الحديث وفي أمر سوده بنت زمعه أيضاً .

فقال رسول الله ﷺ: «**قبلنا ثم قبلنا**» ومد يده وأخذ بطرف ردائها وثوبها إليه(١)

فنظرت إليه مغضبة وقالت: تدعوك الناس باسم الأمانة وهذا من علامة الخيانة وشدت ثوبها من يده وخرجت(٢)، فأتت بيت أبيها فقال أبو بكر: يا عائشة كيف رأيت رسول الله ﷺ

فقالت: يا أبت لا تسألني فإنه أخذ ثوبي وشدني(٣)

فقال: يا قرة عيني لا تظني ظن السوء فإني زوجتك منه، فخجلت ونكست رأسها وكانت تفتخر علىٰ أزواج النبي ﷺ بثلاثة أشياء وتقول: تزوجني رسول الله ﷺ وإني بكر

والثاني: أن الله تعالىٰ زوجنيه في السماء

والثالث: أن الله أنزل في حقي آيات ومن فيها من بهتني(٤)

---

(١) روى البخاري في صحيحه (٣٨٩٦) كتاب مناقب الأنصار، ٤٤ ـ باب تزويج النبي ﷺ عائشة وقدومها المدينة وبنائه بها، عن عائشة رضي الله عنها قالت: تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن خزرج، فوعكت فتمرق شعري فوفى جميمة فأتتني أمي أم رومان وإني لفي أرجوحة ومعي صواحب لي ـ فصرخت بي فأتيتها لا أدري ما تريد بي، فأخذت بيدي حتى أوقفتني علىٰ باب الدار وإني لأنهج حتى سكن بعض نفسي ثم أخذت شيئا من ماء فمسحت به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار، فإذا نسوة من الأنصار في البيت فقلن: علىٰ الخير والبركة وعلىٰ خير طائر فأسلمتني إليهن، فأصلحن من شأني، فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ ضحى، فأسلمتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين»

(٢) هذ كلام غريب عجيب لم أقف عليه

(٣) فيما روى البخاري في صحيحه «**تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين**». . . الحديث وقد تقدم بلفظه قبل هذا

(٤) تقصد حادث الإفك وما نزل في حقها من الآيات في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾ [١١ ـ ١٣]

باب الهجرة للنبي ﷺ

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠]

وقصته أن في مكة دار يقال لها دار الندوة[١] إذا أرادوا تدبير أمر يجتمعون

فلما أردوا أن يمكروا بالنبي ﷺ اجتمع فيه خمسة من المشركين: عتبة وشيبة وأبو جهل وأخوه وأبو البختري وعاص بن وائل، ودخل فيما بينهم إبليس عليه اللعنة علىٰ صورة شيخ في يده عصا

فقال أبو جهل: إنا قد اجتمعنا في تدبير أمر خفي فارجع أنت

فقال إبليس عليه اللعنة: إني شيخ من أرض نجد رأيت الدهور وبلوت الأمور، وأعلم مصالح التدبير وموافقة التأويل والتفسير فأدخلوني في دار الندوة لعلي أنبئكم بتأويله وأميز صحيح القول عن عليله

فأدخلوه وتشاوروا، فبدأ عتبة عليه اللعنة وقال: إن الموت حق فاصبروا حتى يقضي الله علىٰ محمد فننجوا من شره[٢]

---

(١) اجتمعوا له في دار النّدوة ليقتلوه، فلمّا دخلوا الدّار اعترضهم الشيطان في صورة رجل جميل في بتّ له فقال: أأدخل؟ قالوا: من أنت؟ قال: أنا رجل من أهل نجد، سمع بالذي اجتمعتم له فأراد أن يحضره معكم فعسى أن لا يعدمكم منه نصح ورأي، قالوا: أجل فادخل.

فقال قائل: أرى أن تحبسوه، فقال النّجديّ: ما هذا برأي، والله لئن فعلتم ليخرجنّ رأيه وحديثه إلىٰ من وراءه من أصحابه، فأوشك أن ينتزعوه من أيديكم، ثمّ يغلبوكم علىٰ ما في أيديكم من أمركم، فقال قائل: بل نخرجه فننفيه، قال النجديّ: ما هذا برأي، أما رأيتم حلاوة منطقه وحسن حديثه، ولئن فعلتم ذلك ليدخلن علىٰ قبيلة من قبائل العرب فأصفقت معه علىٰ رأيه، ثم سار بهم إليكم حتى يطأكم بهم، فقال أبو جهل: والله إنّ لي فيه رأياً، ما أراكم وقعتم عليه قالوا: وما هو؟ قال أرى أن تأخذوا من كلّ قبيلة غلاماً جلداً نهداً نسيباً وسيطاً ثم تعطوه شفاراً صارمةً فيضربوه ضربة رجل واحد فإذا قتلتموه تفرّق دمه في القبائل فلم تدر عبد مناف بعد ذلك ما تصنع، قال: النّجديّ: لله درّ هذا الفتى، هذا الرأي وإلاّ فلا شيء فتفرّقوا علىٰ ذلك واجتمعوا له.
تاريخ الإسلام في السيرة العطرة (١/ ١٤٢).

(٢) انتهز المشركون الفرصة في موت عمه أبي طالب وقالوا: ذهب من كان ينصره ويحميه فبالغوا في أذيته وإيذاء أصحابه حتى جعلوه مضطرًا إلىٰ أن يطلب النصرة والمعونة من قبائل العرب، وقد وجد طلبته التي كان ينشدها ويبغيها فيمن اجتمع بهم من الأوس والخزرج في مواسم الحج، ومهد معهم الطريق إلىٰ أن يبايعوه علىٰ مناصرته وحمايته هو ومن تبعه إذا هاجر إلىٰ =

فقال إبليس عليه اللعنة: أف لك أين أنت عن التدبير لا تصلح لرعي المواشي .

فلو صبرتم حتى يموت محمد فيظهر دينه بمشارق الأرض ومغاربها حتى يجتمع عنده عسكر عظيم فيحاربوا حتى يملك جميعكم

فقالوا: صدق الشيخ النجدي

ثم قال شيبة: إني أرى أن نحبس محمد في بيت مظلم فتغلق أبوابه حتى يموت فيه جائعا عطشانًا

فقال إبليس عليه اللعنة: وهذا أيضًا ليس بصواب، فإن بني هاشم يجتمعون ويأخذونه من أيديكم ويخلون سبيله ويقع بينكم وبين أقربائه عداوة عظيمة(١)

= بلدهم يثرب، وظنت قريش أن ليس للرسول أحد يعينه ويحرسه، فتآمرت علىٰ التخلص منه، فقد اجتمع مائة رجل في دار الندوة يتشاورون فيما يصنعون في أمر رسول الله

فقال أبو البختري: احبسوه في الحديد، واغلقوا عليه بابا فقال آخر: ليس هذا برأي، والله إن حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب إلىٰ أصحابه .

وقال ثالث: نخرجه من بيننا وننفيه من بلادنا ولا نبالي أين ذهب، وقال رابع: ليس هذا برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته علىٰ قلوب الرجال بما يأتي به؟ أديروا فيه رأيا غير هذا . فقام أبو جهل وقال: والله إن لي فيه لرأيا قالوا: وما هو؟

قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى جلدًا نسيبًا وسيطًا ثم نعطي كل فتى منهم سيفًا صارمًا ثم يعمدوا إليه فيضروبه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه .

انظر عظمة الرسول (ص١٥٦) .

(١) في نصرة الأنصار للنبي ﷺ ومقابلته لهم قال أبو نعيم: ثنا زكريا، عن الشعبي قال: انطلق النبي ﷺ معه عمه العباس إلىٰ السبعين من الأنصار عند العقبة تحت الشجرة، قال: ليتكلم متكلمكم ولا يطيل الخطبة فإن عليكم من المشركين عينا

فقال سعد: سل يا محمد لربك ما شئت، ثم سل لنفسك ثم أخبرنا ما لنا علىٰ الله، قال: أسألكم لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا وأسألكم لنفسي ولأصحابي أن تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا مما منعتم منه أنفسكم، قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك، قال: لكم الجنة، قالوا: فلك ذلك .

ورواه أحمد بسنده عن الشعبي عن أبي مسعود الأنصاري بنحوه، وقال ابن بكير عن ابن إسحاق بسنده أن العباس بن عبادة بن نضلة أخا بني سالم قال: يا معشر الخزرج هل تدرون علىٰ ما تبايعون رسول الله؟ إنكم تبايعونه علىٰ حرب الأحمر والأسود، فإن كنتم ترون أنها إذا أنهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا تركتموه وأسلمتموه فمن الآن، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم مستعلنون به وافون له فهو والله خير الدنيا والآخرة .

قال عاصم: فوالله ما قال العباس هذه المقالة إلا ليشد لرسول الله ﷺ بها العقد .

تاريخ الإسلام في السيرة العطرة (١/ ١٣٥) .

فقالوا: صدق الشيخ النجدي

وقال عاص بن وائل: شدوا محمدًا علىٰ بعير فنسوقه في البادية يهلك فيها

فقال إبليس عليه اللعنة: هذا أيضًا ليس بصواب لأن محمدًا قويم القامة صبيح الصورة فصيح اللسان، مليح البيان، وربما يلقاه أحد ويهديه إلىٰ البلاد فيصدقه كل من يسمع كلامه ويجتمع عنده جمع عظيم فيرجع إليكم ويحاربكم

فصاحوا جميعاً صدق الشيخ النجدي

فقال أبو جهل عليه اللعنة: إني أرى أن نخرج من كل قبيلة شابًا فيهجم علىٰ محمد جميعاً في ليلة معهم أسلحة حتى لا يعلم قاتله بعينه فإذا طلب أقاربه الدية من القبائل نعطهم وننجوا من شره[١]

فقال: أصبت وأحسنت فرأيك أصوب الرأي وتدبيرك أحسن التدبير

واتفقوا علىٰ قتل رسول الله ﷺ وتفرقوا من دار الندوة

فنزل جبريل عليه السلام وجاء بهذه الآية: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[٢] الآية

ثم قال جبريل عليه السلام: يا محمد إن الله تعالىٰ يقول: اخرج من مكة إلىٰ المدينة، فإن لي فيها سر[٣]

فلما أمسى رسول الله ﷺ شاور مع أصحابه فقال: أيكم يرافق معي ويوافقني فقد أمرني الله تعالىٰ بالخروج إلىٰ المدينة؟

---

(١) لما جاءت الليلة المتفق عليها بين الكفار وتربصوا بباب الرسول ﷺ حتى ينام فيقتلوه وعلم رسول الله بالمؤامرة علىٰ قتله إذ جاءه جبريل فقال له: لا تبت علىٰ فراشك هذه الليلة فأمر الرسول عليًا فنام مكانه وتغطى بغطائه الأخضر ليخفي الأمر علىٰ المتآمرين من قريش فكان علي بن أبي طالب أول من شرى نفسه في الله، ووقى بنفسه رسول الله ﷺ

(٢) روى البخاري في صحيحه (٣/ ١٢٨) عن عائشة قال النبي ﷺ للمسلمين بمكة قد أريت دار هجرتكم أريت سبخة ذات نخل بين لابتين، وهما الحرتان، فهاجر من هاجر قبل المدينة عند ذلك، ورجع إلىٰ المدينة بعض من كان هاجر إلىٰ أرض الحبشة من المسلمين، وتجهز أبو بكر مهاجرًا فقال له رسول الله ﷺ: علىٰ رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي، فقال أبو بكر: وترجوا ذلك بأبي أنت وأمي؟ قال: نعم، فحبس أبو بكر نفسه علىٰ رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين عنده ورق السمر أربعة أشهر

(٣) سورة الأنفال (٣٠) ونزلت في المدينة عام (٨ هـ) في غزوة تبوك يذكر بها الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ وبأن الله معه ناصره كما نصره من قبل في أمر الهجرة

فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنا يا رسول الله ثم نظر إلىٰ أصحابه فقال: أيكم يبيت علىٰ فراشي فأنا أضمن له الجنة؟

فقال علي رضي الله عنه أنا أبيت يا رسول الله[١]

فأجعل نفسي فداءك لأني أخوك، ووالد سبطيك وزوج قرة عينيك[٢]

عن جابر بن عبد الله وكان علي رضي الله عنه ينشد ورسول الله يسمع وهو يقول:

إني أخ المصطفى لا شك في نسبي (مور)[٣] بيت وسبطاهما ولدي
وقد وجد رسول الله منفرد وفاطمة زوجتي لا أقول ذي فند
صدقته وجميع الناس في ظلم من الضلالة والإشراك والنكد
والحمد لله شكرًا لا شريك له البر بالعبد والباقي بلا أمد

قال فتبسم رسول الله ﷺ وقال: صدقت يا علي[٤]

---

(١) كان علي بن أبي طالب أول من شرى نفسه من الله ووقى بنفسه رسول الله ﷺ ثم خرج اليهم رسول الله ﷺوقد غلبهم النوم فناموا ولم يره أحد منهم، وجعل ينثر التراب علىٰ رءوسهم ثم انصرف إلىٰ حيث أراد أن يذهب وهو يقرأ قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ [يس: ٩]

وبعد مدة أتاهم آت وقال لهم: ماذا تنتظرون ههنا؟

قالو: ننتظر محمداً.

قال: لقد خيبكم والله، خرج محمد عليكم، ولم يترك منكم رجلاً حتى وضع علىٰ رأسه تراباً، وانطلق لحاجته، فوضع كلّ رجل منهم يده علىٰ رأسه، فإذا عليه تراب، ثم أخذوا ينظرون علياً وهو علىٰ الفراش فيحلفون أنه رسول الله حتى أصبحوا، فقام علي رضي الله عنه من الفراش، فلما رأوه جاء وفقالوا له: أين ابن عمك؟.

قال علي: قلتم له أخرج عنا فخرج عنكم، فساروا وطلبوا الأثر فلم يجدوه.

انظر عظمة الرسول (ص ـ ١٥٧).

(٢) هذا كلام سابق لأن عليًا تزوج فاطمة بعد غزوة بدر وكيف علم بإنجابه الحسن الحسين

(٣) كذا بالأصل

(٤) خرج النبي ﷺ مهاجراً إلىٰ المدينة هو وأبو بكر، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، ودليلهم عبد الله بن أريقط الديلي الليثي، وقد ذكره في الصحيح في حديث الهجرة وأنه كان علىٰ دين قومه ولهذا لا يعد في الصحابة، وترجمه ابن حجر فقال: لم أر من ذكره في الصحابة إلا الذهبي في التجريد، وقد جزم عبد الغني المقدسي في السيرة له بأنه لم يعرف له إسلاما، وتبعه النووي في تهذيب الأسماء

ترجمته: تجريد أسماء الصحابة (١/ ٢٦٩)، الإصابة (٤/ ٥).

فجاء علي رضي الله عنه وبات علىٰ فراشه وجاء الكفار يحرسون حول دار رسول الله ﷺ يترقبون خروجه(١)

وكان إبليس عليه اللعنة معهم

فسلط الله عليهم النوم حتى ناموا جميعاً ونام إبليس عليه اللعنة

ويقال إن إبليس عليه اللعنة لم ينم قط إلا تلك الليلة، ولا ينام بعده أبدًا

فخرج رسول الله ﷺ مع أبي بكر ورآهم نائمين ومعهم السيوف والأسلحة، فأخذ التراب وحثا علىٰ رءوسهم وذهب وقرأ سورة يس حين قصد المرور من عندهم فلم يره أحد من بركة قراءة يس

فلما ذهب رسول الله ﷺ استيقظ إبليس عليه اللعنة والعذاب، وأيقظهم وقال: إن محمدًا قد ذهب

ألا ترون أنه حثا التراب علىٰ رءوسكم؟

فقاموا وطلبوا الرسول علىٰ فراشه فرأوا عليًّا(٢) فقالوا: أين محمد؟

---

(١) روى الإمام أحمد في مسنده (١/ ٨٠) عن علي كرم الله وجهه يروي قصة زواجه فقال: «**خُطِبت فاطمة إلىٰ رسول الله ﷺ فقالت لي مولاة لي: علمت أن فاطمة خطبت إلىٰ رسول الله ﷺ؟ قلت: لا، قالت: فما يمنعك أن تأتيه فيزوجك؟ فقلت: وعندي شيء أتزوج به ؟ قالت: إن جئته زوجك، قال: فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت علىٰ رسول الله ﷺ وكان لرسول الله ﷺ جلالة وهيبة، فأفحمت، فوالله ما استطعت أن أتكلم فقال: ما جاء بك، ألك حاجة ؟**

فسكت، ثم قال: لعلك جئت تخطب فاطمة؟

قلت: نعم، قال: وهل عندك من شيء تستحلها به ؟

فقلت: لا والله، فقال: ما فعلت درع سلحتكها ؟ فوالذي نفس علي بيده إنها لحطمية ما ثمنها أربعة دراهم، فقلت: عندي .

قال: قد زوجتكها، فابعث إلي بها، فإن كانت لصداق فاطمة رضي الله عنها» .

(٢) قال ابن إسحاق: وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فقال: فيما بلغنا - تآخوا في الله أخوين أخوين، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: هذا أخي فكان رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أخوين، وكان حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة أخوين، وجعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل أخوين، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه وخارجة بن زيد، أخوين وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين، وأبو عبيدة بن عبد الله بن الجراح وسعد ابن معاذ أخوين وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين» =

فقال: إن الرب الأعلى ذهب بنبيه المصطفى ما شاء من القربة والزلفى، فإنه يعلم السر وأخفى، والله لا إله إلا هو ، فلا يضل ولا ينسى ، فلا تطلبوه في الأرضين فلعله في أعلى عليين

وروي عن النبي ﷺ: «**أوحى الله تعالىٰ إلىٰ جبرائيل وميكائيل أني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة**»

فاختار كلاهما الحياة

فأوحى الله تعالىٰ إليهما: هلاً كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمد ﷺ فنام علىٰ فراشه يفديه نفسه ويؤثره بالحياة(١)

اهبطا إلىٰ الأرض واحفظاه من عدوه، فنزلا فكان جبرائيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبرائيل ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب

وأنزل الله علىٰ رسوله وهو متوجه إلىٰ المدينة آية في شأن عليّ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [**البَقَرَة: ٢٠٧**] إلىٰ آخره ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾(٢)

=

ثم ساق ابن إسحاق سائر من آخى رسول الله ﷺ بينهم من أصحابه .

(سيرة ابن هشام (١/ ٥٠٤ ـ ٥٠٧ باختصار) .

وقال السهيلي: آخى رسول الله ﷺ بين الصحابة حين نزلوا المدينة ليذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة، ويشد أزر بعضهم ببعض، فلما عز الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أنزل الله سبحانه ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [**الأنفَال**: ٧٥] أعني في الميراث، ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [**الحُجرَات**: ١٠] يعني في التواد وشمول الدعوة .

الروض الأنف (٢/ ١٨) .

(١) كان علي بن أبي طالب أول فدائي في الإسلام، وقد أقام علىٰ بعد هجرة النبي ﷺ بمكة ثلاثة أيام حتى أدى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس

ثم سافر إلىٰ المدينة ونزل معه بقباء حيث نزل .

(٢) سورة البقرة (٢٠٧)

قال ابن عباس وأنس وسعيد بن المسيب، وأبو عثمان النهدي وعكرمة وجماعة نزلت في صهيب بن سنان الرومي، وذلك أنه لما أسلم بمكة وأراد الهجرة منعه الناس أن يهاجر بماله وإن أحب أن يتجرد منه ويهاجر فعل فتخلص منهم وأعطاهم ماله فأنزل الله فيه هذه الآية .

=

وأنشد علي بن أبي طالب وقال عند مبيته في فراش رسول الله ﷺ:

فديت نفسي خير من وطئ الحصى ومن طاف بالبيت العتيق والحجر
رسول الله خاف أن يمكروا به فنجاه ذو الطول الكريم من المكر
وبات رسول الله في الغار آمنا موفى في حفظ الإله وفي ستر
وبت أراعيهم وما يثبتوني مواطنة نفسي علىٰ القتل والأسر

فلما لم يجدوا رسول الله في منزله شاوروا ثلاثة أيام وخرجوا في طلبه، فأرسلوا سراقة بن مالك(١) نحو المدينة، فسار حتى حتى أدركهما ، فرآه أبو بكر وقال: يا رسول الله أدرك سراقه، وكان سراقه من شجعان العرب، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تحزن**»

فلما دنا سراقه صاح وقال: يا محمد من يمنعك مني اليوم(٢)

= فتلقاه عمر بن الخطاب وجماعة إلىٰ طرف الحرة فقالوا له: ربح البيع. فقال: وأنتم فلا أخسر الله تجارتكم، وما ذاك ، فأخبروه أن الله أنزل فيه هذه الآية .
والأكثرون علىٰ أنها نزلت في كل مجاهد في سبيل الله كما قال تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١]
تفسير ابن كثير (١/ ٢٤٧) .

(١) سراقة بن مالك بن جعشم أبو سفيان المدلجي، وكان ينزل قديداً، وهو الذي ساخت قوائم فرسه، ثم أسلم وحسن إسلامه، وله حديث في العمرة
روى عنه جابر بن عبد الله، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، وطاوس، ومجاهد، وجماعة .
وكان إسلامه بعد غزوة الطائف، وقيل توفي بعد مقتل عثمان، وتوفي سنه (٢٤) .
تاريخ الإسلام للذهبي - وفيات سنه (٢٤) .

(٢) جعلت قريش مائة ناقة لمن يرد الرسول، فطمع سراقة بن مالك البارقي أن تكون له هذه الجائزة فأخذ فرسه وسلاحه واقتفى أثر رسول الله وتبعه، فعثر به فرسه في الطريق عدة مرات، وكان العرب يتشاءمون إذا عثرت أفراسهم، فلم يخفه ذلك، ولم يثنه عن متابعة الرسول حتى أدركهم ورآهم، فعثر به فرسه عثرة ذهبت منها يداه في الأرض، وسقط عنه سراقه، فذعر أشد الذعر وملأ الرعب قلبه، وأخذ يناديهم ويعرفهم باسمه ويطلب منهم الأمان، ويقول: انظروا إليّ أكلمكم فوالله لا يأتيكم مني شيء تكرهونه إني أعلم أنكما قد دعوتما علي، فادعوا لي، ولكما أن أرد الناس عنكما ولا أضركما
فوقفا له، فقال الرسول لأبي بكر: قل له: وما تبغي منا؟ قال: تكتب لي كتابًا يكون آية بيني =

فقال رسول الله ﷺ: يمنعك الله الواحد القهار

فنزل جبرائيل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله تعالىٰ يقول: جعلت الأرض لك مطيعة ، فأمر ما شئت فقال رسول الله ﷺ: خذيه يا أرض، فأخذت الأرض أرجل جواده إلىٰ الركبتين، فيسوق سراقه فرسه فلا يتحرك، فقال: يا محمد الأمان الأمان، وعزة العزى لو انجيتني لا أكون لك ولا عليك

فدعاه رسول الله ﷺ فأطلقت الأرض جواده

ورأيت في بعض التفاسير أن سراقه عاهد سبع مرات، ثم نكث العهود

وكلما نكث العهد ساخت قوائم فرسه في الأرض فتاب في المرة الثامنة توبة صادقة(١)

= وبينك، فكتب له الرسول كتابًا وألقاه إليه فأخذه وجعله في كنانته ورجع إلىٰ قريش فلم يذكر شيئًا عنهما لمدة ثلاث ليال، ثم أخبرهم بعدها فلامه أبو جهل حين رجع بلا شيء فقال له سراقة:

أبا حكم والله لو كنت شاهدًا ... لأمر جوادي إذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمدًا ... رسول ببرهان فمن ذا يقاومه

(١) عن ابن إسحاق قال: لمّا أذن الله لنبيّه في الحرب وبايعه هذا الحيّ من الأنصار علىٰ الإسلام والنصّرة أمر رسول الله ﷺ قومه بالخروج إلىٰ المدينة والهجرة إليها واللّحوق بالأنصار، فخرجوا أرسالاً، فكان أوّل من هاجر أبو سلمة بن عبد الأسد إلىٰ المدينة، هاجر إليها قبل العقبة الكبرى بسنة وقد كان قدم من الحبشة مكة فآذته قريش وبلغه أنّ جماعةً من الأنصار قد أسلموا فهاجر إلىٰ المدينة

ثم كان أوّل من قدمها بعد أبي سلمة: عامر بن ربيعة حليف بني عديّ بن كعب مع امرأته، ثم عبد الله بن جحش حليف بني أميّة، مع امرأته وأخيه أبي أحمد، فنزل هؤلاء بقباء علىٰ مبشّر بن عبد المنذر، وقال موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: فلمّا اشتدّوا علىٰ رسول الله ﷺ وأصحابه أمر رسول الله أصحابه بالهجرة فخرجوا رسلاً رسلاً، فخرج منهم قبل مخرج رسول الله ﷺ: أبو سلمة وامرأته، وعامر بن ربيعة، وامرأته أمّ عبد الله بنت أبي حثمة، ومصعب بن عمير، وعثمان بن مظعون، وأبو حذيفة بن عتبة، وعبد الله بن الشّريد، وعمّار ابن ياسر، ثم خرج عمر وعيّاش بن أبي ربيعة وجماعة، فطلب أبو جهل والحارث بن هشام عيّاشاً وهو أخوهم لأمّهم، فقدموا المدينة فذكروا له حزن أمّه، وأنّها حلفت لا يظلّها سقف وكان بها برّاً فرقّ لها وصدقهم، فلما خرجا به أوثقاه وقدما به مكة فلم يزل بها إلىٰ قبل الفتح .

وأخرج سهما من جعبته وأعطاه رسول الله ﷺ

فقال: يا محمد إن لي إبلا ومواشي في طريقك فبلغ الرعاة سهمي وخذ منهم الراحلة والزاد وما شئت

فقال ﷺ: يا سراقة إذ لم ترغب في دين الإسلام فإني لا أرغب في أموالك ومواشيك

فقال سراقة: يا محمد إني لأعلم أنه سيظهر أمرك في العالم، وتملك قلب بني آدم، فعاهد معي أني إذا أتيتك يوم ملكك وجاهك فأكرمني

فأخذه رسول الله ﷺ وعلم عليه وأعطاه سراقة وقال: عهدي معك[(١)]

وقال سراقة: يا محمد سلني حاجة

فقال يا سراقة حاجتي أن ترد عسكر قريش، فرجع سراقة وجاء إلىٰ أبي جهل فقال: يا أبا الحكم لم يذهب محمد من هذا الطريق، فرجعوا

فقال: يا سراقة إني أظن أنك رأيت محمدًا، فإن كنت رأيته فأخبرنا عن حاله

فأنشأ سراقة يقول:

يا أبا الحكم واللات والعزى لو كنت شاهداً ... لأمر جوادي حين ساخت قوائمه[(٢)]
علمت ولم تشكك بأن محمدًا ... رسول ببرهان فمن ذا تقاومه
إليك فرد الناس عنه فإنني ... أرى أمره يومًا ستبدوا معالمه

فبلغ رسول الله ﷺ غارًا[(٣)]

فأراد النبي أن يدخل فقال أبو بكر رضي الله عنه: ودمعت عيناه يا رسول الله ما أدري ما

---

(١) كان لكتاب سراقة هذا شأن بعد فتح مكة، إذ تقدم به إلىٰ رسول الله ﷺ فقبله الرسول ورضي بإسلامه

(٢) روى البخاري في صحيحه (٣٩٠٨) كتاب مناقب الأنصار، ٤٥ ـ باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلىٰ المدينة، عن البراء قال: «**لما أقبل النبي ﷺ إلىٰ المدينة تبعه سراقة بن مالك ابن جعشم فدعا عليه النبي ﷺ فساخت به فرسه قال: ادع الله لي ولا أضرك فدعا له، قال فعطش رسول الله ﷺ فمر براع قال أبو بكر: فأخذت قدحا فحلبت فيه كثبة من لبن فأتيته فشرب حتى رضيت**»

(٣) هو غار ثور

حدث بنا، فليس إشفاقي علىٰ نفسي بل أنا شفيق عليك وأتقدمك لأنظر إلىٰ ما فيه[(١)]

فدخله فإذا هو فيه حيات كأمثال الجذوع، وينبحن نباح الكلاب، فطردهن إلىٰ جحورهن ومزق ردائه وقطعه قطعًا، وكانت قيمته سبعمائة دينار، فسد أفواه الجحور، وبقي جحر واحد فدخل النبي ﷺ وجلسا فيه كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ [التّوبَة: ٤٠] وأسند أبو بكر ظهره إلىٰ الجحر المفتوح

فلسعته الحيات سبع عشرة لسعة

كان ذلك في حُب النبي ﷺ فلما أصبح النبي ﷺ فقال يا أبا بكر كيف أنت؟

قال: فداك أبي وأمي يا رسول الله

فأخبره باللسعات، فترجع النبي ﷺ[(٢)]

---

(١) روى البخاري في صحيحه (٣٩٠٥) كتاب مناقب الأنصار، ٤٥ ـ باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلىٰ المدينة، عن عائشة من حديث طويل وفيه: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له فدخل فقال النبي ﷺ لأبي بكر أخرج من عندك، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله قال: فإني قد أذن لي في الخروج، فقال أبو بكر الصحابة بأبي أنت يا رسول ، قال رسول الله ﷺ: نعم، قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين قال رسول الله ﷺ: «**بالثمن**» قالت عائشة فجهزناهما أحث الجهاز. . . . . . إلىٰ أن قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله ابن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع أمرا يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة. . . . . الحديث بطوله

(٢) عن عمر رضي الله عنه قال: والله لليلة من أبي بكر ويوم خير من عمر، خرج رسول الله ﷺ هارباً من أهل مكة ليلاً، فتبعه أبو بكر فجعل يمشي مرّة أمامه، ومرّة خلفه يحرسه، فمشى رسول الله ﷺ ليلته حتى حفيت رجلاه، فلمّا رآهما أبو بكر حمله علىٰ كاهله، حتى أتى به فم الغار، وكان فيه خرق فيه حيّات، فخشي أبو بكر أن يخرج منهنّ شيء يؤذي رسول الله ﷺ فألقمه قدمه، فجعلن يضربنه ويلسعنه ـ الحيّات والأفاعي ـ ودموعه تتحدّر ورسول الله ﷺ يقول: «**لا تحزن إنّ الله معنا**»، وأمّا يومه، فلمّا ارتدّت العرب قلت: يا خليفة رسول الله تألّف النّاس وارفق بهم، فقال: جبّار في الجاهلية خوّار في الإسلام؟ بم أتألّفهم أبشعر مفتعل أم بقول مفترى؟ وذكر الحديث

وقال الأسود بن عامر بسنده عن جندب قال: كان أبو بكر مع رسول الله ﷺ في الغار فأصاب يده حجر فقال:

إن أنت إلاّ إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

انظر تاريخ الإسلام في السيرة العطرة (١/ ١٤٤) .

فنزل جبرائيل وقال: يا محمد إن عندك الدواء النافع وهو البزاق، فابزق علىٰ تلك اللسعات وقل بسم الله الرحمن الرحيم

ففعل ذلك فبرأ أبو بكر من ساعته

باب بعض معجزاته ﷺ

اعلم أن معجزاته كثيرة فلنذكر ما اشتملت عليه الكتب الصحاح

روي أنه كان ﷺ لما سألته قريش آية، انشق القمر له بمكة(١)

وكان ﷺ أطعم مرة ثمانين من أربعة أمداد، ومرة أكثر من ثمانين رجلاً من أقراص شعير حملها أنس في يده(٢)

ومرة أكل الجيش من تمر يسير فأكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك، وفضل لهم.

ونبع الماء من بين أصابعه(٣) ، وشربوا كلهم وهم عطاش وأرووا

---

(١) روى البخاري في صحيحه (٤٨٦٧) كتاب تفسير القرآن، سُورَةُ اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ، باب ﴿وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا﴾ عن أنس ﷺ قال: «**سأل أهل مكة أن يريهم آيةً فأراهم انشقاق القمر**»

(٢) روى مسلم في صحيحه [١٤٢ ـ (٢٠٤٠)] كتاب الأشربة، ٢٠ ـ باب جواز استتباعه غيره إلىٰ دار من يثق برضاه بذلك، ويتحققه تحققا تاما، واستحباب الاجتماع علىٰ الطعام، عن أنس بن مالك قال: قال أبو طلحة لأم سليم قد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفا أعرف فيه الجوع. . . . الحديث وفيه أخرجت أقراصا من شعير فقال رسول الله ﷺ: «**هلمي ما عندك يا أم سليم**» فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ﷺ ففت وعصرت عليه أم سليم عكة لها فادمته ثم قال فيه رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقول، ثم قال: ائذن لعشرة» فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا ثم قال: ائذن لعشرة». . إلىٰ أن قال: القوم سبعون رجلاً أو ثمانون

وقد رواه البخاري في صحيحه في المناقب باب علامات النبوة.

(٣) روى البخاري في صحيحه (٣٥٧٢) كتاب المناقب ٢٥ ـ باب علامات النبوة في الاسلام، عن أنس بن مالك قال: أتي النبي ﷺ بإناء وهو بالزوراء، فوضع يده في الإناء، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ القوم، قال قتادة: قلت لأنس: كم كنتم؟ قال: ثلاثمائة، أو زهاء ثلاثمائة»

وكذا أخرجه مسلم في صحيحه (٤ ـ (٢٢٧٩)] كتاب الفضائل، ٣ ـ باب في معجزات النبي ﷺ.

ومرة أراق وضوءه في عين تبوك ولا ماء فيها، ومرة في بئر حديبية

فجاء شتّا بالماء فشرب من عين تبوك أهل الجيش وهم ألوف حتى أرووا

وشرب من بئر الحديبية(١) ألف وخمسمائة، ولم يكن فيها قبل ذلك ماء(٢)

ومن أعظم معجزاته لا يظهر ظله علىٰ الأرض لأن الظل من الظلمة، وكان من قفاه إلىٰ قدمه نورًا

ولأن ظل الشيء مثله ولم يكن له مثل ولا يظهر ولأنه لو ظهر له ظل كان يطأه الكافرين والمنافقون

وكان لا يحتلم قط(٣) لأن الاحتلام من الشيطان وما احتلم، ولا يقع عليه الذباب لأنه يقع علىٰ نجاسة

وكان ﷺ إذا نام عيناه فقلبه يقظان، لأن نوم القلب غفلة عن الحبيب

وكان يفوق منكبيه من جالسه لئلا يرى حقيرًا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٥٧٧) كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام

(٢) قال النووي: قوله في هذه الأحاديث في نبع الماء من بين أصابعه وتكثيره وتكثير الطعام، هذه كلها معجزات ظاهرات وجدت من رسول الله ﷺ في مواطن مختلفة وعلىٰ أحوال متغايرة، وبلغ مجموعها التواتر

وأما تكثير الماء فقد صح من رواية أنس وابن مسعود وجابر وعمران بن الحصين، وكذا تكثير الطعام وجد منه ﷺ في مواطن مختلفة وعلىٰ أحوال كثيرة وصفات متنوعة .
النووي في شرح مسلم (١٥/ ٣١) طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) في حديث مسلم في فرك المني من ثوب رسول الله ﷺ فيصلي فيه انظر مسلم [١٠٥ ـ (٢٨٨)] كتاب الطهارة، ٣٢ ـ باب حكم المني من حديث عائشة، وقال النووي: استدل جماعة من العلماء بهذا الحديث علىٰ طهارة رطوبة فرج المرأة وفيها خلاف مشهور عندنا وعند غيرنا، والأظهر طهارتها ؛ وتعلق المحتجون بهذا الحديث بأن قالوا: الاحتلام مستحيل في حق النبي ﷺ لأنه من تلاعب الشيطان بالنائم فلا يكون المني الذي علىٰ ثوبه ﷺ إلا من الجماع ويلزم من ذلك مرور المني علىٰ موضع أصاب رطوبة الفرج، فلو كانت الرطوبة نجسة لتنجس بها المني ولما تركه في ثوبه ولما اكتفى بالفرك، وأجاب الذين قالوا بنجاسة رطوبة فرج المرأة بجوابين أحداهما: أنه يمتنع استحالة الاحتلام منه ﷺ وكونها من تلاعب الشيطان بل الاحتلام منه جائز وليس هو من تلاعب الشيطان بل هو فيض زيادة المني يخرج في وقت والثاني: أنه يجوز خروج المني بمقدمات جماع فسقط منه شيء علىٰ الثوب
النووي في شرح مسلم (٣/ ١٧٠) طبعة دار الكتب العلمية .

وكان يرى من خلفه كما يرى من قدامه[(١)]

وكل دابة ركبها لم يهرم قط

وكان القمر يحرك المهد إذا نامت أمه

وكان ﷺ نائمًا في حجرته نصف النهار وكان العرق يسيل إلىٰ النبي ﷺ من شدة الحر فدخلت أم سلمة[(٢)] فأخذت عرق النبي ﷺ وجمعته في قارورة[(٣)] ، وكانت أم سلمة مشاطة العرائس بالمدينة فمشطت أم سلمة عروسًا فطيبتها بطيب رسول الله ﷺ فبقي الطيب إلىٰ آخر حياتها

وكانت كلما اغتسلت ازدادت طيبًا علىٰ طيب ثم ولدت هذه العروس بنتًا وكانت طيبة الريح بطيب النبي ﷺ، وولد لهذه الابنة ابنة طيبة الريح بطيب رسول الله ﷺ

وتوالد الأولاد كلهم طيبون بطيب رسول الله ﷺ فسمي بيت أهل العطارين كلهم بالمدينة

وكان النبي ﷺ يمر في سكة أبي جهل إذ أبصره أبو جهل فقال: يا محمد

فقال النبي ﷺ: ما حاجتك

---

(١) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٣/ ٤٤٩) وابن حجر في المطالب العالية (٣٦٩٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٩٨)، والحميدي في مسنده (٩٦٢)، والقرطبي في تفسير (١٣/ ١٤٤)، والألباني في إرواء الغليل (٢/ ٣٢٦)

(٢) هي أم سليم والدة أنس بن مالك وليست أم سلمة كما وردت القصة بذلك

(٣) روى مسلم في صحيحه [٨٣ ـ (٢٣٣١)] كتاب الفضائل ٢٢ ـ باب طيب عرق النبي ﷺ والتبرك به، عن أنس بن مالك قال: دخل علينا النبي ﷺ فقال عندنا فعرق وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيه فاستيقظ النبي ﷺ فقال:« **يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟** » قالت: "هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب"

وانظر رقم (٨٤،٨٥)

وكذا رواه أحمد في مسنده (٣/ ١١٢،١٩٨،٢٢١) والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٢٥٤)، وابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ٢٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٠٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٧٨٨) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٦١) .

قال النووي: في نوم النبي ﷺ عند أم سليم: أنها كانت محرما له ﷺ، ففيه الدخول علىٰ المحارم، والنوم عندهن وفي بيوتهن وجواز النوم علىٰ الأدم وهي الأنطاع والجلود .

فقال: إن تخرج لي طاووسا من هذه الصخرة أؤمن بك

وكانت الصخرة بساحة داره[١]

وشارطه رسول الله ﷺ

دعا الله حتى جعلت الصخرة ترن برنين المرأة الحامل فانشقت نصفين وخرج طاووس صدرها من ذهب ورجلاها من جوهر، وجناحها من ياقوت، ومنقارها من زبرجد أخضر، وقد خلقها الله سبحانه فيها قبل أن يخلق آدم بأربعة ألاف سنة

وكان ﷺ كلما مشى في الشمس جاءت سحابة مثل ترس فقامت علىٰ رأسه[٢]

وأما معجزة أسنانه فكان ﷺ يضيء لعائشة حتى وجدت الإبرة لنورها

وكان له معجزات كثيرة ما لا ينحصر واقتصرنا ها هنا

وصلى الله علىٰ سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وارزقنا شفاعته

باب فضيلة أمته[٣] ﷺ

عن أبي بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أهل الجنة عشرون ومائة**

---

(١) روى الترمذي في سننة (٣٦٢٨) كتاب المناقب، باب في إثبات نبوة النبي ﷺ، عن ابن عباس قال: جاء أعرابي إلىٰ رسول الله ﷺ فقال بم أعرف أنك نبي؟

قال: إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول ؟ فدعاه رسول الله ﷺ فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلىٰ النبي ﷺ ثم قال: ارجع فعاد، فأسلم الأعرابي .

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح .

(٢) انظر ما تقدم في سفر النبي ﷺ بالتجارة في مال خديجة رضي الله عنها

روى الترمذي في سننه (٣٦٢٠) كتاب المناقب، باب ما جاء في بدء نبوة النبي ﷺ، أبي موسى قال خرج أبو طالب إلىٰ الشام وخرج معه النبي ﷺ في أشياخ فلما أشرفوا علىٰ الراهب هبطوا فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم.. .

إلى أن قال: أرسلوا إليه فأقبل وعليه غمامة تظله، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه... الحديث.

وقد حسنة الترمذي، وذكرنا رد الذهبي عليه من قبل فانظره .

(٣) بالهامش: الحمد لله الذي جعل محمدًا حظنا من الرسل وجعلنا حظه من الأمم ـ من تفسير كفاية

صنف منها ثمانون من هذه الأمة»(١)

عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: **«ما من أمة إلا بعضها في النار وبعضها في الجنة ، وأمتي كلها في الجنة»**(٢)

وعن أنس قال: أتى رسول الله ﷺ أسقف فذكر أنه رأى في منامه الأمم كانوا يمضون علىٰ الصراط يتهافتون، حتى أتت أمة محمد ﷺ غرًا محجلين(٣) فقلت: من هؤلاء الأنبياء؟

فقالوا: لا

فقلت: مرسلين، فقالوا: لا

فقلت: ملائكة، فقالوا: لا

فقلت: من هؤلاء؟ فقالوا: أمة محمد ﷺ غرًا محجلين عليهم أثر الوضوء

فلما أصبح الأُسقف أسلم

---

(١) أخرجه: الترمذي في سننه (٢٥٤٦) كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة أهل الجنة، وابن ماجه في سننه (٤٢٨٩) وأحمد في مسنده (٥/ ٣٤٧، ٣٥٥) والحاكم في المستدرك (١/ ٨٢) وابن كثير في تفسيره (٢/ ٨٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٩٤٤) والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٧٠، ٤٠٣) والدارمي في سننه (٢/ ٣٣٧)، وابن المبارك في الزهد (٥٤٨)

(٢) أخرجه: الطبراني في المعجم الصغير (١٠/ ٢٣٢) والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٦٩)، والخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ٣٧٧، ١٣/١٢٩)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٣٠٢)

(٣) في أحاديث تطويل الغرة والتحجيل قال النووي: أما تطويل الغرة فقال أصحابنا هو غسل شيء من مقدم الرأس وما يجاوز الوجه زائد علىٰ الجزء الذي غسله لاستيقان كمال الوجه. وأما تطويل التحجيل فهو غسل ما فوق المرفقين والكعبين وهذا مستحب بلا خلاف بين أصحابنا واختلفوا في قدر المستحب علىٰ أوجه أحدها: أنه يستحب الزيادة فوق المرفقين والكعبين من غير توقيت، والثاني: يستحب إلىٰ نصف العضد والساق، والثالث: يستحب إلىٰ المنكبين والركبتين، وأما دعوى الإمام أبي الحسن بن بطال المالكي والقاضي عياض اتفاق العلماء علىٰ أنه لا يستحب الزيادة فوق المرفق والكعب فباطلة وكيف تصح دعواهما وقد ثبت فعل ذلك عن رسول الله ﷺ وأبي هريرة وهو مذهبنا لا خلاف فيه عندنا النووي في شرح مسلم (٣/ ١١٥) طبعة دار الكتب العلمية .

عن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال[١] «**إن الجنة حُرمت علىٰ الأنبياء كلهم حتى أدخلها، وحرمت علىٰ الأمم حتى يدخلها أمتي**»

عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أمتي أمة مرحومة[٢] إذا كان يوم القيامة أعطي الله بكل رجل من هذه الأمة رجلاً من الكفار**»

فيقول: هذا فداءك من النار»[٣]

عن أنس بن مالك قال: خرجت مع رسول الله ﷺ فإذا بصوت يجيء فقال: «**يا أنس انطلق فانظر ما هذا الصوت**»[٤]

قال: فانطلقت فإذا برجل يصلي إلىٰ الشجرة ويقول اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة المغفور لها المستجاب لها المثاب عليها

فأتيت إلىٰ رسول الله ﷺ فأعلمته ذلك

فقال: انطلق وقل له إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام ويقول من أنت؟

فأتيته فأعلمته ما قال رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه: الذهبي في ميزان الاعتدال (٤٥٣٦)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٤/ ١٤٤٨)، وابن أبي حاتم في علل الحديث (٢١٦٧)

(٢) أخرجه: أحمد في مسنده (٤/ ٤١٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٥٤)، والبخاري في التاريخ الكبير (١/ ٣٨)، والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٥٥٨)

(٣) روى مسلم في صحيحه [٩ ـ (٢٨٢٩)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ٢ ـ باب إجلال الرضوان علىٰ أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبدا، عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «**إن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم؟، فيقولون وما لنا لا نرضى يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا**»

(٤) أخرجه: ـ القرطبي في تفسيره (١٥/ ١١٦)، والسيوطي في الآلي المصنوعة (١/ ٨٧)

فقال: اقرأ مني رسول الله السلام وقل أخوك الخضر[١] يقول: ادعوا الله أن يجعلني من أمتك المرحومة المغفور لها

وقيل لعيسى ابن مريم يا روح الله هل بعد هذه الأمة أمة

قال: نعم، قيل: وأي أمة؟ قال: أمة أحمد[٢]

قال علماء، حكماء، حلماء، أبرار، أتقياء كأنهم من العفة أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق، ويرضى الله منهم باليسير من العمل يدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله[٣]

وبلغنا أن كعب الأحبار قيل له لمَ لَم تسلم علىٰ عهد رسول الله وأبو بكر، وأسلمت علىٰ عهد عمر[٤]

---

(١) جمهور العلماء علىٰ أنه حي موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن يحصر وأشهر من أن يستر

وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم في ذلك، قال وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين .

النووي في شرح مسلم (١٥/ ١١١) طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصَّف: ٦]

روى أحمد في مسنده (٥/ ٢٦٢) عن أبي أمامة قال: ؟ قلت يا رسول الله: ما كان بدء أمرك قال دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام» .

(٣) مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف أن من مات موحداً دخل الجنة وقطعا علىٰ كل حال، فإن كان سالماً من المعاصي كالصغير والمجنون والذي اتصل جنونه بالبلوغ، والتائب توبة صحيحة من الشرك وغيره من المعاصي، والموفق الذي لم يبتل بمعصية أصلاً يدخلون الجنة، ولا يدخلون النار، وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة فهو في مشيئة الله تعالىٰ فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أو لا وإن شاء عذبه القدر الذي يريده سبحانه وتعالىٰ ثم يدخله الجنة فلا يخلد في النار أحد مات علىٰ التوحيد

النووي في شرح مسلم (١/ ١٩٢)
طبعة دار الكتب العلمية .

(٤) تقدمت ترجمته وأنه أسلم في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه

فقال: إن أبي وقع إلي كتابًا مختومًا وقال: لا تفك ختمه، فرأيت في المنام أيام عمر قائلاً يقول: إن أباك خانك في تلك الصحيفة ففكتها فإذا فيها: خت أمه محمد ﷺ سالوما عالوما حاكوما وصافوحا وخاروجا

فسألوه تفسيرها، فقال: هو هو أن شعارهم أن يُسلم بعضهم علىٰ بعض(١) ، علماؤهم مثل الأنبياء ببني إسرائيل، وحكم الله بالجنة، ويتصافحون فيغفر لهم ويخرجون من ذنوبهم كيوم ولدتهم أمهاتم

وقال يحيى بن معاذ هذه الآية مدحه لأمة محمد ﷺ، ولكن ليس يمدح قومًا ثم يعذبهم.

وفي الأخبار أن موسى عليه السلام كان يقرأ التوراة فوجد نعت هذه الأمة فقال: يا رب هل أحد أفضل من أمتي؟

قال: نعم أمة محمد ﷺ

ثم قال له: اذهب إلىٰ بيت المقدس

فذهب فرأى قومًا يعبدون الله فسألهم موسى، فقالوا: من أمتك نعبد الله ها هنا منذ سبعين سنة بالجد والاجتهاد

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٩٣ ـ (٥٤)] كتاب الإيمان ٢٢ ـ باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سببا لحصولها، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « **لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم علىٰ شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»

قال النووي: وأما قوله (أفشوا السلام بينكم) فيه الحث العظيم علىٰ إفشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم من عرفت ومن لم تعرف كما تقدم في الحديث الآخر، والسلام أول أسباب التألف ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه تمكن ألفة المسلمين بعضهم لبعض وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس ولزوم التواضع وإعظام حرمات المسلمين .

وقد ذكر البخاري رحمه الله في صحيحه عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال: ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار» .

النووي في شرح مسلم (٢/ ٣٢)

طبعة دار الكتب العلمية .

فقد لبسنا لباس الصبر والتواضع على أعناقنا، وعمامة الشكر على رؤوسنا، وعصا التوكل في أيدينا ونعل الخشية على أرجلنا

وطعامنا نبات الأرض وشرابنا ماء المطر، ولباسنا قشرة الشجرة، ولا نرفع رؤوسنا إلى السماء حياء[1] من الله منذ سبعين سنة

ففرح موسى عليه السلام بذلك فقال الله: يا موسى لأمة محمد ﷺ يوم وليلة ركعتان فيها خير من هذا كله

فقال يا رب: أي يوم هذا

قال: يوم الجمعة[2]، فتعجب موسى من فضل أمة محمد ﷺ

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٥٧ ـ (٣٥)] كتاب الإيمان ١٢ ـ باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«الإيمان بضع وسبعون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان»**

ورواه أيضًا البخاري في صحيحه (١/ ٩) كتاب الإيمان، ٣ ـ باب أمور الإيمان، حديث رقم (٩).

قال النووي: روينا في رسالة القشيرى عن أبو القاسم الجنيد قال: الحياء رؤية الآلاء أي النعم ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء، وقال القاضي عياض وغيره من الشراح: إنما جعل الحياء من الإيمان وإن كان غريزة لأنه قد يكون تخلقًا واكتسابًا كسائر أعمال البر، وقد يكون غريزة ولكن استعماله على قانون الشرع يحتاج إلى اكتساب ونية وعلم فهو من الإيمان بهذا، ولكونه باعثًا على أفعال البر ومانعًا من المعاصي.

النووي في شرح مسلم (٢/ ٦) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) روى البخاري في صحيحه (٨٨١) كتاب الجمعة، ٤ ـ باب فضل الجمعة، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشًا أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر»**

وروى مسلم في صحيحه [١٧ ـ (٨٥٤)] كتاب الجمعة، ٥ ـ باب فضل يوم الجمعة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **« خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها»**

باب فضيلة الأولياء[١] وحكاياتهم

قال رسول الله ﷺ إن لله ﷻ في الأرض عبيد ثلاثمائة قلوبهم علىٰ قلب آدم عليه السلام وله أربعون قلوبهم علىٰ قلب موسى عليه السلام وله سبعة قلوبهم علىٰ قلب إبراهيم عليه السلام وله خمسة قلوبهم علىٰ قلب جبرائيل عليه السلام وله ثلاثة قلوبهم علىٰ قلب ميكائيل عليه السلام

وله واحد قلبه علىٰ قلب إسرافيل

فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه من ثلاثة، وإذا مات من ثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة، وإذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة وإذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين، وإذا مات واحد من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلاثمائة

بهم يحيي وبهم يميت وبهم يمطر وبهم ينبت ويرفع بهم البلاء

وعن يزيد البسطامي أنه قال: في صفة الأولياء قبضوا باليمين كتاب الله، وقبضوا بالشمال علىٰ سنة رسول الله[٢]، ونظروا بإحدى عينيه إلىٰ الجنة وبالأخرى إلىٰ النار

---

(١) الولي من يتولى الله سبحانه أمره فلا يكله إلىٰ نفسه لحظة، ومن يتولى عبادة الله تعالىٰ وطاعته فعبادته لله تعالىٰ تجري علىٰ التوالي من غير أن يتخللها عصيان ومن شرط الولي أن يكون محفوظًا كما أن من شرط النبي أن يكون معصومًا، والولي هو العارف بالله وصفاته والفاني عن حاله الباقي في مشاهدة الحق، والأولياء طبقتان سابقون ومقربون وفيهم يقول النبي عن ربه: «**من عاد لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما يتقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه وما زال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره إساءته**»

المعجم الصوفي ص٢٦٣، ٢٦٤

(٢) حديث: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا كتاب الله وسنتي**» أخرجه: - الحاكم في مستدركه (١/ ٩٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٥٠٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٨٦)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٧٦١)

ووضعوا قدمًا في الدنيا بالزهد، والقدم الثاني في الآخرة بالأمانة

وجعل الدنيا إزارًا والآخرة رداءًا

وقالوا: لبيك اللهم لبيك أجابوا المولى في الدنيا والآخرة فقط

فإذا كان يوم القيامة يقومون من قبورهم ويتوجهون نحو العرش يقولون: لبيك أي ليس لنا من الدنيا والعقبى غير المولى

فمن مات علىٰ هذه الصفة يبعث يوم القيامة[(١)] ملبيًا يقول: لبيك ويقول المولى عبدي ها أنا بين يديك

عن حبيب بن سهل قال: بينا أنا في السفينة مع التجار فهاجت ريح وأمواج في البحر فاضطربت السفينة فخفنا مخافة شديدة[(٢)]

وفي زاوية السفينة رجل عليه كساء من وبر، فلم يزل السفينة يضربها الأمواج حتى سقط الماء في السفينة وآيسنا من أموالنا وأنفسنا فقام صاحب الوبر وخرج من السفينة ووقف علىٰ الماء يصلي

فقلنا: يا ولي الله[(٣)] أدركنا فلم يلتفت

---

(١) روى البخاري في صحيحه (١٢٦٦) كتاب الجنائز، ٢٠ ـ باب الحنوط للميت، عن ابن عباس ﵄ قال: «**بينما رجل واقف مع رسول الله ﷺ بعرفة إذ وقع من راحلته فأقصعته أو قال فأقعصته فقال رسول الله ﷺ اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبين ولا تحنطوه ولا تخمروا رأسه فإن الله يبعثه يوم القيامة ملبياً**»

(٢) قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ **[يونس: ٢٢]**

أي فرحين بسرعة سيرهم رافقين، فبينما هم كذلك إذ ﴿جَآءَتْهَا﴾ **[يونس: ٢٢]** أي تلك السفينة ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ **[يونس: ٢٢]** أي شديدة ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ **[يونس: ٢٢]** أي اغتلم البحر عليهم ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ **[يونس: ٢٢]** أي هلكوا ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ **[يونس: ٢٢]** أي لا يدعون معه صنماً ولا وثناً، بل يفردونه بالدعاء والابتهال.

تفسير ابن كثير (٢/ ٤٢١).

(٣) قال الإمام تقي الدين ابن تيمية ﵀: وأولياء الله علىٰ طبقتين: سابقون مقربون، وأبرار وأصحاب يمين مقتصدون، ذكرهم الله سبحانه في عدة مواضع من كتابه في أول الواقعة =

فقلت: بحق من قواك لعبادته أن تعيننا

فقال: ما شأنكم وهو غافل عن جميع ما أصابنا

قلنا: ألا ترى السفينة والأمواج

قال: تقربوا إلىٰ الله

قلنا: بماذا نتقرب ، قال: بترك الدنيا

قلنا: قد فعلنا، قال: اخرجوا بسم الله ﷻ فما زلنا يخرج واحد بعد واحد يمشي علىٰ الماء حتى اجتمعنا حوله ونحن قيام علىٰ وجه البحر

ونحن مائتا نفس أو أكثر

فغرقت السفينة بأموالنا

ثم قال لنا: أما من هول الدنيا فقد سلمتم فأخرجوا فقلنا من أنت رحمك الله؟

قال: أويس القرني(١)

قلنا: إن في هذه السفينة أموال لفقراء المدينة بعثها إليهم رجل من المصر

فقال أويس: لو رد الله عليكم أموالكم أتقسمون بها مع الفقراء بالمدينة

قالوا: نعم، قال: فصلى علىٰ وجه الماء ركعتين دعا بدعاء خفي فإذا نحن

= وآخرها وفي سورة الإنسان والمطففين وفي سورة فاطر

ففي الواقعة: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝٧ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝٩ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١٠ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝١٢﴾ وفي سورة الإنسان ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾ الآيات، إلىٰ آخر الآيات كما ذكرنا .

انظر مختصرًا من كتاب قطر الولي علىٰ حديث الولي للشوكاني ص (٢٦ ـ ٢٨) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية .

(١) أويس بن عامر بن جزء بن مالك بن عمرو بن سعد أبو عمرو، القرني المرادي، التميمي العابد روى له مسلم من كلامه، واستنكر الذهبي علىٰ البخاري تضعيفه وقال: ما روى الرجل شيئًا فيضعف أو يوثق من أجله، وقال ابن عدي ليس له من الرواية شيء

ترجمته: تهذيب التهذيب (١/ ٣٨٦)، تقريب التهذيب (١/ ٨٦)، تاريخ البخاري الكبير (١/ ٥٦)، الجرح والتعديل (٢/ ٣٢٦)، ميزان الاعتدال (١/ ٢٧٨) سير النبلاء (٤/ ١٩، ٣٣)، شذرات الذهب (١/ ٤٦) .

بالسفينة طلعت علىٰ وجه الماء بما فيها من الأموال وركبنا وفقدنا أويسًا(١)

وبلغنا إلىٰ المدينة وجعلنا تلك الأموال فيهم فما بقي في المدينة فقيرًا

وحكي عن واحد من العارفين قال: رأيت في ليلة القدر(٢) في جبل الشام صورًا كأمثال الطيور كلهم يقولون: يا من هو هو، وسمعت من كل حجر وشجر كذلك .

وحكي عن عارف(٣) قال: كنت في القوافل إذ دخلنا السفينة وكان بحر لا يجاوزها إلا في شهرين، وتوسطنا البحر وكان في ظلمة الليل إذ خرجت من الماء سمكة ونادت بصوت عال: يا من هو هو، وكان تلك السمكة من نور يضيء في ظلمة الليل بغير الشمس

فقلت: من أنت رحمك الله؟

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٢٢٣ ـ (٢٥٤٢)] كتاب من فضائل أويس القرني ﷺ، عن أسيد بن جابر، أن أهل الكوفة وفدوا إلىٰ عمر وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس فقال عمر: هل هاهنا أحد من القرنيين؟ فجاء ذلك الرجل، فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد قال: « **إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير أم له قد كان به بياض، فدعا الله فأذهبه عنه إلا موضع الدينار أو الدرهم، فمن لقيه منكم فليستغفر لكم**»

(٢) قال العلماء: سميت ليلة القدر لما يكتب فيها للملائكة من الأقدار والأرزاق والآجال التي تكون في تلك السنة كقوله تعالىٰ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ **[الدّخَان: ٤]** وقوله تعالىٰ: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤﴾ **[القدر: ٤]**

ومعناه يظهر للملائكة ما سيكون فيها ويأمرهم بفعل ما هو من وظيفتهم، وكل ذلك مما سبق علم الله تعالىٰ به، وتقديره له، وقيل: سميت ليلة القدر لعظم قدرها وشرفها، وأجمع من يعتد به علىٰ وجودها ودوامها إلىٰ آخر الدهر للأحاديث الصحيحة المشهورة، قال القاضي: واختلفوا في محلها فقال جماعة هي منتقلة تكون في سنة في ليلة وفي سنة أخرى في ليلة أخرى وهكذا وبهذا يجمع بين الأحاديث . النووي في شرح مسلم (٨/٤٦) طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) العارف من أشهده الرب عليه فظهرت الأحوال عن نفسه، والمعرفة حاله، وعلامة العارف ثلاثة: أن لا يطفئ نور معرفته، ولا يعتقد باطنًا من العلم ينقض عليه ظاهرًا من الحكم ولا تحمله كثرة نعم الله وكراماته عليه علىٰ هتك أستار محارم الله تعالىٰ

وأولى الدرجات التي يرقاها العارف هي التحير ثم الافتقار ثم الاتصال ثم التحير والحيرة في أفعاله ونعمه عنده فلا يرى شكره يوازي نعمه، والحيرة الأخيرة أن يتحير في متاهات التوحيد فيضل فهمه في عظم قدرة الله وهيبته وجلاله، ونهاية العارف تتحقق فقط إذا كان العارف كما كان حيث كان قبل أن يكون ومعنى ذلك أن يشاهد الله وأفعاله دون شاهده وأفعاله .
المعجم الصوفي ص١٦٥

قالت: أنا سمكة أسبح الله وأذكره في كل يوم وليلة سبعين ألف مرة

وإذا قال (   )[١] نورت البحار كلها، وتعجبت من ذلك فقال الملاح: لماذا تتعجب وكلما مررنا هذا الموضع تقول السمكة كذلك

ولما أن مضينا وبلغنا إلىٰ جبل عظيم يبلغ إلىٰ عنان السماء فرأيت أهل السفينة كلهم ينامون وسكنت السفينة

فقال الملاح: تضرعوا إلىٰ الله واستغيثوا منه[٢]

وقلت: لأي شيء أتضرع؟

قال: الذي بين أيدينا ليس بجبل إنما هو شيء قد خرج، ونظرت في رأسه فإذا نار تخرج من فمه، وصاح أهل السفينة بالنوح والتضرع وأنا متحير

فقلت: يا من أنجا إبراهيم من نار نمرود، وبحق اسمك الأعظم[٣] في سورة الإخلاص نجنا برحمتك

إذ سمعت صوتًا هائلاً، فزال ذلك المانع بقدرة الله تعالىٰ وسقط في الماء

فلما انفجر الصبح ركب الملاحون السفينة ثم رجعوا سريعًا

---

(١) كلمة غير واضحة بالأصل

(٢) قال تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ **[الأنعام: ١٧]**

(٣) روى أبو داود (١٤٩٣) والترمذي (٣٤٧٥)، وابن ماجه (٣٨٥٧) من حديث بريدة ﷺ أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، فقال: «**لقد سألت الله باسمه الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب**»

وقال الترمذي: حديث حسن غريب .

ورواه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٠٤) وقال صحيح علىٰ شرط الشيخين، وفي رواية لأبي داود أيضًا«**لقد سألت الله باسمه الأعظم**»

وروى أبو داود (١٤٩٥) والترمذي (٣٥٤٤) والنسائي (٣/ ٥٢) وابن ماجه (٣٨٥٨) عن أنس ﷺ أنه كان مع رسول الله ﷺ جالسًا ورجل يصلي ثم دعا:«**اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم، فقال النبي** ﷺ: «**لقد دعا الله** ﷻ باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى» .

واللفظ لأبي داود وعند ابن ماجه: لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك المنان .

فقال: الذي رأيناه كان من التنين انشق نصفين ليس لنا طريق فرسخ في فرسخ من عظم جسده ومررنا غير ذلك الطريق

وحكي أن رجلا اشترى غلامًا فقال الغلام: يا مولاي إن لي معك ثلاث شروط:

أحدها: أن لا تمنعني عن الصلاة المكتوبة(١) إذا حان وقتها

والثاني: تأمرني ما شئت ولا تشغلني بالليل بشيء

والثالثة: تجعل لي منزلاً في بيتك لا يدخل فيه غيري

قال له الرجل: هذه الشروط كلها مقبولة

ثم قال: انظر في البيوت فطاف الغلام فوجد فيها بيتًا خرابًا

فقال: اخترت هذا

فقال: يا غلام اخترت بيتًا خرابًا

فقال الغلام: يا مولاي أما علمت أن الخراب يكون مع الله بستانًا

قال: فكان الغلام يخدم بالنهار ويتفرغ لعبادة الله في الليل(٢)

---

(١) روى البخاري في صحيحه (٢٧٨٢) كتاب الجهاد والسير، ١ ـ باب فضل الجهاد والسير، عن عبد الله بن مسعود: سألت رسول الله ﷺ قلت يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال الصلاة علىٰ ميقاتها» قلت: ثم أي؟ قال: ثم بر الوالدين» قلت: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**» فسكت عن رسول الله ﷺ ولو استزدته لزادني»

وفي مسلم كتاب الإيمان حديث رقم (١٣٨) بلفظ: «**الصلاة علىٰ مواقيتها**»

(٢) روى مسلم في صحيحه [١٣٩ ـ (٧٤٦)] كتاب صلاة المسافرين وقصدها، ١٨ ـ باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض، من حديث طويل عن عائشة وفيه: قالت: فإن الله ﷻ افترض قيام الليل في أول هذه السورة ـ نقصد ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾ [**المُزمّل**: ١] فقام نبي الله ﷺ وأصحابه حولاً وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهرا في السماء حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة». . . . الحديث بطوله

قال النووي: قولها: (فصار قيام الليل تطوعًا بعد فريضة): هذا ظاهره أنه صار تطوعًا في حق رسول الله ﷺ والأمة، فأما الأمة فهو تطوع في حقهم بالإجماع وأما النبي ﷺ فاختلفوا في نسخه في حقه، والأصح عندنا نسخه. وأما ما حكاه القاضي عياض من بعض السلف أنه يجب علىٰ الأمة من قيام الليل ما يقع عليه الاسم، ولو قدر حلب شاة فغلط ومردود بإجماع من قبله مع النصوص الصحيحة أنه لا واجب إلا الصلوات الخمس .

النووي في شرح مسلم (٦/ ٢٥، ٢٤) طبعة دار الكتب العلمية .

فاتخذ مولاه ليلة جمع للشراب واللهو فلما انتصف الليل وتفرق الأصحاب قام المولى يطوف في الدار، فبلغ حجرة الغلام، فإذا هو منور والغلام في السجدة، وعلىٰ رأسه قنديل من نور معلق في السماء، والغلام يناجي ربه ويتضرع ويقول: إلهي أوجبت عليّ حق مولاي وخدمته فأخدمه بالنهار

ولولا ذلك ما اشتغلت في ليلي ولا نهاري إلا بخدمتك، فاعذرني يا رب

والمولى ينظر إليه حتى انفجر الصبح، ورد القنديل وانضم سقف البيت(١)

فجاء وأخبر وامرأته بذلك

فلما كانت الليلة الثانية أخذ بيد امرأته وجاء إلىٰ باب الحجرة الخراب، فإذا الغلام في السجود والقنديل علىٰ رأسه وهو في المناجاة مع ربه

فقاما بالباب ينظران إليه ويبكيان حتى أصبحا

فدعا الغلام فقال: أنت حُر لوجه الله تعالىٰ حتى تتفرغ إلىٰ عبادة من كنت تعذره، فأخبره بما رأى من كرامته

فرفع الغلام يده إلىٰ السماء وقال: يا صاحب السر إن السر قد ظهر ولا أريد الحياة بعدما اشتهر، ثم قال: إلهي كنت أسألك أن لا تكشف سري ولا تظهر حالي فإذا كشفته فاقبضني إليك

(١) من كرامات الأولياء ما كان من أمر الصحابة الكرام والتابعين من بعدهم فمن ذلك أن أسيد بن حضير ﷺ كان يقرأ سورة الكهف فنزلت عليه السكينة من السماء مثل الظله فيها أمثال السرج وهي الملائكة، وأخبر بذلك النبي ﷺ فقال له: لو استمر علىٰ تلاوته لاستمرت تلك السكينة واقفة عليه باقية عنده وكانت الملائكة تسلم علىٰ عمران بن حصين، وكان سلمان الفارسي وأبو الدرداء يأكلان في صحفة فسبحت أو سبح ما فيها

وخرج عباد بن بشر وأسيد بن حضير من عند رسول الله ﷺ في ظلمة الليل فأضاء لهم أطراف السوط، فلما افترقا افترق الضوء معهما .

وكان الصديق ﷺ يأكل وأضيافه من القصعة فلا يأكلون لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها فشبعوا وهي أكثر مما قبل أن يأكلوا .

وخبيب بن عدي ﷺ لما أسره المشركون كان يؤتى بقطف من العنب في غير وقته .

انظر قطر الولي علىٰ حديث الولي (ص٥٥، ٥٦) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية .

قال: فخر الغلام ميتًا رحمه الله تعالىٰ

اللهم اجعلنا من أوليائك[١] يا رب العالمين وارزقنا حلاوة الطاعات ونسألك الخاتمة علىٰ الإيمان بحق محمد وآله الطيبين الطاهرين

باب فضيلة: بسم الله الرحمن الرحيم

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**من رفع قرطاسًا من الأرض فيه بسم الله الرحمن الرحيم إجلالاً لله أن يدنس كتبه الله من الصديقين، وخفف عن والديه وإن كانا مشركين**»[٢]

وروي عن ابن مسعود أنه قال: شيطان المؤمن مهزول، وشيطان الكافرين سمين

فإذا التقيا قال شيطان الكافر لشيطان المؤمن ما لك مهزول

فيقـول إنـي لا أطعم مـن طعامه ولا أشرب مـن شرابـه، ولا ألبس مـن لباسه

فإذا طعم أو شرب أو لبس يقول: بسم الله الرحمن الرحيم[٣]

---

(١) المعجزات للأنبياء والكرامات للأولياء، وظهور الكرامات علىٰ الأولياء جائز عقلاً وصدقًا طالما أن ذلك معلق بقدرة الله تعالى، والفرق بين المعجزة والكرامة أن الأنبياء عليهم السلام مأمورون بإظهار معجزاتهم والولي يجب عليه ستر كراماته وإخفاؤها وليست الكرامات للأولياء إلا تأديبًا لنفوسهم وتهذيبًا لها وزيادة لهم

المعجم الصوفي (ص٢٠٨) .

(٢) أخرجه: الشجري في أماليه (١/ ٨٧)، والشوكاني في الفوائد (٢٧٧)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (١/ ٢٦)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٢٤١)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٨١)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٢/ ٢٤١)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١١)، والألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٢٦٨)

(٣) البسملة افتتح بها الصحابة كتاب الله واتفق العلماء علىٰ أنها بعض آية من سورة النمل، ثم اختلفوا هل هي آية مستقلة في أول كل سورة أو من أول كل سورة كتبت في أولها، أو أنها بعض آية من أول كل سورة، أو أنها كذلك في الفاتحة دون غيرها أو أنها إنما كتبت للفصل =

فإذا قال ذلك لم يكن لي نصيب

فيقول له الشيطان الكافر لكني أطعم من طعامه وأشرب من شرابه وألبس من لباسه

فإنه لا يذكر اسم الله عليه

وحكي في الأخبار عن النبي المختار أنه قال ليلة أسري بي إلىٰ السماء وعرض علي جميع الجنان فرأيت أربعة أنهار[(١)]

نهر ماء غير آسن[(٢)] ، ونهر من لبن، ونهر من خمر، ونهر من عسل

فقلت لجبرائيل: يا جبرائيل من أين تجيء هذه الأنهار وإلى أين تذهب

قال: إلىٰ الحوض والكوثر[(٣)] ، أما إني لا أدري من أين تجيء فاسأل

= لا أنها آية علىٰ أقوال للعلماء سلفا وخلفا، وذلك مبسوط في غير هذا الموضع

وفي سنن أبي داود بإسناد صحيح عن ابن عباس ﵄ أن رسول الله ﷺ كان لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾ [**الفَاتِحَة: ١**]

تفسير ابن كثير (١/ ١٦) .

(١) قال تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ .... الآيه

روى أحمد في مسنده (٥/ ٥) بسنده عن حكيم بن معاوية عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**في الجنة بحر اللبن، وبحر الماء، وبحر العسل، وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار منها بعد**»

(٢) قال ابن عباس ﵄ والحسن وقتادة يعني غير متغير، وقال قتادة، والضحاك وعطاء الخراساني: غير منتن، والعرب تقول أَسِن الماء إذا تَغيَّر ريحه، وقال ابن أبي حاتم بسنده عن عبد الله ﵁ أنهار الجنة تُفَجر من جبل من مسك ﴿وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ [**محَمَّد: ١٥**] أي بل في غاية البياض والحلاوة والدسومة

﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾ [**محَمَّد: ١٥**] أي ليست كريهة الطعم والرائحة كخمر الدنيا بل حسنة المنظر والطعم والرائحة .

﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [**محَمَّد: ١٥**] أي وهو في غاية الصفاء وحسن اللون والطعم والريح .

تفسير ابن كثير (٤/ ١٧٦) .

(٣) روى أبو داود فى سننه (٧٨٤)، (٤٧٤٧) والنسائي (٢/ ١٣٢)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٠٢) واللفظ لأحمد من حديث أنس بن مالك قال: أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة فرفع رأسه متبسمًا إما قال لهم وإما قالوا له: لم ضحكت، فقال رسول الله ﷺ: « **إنه أنزلت علي آنفا** =

الله أن يعلمك أو يريك

فدعا ربه فجاء ملك فسلم علىٰ النبي ﷺ ثم قال: يا محمد اغمض عينيك

قال: فغمضت عيني ثم قال لي: افتح عينيك ففتحت فإذا أنا عند شجرة ورأيت قبة من درة بيضاء لها باب من زمرد أخضر، وقفل من ذهب أحمر

وأن جميع ما في الدنيا من الجن والإنس وضعوا علىٰ تلك القبة لكانوا مثل طائر أو نهر علىٰ جبل

ألقيت في البحر فرأيت هذه الأنهار الأربعة تجري من تحت هذه القبة(١) فلما أردت أن أرجع قال لي الملك: لم لا تدخل القبة؟

قلت: كيف أدخل وعلىٰ بابها قفل، وكيف أفتحه؟

قال: في يديك مفتاحه، قلت: أين مفتاحه قال: مفتاحه: بسم الله الرحمن الرحيم

فلما دنوت من القفل قلت: بسم الله الرحمن الرحيم فانفتح القفل فدخلت في القبة.

فرأيت هذه الأنهار (٢) تخرج من أربعة أركان القبة، فلما أردت الخروج من القبة قال لي الملك: هل رأيت يا محمد؟

= **سورة»** فقرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ①﴾ **[الفَاتِحَة: ١]** ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ①﴾ **[الكَوثَر: ١]** حتى ختمها فقال هل: « **تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله أعلم، قال: هو نهر أعطانيه ربي** ﷻ في الجنة عليه خير كثير يرد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد الكواكب يختلج العبد منهم فأقول يا رب إنه من أمتي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»

(١) قال ابن أبي الدنيا بسنده عن أنس بن مالك ﷺ قال: «**لعلكم تظنون أن أنهار الجنة تجري في أخدود في الأرض والله إنها لتجري سائحة علىٰ وجه الأرض حافاتها قباب اللؤلؤ وطينها المسك الأذْفَر** »

(٢) روى الطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٢١٣) عن لقيط بن عامر خرج وافدًا إلىٰ رسول الله ﷺ قلت يا رسول الله فعلى ما تطلع من الجنة؟ قال ﷺ: «**على أنهار من عسل مصفى، وأنهار من خمر ما بها صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وماء غير آسن، وفاكهة لعمر إلهك ما تعلمون وخير من مثله وأزواج مطهرة**» قلت يا رسول الله أولنا فيها أزواج مصلحات؟ قال: «**الصالحات للصالحين تلذونهن مثل لذاتكم في الدنيا ويلذونكم، غير أنا لا توالد**»

قلت: رأيت، قال: انظر ثانيًا، فلما نظرت ثانيًا رأيت مكتوبًا علىٰ أربعة أركان القبة: بسم الله الرحمن الرحيم

ورأيت نهر الماء يخرج من الميم ببسم، ونهر اللبن يخرج من هاء الله، ونهر الخمر يخرج من ميم الرحمن، ونهر العسل يخرج من ميم الرحيم

فعلمت أن أصل هذه الأنهار الأربعة من التسمية

فقال الله: يا محمد من ذكرني بهذه الأسماء من أمتك وقال بقلب بسم الله الرحمن الرحيم سقيته من هذه الأنهار الأربعة

رزقنا الله بحق محمد وآله

وحكي أن خالد بن الوليد[١] حاصر حصنا فلم يقدر علىٰ فتحها زمانًا طويلاً فطال ذلك عليه وعلىٰ الكافرين، فقال أهلها لخالد إنك تدعي أن الإسلام حق فأرنا آية التسليم فقال: احملوا عليّ السم القاتل

فأتوه بقرطاس من السم، فأخذه بيده وقال: بسم الله الرحمن الرحيم واحتساها كلها.

فقام سالمًا بإذن الله تعالىٰ

فقال المجوس[٢] هذا دين حق فأسلموا

---

(١) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أبو سليمان، سيف الله الأنصاري القرشي المخزومى المكي، صحابي جليل، له مناقب كثيره، أسلم مع عمرو بن العاص، وكان بطلاً شجاعًا، ميمون النقيبه باشر حروبا كثيرة ومات علىٰ فراشه، وقد حاصر ﷺ حصنًا فقالوا: لا نسلم حتى تشرب السم فشربه، ولم يضره، وساقها الذهبي عن قيس بن أبي حازم قال: رأيت خالد بن الوليد أُتي بسمٍّ فقال: ما هذا؟ قالوا: سم، فقال بسم الله وشربه، وتوفي ﷺ سننه (٢١، ٢٢)

(٢) المجوس فرقة عبدوا الله من حيث الأحدية، فكما أن الأحدية مفنية لجميع المراتب والأسماء والأوصاف، فكذلك النار فإنها أقوى العناصر وأرفعها فإنها مفنية لجميع الطبائع بمحاذاتها، لا تقاربها طبيعة إلا وتستحيل إلىٰ النارية لغلبة قوتها فكذلك الأحدية لا يقابلها اسم ولا وصف إلا ويندرج فيها ويضمحل فلهذه اللطيفة عبدوا النار وحقيقتها ذاته تعالىٰ

المعجم الصوفي (ص٢٢١).

باب فضيلة التعوذ

قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾[١]

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: من استعاذ بالله في اليوم عشر مرات من الشيطان الرجيم وكل الله تعالىٰ ملك يذود عنه الشيطان كما يذود العرب الإبل عن الحوض[٢]

وحكي عن سعيد الخدري أنه قال: رأيت في مقام إبليس[٣] عليه اللعنة منكوسًا فهممت أن أقرعه بالعصا ، فقال: يا أبا سعيد أما علمت أني لا أخاف العصا ولا أسلحة الدنيا

فقلت: فما الذي تخافه يا ملعون؟

قال: شيئان، أحدهما: استعاذة المستعيذين[٤] والثاني: شعاع معرفة الصديقين.

وروي عن الزبير بن العوام قال: كنت في مسجد رسول الله ﷺ وأنا أذكر الله

---

(١) سورة النحل (٩٨)

(٢) أخرجه: ابن حجر في المطالب العالية (٣٤٣٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٤٢).

(٣) في معنى قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ **[البقرة: ٣٤]**

قد قال تعالىٰ للملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة دون الملائكة الذين في السماوات اسجدوا لآدم فسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس أبى واستكبر لما كان حدث نفسه من الكبر والاغترار فقال: لا أسجد له وأنا خير منه وأكبر سنًا وأقوى خلقا خلقتني من نار وخلقته من طين، يقول إن النار أقوى من الطين، قال فلما أبى إبليس أن يسجد أبلسه الله أي آيسه من الخير كله وجعله شيطانًا رجيمًا عُقُوبة لمعصيته .
تفسير ابن كثير (١/ ٧٥) .

(٤) جمهور العلماء علىٰ أن الاستعاذة مستحبة ليست بمتحتمة يأثم تاركها وحكى الرازي عن عطاء بن أبي رباح وجوبها في الصلاة وخارجها كلما أراد القراءة، وقال ابن سيرين: إذا تعوذ مرة واحدة في عمره فقد كفى في إسقاط الوجوب، واحتج الرازي لعطاء بظاهر الآية: ﴿فَٱسْتَعِذْ﴾ **[الأعراف: ٢٠٠]** وهو أمر ظاهره الوجوب وبمواظبة النبي ﷺ عليها، ولأنها تدرأ شر الشيطان وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولأن الاستعاذة أحوط وهو أحد مسالك الوجوب

إذ سمعت سلامًا عن يميني فرددت عليه فالتفت فلم أرى أحدًا فراعني ذلك

فقال: لا تخف إني رجل من الجن من المؤمنين أتيت لأسألك عن شيء وأجيبك عن شيء

قال: قلت: ما الذي تسألني؟

قال: كنت عند إبليس وهو يعرض جنوده، إذ مر به شيطان أسود الوجه، سيء الحال ليس من شيطان أسوأ حالاً منه[1] فقال إبليس ما الذي بلغ بك ما أرى؟

وما صنعت في أمر الرجل الذي وكلتك عليه؟

فقال: إني لم أستطع إليه سبيلا

قال: ويلك ولم؟

قال: لأجل كلمات يتكلم بهن محترزًا من كل شيطان رجيم[2]

قال: ويلك ما تحفظ منهن شيئًا؟

قال: لا، قال الجني، فسألت الشيطان من الرجل؟

قال: الزبير بن العوام

قد جئتك لتعلمني تلك الكلمات

---

(١) الشيطان في لغة العرب مشتق من شَطَن إذا بعد فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر وبعيد بفسقه عن كل خير، وقيل مشتق من شاط لأنه مخلوق من نار، ومنهم من يقول كلاهما صحيح في المعنى ولكن الأول أصح وعليه يدل كلام العرب قال أمية بن أبي الصلت في ذكر ما أوتي سليمان عليه السلام:

أيما شاطِنٍ عصاه عكاه ثمّ يُلْقى في السِّجْن والأغلال

فقال أيما شاطن ولم يقل: أيما شائط.

انظر تفسير ابن كثير (١/ ١٥).

(٢) معنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أي استجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني أو دنياي أو يضرني عن فعل ما أمرت به أو يحثني علىٰ فعل ما نهيت عنه فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله، ولهذا أمر تعالىٰ بمصانعة شيطان الإنس ومداراته باسداء الجميل إليه ليرد طبعه عما هو فيه من الأذى وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن لأنه لا يقبل رشوة ولا يؤثر فيه جميل لأنه شرير بالطبع ولا يكفه عنك إلا الذي خلقه

قال: إذا قمت من الفراش[١] أقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي عافاني في بدني ورد روحي في جسدي آمنت بالله العظيم واستمسكت بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم

وروي أن شيطانًا يأتي إلىٰ النبي ﷺ فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال: قل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، من فتن الليل وطوارق النهار إلا طارق يطرق بخير يا رحمن[٢]

قال ذلك فطفئت شمعته وخر علىٰ وجهه

ومثال الشيطان مثال كلب جائع، فإن لم يكن بين يديك طعام ينزجر بأن تقول له اخسأ فإن كان بين يديك شيء وهو جائع فإنه يهجم عليك ولا يندفع بمجرد الكلام، فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر بمجرد الذكر

فإذا غلبت الشهوة في القلب يكون مستقر الشيطان[٣] في سويداء القلب

---

(١) روى البخاري في صحيحه (١١٢٠)، ومسلم في صحيحه (٧٦٩) وأبو داود (٧٧١) والترمذي (٣٤١٨) من حديث ابن عباس: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: «**اللهم لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد لك ملك السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت ملك السماوات والأرض ومن فيهن**. . . . .» الحديث بطوله

(٢) أخرجه: ـ مالك في الموطأ (٢/ ٩٥١)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٩٥٦)، والطبراني رقم (١٠٦٠) في الدعاء من حديث يحيى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن ابن مسعود بنحوه

وقد أخرجه أبو داود (٣٨٩٣) والترمذي (٣٥١٩) من حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم من الفزع كلمات: أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون» واللفظ لأبي داود .

(٣) وقال سيبويه: العرب تقول: تشيطن فلان إذا فَعَل فِعْل الشياطين ولو كان من شاط لقالوا تشيط فالشيطان مشتق من البعد علىٰ الصحيح ولهذا يسمون كل من تمرد من جني وإنسي وحيوان شيطانًا قال الله تعالىٰ: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا**﴾ **[الأنعام: ١١٢]**

تفسير ابن كثير (١/ ١٥) .

وروي أن جبرائيل ﷺ أتى النبي ﷺ فقال: إن عفريتًا يكيدك، فإذا أويت إلىٰ فراشك فاقرأ آية الكرسي[١]

(من أربع أحرف[٢] من قرأ بها يهون الله عليه أربع عمل أول: يأخذ روحه بالشهادة، والثاني: أن يبشره يوم الحشر، والثالث: يعطي له الجنة مع حور العين، والرابع: ينظر الله إليه يوم القيامة، ومن نظر الله إليه لم يعذبه) تمت[٣]

ويحكى عن جعفر بن محمد الصادق قال: سمعت أبي يقول: تعوذ النبي ﷺ[٤] أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وأما تعوذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم

وتعوذ الحسن والحسين وفاطمة وأبي ذر وعمار بن ياسر وأسامة بن زيد وأبي ابن كعب كذلك

---

(١) روى الحاكم في مستدركه (١/ ٥٦٢) وابن حبان في صحيحه (١٧٢٤ ـ الموارد) والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٥٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١/ ١٧٠) بطرق عن أبي ابن كعب أنه كان له جرن فيه تمر فكان أبي يتعاهده فوجده ينقص قال فخرسه ذات ليلة فإذا هو بدابة شبه الغلام المحتلم قال: فسلمت عليه فرد السلام قال: فقلت ما أنت؟ جني أم أنسي؟ قال: جني إلىٰ أن قال: قلت فما حملك علىٰ ما صنعت؟ قال: بلغني أنك رجل تحب الصدقة فأحببنا أن نصيب من طعامك، فقال له أبي: فما الذي يجيرنا منكم؟ قال: هذه الآية آية الكرسي، ثم عدا إلىٰ النبي ﷺ فأخبره فقال النبي ﷺ: «**صدق الخبيث**»

(٢) يقصد بسم الله الرحمن الرحيم

(٣) وجدناه بالهامش

(٤) قال الشافعي في الإملاء يجهر بالتعوذ وإن أسر فلا يضر ـ وذلك في الصلاة ـ وقال في الأم بالتخيير لأنه أسر ابن عمر وجهر أبو هريرة، واختلف قول الشافعي فيما عدا الركعة الأولىٰ هل يستحب التعوذ فيها علىٰ قولين ورجح عدم الاستحباب والله أعلم

فإذا قال المستعيذ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كفى ذلك عند الشافعي وأبي حنيفة وزاد بعضهم أعوذ بالله السميع العليم، وقال آخرون بل يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم قاله الثوري والأوزاعي .
تفسير ابن كثير (١/ ١٤) .

باب فضيلة الفاتحة

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾[١]

اعلم أن الله تبارك وتعالىٰ منَّ علىٰ نبيه محمد ﷺ بأن أعطاه سبعًا من المثاني

قال أهل التفسير: المثاني: فاتحة الكتاب، والقرآن العظيم ما وراء ذلك

وإنما سميت مثاني لأنها سبع آيات[٢] كل آية تعدل قراءتها سبع القرآن، ومن قرأ فاتحة الكتاب أعطى ثواب من قرأ جميع القرآن

وقيل بأن آياتها سبع، وأبواب النيران سبع فمن فتح لسانه بقراءتها أغلقت عليه أبواب النيران ببركتها

(قال النبي ﷺ: «**لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب**»[٣]

---

(١) سورة الحجر (٨٧)، قد اختلف في السبع المثاني ما هي؟ فقال ابن مسعود وابن عمر وابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وغير واحد: هي السبع الطُّوَل يعنون البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس

والقول الثاني: أنها الفاتحة وهي سبع آيات، رُوي ذلك عن عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس، قال ابن عباس والبسملة هي الآية السابعة وقد خصكم الله بها .

وبه قال إبراهيم النخعي وعبد الله بن عبيد بن عُمَيْر وابن أبي مليكة وشَهْر بن حَوْشَب والحسن البصري ومجاهد .

وقال قتادة ذكر لنا أنهن فاتحة الكتاب وأنهن يثنين في كل ركعة مكتوبة أو تطوع .

(٢) روى البخاري في صحيحه (٤٤٧٤) كتاب تفسير القرآن، ١ ـ باب ماجاء في فاتحه الكتاب، عن أبي سعيد بن المعلى قال:كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه فقلت: يا رسول الله إني كنت أصلي فقال ألم يقل الله: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [**الأنفال: ٢٤**] ثم قال لي. لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد» ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن قال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته»

(٣) أخرجه: البخاري في صحيحه (٧٥٦) كتاب الأذان، ٩٥ ـ باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر، ومسلم في صحيحه [٣٤ ـ (٣٩٤)] كتاب الصلاة ١١ ـ باب وجوب قراءة الفاتحه في كل ركعه.

وأبو داود في سننه (٨٢٢)، والترمذي في سننه (٢٤٧، ٣١١)، والنسائي (٢/ ١٣٧، ١٣٨ ـ المجتبى) وابن ماجه (٧٣٧)، وأحمد في مسنده (٥/ ٣١٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٣٨، ٦١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٣٦٠)، والدارقطني في سننه (١/ ٣٢١، ٣٢٢)، وأبو عوانه فى مسنده (٢/ ١٢٤) .

وفيه سبعة آيات، ولها ثلاثة أسماء: فاتحة الكتاب، وأم القرآن، والسبع المثاني لأنها نزلت علىٰ محمد ﷺ مرتين في مكة والمدينة

وليس فيها سبعة حروف من حروف القرآن

الأول: (ث) ليس فيها لأنه اسم الثبور

ومن قرأ الفاتحة يتجوز من الثبور

الثاني: جيم ليس فيها لأنه اسم جهنم، ومن قرأ الفاتحة نجي من جهنم

الثالث: (خ) ليس فيها لأنه اسم الخوف، من قرأ الفاتحة لا يخوفه الله يوم القيامة.

الرابع: (ز) ليس فيها لأنه اسم الزقوم[١] من قرأ الفاتحة أمن من أكل الزقوم.

الخامس: (ش) ليس فيها لأنه اسم الشوى، من قرأ الفاتحة حرم الله بدنه علىٰ النار

السادس: (ف) ليس فيها لأنه اسم الفراق من قرأ الفاتحة لم يفرقه الله بينه وبين من أحبه يوم القيامة[٢]

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾﴾ [**الصَّافات**: ٦٢] وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾

﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ [**الصَّافات**: ٦٢] أي التي في جهنم وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك شجرة واحدة معينة كما قال بعضهم من أنها شجرة تمتد فروعها إلىٰ جميع محال جهنم كما أن شجرة طوبى ما من دار في الجنة إلا وفيها منها غصن، وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك جنس شجر يقال له الزقوم كقوله تعالىٰ: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

(٢) روى البخاري في صحيحه (٨/ ٤٨) ومسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة رقم (١٦٥)، وأبو داود في سننه (٥١٢٧)، والترمذي (٢٣٨٦) من حديث أنس رفعه «**أن المرء مع من أحب وله ما اكتسب**»

وقد روى الترمذي (٢٣٨٥) كتاب الزهد، باب ما جاء أن المرء مع من أحب، عن أنس أنه قال جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله متى قيام الساعة؟ فقام النبي ﷺ إلىٰ الصلاة فلما قضى صلاته قال: أين السائل عن قيام الساعة؟ فقال الرجل: أنا يا رسول الله قال: ما أعددت لها؟ قال: يا رسول الله ما أعددت لها كبير صلاة ولا صوم إلا أني أحب الله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: المرء مع من أحب وأنت مع من أحببت، فما رأيت فرح المسلمون بعد الإسلام فرحهم بهذا.

السابع: (ظ) ليس فيها لأنه اسم اللظى، من قراءها ينجى من اللظى، تمت)[١]

بدليل ما روي في الحديث أن جبرائيل عليه السلام قال للنبي ﷺ: يا محمد كنت أخشى العذاب على أمتك، فلما نزلت فاتحة الكتاب أمنت[٢]

قال: «**لما يا جبريل**»

قال: لأن الله تبارك وتعالى قال: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾[٣]

وآياتها سبع فمن قرأها صارت كل آية منها طبقًا على باب جهنم، فيمر أمتك عليها سالمين

ويقال: تمنى الخضر وإلياس عليهما السلام على أربعة ألف سنة أن يعلمهما الله سورة الفاتحة فلم يعطيا

فلما طال تضرعهما إلى الله

قال الله: تلك ذخيرة ادخرتها لأمة محمد ﷺ[٤]، ولكن عليكما أن تشربا ماء

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) هي مكية قاله ابن عباس وقتادة وأبو العالية، وقيل مدنية قاله أبو هريرة ومجاهد وعطاء بن يسار والزهري ويقال نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة، والأول أشبه لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ [**الحجر**: ٨٧] والله تعالى أعلم

وحكى أبو الليث السمرقندي أن نصفها نزل بمكة ونصفها الآخر نزل بالمدينة وهو غريب جدًا نقله القرطبي عنه وهي سبع آيات بلا خلاف.

(٣) سورة الحجر (٤٣)

أي جهنم موعد جميع من اتبع إبليس، ثم أخبر أن لجهنم سبعة أبواب: ﴿لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [**الحجر**: ٤٤] أي قد كتب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلونه لا محيد لهم عنه أجارنا الله منها، وكل يدخل من باب بحسب عمله ويستقر في دَرَك بقدر عمله.

وروى الترمذي في سننه (٣١٢٣) كتاب تفسير القرآن، من سورة الحجر، عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**لجهنم سبعة أبواب: باب منها لمن سلَّ السيف على أمتي أو قال: على أمة محمد**».

(٤) قال البخاري في أول كتاب التفسير: وسميت أم الكتاب لأنه يبدأ بكتابتها في المصاحف ويبدأ بقراءتها في الصلاة، وقيل إنما سميت بذلك لرجوع معاني القرآن كله إلى ما تضمنته

قال ابن جرير: والعرب تسمي كل جامع أمر أو مقدم لأمر إذا كانت له توابع تتبعه هو لها إمام جامع، وقال: وسميت مكة أم القرى لتقدمها أمام جميعها وجمعها ما سواها، وقيل لأن الأرض دحيت منها.

الحياة فإن شربتما بقيتما إلىٰ وقت حبيبي محمد ﷺ ففعلا ذلك، فعاشا

فلما بعث الله محمد أتياه فعلمهما رسول الله ﷺ فقالا: الآن تمت النعمة

فلا تزيد الحياة بعد هذا فقال النبي ﷺ: «**لا تفعلا، يا خضر**[١] **عليك أن تعين أمتي في المفازة، ويا إلياس عليك أن تعين أمتي في البحر**»

ويقال: إن لله ملكًا تحت العرش قائم رأسه مثل رأس الآدمي عن يمينه سبعون ألف جناح، وعن يساره كذلك

على كل جناح اثنى عشر ألف من الريش العظام علىٰ كل ريش صف من الملائكة علىٰ جبهة ذلك الملك سورة الفاتحة مكتوبة

وعلى صدغه الأيمن سورة الإخلاص، وعلىٰ خده الأيسر شهد الله

وبين يديه سبعون ألف صف من الملائكة ينظرون إلىٰ وجه ذلك الملك، فيقولون: الحمد لله إذا قالوا: إياك نعبد وإياك نستعين[٢] سجدوا ونودي

---

(١) اختلفوا في الخضر هل كان مرسلاً قال الحبري المفسر وأبو عمرو هو نبي، وقال القشيري وكثيرون هو ولي: وحكى الماوردي في تفسيره ثلاثة أقوال: أحدها نبي، والثاني: ولي، والثالث: أنه من الملائكة وهذا غريب باطل، قال المازري: اختلف العلماء في الخضر هل هو نبي أو ولي واحتج من قال بنبوته بقوله ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [**الكهف: ٨٢**] فدل علىٰ إنه نبي أوحي إليه، وبأنه أعلم من موسى ويبعد أن يكون ولي أعلم من نبي وأجاب الآخرون بأنه يجوز أن يكون قد أوحى الله إلىٰ نبي في ذلك العصر أن يأمر الخضر بذلك

وقال الثعلبي المفسر: الخضر نبي معمر علىٰ جميع الأقوال محجوب عن الأبصار يعني عن أبصار أكثر الناس، قال: وقيل: إنه لا يموت إلا في آخر الزمان حين يرفع القرآن، وذكر الثعلبي ثلاثة أقوال في أن الخضر كان من زمن إبراهيم الخليل ﷺ أم بعده بقليل أم بكثير كنية الخضر أبو العباس واسمه بليا وقيل: كليان، النووي في شرح مسلم (١٥/ ١١١) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) روى مسلم في صحيحه [٣٨-(٣٩٥) كتاب الصلاة، ١١-باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة.

عن أبي هريرة رفعه: «**قال الله تعالىٰ قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد**: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [**الفَاتِحَة: ٢**] قال الله تعالىٰ: «**مجدني عبدي، وإذا قال** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [**الفَاتِحَة: ١**] قال الله تعالىٰ: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [**الفَاتِحَة: ٤**] قال: مجدني عبدي، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [**الفَاتِحَة: ٥**] قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ قال: «**هذا لعبدي ولعبدي ما سأل**»

إليهم ارفعوا رؤوسكم فإني قد رضيت عنكم يا ملائكتي

فيقولون: إلهنا وسيدنا فارض عن من قرأ فاتحة الكتاب من أمة محمد ﷺ

فيقول الله تعالىٰ: اشهدوا فإني قد رضيت عنهم

(قال النبي ﷺ: «**الحمد**»[١] خمسة أحرف

وقد فرض الله علىٰ المؤمنين والمؤمنات خمس صلوات، من قرأ هذه الخمسة يمحو الله كل خطاياه في صلاة الخمسة

«**لله**» ثلاثة أحرف، ثلاثة أحرف مع الخمسة تكون ثمانية، وخلق الله تعالىٰ الجنة ثمانية أبواب، من قرأ هذه الثمانية أحرف يدخل من أي باب شاء

«**رب العالمين**» عشرة أحرف، عشرة أحرف مع الثمانية يكون ثمانية عشرة أحرف .

وخلق الله تبارك وتعالىٰ ثمانية عشرة ألف عالم من قرأ هذه الثمانية عشرة أحرف كتب الله له حسنات ثمانية عشر ألف عالم

«**الرحمن الرحيم**» اثنى عشر حرف

واثنا عشرة أحرف مع ثمانية عشر يكون ثلاثين حرفا، وخلق الله تعالىٰ علىٰ طريق الصراط[٢] ثلاثين ألف عام، من قرأ هذه الثلاثين حرفًا يقصر عليه طريق الصراط بطرفة عين

---

(١) قال ابن جرير معنى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [**الفَاتِحَة: ٢**] الشكر لله خالصًا دون سائر ما يعبد من دونه، ودون كل ما برأ من خلقه بما أنعم علىٰ عباده من النعم التي لا يحصيها العدد ولا يحيط بعددها غيره أحد في تصحيح الآلات لطاعته وتمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق وغذَّاهم به من نعيم العيش من غير استحقاق منهم ذلك عليه ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه من الأسباب المؤدية إلىٰ دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم فلربنا الحمد علىٰ ذلك كله أولاً وآخرًا

تفسير ابن كثير (١/ ٢٢) .

(٢) روى مسلم في صحيحه [٣٠٢ ـ (١٨٣)] كتاب الإيمان ٨١ ـ باب معرفة طريق الرؤية، عن أبي سعيد الخدري من حديث طويل في آخره: قال أبو سعيد: بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف، قال النووي: أجمع السلف علىٰ إثباته وهو جسر علىٰ متن جهنم يمر عليه الناس كلهم فالمؤمنون ينجون علىٰ حسب حالهم أي منازلهم والآخرون يسقطون فيها أعاذنا الله الكريم منها وأصحابنا المتكلمون وغيرهم من السلف يقولون إن الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف كما ذكره أبو سعيد الخدري

«**مالك يوم الدين**» اثنى عشر حرفًا، وخلق الله تعالىٰ في السنة اثنى عشر شهرًا، من قرأ هذه اثنى عشر حرفًا يغفر الله له اثنى عشر شهرًا

«**إياك نعبد**» ثمانية أحرف وثمانية مع اثنى وأربعين يكون خمسين، وجعل الله تعالىٰ يوم القيامة مقداره خمسين ألف سنة(١)

من قرأ هذه الخمسين حرفًا، هون عليه طول يوم القيامة

«**إياك نستعين**»(٢) إحدى عشر حرفًا مع خمسين يكون إحدى وستون حرفًا، وخلق الله إحدى وستين بحرًا من قرأ هذه إحدى وستين حرفًا يكتب الله له الحسنات حتى ينفذ إحدى وستين بحرًا يمحوا الله سيئاته

«**اهدنا الصراط المستقيم**» تسعة عشر حرفًا، تسعة عشر حرفًا مع إحدى وستين حرفًا، يكون ثمانين حرفًا، من قرأ ثمانين حرفًا أعطاه الله عبادة ثمانين سنة

«**صراط الذين أنعمت عليهم**» (٣) تسعة عشر حرفًا تسعة عشر حرفًا،

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [**المعارج**: ٤] قيل فيه أربعة أقوال: آخره أن المراد بذلك يوم القيامة روى ذلك ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس قال: يوم القيامة وإسناده صحيح وكذا عن عكرمة والضحاك وابن زيد

وروى أحمد بسنده عن أبي سعيد قال: قيل لرسول الله ﷺ ما أطول هذا اليوم فقال«**والذي نفسي بيده إنه ليخفف علىٰ المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا**».

(٢) قال بعض السلف: الفاتحة سر القرآن، وسرها هذه الكلمة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [**الفَاتِحَة**: ٥] فالأول تبرؤ من الشرك، والثاني تبرؤ من الحول والقوة والتفويض إلىٰ الله ﷻ وهذا المعنى في غير آية من القرآن كما قال تعالىٰ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [**هُود**: ١٢٣] ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ [**المُزمّل**: ٩]، وكذلك هذه الآية الكريمة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [**الفَاتِحَة**: ٥] وتحول الكلام من الغيبة إلىٰ المواجهة بكاف الخطاب وهو مناسبة لأنه لما أثنى علىٰ الله فكأنه اقترب وحضر بين يدي الله تعالىٰ فلهذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [**الفَاتِحَة**: ٥]،

تفسير ابن كثير (١/ ٢٥).

(٣) اختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف في تفسير الصراط، وإن كان يرجع حاصلها إلىٰ شيء واحد وهو المتابعة لله وللرسول فروي أنه كتاب الله، قال ابن أبي حاتم بسنده: عن علي بن أبي طالب ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الصراط المستقيم كتاب الله**». =

مع ثمانين حرفًا يكون تسعة وتسعون حرفًا

ولله تعالىٰ تسعة وتسعون اسمًا، من أسمائه الاسم الأعظم، من قرأ هذه التسعة وتسعون حرفًا أعطاه الله ثواب تسعة وتسعون اسمًا(١)

«**غير المغضوب عليهم**» خمسة عشر حرفًا وخمسة عشر حرفًا مع تسع وتسعون يكون مائة وأربعة عشر حرفًا

وأنزل الله علىٰ محمد مائة وأربع عشر سورة أعطاه الله تعالىٰ ثواب أربع عشر ومائة سورة

«**ولا الضالين**»(٢) عشر أحرف، عشر أحرف مع مائة وأربع عشرة يكون مائة وأربع وعشرون حرفًا وخلق الله تبارك وتعالىٰ مائة ألف وأربع وعشرون ألف نبي، من قرأ هذه المائة وأربع وعشرون حرفًا يعطي الله له ثواب مائة وأربع وعشرين ألف نبي)(٣)

= وروى أحمد والترمذي من رواية الحارث الأعور عن علي مرفوعاً: «**وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم**»

وقد روي هذا موقوفا عن علي وهو أشبه والله أعلم.

(١) حديث: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة**»

أخرجه: البخاري في صحيحه (٦٤١٠)، ومسلم في صحيحه (٢٦٧٧)، والترمذي في سننه (٣٥٠٧)، وابن ماجه (٣٨٦١)، وابن حبان في صحيحه (٢٣٨٢ ـ الموارد) والحاكم في المستدرك (١/ ١٦)، وقال البوصيري في الزوائد: لم يخرج أحد من الأئمة الستة عدد أسماء الله الحسنى من هذا الوجه ولا غيره، غير ابن ماجه والترمذي مع تقديم وتأخير وطريق الترمذي أصح شيء في الباب وقال: وإسناد طريق ابن ماجه ضعيف.

انظر كتاب الأذكار (٢٦٩).

(٢) أي غير صراط المغضوب عليهم وهم الذين فسدت إرادتهم فعلموا الحق وعدلوا عنه، ولا صراط الضالين وهم الذين فقدوا العلم فهم هائمون في الضلالة لا يهتدون إلىٰ الحق وأكد الكلام بلا ليدل علىٰ أن ثَمّ مسلكين فاسدين وهما طريقتا اليهود والنصارى

وقد زعم بعض النحاة أن غير ههنا استثنائية فيكون علىٰ هذا منقطعًا لاستثنائهم من المنعم عليهم وليسوا منهم. تفسير ابن كثير (١/ ٢٩).

(٣) وجدناه بالهامش

باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [(١)]

(إذا أراد أن يخبر الناس بشيء من الفضائل من الصلاة والصيام والصدقة، فينبغي أن يعمل به أولاً، حتى لا يكون من أهل هذه الآية

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [(٢)] الآية

وقال مالك بن دينار: ما من خطيب إلا عرضت خطبته علىٰ عمله، فإن كان صادقًا صدق، وإن كان كاذبًا قرضت شفتاه بمقراضين من نار كلما قرضتا نبتت

وقال مالك بن دينار: الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه.

وكل مقصود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب[(٣)] فالكذب حرام، وإن أمكن

---

(١) سورة آل عمران (١٠٤)

روى الترمذي في سننه (٢١٦٩)، و أحمد في مسنده (٥/ ٣٨٩) والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ١٨٠) واللفظ لأحمد: عن حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا من عنده، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم**»

(٢) سورة البقرة (٤٤)

يقول تعالىٰ: كيف يليق بكم يا معشر أهل الكتاب وأنتم تأمرون الناس بالبر وهو جماع الخير أن تنسوا أنفسكم فلا تأتمروا بما تأمرون الناس به وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب وتعلمون ما فيه علىٰ من قَصر في أوامر الله؟ أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم، فتنتبهوا من رَقدتكم وتتبصروا من عمايتكم.

وهذا كما قال عبد الرزاق عن مَعْمَر عن قتادة في قوله تعالىٰ: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ قال: كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه وبالبر ويخالفون فَعَيّرهم الله ﷻ.

تفسير ابن كثير (١/ ٨٥).

(٣) روى البخاري في صحيحه (٨/ ٣٠)، ومسلم في صحيحه [١٠٣ ـ (٢٦٠٧)] كتاب البر والصلة، ٢٩ ـ باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، واللفظ لمسلم من حديث ابن مسعود رفعه «**إن الصدق يهدي إلىٰ البر، وإن البر يهدي إلىٰ الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب، صديقا وإن الكذب يهدي إلىٰ الفجور وإن الفجور يهدي إلىٰ النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب كذاباً**»

التوصل بالكذب دون الصدق فالكذب مباح إذ كان تحصيل ذلك المقصود مباحًا) إحياء[(١)]

وروي عن أبي ثعلبة إنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسيره قوله تعالىٰ: ﴿يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [(٢)]

فقال: «**يا أبا ثعلبة مُر بالمعروف وأنه عن المنكر فإذا رأيت شحًا مطاعًا وهوىً متبعًا وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع العوام، وإن من وراءكم فتنًا كقطع الليل المظلم المتمسك فيها بمثل الذي أنتم عليه له أجر خمسين منكم**»[(٣)]

وقال: «**ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم، فلم يفعل ليوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده**»[(٤)]

(قال تعالىٰ لعيسى عليه السلام عظ الناس بفعلك ولا تعظ بقولك صدق الله تعالى)[(٥)]

عن الحسن، عن النبي ﷺ قال: «**من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في الأرض، وخليفة رسوله**»[(٦)]

عن جدة بنت أبي لهب قالت: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ وهو علىٰ المنبر فقال يا رسول الله من خير الناس قال: «**آمرهم بالمعروف وأنهاهم علىٰ المنكر وأتقاهم لله وأوصلهم للرحم**»[(٧)]

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) سورة المائدة (١٠٥)

(٣) أخرجه: الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٢٢)، والزبيدي في الإتحاف (٦/٧)

(٤) أخرجه: أبو داود في الملاحم باب (١٧)، وابن ماجه في سننه (٤٠٠٩)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٤/ ٣٦٤، ٣٦٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٣٧٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٩١)، والطحاوي في مشكل الآثار (٢/ ٦٤)، والقرطبي في تفسيره (١/ ٤٠١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٣٠)، والعراقي في المغني عن حمل الاسفار (٢/ ٣٠٤)، وابن كثير في تفسيره (٣/ ٥٨٠)

(٥) وجدناه بالهامش

(٦) ذكره ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٦/ ٢١٠٤)

(٧) أخرجه: أحمد بن حنبل في مسنده (٦/ ٤٣٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٩٩)، وابن كثير في تفسيره (٢/ ٧٧، ٧/ ٣٦٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٦٣)

وقال علي بن أبي طالب: أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشنآن[١] الفاسقين فمن أمرنا بالمعروف شد ظهر المؤمن، ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافق[٢] ومن شنأ الفاسقين وغضب الله لغضبه

وقال حذيفة: يأتي علىٰ الناس زمان يكون فيهم جيفة حمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر

وقال أبو ذر: لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانًا ظالمًا لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم، ويدعوا خياركم فلا يستجاب لهم، ويستغفرون فلا يغفرون

باب فضيلة العلم

قال الله تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾[٣]

---

(١) أي بغض الفاسقين، وهذا من أكمل الإيمان فإن ذلك ربما يردعهم ليعودوا إلىٰ الطريق الحق المستقيم، وأما أن تركتهم ربما ظنوا أنهم علىٰ الصواب وهذا مخالف لما ورد من حديثه ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره**». . . . الحديث

(٢) روى البخاري في صحيحه (٣٣) كتاب الإيمان ٢٥ ـ باب علامة المنافق، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان**»
وفي رقم (٣٤) عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر**»

(٣) سورة آل عمران (١٨)
شهد تعالىٰ وكفى به شهيدًا وهو أصدق الشاهدين وأعدلهم وأصدق القائلين ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [**آل عِمرَان**: ١٨] أي المنفرد بالإلهية لجميع الخلائق وأن الجميع عبيده وخلقه والفقراء إليه وهو الغني عما سواه كما قال تعالىٰ: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾ [**النِّساء**: ١٦٦] الآية ثم قرن شهادة ملائكته وأولي العلم بشهادته فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ [**آل عِمرَان**: ١٨] وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام.
تفسير ابن كثير (١/ ٣٥٣).

فانظر كيف بدأ بنفسه، وثنى بملائكته، وثلث بأهل العلم، وناهيك بها شرفًا وفضلاً ونُبلا وجلالاً

قال ابن عباس: العلماء سبعمائة درجة فوق المؤمنين

ما بين الدرجتين خمسمائة عام

(وقال بعضهم: المؤمن يكون أمينًا علىٰ قلبه أمينًا علىٰ روجه أمينًا علىٰ سرّه، أمينًا علىٰ جوارحه)[(١)]

وقال ﷺ [(٢)]: «**من حمل من أمتي أربعين حديثًا لقي الله يوم القيامة فقيهًا**»

وقال: حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة، وعيادة ألف مريض، وشهود ألف جنازة

فقيل: «**وهل ينتفع القرآن إلا بالعلم**»[(٣)] فمن جاءه العلم وهو يطلب علمًا ليحيي به الإسلام فبينه وبين الأنبياء درجة واحدة

وقال عمر رضي الله عنه: صوت ألف عابد قائم بالليل وصائم بالنهار أهون من موت عالم عاقل بصير حلال الله وحرامه

(وطريق الجنة في يدي أربعة العالم والزاهد والعابد والمجاهد، العالم إذا كان صادقًا[(٤)] رزق الحكمة، والزاهد إذا كان صادقًا في دعواه رزقه الله الأمن، والعابد إذا

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (١/ ٧٤)، والشجري في أماليه (١/ ٥٩)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١١٨)، تذكرة الموضوعات للفتني (٢٧)، جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١/ ٤٣)

(٣) أخرجه: الشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٧٦)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٣) والفتني في تذكره الموضوعات (٢٠)، والذهبي في ميزان الاعتدال (٤٢١)، وعلي القاري في الأسرار المرفوعة (١٨٧)

(٤) قال في عيون المجالس: العلم ثلاثة أحرف عين، ولام، وميم، العين من العلوم، واللام من اللطافة، والميم من الملك، فالعين تجر صاحبها إلىٰ عليين، واللام تصيره لطيفًا، والميم تصيره ملكًا علىٰ العباد، ويعطي الله العالم ببركة العين العز وببركة اللام اللطافة وببركة الميم المحبة والمهابة

=

كان صادقًا رزقه الخوف والمجاهد إذا كان صادقًا رزقه الثناء والحمد (تفسير الكبير)، قال ﷺ: «**قلت يا جبرائيل أي أفضل لأمتي**» قال: العلم، قلت: ثم أي قال: النظر إلىٰ العالم، قلت: ثم أي، قال: زيارة العالم، قال: ثم أي، قال: ومن كتب علم الله وأراد به صالح نفسه وصلاح المؤمنين، ولم يرد به غرضًا من الدنيا فأنا كفيله في الجنة رزقنا الله تعالىٰ الجنة (تفسير الكبير)

عن ابن مسعود مرفوعًا: "من طلب العلم ليحدث به الناس ابتغاء وجه الله تعالىٰ أعطاه الله أجر سبعين نبيا" (تفسير الكبير)[١]

وقال ﷺ: «**العلماء مفاتيح الجنة وخلفاء الأنبياء**»[٢]

وقال[٣]: «**إذا كان يوم القيامة جمع الله العلماء، فقال لهم، إني لم استودعكم حكمتي وأنا أريد أن أعذبكم، ادخلوا الجنة برحمتي**»[٤]

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أكرم عالمًا فقد أكرم سبعين نبيًا ومن أكرم متعلمًا فقد أكرم سبعين شهيدًا ومن أحب العلم والعلماء لا يكتب عليه خطيئة أيام حياته**»[٥]

= وحكى في عيون المجالس عن إبراهيم بن محمد الشافعي قال: سألت أبي: أي العلم أتعلمه؟ أي علىٰ أحد الأقوال فقال: أما الشعر فإنه يضع الرفيع ويرفع الخسيس وأما النحو إذا بلغ صاحبه الغاية فيه صار مؤدبًا، وأما القرآن إذا بلغ فيه صاحبه الغاية صار معلمًا، وأما الفقه فهو سيد العلوم .

وقال ابن حجر في الكاف الشاف (١٦٥) قال ابن عباس: خير سليمان بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطاه الله المال والملك .

انظر بستان الفقراء ونزهة القراء (١/ ٢٨، ٢٩) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية .

(١) وجدناه بالهامش

(٢) أخرجه بلفظ: « **العلماء ورثة الأنبياء**» ابن ماجه في سننه (٢٢٣)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٣/ ١٦٤)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ٧١، ٣٣٨، ٤٥٠)، والقرطبي في تفسيره (٤/ ٤١، ١٣/ ١٦٤)، والبخاري في التاريخ الكبير (٨/ ٣٣٧)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٢٢، ٨٣)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٦)

(٣) أخرجه: ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٦٤)، والذهبي في ميزان الاعتدال (٥٥٣١)، وابن عدي في الكامل (٥/ ١٨١٠)، وفي جامع المسانيد (٢/ ٢٦٩)

(٤) تقدم تخريجه قبل هذا في أوله

(٥) أخرجه: ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١٠٠)

عن أبي أيوب الأنصاري[١] قال: قال رسول الله ﷺ: «**مسألة واحدة يتعلمها**[٢] **خيرًا له من عبادة سنة وخيرًا له من عتق رقبة ومن ولد إسماعيل، وإن طالب العلم، والمرأة المطيعة لزوجها، والولد البار بوالديه يدخلون الجنة مع الأنبياء بغير حساب**»[٣]

عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة يوقف الله ﷻ العلماء والشهداء، الذين حدثوا الشهداء بالحديث فعملوا بما سمعوا منهم، فيوضع دماء الشهداء في كفه الميزان وحبر العلماء في الكفة الأخرى فيرجح حبر العلماء بدم الشهداء**»[٤]

فيقولون: قتلنا في سبيلك مقبلين غير مدبرين وهم كتبوا كتابًا في قرطاس،

---

(١) أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف، الخزرجي البخاري، أخرج له أصحاب الكتب الستة، صحابي جليل شهد بدرا توفي سننه (٥٠، ٥٥)

ترجمته: تهذيب التهذيب (٣/ ٩٠)، تقريب التهذيب (١/ ٢١٣)، الكاشف (١/ ٢٦١)، التاريخ الكبير للبخاري (٣/ ١٣٦)، الجرح والتعديل (٣/ ٣٣١)، أسد الغابة (٢/ ٩٤)، الإصابة (٢/ ٢٣٤) .

(٢) روى مسلم في صحيحه في الذكر والدعاء رقم (٣٨) وأبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٤٦) عن أبي الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله له طريقا إلىٰ الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم علىٰ العابد كفضل القمر علىٰ سائر الكواكب إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»

(٣) ذكره الهندي في كنز العمال (٢٨٨٢٨)

(٤) روى الترمذي في سننه (١٦٤٤) في فضائل الجهاد، وأحمد في مسنده (١/ ٢٣) من حديث عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك الذي يرفع الناس إليه أعينهم يوم القيامة هكذا ورفع رأسه حتى وقعت قلنسوته قال: فما أدري أقلنسوة عمر أراد أم قلنسوة النبي ﷺ؟ قال: ورجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فكأنما ضرب جلده بشوك طلح من الجبن أتاه سهم غرب فقتله فهو في الدرجة الثانية، ورجل مؤمن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة، ورجل مؤمن أسرف علىٰ نفسه لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الرابعة**»

قال الترمذي: حديث حسن .

فيقول الله ﷻ: **«لولا علمهم ما عملتم، ولولا كتابهم ما جاهدتم، ولولا تحريضهم ما نفرتم، ادخلوا الجنة برحمتي»**

قال النبي ﷺ: **«سيأتي زمان علىٰ أمتي لا يعرفون العلماء إلا بثوب حسن ولا يسمعون القرآن إلا بصوت حسن، ولا يعبدون الله تعالىٰ إلا في شهر رمضان، فإذا جاء ذلك الزمان ابتلاهم الله تعالىٰ بثلاثة أشياء: أولها سلط الله عليهم سلطانًا جائرًا، والثاني: يرفع الله البركة، والثالث: أكثرهم يخرجون من الدنيا بلا إيمان»** أعاذنا الله من فتن هذا الزمان)(١)

ويقال: أول العلم الصمت، والثاني: الاستماع ، والثالث: الحفظ، والرابع: عمل العلم، والخامس: نشره(٢)

وقال الحسن: طلب العلم في الصغر كالنقش علىٰ الحجر، وطلب العلم في الكبر (كاقم)(٣) علىٰ الماء

وقال لخالد بن صفوان: ما لي إذا رأيتكم تذاكرون الأخبار وتدارسون الآثار وتناشدون الأشعار وقع علي النوم

قال: لأنك حمار في سلاح إنسان

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) قال في بستان الفقراء: عن عبد الله بن عمر ؓ عن رسول الله ﷺ أنه قال: قليل العلم خير من كثير العبادة، وكفى بالمرء فقهًا إذا عبد الله وكفى بالمرء جهلاً إذا أعجب برأيه

وعن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن لله مدينة تحت العرش من مسك أذفر علىٰ بابها ملك ينادي كل يوم ألا من قد زار عالمًا فقد زار الأنبياء ومن زار الأنبياء فقد زار الرب، ومن زار الرب فله الجنة»**

وفي طبقات السبكي: أن أبا محمد الجويني رحمه الله كان يقول في قنوت الصبح: اللهم لا تعفنا عن العلم بعائق ولا تمنعنا عنه بمانع

قال الحافظ أبو صالح: لما غسلته وكفنته رأيت يده اليمنى إلىٰ الإبط كلون القمر .

قال الجويني: رأيت إبراهيم ؑ في المنام فأردت تقبيل رجليه فمنعني من ذلك فقبلت عقبه فأولت ذلك أن البركة تكون في عقبي .

قال ابن السبكي: فأي بركة مثل ولده إمام الحرمين إمام الأئمة علىٰ الإطلاق عجما وعربًا .

بستان الفقراء ونزهة القراء (١/ ٢٤) من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) كذا بالأصل واظنها كالنقش

وفي الخبر أن في القيامة أهوالاً وحسرة وندامة حتى يعرق الرجل إلىٰ شحمة أذنه، فلو شرب من عرقه سبعين بعيرًا لم ينقص منه شيء

قالوا: ما النجاة من ذلك قال: الجثو بين يدي العلماء إلا من أهانهم فقد أهانني، ومن أكرمهم فقد أكرمني

وإن الله يجمع العلماء والزهاد[1] علىٰ تل من مسك ثم ينادي المنادي للزهاد: (ادخلوا الجنة، فيبقى العلماء ثم ينادي المنادي: أنا لم أحبكم لهوانكم ولكن هؤلاء اشتغلوا بأنفسهم فأنجيناهم بأنفسهم وأنتم اشتغلتم لخلقي، ولكم في الجمع أصدقاء امكثوا حتى تشتغلوا وتدخلوهم الجنة مع أنفسكم

باب آفات العلم وعلماء الدنيا

اعلم أنه ورد في علماء السوء تشديدات عظيمة دلت أنهم أشد الخلق عذابًا يوم القيامة، ونعني بعلماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلىٰ الجاه

وقال ﷺ[2]: «**لا تعلموا العلم لتماروا به السفهاء ولتباهي به العلماء**

---

(١) الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد، وأن تترك الدنيا لا تقول ابني بيتًا أو مسجدًا
والزاهد لا يملك مع الله سببًا، ولا يبلغ أحد حقيقة الزهد حتى تكون فيه ثلاث خصال: عمل بلا علاقة وقول بلا طمع، وعز بلا رياسة والزهد في الحرام لأن الحلال مباح وهو في الحرام واجب، وفي الحلال فضيلة .
والزهاد علىٰ ثلاثة طبقات فمنهم المبتدئون الذين خلت أيديهم من الأملاك وخلت قلوبهم مما خلت منه أيديهم، ومنهم المتحققون الذين يتركون حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا، والفرقة الثالثة الذين زهدوا في الزهد وتابوا من زهدهم لأن الدنيا لا شيء والزهد في لا شيء غفلة . المعجم الصوفي (ص١١٧) .

(٢) أخرجه: ابن ماجه في سننه (٢٥٤ ـ ٢٥٩) في المقدمة، ٢٣ ـ باب الانتفاع بالعلم والعمل به والحاكم في المستدرك (١/ ٨٦)، وابن حبان في صحيحه (٩٠ ـ الموارد)، وابن حجر في المطالب العالية (٣٠٢٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١١٦)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١/ ٣٤٩)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٥٣١)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٥٩)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٧/ ٢٦٧٢)

ولتصرفوا وجوه الناس إليكم، فمن فعل ذلك فهو في النار»

وقال ﷺ: «**إن أشر الناس عذابًا يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه**»(١)

وقال ﷺ: «**من ازداد علمًا ولم يزدد هدى لم يزدد إلا بُعدا**»(٢)

وقال: «**يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق**»(٣)

وقال ﷺ: «**إن العالم الفاجر ليعذب**(٤) **يوم القيامة عذابًا يطوف به أهل النار استعظامًا لشدة عذابه**»

وقال أسامة بن زيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يؤتى بالعالم الفاجر يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور كما تدور الرحى، فيطوف به أهل النار ويقولون له في ذلك، فيقول: كنت آمر بالخير فلا آتيه، وأنهى عن الشر فآتيه**»

وإنما يضاعف عذاب العالم لأنه عصى عن علم والجاهل عصى عن جهل، والإنكار بعد المعرفة أشد، ولذلك قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ (٥) لأنهم أنكروا بعد الإقرار

وقال عمر رضي الله عنه: إن أخوف ما أخاف هذه الأمة المنافق العليم، قالوا: وكيف

---

(١) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (١/ ٣٤٨)، والذهبي في ميزان الاعتدال (٥٥٦٨)، وابن حجر في لسان الميزان (٤/ ٣٦٤)، والعقيلي في الضعفاء (٣/ ١٢٤)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٣/ ١٢٤)

(٢) أخرجه: العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٢٢) والشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٨٨)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١/ ٣١٥، ٣/ ١٢٣)

(٣) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (١/ ٣٤٩)، والذهبي في الميزان (٩٨٧٧)، وفي المجروحين (٣/ ١٣٥) والحاكم في المستدرك (٤/ ٣١٥)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفه (٤٤٧)

(٤) قال الاوزاعي رحمه الله: شكت النواويس ما تجد من نتن جيف الكفار فاوحى الله عز وجل اليها بطون علماء السوء أنتن مما أنت فيه

وقال عيسى ابن مريم عليه السلام: مثل عالم السوء كمثل صخرة وقعت علىٰ فم النهر لا هي تشرب الماء ولا تترك الماء يخلص الزرع، ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى .
وقال الإمام الفضيل رحمه الله: بلغني أن الفسقة من العلماء يبدأ بهم قبل عبدة الأوثان، وقال مالك بن دينار رحمه الله: قرأت في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين

(٥) سورة النساء (١٤٥)

يكون المنافق عليمًا؟، قال: عليم اللسان جاهل القلب والعمل»[(١)]

وقال ﷺ: **«ما هلكت أمة قبل أمتي إلا من قبل جهالها، وستهلك أمتي من قبل علمائها»**

وقال الله تعالىٰ لآدم وعلمه ألف حرفة بعدما علمه الأسماء: يا آدم قل لأولادك أن يصبروا واطلبوا الدنيا بها ولا تطلبوها لديني، فإن ديني خالص، وويل لمن طلب الدنيا بديني

(حكاية القاضي البيضاوي فإنه قرأ اثنى عشر علمًا وبلغ درجة الاجتهاد[(٢)]، وخطر في قلبه أني قرأت اثنى عشر علمًا وأريد بلده للقضاء للكفاية، وذهب إلىٰ بلده مصر ونزل في مسجد الجامع فوجد فيه شيخًا كبيرًا عابدًا ذا كرامة

فقال له الشيخ: ما تريد يا قاضي البيضاوي؟

فقال له القاضي: إني قرأت اثنى عشر علمًا وبلغت درجة الاجتهاد وأريد أن نذهب إلىٰ سلطان بلده مصر ليوليني القضاء[(٣)] فإني فقير ليس لي كفاية

فقال له الشيخ: نعم اذهب غدًا إن شاء الله تعالى، فذهب إلىٰ سلطان مصر وسأل الشيخ وقال للسلطان يريد هذا الفلاني من عندك مكانًا يقعد من النار.

---

(١) أخرجه: أحمد في مسنده (١/ ٢٢)، والزبيدي اتحاف السادة المتقين (١٠/ ٢٢)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠١٣) وبلفظ « **إن أخوف ما اخاف عليكم الأئمة المضلون**»

أخرجه: أحمد في مسنده (٦/ ٤٤١)، والدارمي في سننه (١/ ٧٠)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ٣٥١)، والقرطبي في تفسيره (٦/ ١٤٠، ٩/ ٣٤٠) .

(٢) روى البخاري في صحيحه (٩/ ١٣٣)، ومسلم في صحيحه كتاب الأقضية رقم (١٥)، عن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر**»

(٣) روى أبو داود في سننه (٣٥٧٣)، والترمذي في سننه (١٨٣، ١٣٢٢)، وابن ماجه (٢٣١٥) من حديث أبي موسى الأشعري واللفظ لأبي داود: عن النبي ﷺ قال: «**القضاة ثلاثة: واحد في الجنة واثنان في النار، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار ورجل قضى للناس علىٰ جهل فهو في النار**»

فعلم السلطان والقاضي قول الشيخ أن السلطنة والقضاء شر، فبكيا وهرب القاضي ولم يطلب القضاء حتى مات، وصنف بعده تفسير القاضي[(١)]

وقال الثوري: لا يزال المرء عالمًا ما طلب العلم فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل[(٢)]

قيل: يا رسول الله فأي الناس أعلم؟

قال: أشدهم لله خشية»

فقالوا: فأخبرنا بخيارنا بحالهم؟

قال: الذين إذا أرادوا ذكر الله جاءوا إليه وقعدوا

قالوا: فأي الناس أشرنا يا رسول الله؟

قال: اللهم اغفر

قالوا: أخبرنا يا رسول الله، قال: العلماء إذا فسدوا

قال رسول الله ﷺ: «**صنفان من أمتي إذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس العلماء والأمراء**»[(٣)]

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) روى عبد الرزاق في مصنفه (٢٠٥٦٨) عن أبي سلمة الحمصي ﷺ قال: إن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال: «**العلم**» ثلاث مرات قال: سألتك عن العمل ولم أسألك عن العلم فقال رسول الله ﷺ: « **عمل قليل في علم خير من عمل كثير في جهل**»

(٣) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (١/ ٧٨) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٠٥)، وذكره الالباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٦) وروى العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٤٦٠) والزبيدي في الإتحاف (١/ ٣٦٩) بلفظ «**هلاك أمتي عالم فاجر، وعابد جاهل، وشر الشرار شرار العلماء**»

وفي الخبر: «**مما أخاف علىٰ أمتي: زلة عالم وجدال منافق في القرآن**» .

باب علماء الآخرة

اعلم أن علماء الآخرة لهم علامات ، ومن فضيلة العلم[١] التي ذكرنا يحصل لهم دون علماء الدنيا، وعلماء السوء

فمن العلامات أن لا يطلب الدنيا بعلمه، وإن الدنيا والآخرة كضرتين مهما ارتضت إحديهما أسخطت الأخرى، فإن من لا يعلم حقارة الدنيا وكدورتها فهو ناقص العقل

فمن لم يؤثر الآخرة علىٰ الدنيا فهو أسير الشيطان فقد أهلكته شهوته

وإن لا يخالف فعليه عمله قوله، بل لا يأمر الناس ما لم يكن هو أول عامل به .

وقال حاتم الأصم:[٢] ليس في القيامة أشد ألف مرة من رجل علم الناس علمًا فعملوا به ولم يعمل هو به، ففازوا بسببه وملكوا

وأن يكون عنايته في تحصيل العلم النافع في الآخرة مرغبًا في الطاعة ومجتنبا من القيل والقال والخلاف والجدال

وقال بعض السلف: يأتي علىٰ الناس زمان يكون أفضل أعمالهم النوم، وأفضل علومهم الصمت يعني لفساد الأعمال واشتباه العلم

---

(١) ذكر العالم العلامة الإمام أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم يوم القيامة علىٰ المنابر، والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم صغار دونهم، ومنبر كل رسول علىٰ قدره والعلماء العاملون علىٰ كراسي من نور، والشهداء الصالحون كقراء القرآن،والمؤذنين علىٰ كثبان من مسك

وهذه الطائفة العاملة أصحاب الكراسي هم الذين يطلبون الشفاعة من آدم ونوح صلوات الله وسلامه عليهما حتى ينتهوا إلىٰ رسول الله ﷺ .

انظر بستان الفقراء (١/ ٣٢) من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) حاتم الأصم أبو عبدالرحمن البلخي الزاهد الناطق بالحكمة له كلام عجيب في الزهد والوعظ وكان يقال له لقمان هذه الأمة، وكان قد صحب شقيق البلخي وتأدب بآدابه

ومن أقواله: المؤمن لا يغيب عن خمسة أشياء عن الله والقضاء والرزق والموت والشيطان .

وكان من جلة أصحاب شقيق البلخي وروى عنه، وكذلك عن سعيد بن عبد الله الماهاني .

وعنه: عبد الله بن سهل الرازي وأحمد بن خضرويه البلخي الزاهد، ومحمد بن فارس البلخي، وتوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٢٣٧)

وأن يكون غير مائل إلىٰ الترفه في المطعم، والتنعم(١) في المجلس والتجمل في الأثاث والمسكن، بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك، بل الزينة بالمباح ليس بحرام(٢) ، ولكن الخوض فيه يوجب الأُنس به حتى يشق تركه وأن يكون منقبضًا عن السلاطين، فلا يدخل عليهم البتة ما دام تجد الفرار منهم سبيلاً

وقال سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: إن في جهنم وادٍ لا يسكنه إلا القراء الزوارون علىٰ الملوك

وأن لا يكون متسارعًا إلىٰ الفتوى، بل يكون محترزًا ما وجد إلىٰ الخلاص سبيلاً

وقال ﷺ: «**إن الله لا ينزع العلم انتزاعًا من الناس ولكن يذهب بذهاب العلماء، فإذا ذهبوا لم يبق إلا رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فيضلون ويضلون**»(٣)

---

(١) زهد المحسنين ومن تحتهم من الصالحين والمؤمنين والمسلمين إنما هو في الدنيا ولذاتها وزهد الشهداء في الدنيا والآخرة جميعًا، وزهد الصديقين في سائر المخلوقات فلا يشهدون إلا للحق وأسمائه وصفاته .
وزهد المقربين في البقاء مع الأسماء والصفات فهم في حقيقة الذات، ويفرق السهرودي بين زهد الصوفية وخلوتهم التي يحصل عنها الإشراق في قلوبهم .
المعجم الصوفي (ص١١٧) .

(٢) قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ﴾ [**الأعراف: ٣٢**]
يقول تعالىٰ ردًا علىٰ من حَرَّم شيئًا من المآكل أو المشارب، والملابس من تلقاء نفسه من غير شرع من الله قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يحرمون ما يحرمون بآرائهم الفاسدة وابتداعهم: ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ [**الأعراف: ٣٢**] الآيه هي مخلوقة لمن آمن بالله وعبده في الحياة الدنيا وإن شركهم فيها الكفار حسًا في الدنيا فهي لهم خاصة يوم القيامة لا يَشْرَكهم فيها أحد من الكفار فإن الجنة محرّمة علىٰ الكافرين .

(٣) أخرجه: مسلم في صحيحه [١٣ ـ (٢٦٧٣)] كتاب العلم، ٥ ـ باب رفع العلم وقبضه، وظهور الجهل والفتن والبيهقي في السنن الكبرى (١٠ ـ ١١٦)، والفقيه والمتفقه (٢/ ١٥٢) والعراقى في المغني عن حمل الأسفار (١/ ١١)
وقال النووي: هذا الحديث يبين أن المراد بقبض العلم في الأحاديث السابقة المطلقة ليس هو محوه من صدور حفاظه ولكن معناه أنه يموت حملته، ويتخذ الناس جهالا يحكمون بجهالاتهم فيضلون ويضلون .

وكان ابن عمر يُسأل عن عشر مسائل فيجيب عن مسألة ويسكت عن تسعة

وكان ابن عباس يُسأل عن عشرة فيجيب عن تسعة ويسكت عن واحدة[(١)]

وكان ابن مسعود يقول: إن الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون

وقال آخر: لو قيل لي من أحمق الناس لأخذت بيد القاضي، فقلت: هذا، ولقد قبض رسول الله ﷺ عن الآف الصحابة والله أثنى عليهم ورسول الله ﷺ، لم يكن فيه أحد بنفسه للفتوى إلا بضعة عشر رجلاً.[(٢)]

وكان عمر ﷺ يقول لسائله تريدون أن تجعلونا جسرًا تعبرون علينا في نار جهنم

وقال بعضهم إنما العالم الذي إذا سئل عن المسألة فكأنما يقلع سنه، فإن سُئل عما يعلمه تحقيقًا بنص كتاب أو نص حديث أو إجماع أو قياس جلي، أفتى

---

(١) ابتدأ زمن الاجتهاد من وفاة رسول الله ﷺ وامتد إلىٰ حدود الثلاثمائة وهذا هو عهد الخلفاء وعهد الدولة الأموية وشطر من الدولة العباسية

وكان مرجع هذه الأحكام في ذلك العهد بعد الكتاب والسنة وأراء الصحابة وأقوالهم.
وكان الصحابة يتشاورون فيما بينهم في المسائل وكان المفتون منهم نحو مائة وثلاثين نفرًا منهم المكثرون كعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود، وعائشة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس، ومنهم المتوسطون كأبي بكر الصديق وعثمان بن عفان، وأنس بن مالك، وأبي هريرة ومنهم المقلون كأبي الدرداء وأبي سلمة وأبي عبيدة.

(٢) بعد عهد الصحابة انتشر العلم والفقه في الأمة عن أصحاب ابن مسعود وعلي وزيد بن ثابت وابن عباس، فتعلمت الأمة عن أصحاب هؤلاء الخمسة أما أهل المدينة فعلمهم عن أصحاب زيد بن ثابت وابن عمر واشتهر منهم سبعة وهم: عروة بن الزبير، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وسعيد بن المسيب، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن حارث، وسليمان بن يسار وخارجه بن زيد بن ثابت ومن بعدهم جمع من العلماء انتهى بالإمام مالك بن أنس

أما أهل مكة فعلمهم عن أصحاب ابن عباس كعطاء وطاوس ومجاهد وعبيد بن عمير وعمرو ابن دينار وعكرمة وبعدهم أبو الزبير المكي وعبد الله بن خالد وابن طاوس وابن عيينة وغيرهم.

وإن سُئل عما يشك قال: لا أدري فكان رسول الله ﷺ لما سئل قال: «**لا أدري حتى نزل جبرائيل** عليه السلام»[١]

باب العقل أعلم

إن العقل[٢] منبع العلم ومطلقه وأساسه

والعلم يجري من العقل مجرى الثمر من الشجر والنور من الشمس

(أما القلب فهو لوح منقوش بقدرة الله المعتبرة باليد ونقوشه العقل والإيمان والعلم اليقيني والعقل هو الفارق بين الحق والباطل

روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: إن الله عز وجل خلق العقل من نور مكنون مخزون في سابق علمه لم يطلع عليه ملك مقرب ، به يأمر وبه ينهي

والعلم[٣] هو العلم بالله، وبأحكام الله تعالىٰ

---

(١) أخرجه: الدارقطني في سننه (٤/ ٩٩)، وابن حبان في صحيحه (٢٩٩ ـ الموارد)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٢٦)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٤٦٧)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١/ ٣٩٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٦، ٤/ ٧٦)

(٢) قيل للثوري: بما عرفت الله؟ فقال: بالله، فقيل: فما بال العقل؟ قال العقل عاجز لا يدل إلا علىٰ عاجز مثله

والعقل الأول: هو مرتبة الوحدة، وقيل: هو محل تشكيل العلم الإلهي في الوجود لأنه العلم الأعلى ثم ينزل منه العلم إلىٰ اللوح المحفوظ فهو إجمال اللوح، واللوح تفصيله، بل هو تفصيل علم الإجمال الإلهي واللوح محل تنزله، ثم العقل الأول فيه من الأسرار الإلهية ما لا يسعه اللوح، كما أن في اللوح من العلم الإلهي ما لا يكون العقل الأول محلاً له، والعلم الإلهي هو أم الكتاب والعقل الأول هو الإمام المبين، واللوح هو الكتاب المبين . المعجم الصوفي (١٧٦) .

(٣) قال في زهرة الرياض للنسفي: إن أهل الطاعة يأخذون الأكواب من حوض النبي ﷺ إلا أهل العلم فإنه ﷺ يغرف لهم بيديه

وقال النبي ﷺ: «**تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقه وبذله لأهله قربه، لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبل أهل الجنة، وهو الأنيس في الوحشة والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة** =

وقساوة القلب بأربعة أشياء: فضل الكلام وصحبة الجهال، وأكل الشبهة وكثرة الضحك

وهو نوعان: قلب سليم وقلب سقيم

والقلب السليم قلب ولي الله، والقلب السقيم قلب عدو الله

وقيل: القلوب ثلاثة: قلب متعلق بالدنيا وقلب معلق بالعقبى وقلب معلق بالمولى وهو الأعلى(١)

وقال ﷺ: **«لا مال أعوذ من العقل أي أنفع لصاحبه في الدنيا والآخرة»**(٢)

وفي الخبر أن جبرائيل عليه السلام أتى آدم وقال: "يا آدم إني أتيتك بثلاث فاختر بواحدة منها، فقال: وما هن يا جبرائيل؟

قال: العقل والحياء(٣) والدين

قال: اخترت العقل

= **والدليل على السراء والضراء والسلام على الأعداء، والدين عند الأخلاء، يرفع به أقوامًا فيجعلهم للخير قادة وأئمة يقبض أثارهم وينتهي إلى رأيهم ترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتهم تمسحهم يستغفر لهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه لأن العلم حياة القلوب من الجهل....»** الحديث.
وهو في الترغيب والترهيب (١/ ٩٤) والزبيدي في الإتحاف (١/ ١١٩).

(١) وجدناه بالهامش

(٢) أخرجه: ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٢٢١)، وبلفظ« **أعوز من العقل**» أخرجه: ابن القيسراني في تذكرة الموضوعات (٩٨٨)

(٣) الحياء انقباض النفس من شيء وتركه حذرًا من اللوم فيه، والحياء الإيماني يمنع المؤمن من فعل المعاصي خوفًا من الله تعالى وهو بخلاف الحياء النفساني الذي خلقه في النفوس كلها كالحياء من كشف العورة

والحياء على الوصف العام والخاص فأما الوصف العام فهو ما آمر به الرسول بحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وتذكر الموت والبلى وترك زينة الدنيا ومن يفعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء» وأما الحياء الخاص فمن الأحوال فقد ذكر عثمان رضي الله عنه أنه يغتسل في البيت المظلم فينطوي حياء من الله، وقال ذو النون: الحياء وجودًا الهيبة في القلب مع حشمة ما سبق منك إلى ربك، وقيل العلم الأكبر هو الهيبة والحياء فإذا ذهبت عنه الهيبة والحياء فلا خير فيه. المعجم الصوفي (ص٨٣).

فخرج جبرائيل إلىٰ الحياء والدين فقال: ارجعا فقد اختار العقل عليكما فقالا: أُمرنا أن نكون مع العقل حيث كان

عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خلق الله تعالىٰ العقل من نور مخزون مكنون في سابق علمه الذي لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل فجعل العلم نفسه والزهد رأسه والحلم وجهه والحياء عينيه والحكمة لسانه والخير طبعه**»

ثم قال: أقبل فأقبل ثم قال: أدبر فأدبر[١]

ثم قال: تكلم فقال: الحمد لله الذي لا ند له ولا شبيه له ولا مثيل له ولا عدل له ، ذل كل شيء لعظمته وخضع كل شيء لهيبته

قال الرب جل جلاله: وعزتي وجلالي ما خلقت شيئًا أحب إليّ منك ولا أحسن ولا أطوع ولا أزين ولا أعلى منك بك أُعبد وبك أُوحد وبك أُخاف وبك أُرجى وبك أُتقى، لك الثواب وعليك العقاب

فخر العقل عند ذلك ساجدًا، وكان في سجوده ألف عام، ثم قال: ارفع رأسك فرفع العقل رأسه وقال: يا رب أسألك أن تشفع[٢] لي فيمن تخلقني فيه

فقال الله: اشهدوا يا ملائكتي أني قد غفرت لمن أخلقه فيه

(قال النبي ﷺ: «**حياة الأرض بالناس، وحياة الناس بالروح وحياة الروح بالعقل، وحياة العقل بالعلم، وحياة العلم بالعمل وحياة العمل بالإخلاص**»)[٣]

---

(١) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (١/ ٤٥٥)

(٢) الشفاعة خمسة أقسام:

أولها: مختصة بنبينا ﷺ وهي الإراحة من هول الموقف وتعجيل الحساب .

الثانية: في إدخال قوم الجنة بغير حساب وهذه وردت أيضاً لنبينا .

الثالثة: الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا ﷺومن شاء الله تعالى

الرابعة: فيمن دخل النار من المذنبين فقد جاءت هذه الأحاديث بإخراجهم من النار بشفاعة نبينا لهم والملائكة وإخوانهم من المؤمنين ثم يخرج الله تعالىٰ كل من قال لا إله إلا الله كما جاء في الحديث لا يبقى فيها إلا الكافرون .

الخامسة: في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها وهذه لا ينكرها المعتزلة ولا ينكرون أيضاً شفاعة الحشر الأول، النووي في شرح مسلم (٣/ ٣١) طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) وجدناه بالهامش

وقـال ﷺ: «**العاقل صديقي والأحمق عدوي، والعاقل من يطيع الله ورسوله، وإن كـان أخرف في دنيـاه والأحمق من كـان بضده وإن كان عالمًا بدنياه .**

(قال النبي ﷺ: «**صحبة مع العاقل زيادة في الدين والدنيا والآخرة، وصحبة مع الأحمق نقصان في الدين والدنيا والآخرة وندامة عند الموت وخسارة في الآخرة»)**[١]

وقال بعضهم: مستقرة القلب ولذلك كني الله عن العقل بذكر القلب قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [٢]، أي عقل

وقيل: مستقر العقل الدماغ، وله إشراق إلىٰ القلب[٣]

واشتقاق العقل من عقال البعير، وهو رباط الذي يشد البعير فيمنعه عن الشرود والذهاب وكذلك ذي العقل يمنعه العقل عن العدول عن قصد السبيل

اعلم أن العقــل حجة من حجج الله علــىٰ عباده ويدعوا إلىٰ الحق بدليل ما روى الثقــات أن أبي بكر الصديق رضي الله عنه[٤] قال للنبي ﷺ: بم بعثت؟ قال: «**بالعقل**»

قال: بم أمرت: قال بالعقل

قــال بــم يدخل الجنة، قــال بالعقل، قال: يـم يدخلون النــار؟ فقرأ

(١) وجدناه بالهامش

(٢) سورة ق (٣٧)

إن في ذلك لذكرى: أي لعبرة، لمن كان له قلب: أي لب يعي به، وقال مجاهد: عقل .

(٣) أرباب القلوب هم أهل الحقائق من المريدين والعارفين والمتحققين والواجدين، وأهل المجاهدات والرياضات والمتقربين إليه بأنواع الطاعات ظاهرًا وباطنًا

وحضور القلب بالحق يكون بالغيبة عن الخلق .

المعجم الصوفي (٢٠٤) .

(٤) أخرجه: أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٢١) وابن حجر في المطالب العالية (٢٧٤٥، ٢٧٧٠)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٢٧٦)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (١/ ٢١٧، ٢١٩، ٢٢١)

قوله ﷻ: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ (١)

قال: إلىٰ ما تدعونا: قال: إلىٰ العقل

قال: بم تقوم السماء والأرض، قال: بالعقل

باب الإيمان

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ (٢) وقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ (٣)

وقال أبو الدرداء ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر (إحياء) (٤)

---

(١) سورة الملك (١٠)

أي لو كانت لنا عقول ننتفع بها أو نسمع ما أنزله الله من الحق لما كنا علىٰ ما كنا عليه من الكفر بالله والاغترار به ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل ولا كان لنا عقل يرشدنا إلىٰ اتباعهم قال الله تعالىٰ: ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [**المُلك**: ١١].

روى أحمد في مسنده (٤/ ٢٦٠، ٥/ ٢٩٣) عن أبي البختري الطائي قال أخبرني من سمعه من رسول الله ﷺ أنه قال: «**لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم**»

(٢) سورة النور (٦٢)

قال النووي: ـ المعنى الذي يستحق به العبد المدح والولاية من المؤمنين هو إتيانه بهذه الأمور الثلاثة: التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح، وذلك أنه لا خلاف بين الجميع أنه لو أقر وعمل علىٰ غير علم منه ومعرفة بربه لا يستحق اسم مؤمن، وكذلك إذا أقر بالله تعالىٰ وبرسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولم يعمل بالفرائض لا يسمى مؤمنًا بالإطلاق وإن كان في كلام العرب يسمى مؤمنا بالتصديق فذلك غير مستحق في كلام الله تعالىٰ لقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾.

النووي في شرح مسلم (١/ ١٣١) طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) سورة الأنفال (٤)

(٤) وجدناه بالهامش

اعلم أن الإيمان إيمان ما صح من حديث رسول الله ﷺ وقبول جميعه وافتراض طاعة الله، وأمره علىٰ العباد، وقد جعل الله طاعة رسول الله من شروط الإيمان وقرنها بطاعته

فقال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (١)

وقال: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (٢)

فالإيمان والإسلام كشيء واحد، لأنه لا إيمان لمن لا إسلام له، ولا إسلام لمن لا إيمان له كذلك لا قوة إلا بهما

فالإسلام من أعمال الجوارح، لا قوام له إلا بالإيمان

والإيمـان من أعمال القلوب، لا تقع إلا بالإسلام ثم الإيمان(٣) هو أن تؤمن بالله ومعرفـة ذاته وصفاته وإثبات أفعالـه وإثبات صدق الرسول عليـه الصلاة والسلام

وهي العلم بكونه سبحانه حيًا قادرًا بصيرًا مريدًا عالمًا متكلمًا، منزه تعالىٰ عن حلول الحوادث ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (٤)

وأن يعلم أن الله تعالىٰ أرسل محمدًا رسولاً وخاتمًا للنبيين، وناسخا لما قبله من الشرائع اليهود والنصارى

---

(١) سورة الأنفال (١)

(٢) سورة الأنفال (٢٤)

(٣) روى البخاري في صحيحه (٥٠) كتاب الإيمان ٣٨ ـ باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعه وبيان النبي ﷺ، عن أبي هريرة

ومسلم في صحيحه [١ ـ (٨)] كتاب الإيمان، ١- باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالىٰ من حديث عمر بن الخطاب وفيه سؤال جبريل للنبي ﷺ فقال: يا محمد اخبرني عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ : الإسلام:« **أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ، قال: صدقت،قال فعجبنا له يسأله ويصدقه قال: فاخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»

قال: صدقت . قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**». . . . . **الحديث** .

(٤) سورة الشورى (١١)

ويصدقه إن أُخبر عنه من الحشر والنشر، وسؤال منكر ونكير[١]، وعذاب القبر والميزان والصراط، والجنة والنار

وأن إمام الحق بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر، ثم عثمان ، ثم علي رضوان الله عليهم أجمعين

وأما من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله بلسانه ولم يكن تصديقًا بقلبه فلا يشك في أن هذا في حكم الآخرة من الكفار وأنه في النار ولا نشك في أنه في حكم الدنيا الذي يتعلق بالأئمة والولاة فهو من المسلمين[٢] لأن قلبه لا يطلع عليه أحد

وإنما نشك في أمر ثالث وهو حكم الدنيا

وهو إذا أقر بالإسلام وقال: بعد هذا أنه مصدق بالقلب فمات له قريب فورثه، أو نكح مسلمة قبل هذا، ثم صدقه

---

(١) روى الترمذي في سننه (١٠٧١) كتاب الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قبر الميت أو قال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: المنكر والآخر النكير، فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل، فيقول ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين... الحديث** .

وقال الترمذي: حديث حسن غريب .

(٢) قال ابن بطال: فإن قيل قد قدمتم أن الإيمان هو التصديق قيل: التصديق هو أول منازل الإيمان ويوجب للمصدق الدخول فيه ولا يوجب له استكمال منازله ولا يسمى مؤمنًا مطلقًا، هذا مذهب جماعة أهل السنة أن الإيمان قول وعمل

وقال الكرامية وبعض المرجئة الإيمان هو الإقرار باللسان دون عقد القلب ومن أقوى ما يرد به عليهم إجماع الأمة علىٰ إكفار المنافقين، وإن كانوا قد أظهروا الشهادتين، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [**التوبة: ٨٤**] إلىٰ قوله تعالى﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [**التوبة: ٥٥**] هذا آخر كلام ابن بطال .

وقال أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله بعد ذكر الإسلام الإيمان قال: فخرج مما ذكرناه وحققناه أن الإيمان والإسلام يجتمعان ويفترقان، وأن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا

اتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين علىٰ أن المؤمن الذي يحكم بأنه من أهل القبلة ولا يخلد في النار لا يكون إلا من اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقادًا جازمًا خاليًا من الشكوك، ونطق بالشهادتين .

النووي في شرح مسلم (١/ ١٣١،١٣٢) طبعة دار الكتب العلمية .

هل يلزمه إعادة النكاح أم لا؟

فيحتمل أن أحكام الدنيا متعلقة بالقول ظاهرًا وباطنًا فيحتمل أن يقال خلاف ذلك فالأظهر والعلم عند الله أنه لا يحل ذلك الميراث ويلزمه إعادة النكاح

وأما محل الإسلام من الإيمان كمحل الضوء من الشمس وكل شمس ضوء، وليس كل ضوء شمس

كذلك كل إيمان إسلام، وليس كل إسلام إيمان إذا لم يكن تصديق لأن الإسلام هو الخضوع والانقياد يدل عليه قوله سبحانه: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾[١] أي استسلمنا من خوف السيف

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن مثل هذا الدين كمثل شجرة ثابتة الإيمان أصلها ، والزكاة وفرعها الصيام عروقها الكف عن محارم الله ثمرتها فكما لا يكتمل هذه الشجرة إلا بثمرة، كذلك لا يكتمل الإيمان إلا بالكف عن محارم الله تعالىٰ**»

والإيمان لا يتم إلا بثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان[٢]

باب الإيمان بالقدر

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كتب الله**

---

(١) سورة الحجرات (١٤)

يقول تعالىٰ منكرا علىٰ الأعراب الذين أول ما دخلوا في الإسلام ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان ولم يتمكن الإيمان في قلوبهم بعد: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [**الحجرات**: ١٤] وقد استفيد من هذه الآية الكريمة أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ويدل عليه حديث جبريل عليه السلام حين سأل عن الإسلام ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان فترقى من الأعم إلىٰ الأخص ثم للأخص منه .
تفسير ابن كثير (٤/ ٢١٨، ٢١٩) .

(٢) انظر ما تقدم نقلاً عن النووي في شرح مسلم

مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه علىٰ الماء»(١)

وروي أن عزير قال يا رب خلقت خلق تضل من تشاء وتهدي من تشاء

فقال له ربه: يا عزير أعرض عن هذا

قال: فعاد ثانيًا، فقال له ثانيا: أعرض عن هذا، فعاد ثالثًا: ، فقال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾(٢)

فقيل له يا عزير(٣) أتعرض عن هذا أو لأمحونك من النبوة، إني ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾(٤) عما يفعلون

وكان خاطر قلب عزير أنه قال: يا رب لو شئت خلقت أهل الأرض كلهم مطيعون لك كما خلقت أهل السماء كلهم مطيعون لك، فلم خلقت العصاة في الأرض

فقال: يا عزير ذلك سري، ولا علم لك في أسراري الربوبية، فبقي الخاطر في قلبه، ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ﴾(٥)

---

(١) أخرجه: مسلم في صحيحه [١٦ ـ (٢٦٥٣)] كتاب القدر، ٢ ـ باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام وابن الجوزي في زاد مسير (٥/ ٤٥٠)، والخطيب في تاريخ بغداد (٢/ ٢٥٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٧٩)

قال النووي: قال العلماء: ـ المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره لا أصل التقدير فإن ذلك أزلي لا أول له وقوله وعرشه علىٰ الماء أي قبل خلق السماوات والأرض والله أعلم .

(٢) سورة الكهف (٥٤)

(٣) قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر: هو عزير بن جروة، ويقال: ابن سوريق بن عديا بن أيوب ابن درزنا بن عدي بن تقى بن أسيوع بن فنحاص بن العازر بن هارون بن عمران، ويقال عزير ابن سروخا

(٤) سورة الأنبياء: ٢٣

(٥) سورة البقرة (٢٥٩)

ساق الطبري القصة فقال: قال هشام بن الكلبي: ثم أوحى الله تعالىٰ إلىٰ أرميا ﷺ فيما بلغني أني عامر بيت المقدس فاخرج إليها فانزلها، فخرج حتى قدمها وهي خراب، فقال في نفسه: سبحان الله أمرني الله أن أنزل هذه البلدة وأخبرني أنه عامرها فمتى يعمرها ومتى يحييها الله بعد =

قال: يا عزير من لم يعرف ساعة واحدة من مائة عام متى يعرف سري، ثم الأشياء كلها بقدر

فأفعال العباد كلها ليس يخلق من أقسام ثلاثة من الطاعة والمعصية والرخصة

فالطاعة مثل الصلاة والزكاة والقيام وأنواع العبادات

والمعاصي: مثل الكفر والزنا واللواط(١) وأجناس المنهيات، والرخصة: مثل كسب الحلال وابتغاء فضل الله والتجارات

فالطاعة كلها بأمر الله ورضائه ومحبته ومشيئته وتقديره وقضائه عليه

والمعاصي بقضاء الله تعالىٰ وقدره لا بأمره ولا برضائه ولا بمحبته

والرخصة بقضاء الله وتقديره وعمله ومشيئته ورضاه لا بأمره ولكن برخصته وإباحته

عن حارث الأعور: قام رجل إلىٰ علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر، فقال: طريق مظلم فلا تسلكه

= موتها؟ ثم وضع رأسه فنام ومعه حماره وسلة من طعام فمكث في نومه سبعين سنة حتى هلك بختنصر والملك الذي فوقه وهو لهراسب وكان ملكه مائة وعشرين سنة وقام بعده ولده بستاشب بن لهراسب وكان موت بختنصر في دولته فبلغه عن بلاد الشام أنها خراب وأن السباع قد كثرت في أرض فلسطين فلم يبق بها من الإنس أحد فنادى في أرض بابل في بني إسرائيل إن من شاء أن يرجع إلىٰ الشام فليرجع.. وساق القصة وفي آخرها وقد روي عن علي وعبد الله بن سلام وابن عباس والحسين وقتادة والسدي وسليمان بن بردة وغيرهم أنه عزير وهذا أشهر عند كثير من السلف والخلف والله تعالىٰ أعلم .
تفسير الطبري (٢/ ٢٢، ٢٣) .

(١) جريمة اللواط من أكبر الجرائم وهي من الفواحش المفسدة للخلق وللفطرة وللدين والدنيا بل وللحياة نفسها، وقد عاقب الله عليها بأقسى عقوبة

فخسف الله بقوم لوط، وأمطر عليهما حجارة من سجيل جزاء فعلتهم القذرة، ومع اجماع العلماء علىٰ حرمة هذه الجريمة وعلىٰ وجوب أخذ مقترفيها بالشدة، إلا أنهم اختلفوا في تقدير العقوبة المقرر لها إلىٰ مذاهب ثلاثة: ١ ـ مذهب القائلين بالقتل مطلقًا، ٢ ـ مذهب القائلين بأن حده حد الزاني فيجلد البكر ويرجم المحصن، ٣ ـ ومذهب القائلين بالتعزير .
فقه السنة (٢/ ٣٦٥) .

قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر[١]

قال: بحر عميق فلا تلجه

قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر

(قال: سرّ لله عليك فلا تفشه، قال يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر؟ قال: يا أيها السائل إن الله خلقك كما شاء أو كما شئت قال: كما شاء، قال: فيستعملك كما شاء أو كما شئت، قال: كما شاء، قال فيبعثك يوم القيامة كما شاء أو كما شئت، قال: كما شاء

قال: يا أيها السائل ألك مع الله مشيئة أو فوق الله مشيئة أو دون الله مشيئة، فإذا زعمت أن لك دون الله مشيئة فقل اكتفيت بها عن مشيئة الله، وإن زعمت أن لك مشيئة فوق مشيئة الله فقد زعمت أن لك مشيئة غالبة علىٰ مشيئة الله، وإن زعمت أن لك مع الله مشيئة فقد ادعيت الشركة

ألست تسأل ربك العافية؟

قال: بلى، قل: فمن أي شيء تسأله أمن البلاء الذي ابتلاك به أم من البلاء الذي ابتلى به غيره، قال من البلاء الذي ابتلى به

(١) قال الخطابي: وقد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله سبحانه وتعالىٰ العبد وقهره علىٰ ما قدره وقضاه وليس الأمر كما يتوهمونه، وإنما معناه الإخبار عن تقدم علم الله سبحانه وتعالىٰ بما يكون من اكتساب العبد وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها

قال: والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر .
يقال: قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف، والتثقيل بمعنى واحد، والقضاء في هذا معناه الخلق كقوله تعالىٰ: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي خلقهن قلت: وقد تظاهرت الأدلة القطعيات من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف علىٰ إثبات قدر الله سبحانه وتعالىٰ، وقد أكثر العلماء من التصنيف فيه .
النووي في شرح مسلم (١/ ١٣٩) طبعة دار الكتب العلمية .

قال ألست تقول لا حول ولا قوة إلا بالله[١] قال: بلى[٢]

باب اعتقاد أهل السنة[٣]

الأول ما يجب على البالغ العاقل معرفة الله تعالىٰ وأول الفرائض الإيمان بوحدانية الله تعالىٰ وصفاته ويعلم أن الله واحد لا شريك له، فردًا لا مثيل له، أزلي لا بداية له، سرمدي لا نهاية له منزه عن مشابهة المخلوقات، مقدس عن مماثلة المحدثات، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ **[الشّورى: ١١]** ليس بجسم مصور ولا جوهر، مقدر تعالىٰ عن الانتقالات والحركات والحلول بأقطار الجهات

استوى على العرش على الوجه الذي قال وبالمعنى الذي أراد وهو فوق كل

(١) روى البخاري في صحيحه (٦٣٨٤) ومسلم في صحيحه (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ: قال: « **قل لا حول ولا قوة إلا بالله فانها كنز من كنوز الجنة**»

قال الخطابي رحمه الله: معنى الكنز في هذا: الأجر الذي يحرزه قائلة، والثواب الذي يدخر له قال النووي: قال العلماء سبب ذلك أنها كلمة استسلام وتفويض إلىٰ الله تعالىٰ واعتراف بالإذعان له وأنه لا صانع غيره ولا راد لأمره وأن العبد لا يملك شيئًا من الأمر .

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) يدعي أعداء الإسلام أن السنة لا يحتج بها وأنها لا يلزم الأخذ بها ولقد حذر النبي ﷺ من هذه الفتنة فقال: « **يوشك أحدكم أن يكذبني يحدث بحديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا إن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله**»

وقد حفظ أصحاب رسول الله ﷺ سنته القولية والفعلية وبلغوها للتابعين من بعدهم وهكذا نقلها العلماء الثقات جيلاً بعد جيل وقرنًا بعد قرن وجمعوها في كتبهم وبينوا صحيحها من سقيمها ووضعوا ضوابط معلومة بينهم بعلم بها صحيح السنة من ضعيفها .

وقد ذهب الأصوليون والفقهاء إلىٰ أن المصادر الأساسية للفقه هي: الكتاب وهو القرآن العظيم الذي أنـزله الله تعالىٰ علىٰ رسوله سيدنا محمد ﷺ بلفظه ومعناه والقرآن جميعه قطعي الثبوت.

والسنة هي سنة رسول الله ﷺ قولاً كان أو عملاً أو تقريرًا وهي الأصل الثاني من الأدلة الإجمالية والمصادر الفقهية ثم الإجماع والقياس بعد ذلك .

شيء فوقية لا يماثل فوقية الأجرام، وجهه ويده وعينه ومجيئه ونزوله وإتيانه حق، وهي صفات له سمعية لا تفسر بالأدوات والالات ولا بالحركات والانتقالات، يؤمن بها ولا نفهم ما يليق بصفات ذي العظمة والجلال، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحَديد: ٤]

وهو أقرب إلىٰ العبد من حبل الوريد، وهو علىٰ كل شيء قدير لا يحويه مكان ولا يجدده زمان كان قبل أن يخلق الزمان والمكان وهو الآن علىٰ ما عليه كان

صفات ذاته قديمة[(١)] ، وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام

حي لا تأخذه سنة ولا نوم[(٢)] لا يعتريه نقصان ولا موت، عالم يعلم دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء علىٰ الصخرة الصماء لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء للكائنات مدبر للحادثات لا يجري في ملكوته خير ولا شر ولا نفع ولا ضُر ولا إيمان ولا كفر ولا طاعة ولا عصيان ولا زيادة ولا نقصان ولا قليل ولا كثير ولا صغير ولا كبير إلا بقضائه وقدره ومشيئته وإرادته

ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن[(٣)] قادر علىٰ جميع

---

(١) القديم يطلق علىٰ الموجود الذي لا يكون وجوده من غيره وهو القديم بالذات، ويطلق القديم علىٰ الموجود الذي ليس وجوده مسبوقًا بالعدم وهو القديم بالزمان، وكل قديم بالذات قديم بالزمان وليس هذا سوى الله
المعجم الصوفي (ص٢٠٠) .

(٢) قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] أي لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه بل هو قائم علىٰ كل نفس بما كسبت شهيد علىٰ كل شيء لا يغيب عنه شيء ولا يخفى عليه خافية ومن تمام القيومية أنه لا يعتريه سنة ولا نوم فقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] أي لا تغلبه سنة وهي الوسن والنعاس ولهذا قال: ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] لأنه أقوى من السنة
تفسير ابن كثير (١/ ٣٠٨) .

(٣) النصوص والآثار في تقدم علم الله وكتابته وقضائه وتقديره الأشياء قبل خلقها وأنواعها كثيرة وقد بين النبي ﷺ أن ذلك لا ينافي وجود الأعمال التي بها تكون السعادة والشقاوة وأن من كان من أهل السعادة فإنه ييسر لعمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة ييسر علىٰ القدر السابق ويدع العمل ولهذا كان من اتكل علىٰ القدر السابق وترك ما أمر به من الأعمال هو من =

المقـدورات لا يعزب عن قدرته وإرادته لفته ناظر ولا فلته خاطر

سميع لا بالأصخمـة والأذان بصيـر لا بالحدقـة والأجفـان متكلـم لا بالشفـة واللسان، ولا بالحروف والأصوات كلامه قديم أزلي مكتوب في المصاحف

متلذ بالألسنة، محفوظ في الصدور وقراءة العباد من أصواتهم وتلاوتهم ونغماتهم

وعليها يثابون وهي محدثة

يجازي العباد علىٰ أعمالهم ويثيبهم علىٰ أفعالهم لا يجب عليه فعل ولا يتصور منه ظلم

ولو عذب عباده وابتلاهم بالآلام والأسقام كان منه عدلاً ولو ضاعف حسناتهم وكفر سيئاتهم كان منه كرمًا وفضلاً

أرسل الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات، وأوجب حقوقهم علىٰ المكلفين لا بالعقل بواسطة الرسالة، وخصص محمدًا ﷺ بأنواع الكرامات[1] وأوجب تصديقه علىٰ كافة الخليقة وعامة البرية، من أهل الأرضين والسموات ولا يكمل إيمان عبد

= الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وكان تركهم لما يجب عليهم من العمل من جملة المقدور الذي يسروا به لعمل أهل الشقاوة فإن أهل السعادة هم الذين يفعلون المأمور ويتركون المحظور فمن ترك العمل الواجب الذي أمر به وفعل المحظور متكلا علىٰ القدر كان من جملة أهل الشقاوة الميسرين لعمل أهل الشقاوة

انظر ابن تيمية في سؤلان في القضاء والقدر (ص٣٢، ٣٣) .

(١) قال الشوكاني: الحاصل أن من كان من المعدودين من الأولياء كان من المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره مقيمًا لما أوجب الله عليه تاركًا لما نهاه الله عنه مستكثرًا من طاعاته فهو من أولياء الله سبحانه وما ظهر عليه من الكرامات التي لم تخالف الشرع فهي موهبة من الله ﷻ لا يحل لمسلم أن ينكرها، ومن كان بعكس هذه الصفات فليس من أولياء الله سبحانه وليست ولايته رحمانية بل شيطانية وكراماته من تلبيس الشيطان عليه وعلىٰ الناس

قطر الولي علىٰ حديث الولي (ص٦٥) من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية .

إلا بتصديقه، والإيمان بأنه رسول آخر الزمان وخاتم الأنبياء

ولو قال ألف مرة لا إله إلا الله ولم يقل محمد رسول الله لا يصير من أهل الجنة(١)

فشريعته ناسخة للشرائع وكل ما أخبر به حق وصدق

ومما أخبر به أن الجنة والنار مخلوقتان وأن منكر ونكير يأتيان العبد في لحده بعد إعادة الروح إلىٰ الجسد يسألانه عن التوحيد

فإن ثبت إيمانه أكرم بما أعد الله له من الثواب، وإن بان كفره وطغيانه عذب في قبره بما قدر الله له من أنواع العذاب

وأن الحساب حق، والميزان حق، والصراط حق والشفاعة حق

ولا يخلد في النار من كان في قلبه ذرة من الإيمان(٢) وأن المؤمنين يرون ربهم في الجنة كما يرون القمر ليلة البدر بعيون أبصارهم

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٤٤ ـ (٢٧)] كتاب الإيمان، ١٠ ـ باب الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة قطعا، عن أبي هريرة وفيه قوله ﷺ: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة**»

وفي رقم [٤٧ ـ (٢٩)] عن عباده بن الصامت رفعه: «**من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا حرم الله عليه النار**»

(٢) قال القاضي عياض: اختلف الناس فيمن عصى الله تعالىٰ من أهل الشهادتين فقالت المرجئة: لا تضره المعصية مع الإيمان وقالت الخوارج: تضره ويكفر بها، وقالت المعتزلة يخلد في النار إذا كانت معصيته كبيرة ولا يوصف بأنه مؤمن ولا كافر ولكن يوصف بأنه فاسق، وقالت الأشعرية: بل هو مؤمن وإن لم يغفر له وعذب فلا بد من إخراجه من النار وإدخاله الجنة

قال: وهذا الحديث حجة علىٰ الخوارج والمعتزلة .

وأما المرجئة فإن احتجت بظاهره قلنا محمله علىٰ أنه غفر له أو أخرج من النار بالشفاعة ثم أدخل الجنة فيكون معنى قوله ﷺ: «**دخل الجنة** » أي دخلها بعد مجازاته بالعذاب، وهذا لا بد من تأويله لما جاء في ظواهر كثيرة من عذاب بعض العصاة فلا بد من تأويل هذا لئلا تتناقض نصوص الشريعة .

وفي قوله ﷺ (وهو يعلم) إشارة إلىٰ الرد علىٰ من قال من غلاة المرجئة إن مظهر الشهادتين يدخل الجنة وإن لم يعتقد ذلك بقلبه، وقد قيد ذلك في حديث آخر بقوله ﷺ: «**غير شاك فيهما**». وهذا يؤكد ما قلناه .

النووي في شرح مسلم (١/ ١٩٣،١٩٤) طبعة دار الكتب العلمية .

ويجب عليه أن يحسن الظن بأصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم، ويعترف بفضلهم ويعتقد أن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم.

ويحب السلف الصالح والأئمة الماضين، ويحترز عن كل لفظة أذى وطعن في واحد من المؤمنين

فمن اعتقد ما كتبناه وأطاعنا فيما به أمرنا كان من أهل السنة وعصابة الحق، وفارق رهط الضلالة والبدعة، نسأل الله حسن اليقين لنا ولكافة المسلمين، والثبات علىٰ الدين أنه أرحم الراحمين

باب الطهارة

قال رسول الله ﷺ: «**الطهور نصف الإيمان**»[1] ، والطهارة علىٰ ضربين، طهارة ظاهرة وطهارة باطنة

وأما الطهارة الظاهرة فبالماء عند وجوده، والتراب عند العذر، وهما أصل خلقة الآدميين، وهما يطفئان النار في الدنيا، ويطفئان نار جهنم عن المؤمنين،

---

(١) أخرجه: أحمد في مسنده (٤/ ٢٦٠، ٥/ ٣٦٣) والزبيدي في الإتحاف (٢/ ٣٠٣، ٣٠٤)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٢)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ١٢٥)

ورواه مسلم «**الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض**»..... الحديث .

قال النووي: فأما الطهور فالمراد به الفعل، فهو مضموم الطاء علىٰ المختار وقول الأكثرين، ويجوز فتحها، وأصل الشطر النصف .

واختلف في معنى قوله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان**» فقيل: معناه أن الأجر فيه ينتهي تضعيفه إلىٰ نصف أجر الإيمان، وقيل معناه أن الإيمان يجب ما قبله من الخطايا وكذلك الوضوء لأن الوضوء لا يصح إلا مع الإيمان، فصار لتوقفه علىٰ الإيمان في معنى الشطر، وقيل: المراد بالإيمان هنا الصلاة كما قال الله تعالىٰ ﴿**وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ**﴾ [**البَقَرَة: ١٤٣**] ، والطهارة شرط في صحة الصلاة فصارت كالشطر، وليس يلزم في الشرط أن يكون نصفًا حقيقيًا، وهذا القول أقرب الأقوال .

النووي في شرح مسلم (٣/ ٨٥، ٨٦) .

إذ استعملها في الطهارة

ثم إن نار الدنيا يطفئها الماء الكثير مع ضعفها، ونار جهنم يطفئها الماء القليل والتراب القليل مع قوتها وذلك من كمال لطف الله تعالىٰ

فينبغي للمؤمن أولاً أن ينوي بغسل الوجه الأعراض عن الكون والتوجه إلىٰ المكون

ثم إذا غسل يديه إلىٰ المرفقين نوى به صدهما عما نهى عنه إلىٰ أمر ربه خوفًا من أن يعطى كتابه بشماله، ورجاء أن يعطى كتابه بيمينه

ثم ينوي مع ذلك ترك الدنيا عن يساره، والآخرة عن يمينه، فيزهد فيهما جميعًا. رغبة في الوصول إلىٰ الحق(١)

ثم مسح الرأس فينبغي أن ينوي به حفظه بالتواضع وترك رفعه بالتكبر لأن الله ﷻ يقول: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ (٢)

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٣٢ـ٢٤٤)] كتاب الطهارة، ١١ ـ باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا توضأ العبد المسلم ـ أو المؤمن ـ فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء ـ فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء ـ أو مع آخر قطر الماء ـ حتى يخرج نقيًا من الذنوب**».

(٢) سورة القصص (٨٣)

يخبر تعالىٰ أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين الذين لا يريدون علوًّا في الأرض أي ترفعًا علىٰ خلق الله وتعاظمًا عليهم وتجبرًا بهم ولا فسادًا فيهم كما قال عكرمة العلو التجبر. وقال سعيد بن جبير: العلو البغي، وقال سفيان بن سعيد الثوري، عن منصور عن مسلم البطين العلو في الأرض التكبر بغير حق والفساد أخذ المال بغير حق.

وقال ابن جُرَيْج: ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [**القَصَص**: ٨٣] تعظمًا وتجبرًا ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ [**القَصَص**: ٨٣] عملا بالمعاصي، وقال ابن جرير:بسنده عن علي قال: إن الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون أجود من شراك صاحبه فيدخل في قوله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [**القَصَص**: ٨٣]

وهذا محمول علىٰ ما إذا أراد بذلك الفخر والتطاول علىٰ غيره، فإن ذلك مذموم.

تفسير ابن كثير (٣/٤١٦).

ثم إذا أدى الفرض في طهارة الرجلين، فينبغي أن ينوي بذلك التوبة عن المشي بهما إلىٰ المخالفات، ويتذكر وقوفه عليهما بين يدي الحق في المشهد الأعلىٰ، وسؤاله إياه عما دق (جار)[١] ويتذكر جوازه علىٰ الصراط

ويقال إن في سنن الطهارة إشارة كما في فرائضها فمنها إذا استيقظ من نوم الغفلة، فينبغي أن يغسل يديه فأد عنه نفسه، فإنها الأمارة بالسوء، ويغسلهما عن الخلق .

فإنهم مثلهم في الضعف والفقر ويغسلهما عن الدنيا، فإنها متاع الغرور

ثم يتمضمض[٢] ناويًا في المرة الأولى التوبة من الكذب، وبالثانية التوبة عن الغيبة

وبالثالثة التوبة من تناول الشهوة والحرام والشبهات

ثم يستنشق ثلاثًا ناويًا بالمرة الأولى شكر الله ﷻ، حيث جعل أنفه أداة لشم الأرايح

وبالثانية شكر لله جعله منفذ الأذى

وبالثالثة شكرًا حيث جعل شريكًا للجبهة في السجود لرب العزة[٣]، وهو سبب القربة

---

(١) كذا بالأصل

(٢) السنة في المضمضة والاستنشاق بثلاث غرفات يتمضمض ويستنشق من كل واحدة منها كما قال أصحابنا أن يجعل الماء في فمه ثم يديره فيه، ثم يمجه، وأما أقلها فأن يجعل الماء في فيه، ولا يشترط إدارته علىٰ المشهور الذي قاله الجمهور

وقال جماعة من أصحابنا: يشترط وهو مثل الخلاف في مسح الرأس أنه لو وضع يده المبتلة علىٰ رأسه ولم يمرها هل يحصل المسح، والأصح الحصول كما يكفي إيصال الماء إلىٰ باقي الأعضاء من غير ذلك وأما الاستنشاق فهو إيصال الماء إلىٰ داخل الأنف وجذبه بالنفس إلىٰ أقصاه ويستحب المبالغة في المضمضة والاستنشاق إلا أن يكون صائما فيكره ذلك لحديث لقيط أن النبي ﷺ قال: «**وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً**» وهو حديث صحيح رواه أبو داود والترمذي وغيرهما بالأسانيد الصحيحة .

النووي في شرح مسلم (٣/ ٩٠) طبعة دار الكتب العلمية

(٣) روى مسلم في صحيحه [٢٢٥ ـ (٤٨٨)] كتاب الصلاة، ٤٣ ـ باب فضل السجود والحث عليه، عن ثوبان في سؤاله للنبي ﷺ عن عمل يدخله الله به الجنة فقال له ﷺ: «**عليك بكثرة السجود لله فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة**» . =

وحكي أن الشبلي رحمه الله لما احتضر أشار إلىٰ خادمة أن يجدد وضوءه، فنسي الخادم تخليل اللحية

وكان قد أمسك لسان الشبلي فقبض علىٰ يدي الخادم وأدخلها في لحيته

وحكي أن الثوري توضأ لصلاة واحدة سبعين مرة وكان مبطونًا، وكان كلما توضأ انتقض وضوءه

وكان بإبراهيم الخواص علة البطن، فكان إذا قضى حاجته دخل الماء وغسل نفسه .

فدخل مرة ليغسل نفسه، فخرج نفسه في وسط الماء

أما الطهارة الباطنة منها ما قال سهيل بن عبد الله الطهارة علىٰ سبعة أوجه: طهارة العلم من الجهل، وطهارة العقل من الحمق، وطهارة الظن من التهمة، وطهارة الذكر من النسيان، وطهارة الطاعات من المعصية، وطهارة اليقين[1] من الشك، وطهارة الإيمان مما دونه

وقال أيضًا الطهارة تكون في صفا المطعم ومباينة الآثام، وصدق اللسان وخشوع السرّ، وكل واحد من هذه الأربع مقابل لما أمر الله عز وجل بتطهير وغسله من الأعضاء الظاهرة

= قال النووي: وسبب الحث عليه ما سبق في الحديث:« **أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**» وهو موافق لقول الله تعالىٰ: ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾ [**العَلق**: ١٩] ولأن السجود غاية التواضع والعبودية لله تعالىٰ وفيه تمكين أعز أعضاء الإنسان وأعلاها وهو وجهه من التراب الذي يداس ويمتهن والله أعلم .

(١) اختلف في اليقين علىٰ أقوال، فقيل: هو التصديق بالغيب بإزالة كل ظن وقيل هو المكاشفة وهي علىٰ ثلاثة أوجه: مكاشفة العيان بالأبصار يوم القيامة ومكاشفة القلوب بحقائق الإيمان بمباشرة اليقين بلا كيف ولا حد، ومكاشفة الآيات بإظهار القدرة للأنبياء عليهم السلام بمعجزات ولغيرهم بالكرامات والاجابات ولذلك أيضًا فأهل اليقين علىٰ ثلاثة أحوال، فالأول: الأصاغر وهم المريدون والعموم ويقينهم أول مقام اليقين، وهو الثقة بما في يد الله تعالىٰ وارتفاع الشك، والثاني: الأوساط وهم الخصوص والعبد الموقن منهم إذ تحقق باليقين ترحل من يقين إلىٰ يقين حتى يصير اليقين له وطنا، والثالث: الأكابر وهم خصوص الخصوص واليقين عندهم في جملته هو الاثبات لله عز وجل بكل صفاته

المعجم الصوفي (ص٢٦٥) .

باب السواك

عن ابن عباس قال:[١] قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بالسواك فإن فيه عشر خصال مطهرة للفم ومرضاة للرب، ومفرحة للملائكة ومجلاء للبصر، وبيض الأسنان، ويشدد اللثة ويذهب الحفرة، ويهزم الطعام، ويقطع البلغم ويضاعف الصلاة، وهو طريق القرآن**»

عن حسان بن عطية قال: الوضوء شطر الإيمان والسواك[٢] شطر الوضوء، ولولا أن أشق علىٰ أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة

وركعتان يستاك العبد فيهما أفضل من سبعين ركعة لا يستاك فيها[٣]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خمس من الفطرة: قص الشارب وتقليم الأظفار وحلق العانة ونتف الإبط والسواك**[٤]»

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لم يزل جبرائيل يوصيني بالجار حتى ظننت**

---

(١) أخرجه: البخاري (٣/ ٤٠)، والنسائي (١/ ١٠)، وابن ماجه (٢٨٩) أحمد في مسنده (٢/ ١٠٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٢٠)، وابن حبان في صحيحه (١٤٤ ـ الموارد)، وابن أبي شيبه في مصنفه (٢/ ٩٦) والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٦٦)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٢٦٧)

(٢) السواك مستحب في جميع الأوقات ولكن في خمسة أوقات أشد استحبابًا أحدها: عند الصلاة سواء كان متطهرا بماء أو بتراب أو غير متطهر كمن لم يجد ماء ولا ترابًا

الثاني: عند الوضوء، الثالث: عند قراءة القرآن، الرابع: عند الاستيقاظ من النوم، الخامس: عند تغير الفم، وتغيره يكون بأشياء منها ترك الأكل والشرب ومنها أكل ما له رائحة كريهة ومنها طول السكوت ومنها كثرة الكلام ومذهب الشافعي أن السواك يكره للصائم بعد زوال الشمس لئلا يزيل رائحة الخلوف المستحبة .

(٣) أخرج: أوله: الترمذي (٣٥١٧) كتاب الدعوات، وبلفظه السيوطي في الدر المنثور (١/ ١١٤)، والزبيدي في الإتحاف (٢/ ٣٥٠)

(٤) أخرجه: البخاري (٧/ ٢٠٦) ومسلم [٤٩ ـ (٢٥٧)] كتاب الطهارة، ١٦ ـ باب خصال الفطرة، وأبو داود (٤١٩٨)، والنسائي (١/ ١٤ المجتبى) وابن ماجه (٢٩٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ١٤٩)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٢٩)، ٢٣٩)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٢٣٤) التبريزي في مشكاة المصابيح (٤٤٢٠) وأبو عوانة في مسندة (١/ ١٩٠) والحميدي في مسنده (٩٣٦)

أنه يورثه ولم يزل يوصيني بالسواك حتى ظننت أنه يردني حتى يذهب اللثه، ولم يزل يوصيني بالنساء حتى ظننت أنه يُحرم الطلاق، ولم يزل يوصيني بالمماليك حتى ظننت أنه يجعل لعتقهم وقتًا، ولم يزل يوصيني بصلاة الليل حتى ظننت أن خيار أمتي لا ينامون بالليل»[(١)]

روي عن أبي شهاب عن رسول الله ﷺ: **«من قلم أظفاره يوم الجمعة كان له أمان من الجذام»**[(٢)]

باب فضيلة الوضوء

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾[(٣)]

---

(١) أوله: أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٢)، ومسلم في صحيحه [١٤٠ ـ (٢٦٢٤)] كتاب البر والصلة والآداب، باب الوصية بالجار والإحسان إليه

وفي الوصية بالسواك: أخرجه البيهقي (٧/ ٤٩) والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٩٩) والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٦٧) وابن حجر في تلخيص الحبير (١/ ١٦٧)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١١٣) .

وفي الوصية بالمملوك أخرجه، الذهبي في المجروحين (١/ ٢٣٥) وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٢٦٥) وابن حجر في المطالب العالية (٢٧٨٣) .

(٢) أخرجه: عبد الرزاق في مصنفه (٥٣١٠) والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ١٧١) وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢٦٩)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٥٥٦)، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (٢/ ١٤٤)

(٣) سورة المائدة (٦)

قال كثيرون من السلف: قوله: ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المَائدة: ٦] يعني وأنتم محدثون، وقال آخرون إذا قمتم من النوم إلىٰ الصلاة وكلاهما قريب وقال آخرون: بل المعنى أعم من ذلك فالآية آمرة بالوضوء عند القيام إلىٰ الصلاة ولكن هو في حق المحدث واجب وفي حق المتطهر ندب وقد قيل إن الأمر بالوضوء لكل صلاة كان واجبًا في ابتداء الإسلام ثم نسخ قال الإمام أحمد (٥/ ٣٥٨) بسنده عن بريدة قال: كان النبي ﷺ يتوضأ عند كل صلاة فلما كان يوم الفتح توضأ ومسح علىٰ خفيه وصلى الصلوات بوضوء واحد، فقال له عمر يا رسول الله إنك فعلت شيئًا لم تكن تفعله قال: **«إني عمدا فعلته يا عمر»**

وروي أن علي بن أبي طالب ﷺ كان يطوف بالبيت إذا عرض له رجل فوضع يده علىٰ كتف علي ﷺ قال: جئت أسألك عن مسائل لا يعلمها إلا رجل أو رجلين، ومضى حتى طاف في البيت أسبوعًا، ثم دخل الحجر فصلى ركعتين ثم قال: أين السائل: وقام الرجل وقال: من أين أنت؟ قال: من أهل الشام جئت أسألك عن بدء الوضوء كيف كان وأين كان

فقال: قال الله للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، قالت الملائكة يا ربنا أتجعل فيها خليفة من غيرنا ممن يتفاسدون ويسفكون الدماء فاجعل خليفة منا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، ولا نتباغض ولا نتحاسد

فرد الله تعالىٰ عليهم فقال: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٣٠]

فخافوا غضب ربهم، فجعلوا يطوفون حول العرش كل يوم ثلاث ساعات من النهار يتضرعون إلىٰ ربهم إشفاقًا من غضبه، فنظر الله إلىٰ تضرعهم فرحمهم

ثم قال: أتريدون مغفرتي ورضواني

قالوا: بلى، وما أشوقنا إلىٰ ذلك، فأنا نخاف غضبك لما قلنا

قال الله تعالىٰ: إن نهرًا يقال له الحيوان تحت العرش، فاذهبوا واغسلوا أيديكم إلىٰ مفصل الكف، فغسلوا أيديهم ثم قال تمضمضوا ثلاثًا، ثم استنشقوا ثلاثًا، ثم قال: اغسلوا وجوهكم ثلاثًا

ثم قال: اغسلوا أيديكم ثلاثًا إلىٰ المرافق اليمنى ثم اليسرى ثم امسحوا برؤوسكم مرة واحدة، ثم اغسلوا أرجلكم اليمنى واليسرى إلىٰ الكعبين(١)، ففعلوا

---

(١) في وجوب غسل الرجلين روى مسلم في صحيحه [٢٥ ـ (٢٤٠)] كتاب الطهارة، ٩ ـ باب وجوب غسل الرجلين بكمالهما، عن عائشة سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **ويل للأعقاب من النار**» ورقم [٢٦ ـ (٢٤١)] كتاب الطهاره عن عبد الله بن عمرو رفعه«**ويل للأعقاب من النار، أسبغوا الوضوء**»

وقال النووي: مراد مسلم ﷺ تعالىٰ بإيراده هنا الاستدلال به علىٰ وجوب غسل الرجلين وأن المسح لا يجزئ وهذه مسألة اختلف الناس فيها علىٰ مذاهب فذهب جمع من الفقهاء من أهل الفتوى في الأعصار والأمصار إلىٰ أن الواجب غسل القدمين مع الكعبين ولا يجزئ مسحهما ولا يجب المسح مع الغسل ولم يثبت خلاف هذا عن أحد يعتد به في الإجماع وقالت الشيعة الواجب مسحهما، وقال محمد بن جرير والجبائي رأس المعتزلة يتخير بين المسح والغسل النووي في شرح مسلم (٣/ ١٠٩، ١١٠) طبعة دار الكتب العلمية

فأوحى الله إليهم أن قولوا سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، فقالوا ذلك، ثم قالوا: يا ربنا فسر لنا ما أمرتنا، فقال الله ﷻ: ما من مؤمن يفعل ما فعلتم إلا أعطيته مغفرتي ورضواني، فإذا غسل يديه تحاطت خطاياه فإذا غسل يديه وتمضمض واستنشق كان كذلك، وإذا غسل وجهه فكذلك فإذا غسل يده اليمنى نزل عليه المغفرة والرضوان، فإذا غسل يده اليسرى غفر ذنوبه، وإن كانت من الأرض إلىٰ عنان السماء وإذا غسل رأسه تغشاه من الرحمة من كل مكان وكذلك في غسل الرجلين

ثم يقول: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك(١)

فقالوا: ربنا هذا لنا خاصة

فقال الله تعالىٰ: هذا لكم خاصة ولذلك الخليفة وأولاده عامة، فهذا بدء الوضوء

ثم الحكمة في غسل الأربعة في الوضوء، لأن العذاب في القيامة علىٰ هذه الأربعة أعضاء الوجه كما قال الله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ **[آل عِمرَان: ١٠٦]**

واليد كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ **[الحَاقَّة: ٢٥]** والرأس كما

---

(١) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٨١) والحاكم في المستدرك (١/ ٥٦٤) وصححه وتعقبه الذهبي فقال: ووقفه ابن مهدي عن الثوري عن أبي هاشم

وزاد النسائي: طبع عليها بطابع، ثم رفعت تحت العرش فلم يكسر إلىٰ يوم القيامة.
الطابع: بالفتح الخاتم والكسر لغة فيه.
وفي رواية مسلم [١٧ ـ (٢٣٤)] كتاب الطهارة ٦ ـ باب الذكر المستحب عقب الوضوء، عن عقبة بن عامر وفيه« **ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبد الله ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء**».

وقال النووي: وينبغي أن يضم إليه ما جاء في رواية الترمذي متصلاً بهذا الحديث اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين، ويستحب أن يضم إليه ما رواه النسائي في كتابه عمل اليوم والليلة مرفوعا: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، أستغفرك وأتوب إليك، قال أصحابنا وتستحب هذه الأذكار للمغتسل أيضاً والله أعلم.

قــال تعالىٰ: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ [الرَّحمٰن: ٤١]

فكأن الله تعالىٰ يقول: عبدي اغسل وجهك لأزيل عنك عذاب التسويد في القيامة، وأبيض وجهك

واغسل يديك لأزيل عنك عذاب إعطاء الكتاب في اليسار وأعطى باليمين

وامسح علىٰ الرأس[١] لأزيل عذاب الأخذ بالنواصي واضع علىٰ رأسك تاج في الجنة

واغسل الرجل لأمنع عنك عذاب الغل والقيد والحفظ علىٰ الصراط حتى لا تزول قدماك ولا تقع في النار

وحكي عن الحسين بن علي أنه مر بأخيه الحسن علىٰ شيخ، وكان يتوضأ ولا يحسن الوضوء، ولا يتم بترك مسح الرأس، وبترك غسل الرجلين فقالا: أمثل هذا الشيخ في ذي الجهل يكون في النار، ونحن ولدي محمد ﷺ وإن لم نعلمه لا يكون لنا شفقة علىٰ أمة محمد ﷺ وإن علمناه فإنه سيغضب فقال أحدهما للآخر: تعال حتى أقول أنت لا تحسن الوضوء ولا تتم، وأنت تقول لي كذلك فنتحاكم إلىٰ هذا الشيخ، فتريه الوضوء بهذه الحيلة[٢]

---

(١) قال المالكية: مسح جميع الرأس ويبتدئ حد الرأس من منابت شعر الرأس المعتاد من الأمام وينتهي إلىٰ نقرة القفا من الخلف ويدخل فيه شعر الصدغين والبياض الذي خلفه فوق وتدي الأذنين، وإذا طال شعر الرأس كثيرا أو قليلا فإنه يجب مسحه عندهم وإذا ضفر أحد شعره فإنه يجب عليه أن ينقضه ووافقهم في ذلك الحنابلة

وقال الشافعية: مسح بعض الرأس ولو قليلا ولا يشترط أن يكون المسح باليد، فإذا رش الماء علىٰ جزء من رأسه أجزأه، وإذا كان علىٰ رأسه شعر فمسح بعضه فإنه يصح، أما إذا طال شعره ونزل عن رأسه فمسح جزء من الزائد عن نفس الرأس فإنه لا يكفي فلا بد عندهم من مسح جزء من الشعر الملتصق بالرأس . الفقه علىٰ المذاهب الأربعة (١/ ٥١، ٥٢) .

(٢) قال الشافعي: فرائض الوضوء ستة: النية وتكون عند غسل أول جزء من أجزاء الوضوء فإن فعل بدون نية بطل وضوءه وإن نوى عند غسل الكفين أو المضمضة أو الاستنشاق فإن النية لا تصح لأن ذلك الجزء ليس من الوجه ولكن إذا نوى عند غسل الجزء الظاهر من شفتيه حال المضمضة فإن النية تصح لأن ذلك الجزء من الوجه، الثاني: غسل الوجه، الثالث: غسل اليدين مع المرفقين والرابع: مسح بعض الرأس ولو قليلا والخامس: غسل الرجلين من الكعبين والسادس: الترتيب بين الأعضاء، الفقه علىٰ المذاهب الأربعة (١/ ٥١)

فأخذ في المنازعة وجاءا عند الشيخ وقالا كن حكمًا أيها الشيخ بيننا منازعة في الوضوء

فتــوضأ الحسن ووضع الوضوء مواضعه بالتمــام والكمــال، والشيخ يــرى كله

ثم فعل الحسين مثل ذلك بالتمام فقالا له: أينا يحسن الوضوء

فقال الشيخ كلاكما تحسنان[1]، ولكن هذا الشيخ جاهل يعني نفسه هو الذي لم يكن يحسن الوضوء وقد تعلم الآن منكما، وتاب علىٰ يديكما ببركتكما وشفقتكما علىٰ أمة محمد ﷺ

عن علي بن أبي طالب قال: بينا رسول الله ﷺ في ملأ من المهاجرين إذ أقبل إليه عشرة من اليهود فقالوا: يا محمد إنا أتيناك لنسألك عن أشياء لا يعلمها إلا من كان نبيًا مرسلاً

فقال ﷺ: «**سلوني تفقها ولا تسألوني تعنتًا**»

فقالوا: يا محمد أخبرنا لم أمر الله بغسل هذه الأربعة[2] مواضع وهي أنظف الجسد؟

فقال النبي ﷺ: «**إن آدم لما نظر من الشجرة وقصدها أمر بغسل الوجه وأمر بغسل الساعدين بما تناول بيده، وأمر بمسح رأسه لما أظلته الشجرة ، ووضع يده علىٰ رأسه، وأمر بغسل القدمين لما مشى عليهما إلىٰ الخطيئة**»

---

(١) روى البخاري في صحيحه (٣٧٥٣) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، عن ابن عمر، قال النبي ﷺ: «**هما ريحانتاي في الدنيا**»

(٢) قالت الحنابلة: الموالاة وهي أن يغسل العضو قبل أن يجف العضو الذي قبله والمالكية قالوا: يجب أن ينتقل من عضو إلىٰ الآخر علىٰ الفور ويسقط عنه الفور في حالة العجز عن الموالاة مثل أن يحضر الماء وهو معتقد أنه يكفيه ثم ظهر عدم كفايته فغسل بعض الأعضاء ثم فرغ الماء واحتاج إلىٰ ماء آخر فانتظر مسافة جفت فيه الأعضاء التي غسلها فإنه يسقط عنه الفور، أما الشافعية والحنفية فقالوا: إن الموالاة بين هذه الأعضاء سنة لا فرض

الفقه علىٰ المذاهب الأربعة (١/ ٥٦) .

فلما فعل آدم عليه السلام ذلك غفر الله عنه(١) الخطيئة

وافترضهن الله تعالىٰ علىٰ أمتي لتكفير ذنوبهم من الوضوء إلىٰ الوضوء

فقالوا: صدقت، وأسلموا بين يديه

باب فضيلة الغسل(٢)

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: ما من عبد ولا أمة من أمتي قاما للغسل من الجنابة إلا باهى الله بهما الملائكة فيقول يا ملائكتي انظروا إلىٰ عبدي وأمتي قاما للغسل من الجنابة تيقنًا بهما أشهدكم أني قد غفرت لهما، وكتبت بكل شعرة علىٰ

---

(١) قال الله تعالىٰ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ **[البَقَرَة: ٣٧]**
قيل: إن هذه الكلمات مفسرة بقوله تعالىٰ:
﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ **[الأعرَاف: ٢٣]** روي عن مجاهد وسعيد بن جبير وأبي العالية والربيع بن أنس والحسن وقتادة وغيرهم وعن ابن عباس في الكلمات قال: علم شأن الحج.
وقد روى ابن أبي حاتم بسنده عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال آدم عليه السلام أرأيت يا رب إن تبتُ ورجعتُ أعائدي إلىٰ الجنة؟ قال: نعم**».
تفسير ابن كثير (١/ ٨١).

(٢) أجمع المسلمون علىٰ وجوب الغسل علىٰ الرجل والمرأة بخروج المني أو إيلاج الذكر في الفرج وأجمعوا علىٰ وجوبه عليها بالحيض والنفاس، واختلفوا في وجوبه علىٰ من ولدت ولم تر دمًا أصلاً والأصح عند أصحابنا وجوب الغسل وكذا الخلاف فيما إذا ألقت مضغة أو علقة والأصح وجوب الغسل ومن لا يوجب الغسل يوجب الوضوء والله أعلم
ثم إن مذهبنا أنه يجب الغسل بخروج المني سواء كان بشهوة ودفق أم بنظر أم في النوم أو في اليقظة وسواء أحس بخروجه أم لا وسواء خرج من العاقل أم من المجنون ثم إن المراد بخروج المني أن يخرج إلىٰ الظاهر أما ما لم يخرج فلا يجب الغسل وذلك بأن يرى النائم أنه يجامع وأنه قد أنزل ثم يستيقظ فلا يرى شيئا فلا غسل عليه بإجماع المسلمين وكذا لو اضطرب بدنه لمبادئ خروج المني فلم يخرج وكذا لو نزل المني إلىٰ أصل الذكر، ثم لم يخرج فلا غسل وكذا لو صار المني في وسط الذكر وهو في صلاة فأمسك بيده علىٰ ذكره فوق حائل فلم يخرج المني حتى سلم من صلاته صحت صلاته فإنه ما زال متطهرًا حتى خرج.
النووي في شرح مسلم (٣/ ١٨٨، ١٨٩) طبعة دار الكتب العلمية.

جسده ألف حسنة ومحي عنه مثل ذلك ورفع له درجة مثل ذلك، وخلق الله تعالىٰ من كل قطرة من الماء ملكًا يستغفرون لهما إلىٰ يوم القيامة

عن أنس بن مالك قال: قال لي النبي ﷺ: «**يا بني اغسل من الجنابة فبالغ فيه فإن تحت كل شعرة جنابة**»

قلت: يا رسول الله كيف أبالغ؟

قال: «**اروي أصول الشعر وانق بشرتك تخرج من مغتسلك قد غفر لك كل ذنب**»[(١)]

وعن علي رضي الله عنه قال: أقبل عشرة من أحبار اليهود فقالوا: يا محمد أخبرنا لماذا أمر الله بالغسل من الجنابة ولم لم يأمر من البول والغائط وهما أقذر من النطفة؟

قال النبي ﷺ: «**إن آدم لما أكل الشجرة تحول ذلك في عروقه وشعره، فإذا جامع الإنسان ترك من أصل كل شعرة ففرض الله عليّ وعلىٰ أمتي تطهيرًا وتكفيرًا وشكرًا لما أنعم الله عليهم من اللذة التي يصيبونها منه . وإن المؤمن إذا أراد أن يغتسل من الحلال بنى الله له قصرًا في الجنة**[(٢)] وهو سرير المؤمن بينه وبين

---

(١) حديث: «**تحت كل شعرة جنابة**» أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١/ ١٧٥) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٤٣)، وابن حجر في تلخيص الحبير (١/ ١٤٢)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٠٠٢) والزبيدي في الإتحاف (٢/ ٣٨٠، ٣٨١)، والقرطبي في تفسيره (٥/ ٢١٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٣٨٨) والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٥٣)

(٢) قال النووي: قال أصحابنا: كمال غسل الجنابة أن يبدأ المغتسل فيغسل كفيه ثلاثا قبل إدخالهما في الإناء، ثم يغسل ما علىٰ فرجه وسائر بدنه من الأذى، ثم يتوضأ وضوءه للصلاة بكماله، ثم يدخل أصابعه كلها في الماء فيغرف غرفة يخلل بها أصول شعره من رأسه ولحيته ثم يحثي علىٰ رأسه ثلاث حثيات، ويتعاهد معاطف بدنه كالإبطين وداخل الأذنين والسرة وما بين الأليتين وأصابع الرجلين وعكن البطن وغير ذلك فيوصل الماء إلىٰ جميع ذلك ثم يفيض علىٰ رأسه ثلاث حثيات، ثم يفيض الماء علىٰ جسده ثلاث مرات يدلك في كل مرة ما تصل إليه يداه من بدنه وإن كان يغتسل في نهر أو بركة انغمس فيها ثلاث مرات ويوصل الماء إلىٰ جميع بشرته

ويعم بالغسل ظاهر الشعر وباطنه وأصول منابته والمستحب أن يبدأ بميامنه وأعالي بدنه وأن يكون مستقبل القبلة وأن يقول بعد الفراغ « **أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله**» وينوي الغسل من أول شروعه .

النووي في شرح مسلم (٣/ ١٩٥/ ١٩٦) طبعة دار الكتب العلمية .

ربه ﷻ، والمنافق لا يغتسل من الجنابة .

قالوا: صدقا يا محمد، نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله

(قال النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم: «**من مس امرأته فله عشر حسنات ومن ضم صدره إلىٰ صدرها فله عشرون ومن جامعها فله ثلاثمائة حسنة، ومن اغتسل من الجنابة خلق الله تعالىٰ من كل قطرة من الماء ملكًا يستغفرون لهما إلىٰ يوم القيامة**»

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ضرب امرأته بغير حق فأنا خاصمه يوم القيامة**»(١)

فالمستحب لمن أراد الغسل(٢) أن يضع الإناء عن يمينه ثم يسمي الله تعالىٰ ويغسل يديه ثلاثًا ثم يستنجي ويزيل ما علىٰ بدنه من نجاسة إن كانت

ثم يتوضأ وضوءه للصلاة إلا غسل قدميه فإنه يؤخرهما لكي لا يضيع الماء ثم يصب الماء علىٰ شقه الأيمن ثلاثًا ثم علىٰ شقه الأيسر، ثم علىٰ رأسه ثلاثًا، ثم يدلك ما أقبل علىٰ بدنه وما أدبر، ويخلل شعر الرأس ويوصل الماء إلىٰ منابتها ما كثف منه وخف، ويتعهد معاطف البدن

ويتوقى أن يمس ذكره في أثناء ذلك

فإن فعل فليعد الوضوء، وكيفما أتى بغسل بدنه من الجنابة فجائز بعد أن يعم بدنه غسلا والواجب من جمله ما ذكرنا من الغسل أمران النية(٣)

---

(١) وجدناه في الهامش

(٢) روى مسلم في صحيحه [٣٥ ـ (٣١٦)] كتاب الحيض، ٩ ـ باب صفة غسل الجنابة، عن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اغتسل من الجنابة يبدأ فيغسل يديه، ثم يفرغ بيمينه علىٰ شماله، فيغسل فرجه ثم يتوضأ وضوءه للصلاة، ثم يأخذ الماء فيدخل أصابعه في أصول الشعر حتى إذا رأى أن قد استبرأ، حفن علىٰ رأسه ثلاث حفنات ثم أفاض علىٰ سائر جسده ثم غسل رجليه»

(٣) قالت الحنفية: إن النية سنة مؤكدة، وأما المالكية فقد جعلوها فرض يصح أن تتأخر عن الشرع في الغسل بزمن يسير، ومحلها من الغسل غسل أول جزء من أجزاء البدن، أما الحنابلة فقالوا: إنها شرط لصحة الغسل فلا يصح إلا بها ولكنها ليست داخلة في حقيقته، والشافعية: اتفقوا مع المالكية علىٰ أن النية فرض، إلا أنهم قالوا: لا يجوز تأخيرها من غسل أول جزء من أجزاء البدن بحال

الفقه علىٰ المذاهب الأربعة (١/ ١٠٠).

واستيعاب جميع البدن بالغسل(١)

باب فضيلة الصلوات الخمس
رزقنا الله تعالىٰ حفظها

قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ (٢)

يعني ثواب الصلوات الخمس يكفر الخطايا والذنوب و(ذلك) الصلاة (ذكرى للذاكرين) يعني كفارة وتوبة للتائبين من أمة محمد ﷺ

قوله: (فاصبر) يا محمد علىٰ أداء الصلوات الخمس شتاءًا وصيفًا سفرًا وحضرًا صحة وسقمًا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (٣) يعني لا يبطل ثواب المصلين

قال ابن عباس نزلت هذه الآية في أبي اليسر(٤) عمرو بن غزية الأنصاري، كان

---

(١) أجمعوا علىٰ أن الغسل يجب بالتقاء الختانين، وكيفية الغسل أن يغسل ما به من أذى ويغسل دبره تغوط أو لم يتغوط وينوي محل النية القلب وينوي فرض الغسل من الجنابة، أو رفع الحدث الأكبر ويسمى الله تعالىٰ ويتوضأ وضوءه للصلاة، ثم يفيض الماء علىٰ رأسه وسائر جسده اختلاف الأئمة العلماء (١/ ٥٧) من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية

(٢) سورة هود (١١٤) (٣) سورة هود (١١٥)

(٤) أبو اليسر هو كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن غزية بن سواد بن تميم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي الخزرجي صحابي بدري جليل أخرج له البخاري في الأدب ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، توفي سنة (٥٥)

ترجمته: تهذيب التهذيب (٨/ ٤٣٧)، تقريب التهذيب (٢/ ١٣٥)، الكاشف (٣/ ٨)، التاريخ الكبير للبخاري (٧/ ٢٢٠)، الجرح والتعديل (٧/ ١٦٠)، أسد الغابة (٤/ ٤٨٤)، سير الأعلام (٢٠/ ٥٣٧) .

وقد اختلف في صاحب هذه الواقعة فقال ابن عباس: هو عمرو بن غزية الأنصاري التمار، وقال مقاتل هو أبو نفيل عامر بن قيس الأنصاري، وذكر الخطيب البغدادي أنه أبو اليسر كعب بن عمرو، وذكر الباقي أنه رجلا بدون ذكر اسمه .

وجاء فيها أن عمر ﷺ قال: لقد سترك الله لو سترت نفسك .

وفي رواية أخرى: فأتيت عمر فسألته فقال: اتق الله واستر علىٰ نفسك ولا تخبرن أحدًا فلم أصبر حتى أتيت أبا بكر فسألته فقال: اتق الله واستر علىٰ نفسك ولا تخبرن أحدًا، قال: فلم أصبر حتى أتيت النبي ﷺ .

يبيع التمر فأتته امرأة تبتاع التمر

فقال إن هذا التمر ليس بجيد وفي البيت أجود منه فهل لك فيه؟

قالت: نعم فذهب لها إلىٰ بيته فضمها إلىٰ نفسه وقبلها

فقالت له: اتق الله، فتركها وندم علىٰ ذلك، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما تقول في رجل راود امرأة عن نفسها ولم يبق شيء مما يفعله الرجال بالنساء إلا ارتكبه غير أنه لم يجامعها

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لقد سترك الله لو سترت علىٰ نفسك، ولم يرد عليه رسول الله ﷺ شيئًا وقال: انتظر فيه أمر ربي

وحضر صلاة العصر فصلى النبي ﷺ صلاة العصر

فلما أتاه جبرائيل عليه السلام بهذه الآية[1] فقال النبي ﷺ أين أبو اليسر؟

فقال: ها أنا ماذا يا رسول الله

فقرأ عليه هذه الآية، قال: أشهدت معنا هذه الصلاة؟

قال: نعم، قال: اذهب فإنها كفارة لما عملت فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله هذا له خاصة أم لنا عامة؟

فقال: بل للناس عامة[2]

---

(١) قال النووي: قوله ﷺ في الذي أصاب من امرأة قبلة فأنزل الله فيه ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هُود: ١١٤] إلىٰ آخر الحديث هذا تصريح بأن الحسنات تكفر السيئات واختلفوا في المراد بالحسنات هنا فنقل الثعلبي أن أكثر المفسرين علىٰ أنها الصلوات الخمس، واختاره ابن جرير وغيره من الأئمة، وقال مجاهد هي قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ويحتمل أن المراد الحسنات مطلقا

النووي في شرح مسلم (١٧/ ٦٦) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه (٤٦٨٧) كتاب تفسير القرآن، من سورة هود، ٦ ـ باب ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هُود: ١١٤]

ومسلم في صحيحه [٣٩ ـ (٢٧٦٣)] رقم (٤٢)، (٤٤) كتاب التوبة، ٧ ـ باب قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هُود: ١١٤] وأحمد في مسنده (١/ ٤٤٥)، والترمذي (٣١١٢، ٣١١٥)، والطبراني (١٩/ ١٦٥) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٧٥) والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١١١) والألباني في إرواء الغليل (٨/ ٢٣).

(قد عاقب عمر بن الخطاب ﷺ نفسه حين فاتته صلاة العصر[١] في جماعة، بأن تصدق بأرض كانت له قيمتها مائتا ألف درهم

وكان ابن عمر إذا فاتته صلاة في جماعة أحيا تلك الليلة وأخر ليلة صلاة المغرب حتى طلع كوكبان فأعتق رقبتين) إحياء[٢]

عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تعاهدوا الصلاة الخمس في الجماعة ولا تعجزوا فإنها إذا كان يوم القيامة وضع الله السماوات السبع والأرضين السبع والجبال والبحار والليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والدواب والطيور والسباع والرياح والعرش والكرسي والجنة والنار في كفة الميزان ويوضع صلاة واحدة أدى مع الجماعة في الكفة الأخرى لترجح ثواب تلك الصلاة الواحدة علىٰ هذا كلها ولو تعلقت الأنبياء والملائكة والإنس والجن والشياطين ويأجوج ومأجوج من الكفة لترجح تلك الصلاة**»

اعلم أن الصلاة عماد الدين[٣] وعصام اليقين وعز الطاعات وسيد القربات

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٢٠٠ ـ (٦٢٦)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٣٥ ـ باب التغليظ في تفويت صلاة العصر، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: « **الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله**»

قال النووي: ومعناه انتزع منه أهله وماله، وهذا تفسير مالك بن أنس، وهذا في رواية الرفع، وأما علىٰ رواية النصب فقال الخطابي وغيره: معناه نقص هو أهله وماله وسلبه فبقي بلا أهل ولا مال فليحذر من تفويتها كحذره من ذهاب أهله وماله .

وقال أبو عمر بن عبد البر معناه عند أهل اللغة والفقه أنه كالذي يصاب بأهله وماله إصابة يطلب بها وترا والوتر الجناية التي يطلب ثأرها فيجتمع عليه غمان غم المصيبة وغم مقاساة طلب الثأر، وقال الداودي من المالكية: معناه يتوجه عليه من الاسترجاع ما يتوجه علىٰ من فقد أهله وماله فيتوجه عليه الندم والأسف لتفويته الصلاة، وقيل معناه فاته من الثواب ما يلحقه من الأسف عليه كما يلحق من ذهب أهله وماله .

النووي في شرح مسلم (٥/ ١٠٧) طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) حديث: «**الصلاة عماد الدين**» أخرجه: الزبيدي في اتحاف السادة المتقين (٣/ ٩، ٨/ ٣٩٣)، تلخيص الحبير، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٤٠)

وبلفظ «**الصلاة عماد الإيمان والإسلام**» أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٣/ ٩، ١١٤)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٩٦)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٧) والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ١٤٦) .

وقال النبي ﷺ: «**مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار بباب أحدكم ثم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون من ذلك يبقى من درن؟**»

قالوا: لا، قال: **فكذا الصلوات الخمس تذهب الذنوب**(١)

وقال ﷺ: «**من صلى صلاة لوقتها وأسبغ وضوءها وجميع أركانها خرجت وهي بيضاء مسفرة تقول لصاحبها حفظك الله كما حفظتني، ومن صلى صلاة لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولا أركانها خرجت وهي سوداء مظلمة وتقول ضيعك الله كما ضيعتني**»(٢)

باب الزجر من ترك الصلاة

قال الله تعالىٰ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [مريم: ٥٩] (٣)

وقال ﷺ: من حافظ علىٰ الصلوات الخمس كان له نور وبرهان يوم القيامة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٢٨) كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، ومسلم في صحيحه [٢٨٣ ـ (٦٦٧)]، [٢٨٤، (٦٦٨)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٥١ ـ باب المشي إلىٰ الصلاة تمحي به الخطايا وترفع به الدرجات

والترمذي (٢٨٦٨) والنسائي (١/ ٢٣١ ـ المجتبى) وأحمد في مسنده (٢/ ٣٧٩)، والدارمي في سننه (١/ ٢٦٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٣٦١) والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٣٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٦٥)، والألباني في إرواء الغليل (١/ ٤٧).

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٣٠٢)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٩٥)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ١٠٩)، والطحاوي في الآثار (٤/ ٢٢٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٥٨)

(٣) ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [مريم: ٥٩] وإذا أضاعوها فهم لما سواها من الواجبات أضيع لأنها عماد الدين وقوامه وخير أعمال العباد وأقبلوا علىٰ شهوات الدنيا وملاذها ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها فهؤلاء سيلقون غيا أي خَسَارًا يوم القيامة

وقد اختلفوا في المراد بإضاعة الصلاة ههنا فقال قائلون المراد بإضاعتها تَرْكُها بالكلية قاله محمد بن كعب القُرَظي وابن زيد بن أسلم والسدي واختاره ابن جرير، ولهذا ذهب من ذهب من السلف والخلف والأئمة كما هو المشهور عن الإمام أحمد وقول عن الشافعي إلىٰ تكفير تارك الصلاة للحديث« **بين العبد وبين الشرك تَركُ الصلاة**»، **والحديث الآخر «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»**.

وقال الأوزاعي عن موسى بن سليمان عن القاسم بن مُخَيمرة قال: انما أضاعوا المواقيت ولوكان تركا كان كفرًا. تفسير ابن كثير (٣/ ١٣١).

ومن ضيعها حشره الله يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون)[١]

﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩﴾ [مريَم: ٥٩] [٢]

وقال إن أول ما ينظر فيه يوم القيامة من عمل العبد الصلاة، فإن وجدت تامة قبلت سائر عمله، وإن وجدت ناقصة ردت عليه وسائر عمله

وقال النبي ﷺ: «**خمس صلوات كتبهن الله تعالىٰ علىٰ العباد فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئًا كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء غفر له**»[٣]

قال ﷺ: «**ما بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة فمن تركها فقد كفر**»[٤]

وذكر أن إبليس عليه اللعنة كان يرى في الزمان الأول فقال له رجل: يا أبا مرة كيف أصنع حتى أكون مثلك؟

فقال إبليس: ويحك، لم يطلب مني أحد ذلك، فكيف تطلبه أنت؟

فقال الرجل: أنا أحب ذلك

فقال له إبليس: أما إن أردت أن تكون مثلي فتهاون بالصلاة ولا تبال بالحلف صادقًا ولا كاذبًا

---

(١) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٣/ ٩، ١٠)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ١٤٦)

(٢) سورة مريم (٥٩) وقد وجدناه بالهامش

(٣) أخرجه: أبو داود في سننه (١٤٢٠) كتاب الصلاة باب فيمن لم يوتر، والنسائي (١/ ٢٣٠)، وأحمد في مسنده (٥/ ٣١٥، ٣١٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٣٦١، ٢/ ٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٤٢)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٩٤)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٢/ ١٤٧)، وعبد الرزاق في مصنفه (٤٥٧٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ١٣١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٢٩٦) والبخاري في التاريخ الكبير (١/ ٣٨٧)

(٤) أخرجه: مسلم في صحيحه [١٣٤ ـ (٨٢)] كتاب الإيمان، ٣٥ ـ باب بيان إطلاق اسم الكفر والترمذي في سننه (٢٦٩، ٢٦٢)، وأبو داود في سننه (٤٦٧٨)، وابن ماجه في سننه (١٠٧٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٦٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٣٧٨، ٣٨٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٦٩)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٢/ ١٤٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٢٥٦)

فقال له الرجل: لقد عهدت أن لا أدع الصلاة ولا أحلف يمينًا أبدًا

فقال إبليس عليه اللعنة: أنا عاهدت أن لا أنصح لآدمي قط

ومن تهاون بالصلوات الخمس بالجماعة[١] عاقبه الله تعالىٰ باثنى عشر خصلة، ثلاثة في الدنيا وثلاثة عند الموت وثلاثة في القبر، وثلاثة في القيامة

أما الثلاثة التي في الدنيا أن يرفع البركة من كسبه، وينزع سيم الخير من وجهه ويكون بغيضًا في قلوب الناس، وأما التي عند الموت فيقبض جائعا عطشانا لشدة فزعه.

وأما في القبر فسؤال منكر ونكير وظلمة شديدة

وأما اللواتي في القيامة فشدة حسابه وغضب الرب وعقوبته في النار

ومن داوم علىٰ الصلاة في الجماعة أعطاه خمس خصال أولها: يرفع عنه ضيق العيش وعذاب القبر ويعطى كتابه بيمينه، ويمر علىٰ الصراط كالبرق ويدخل الجنة بغير حساب[٢]

وحكي أن موسى عليه السلام سأل ربه عز وجل فقال إلهي أي العمل أحب إليك؟

---

(١) قال النووي: قوله ﷺ: «**لقد هممت أن آمر رجلاً يصلي بالناس ثم أخالف إلىٰ رجال يتخلفون عنها فآمر بهم فيحرقوا عليهم بحزم الحطب بيوتهم، ولو علم أحدهم أنه يجد عظمًا سمينًا لشهدها**»

هذا مما استدل به من قال: الجماعة فرض عين وهو مذهب عطاء والأوزاعي وأحمد وأبي ثور وابن خزيمة وداود، وقال الجمهور: ليست فرض عين، واختلفوا هل هي سنة أم فرض كفاية وأجابوا عن هذا الحديث بأن هؤلاء المتخلفين كانوا منافقين وسياق الحديث يقتضيه فإنه لا يظن بالمؤمنين من الصحابة أنهم يؤثرون العظم السمين علىٰ حضور الجماعة مع رسول الله ﷺ وفي مسجده، ولأنه لم يحرق بل هم به ثم تركه، ولو كانت فرض عين لما تركه، قال بعضهم في هذا الحديث دليل علىٰ أن العقوبة كانت في أول الأمر بالمال لأن تحريق البيوت عقوبة مالية. النووي في شرح مسلم (٥/ ١٣١) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) حديث «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب**» أخرجه: البخاري في صحيحه (٦٥٤٣) كتاب الرقاق، ٥٠ ـ يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب

ومسلم في صحيحه [٣٦٧ ـ (٢١٦)] كتاب الايمان، ٩٤ ـ باب الدليل علىٰ دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب.

وقال النووي: فيه عظم ما أكرم الله سبحانه وتعالىٰ به النبي ﷺ وأمته زادها الله فضلاً وشرفًا وقد جاء في صحيح مسلم سبعون ألفًا مع كل واحد منهم سبعون ألفا.

فأوحى الله تعالىٰ إليه: يا موسى أما علمت أني جعلت جميع أعمال البر تبعًا للصلاة، فإذا تقبلت صلاة عبد تقبلت منه سائر عمله

وإنما تُقبل صلاة عبد من تواضع لعظمتي وغض طرفه عن محارمي وقطع نهاره بذكري ولم يتطاول علىٰ خلقي وخافني(١)

يا موسى يدني الفقير ويشبع الجار، ويكسو العاري ويغيث الملهوف ويد في الغريب»

ويقال: إذا خرج الخلق من قبورهم أتى كل رجل من المسلمين ملك، فيمسح وجهه ورأسه عن التراب بجناحه فيقول له: من أنت الذي رحمتني

فيقول: ما رحمتك حتى رحمك ربك، فله الحمد لا لي

ثم تقصد النار الخلائق فيقول الله ﷻ: وعزتي ما لك سبيل علىٰ المصلين، فتهرب النار منهم، فيقول ما لك يا نار لم لا تأخذيهم فتقول: كيف أخذهم وقد أقسم الله ﷻ بعزته أن لا يحرق الوجوه المعفرة في التراب بالسجود لله تعالىٰ

وقال بعضهم: العجب ممن يؤثر الظل علىٰ الشمس ولا يؤثر الجنة علىٰ النار .

باب سبب بدء الصلوات الخمس

وقد جاء في الخبر أن الله تعالىٰ خلق شجرة لها أربعة أغصان فسماها شجرة

---

(١) في حديث « **بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**» المتقدم تخريجه قال النووي: أما تارك الصلاة فإن كان منكرا لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين خارج من ملة الإسلام إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه وإن كان تركه تكاسلا مع اعتقاده وجوبها كما هو حال كثير من الناس، فقد اختلف العلماء فيه فذهب مالك والشافعي رحمهما الله والجماهير من السلف والخلف إلىٰ أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب، فإن تاب وإلا قتلناه حدًا كالزاني المحصن ولكنه يقتل بالسيف وذهب جماعة من السلف إلىٰ أنه يكفر وهو مروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل رحمه الله وبه قال عبدالله بن المبارك وإسحاق بن راهويه وهو وجه لبعض أصحاب الشافعي رضوان الله عليه، وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة والمزني صاحب الشافعي رحمهما الله أنه لا يكفر ولا يقتل، بل يعزر ويحبس حتى يصلي
النووي في شرح مسلم (٢/ ٦١) طبعة دار الكتب العلمية .

اليقين[١] ثم خلق نور محمد ﷺ في حجاب درة بيضاء مثله كمثل الطاووس ووضعه علىٰ تلك الشجرة

فسبح عليها مقدار ألف سنة، ثم خلق مرآة الحياة فوضع باستقباله فلما نظر الطاووس فيها رأى صورته أحسن صورة وأزين هيئة فاستحيا من الله فسجد خمس مرات، فصار علينا تلك السجدات فرضًا موقتا

فأمر الله تعالىٰ خمس مرات[٢] صلاة علىٰ محمد وأمته

وفي رواية أخرى: والحكمة في أن الله تعالىٰ أمر بصلاة الفجر ركعتين لأن أول من صلاها أبونا آدم عليه السلام

أخرج من الجنة أظلم عليه الدنيا وجن الليل ولم يكن قبل ذلك، فخاف من ذلك خوفًا شديدًا فلما أصبح واصغر الفجر صلى ركعتين شكرًا لله تعالىٰ

فالركعة الأولى شكر النجاة من ظلمة الليل والثاني شكر الرجوع الضوء والنهار إليه .

---

(١) قيل إن لليقين اسمًا ورسمًا وعلما، والاسم والرسم للعوام، أي أنه ليس لهم منه سوى الاسم والرسم وأما أرباب العقول فلهم علم اليقين، وهو ما كان بشرط البرهان، وأما الخواص وهم أصحاب العلوم فلهم عين اليقين، وهو ما كان بحكم البيان

وأما أصحاب المعارف من الأنبياء والأولياء فلهم حق اليقين وهو ما كان بنعت العيان، وأما حقيقة حق اليقين فذلك ما اختص به نبينا عليه الصلاة والسلام .
المعجم الصوفي (ص٢٦٦) .

(٢) روى مسلم في صحيحه [٢٦٣ ـ (١٦٣)] كتاب الايمان، ٧٤ ـ باب الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات، عن أنس بن مالك في حديث الاسراء الطويل وفيه قال رسول الله ﷺ: «**ففرض الله علىٰ أمتي خمسين صلاة قال: فرجعت بذلك حتى أمر بموسى فقال موسى** عليه السلام: **ماذا فرض ربك علىٰ أمتك؟ قال قلت فرض عليهم خمسين صلاة، قال لي موسى** عليه السلام، **فراجع ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، قال فراجعت ربي فوضع شطرها قال فرجعت إلىٰ موسى** عليه السلام **فأخبرته قال: راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، قال: فراجعت ربي فقال: هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي قال فرجعت إلىٰ موسى فقال: راجع ربك، فقلت قد استحييت من ربي**». . . . . الحديث

وفي رواية قبل هذه: « **ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت إلىٰ موسى** ﷺ **فقال ما فرض ربك علىٰ أمتك؟ قلت خمسين صلاة قال: ارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم قال فرجعت إلىٰ ربي فقلت يا رب خفف علىٰ أمتي فحط عني خمسا**»...... إلىٰ آخر الحديث» .

وكان من آدم عليه السلام تطوعًا فأمركم الله تعالىٰ به ليذهب عنكم ظلمة المعاصي كما أذهب عن آدم عليه السلام ظلمة الليل، وينوركم بنور الطاعات كما نور آدم بنور النهار

وأما صلاة الظهر أربع ركعات فإن أول من صلاها إبراهيم الخليل عليه السلام، لما أمر بذبح الولد كما نودي أن صدقت الرؤيا[(١)] وكانت وقت الزوال

وكانت فنظر إبراهيم عليه السلام إلىٰ الفداء، وكان في أربعة أحوال: حال الذبح، وحال غم الولد فكشف الله عز وجل وفدا، الله بذبح عظيم وحال رضاء عنه فصلى عند ذلك أربع ركعات

تناول مثل ذلك أربعًا: الفداء من الذبح ورضاء الرب، وكشف الغم وقهر الشيطان

وأما صلاة العصر أول من صلاها يونس عليه السلام حين أنجاه الله من بطن الحوت، وكان في أربع ظلمات: ظلمة الزلة وظلمة الماء وظلمة الليل وظلمة بطن الحوت

﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [**الأنبياء: ٨٧**] إلىٰ قوله: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ﴾[(٢)]

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾﴾

وقال الإمام أحمد: في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما أمر إبراهيم بالمناسك عَرَض له الشيطان عند السعي فسابقه فسبقه إبراهيم ثم ذهب به جبريل إلىٰ جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات، وثَمّ تَلَّه للجبين وعلىٰ إسماعيل قميص أبيض فقال له يا أبت إنه ليس لي ثوب تكفنني فيه غيره فاخلعه حتى تكفنني فيه فعالجه ليخلعه فنُوديَ من خلفه: ﴿أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ فالتفت إبراهيم فإذا بكبش أبيض أقرن أعين .

تفسير ابن كثير (٤/ ١٥) .

(٢) سورة الأنبياء (٨٧،٨٨)

بعثه الله إلىٰ أهل قرية نينوى وهي قرية من أرض الموصل فدعاهم إلىٰ الله فأبوا عليه وتمادوا علىٰ كفرهم فخرج من بين أظهرهم مغاضبا لهم ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث فلما تحققوا منه ذلك وعلموا أن النبي لا يكذب خرجوا إلىٰ الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم وفرقوا بين الأمهات والأولاد ثم تضرعوا إلىٰ الله عز وجل وجأروا إليه، ورغت الإبل وفُصْلانها وخارت البقر =

فصلى أربع ركعات شكر لله تعالىٰ

فصلى أنت حتى أنجيك من ظلمة الخطايا، ومن ظلمة القيامة، ومن ظلمة جهنم

وأما صلاة المغرب ثلاث ركعات فأول من من صلاها عيسى عليه السلام حين أخبر الله تعالىٰ أن قومك يدعون ثالث ثلاثة(١)

فحين سمع ذلك صلى ثلاث ركعات، وكان في وقت المغرب

فالركعة الأولى لنفي الإلهية عن نفسه، والركعة الثانية لنفيها عن والدته، والركعة الثالثة لإثبات الإلهية لله تعالى، فمن صلى هذه الصلاة الإلهية يهون الله عليه الحساب وينجيه من النار، ويأمنه من الفزع الأكبر مثل عيسى عليه السلام

وأما صلاة العشاء أربع ركعات أول من صلاها موسى عليه السلام حين ضل الطريق في وقت خروجه من مدين، وكان في غم امرأته وغم أخيه هارون وغم عدوه فرعون وغم أولاده

= وأولادها، وثغت الغنم وسخالها فرفع الله عنهم العذاب، وقوله تعالىٰ: ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ [الأنبيَاء: ٨٧] قال الضحاك لقومه ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبيَاء: ٨٧] أي نضيق عليه في بطن الحوت، ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبيَاء: ٨٧] قال ابن مسعود ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل وكذا روي عن ابن عباس وعمرو بن ميمون وسعيد بن جُبَير ومحمد بن كعب والضحاك والحسن وقتادة.

تفسير ابن كثير (٣/ ١٩٧).

(١) قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المَائدة: ٧٣]

قيل المراد بذلك كفارهم في قولهم بالأقانيم الثلاثة وهو أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلىٰ الابن تعالىٰ الله عن قولهم علوًا كبيرًا والطوائف الثلاثة من الملكية واليعقوبية والنَّسطورية تقول بهذه الأقانيم وهم مختلفون فيها اختلافًا متباينًا

وقال السُّدِّي وغيره نزلت في جعلهم المسيح وأمه إلهين مع الله فجعلوا الله ثالث ثلاثة بهذا الاعتبار قال السدي وهي كقوله تعالىٰ في آخر السورة: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ [المَائدة: ١١٦] الآية وهذا القول هو الأظهر والله أعلم.

فسمع مناديًا ينادي: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: ١٢] (١)

يعني أنا هاديك وكافيك أجمع بينك وبين أخيك هارون وأظفرك علىٰ عدوك

فحين سمع ذلك صلى أربع ركعات لكل حالة ركعة فأمرك الله بذلك

فقال: صلى أربع ركعات لأهديك كما هديت موسى ﷺ، وأكفيك كما كفيت موسى ﷺ، وأجمعك مع النبيين والصديقين كما جمعت بين موسى وهارون وأعطيك الظفر علىٰ عدوك إبليس عليه اللعنة كما أعطيت لموسى علىٰ عدوه فرعون(٢)

فهذه أحكام أعداد الصلاة

(هذا بين حكمة عدد الركعات وأما حكمة لما كانت الصلاة ركعتين وثلاثًا وأربعًا

الجواب: أن الله تعالىٰ خلق الملائكة أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع فصلا الصبح مثنى وصلاة المغرب ثلاثا والظهر والعصر والعشاء أربعًا

---

(١) قال غير واحد من المفسرين من السلف والخلف: لما قصد موسى إلىٰ تلك النار التي رآها فانتهى إليها وجدها تأجج في شجرة خضراء من العوسج، وكان موسى في واد اسمه طوى فكان موسى مستقبل القبلة وتلك الشجرة عن يمينه من ناحية الغرب. فناداه ربه بالواد المقدس طوى. . . . . . . إلىٰ آخره

ثم قال موسى﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ۝٣١ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ۝٣٢ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝٣٣ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۝٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ۝٣٥ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٣٦﴾

قصص الأنبياء لابن كثير (ص ٣١١، ٣١٦) .

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣٨ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ۝٣٩ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٠﴾

يخبر تعالىٰ أنهم لما استكبروا عن اتباع الحق وادعى ملكهم الباطل ووافقوه عليه وأطاعوه فيه اشتد غضب الرب القدير العزيز الذي لا يغالب ولا يمانع عليهم، فانتقم منهم أشد الانتقام وأغرقه هو وجنوده في صبيحة واحدة فلم يفلت منهم أحد، ولم يبق منهم ديار، بل كل قد غرق فدخل النار، وأتبعوا في هذه الدار لعنة بين العالمين، ويوم القيامة بئس الرفد المرفود، ويوم القيامة هم من المقبوحين .

قصص الأنبياء لابن كثير (ص ـ ٣٤٧) .

والجواب الآخر: أن الله تعالىٰ خلق صورة آدم ﷺ قسمين: جسم وروح

وأمر صلاة الفجر ركعتين ركعة شكر الروح وركعة شكر الجسد

والجواب الآخر: أن الله تعالىٰ خلق جسم آدم[١] ودخل ثلاث جواهر، الأول العقل، والثاني القلب والثالث الإيمان

أمر صلاة المغرب ثلاثًا لشكر هذه الثلاث

والجواب الآخر: خلق الله آدم من أربعة أشياء من الماء والنار والريح والتراب.

فأمر صلاة الظهر والعصر والعشاء أربعا لشكر هذه الأربعة (نقل من الصلاح)[٢]

باب هيئات الصلاة[٣]

قال: والحكمة في هيئات الصلاة أنها أربعة أركان قيام وقعود وركوع وسجود لأن جميع ما خلق الله ﷻ علىٰ وجه الأرض ليس يخلوا من هذه الأربع

أما القيام كالأشجار والجبال والحيطان وأما الركوع كالبهائم، وأما السجود مثل الحشرات في الأرض وهي الحيات والعقارب والدود

وأما القعود مثل الحجر والمدر، وكلهم يسبحون الله تعالىٰ كما قال الله تعالىٰ:

(١) قال تعالىٰ ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ **[الحجر ٧١ ـ ٧٤]**

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) أجمعوا علىٰ أن فروض الصلاة سبعة وهي النية للصلاة وتكبيرة الإحرام والقيام لها مع الاستطاعة، والقراءة في الركعتين للإمام والمنفرد، والركوع والسجود، والجلوس آخر الصلاة بمقدار إيقاع السلام

ثم اختلفوا فيما عدا ذلك فهذه هي الشرائط والأركان وتسمى الفروض المتصلة بالصلاة والمنفصلة عنها التي وقع إجماع الأئمة الأربعة عليها، فأما ما عداها من الأذكار والأفعال مما اختلفوا عنه.

انظر اختلاف الأئمة العلماء (١/ ١٠٤) من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية.

﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ [الإسراء: ٤٤] (١)

فأمرك الله تعالىٰ بهذه الهيئات الأربع القيام والركوع والسجود والقعود

(ما الحكمة في الركوع واحد، وفي السجود اثنان، لأن الركوع إشارة إلىٰ التوحيد، والسجود شاهدان عليه)(٢)

وقال رسول الله ﷺ: «**إلا أخبركم بشيء أمر به نوح ابنه، أن نوحًا قال لابنه يا بني آمرك أن تقول: سبحان الله وبحمده(٣) فإنها صلاة الخلق وتسبيحهم، وبها يرزقون**»

قال الله تعالىٰ: وإن من شيء إلا يسبح بحمده(٤)

قال وهب بن منبه: ما بني بيت مسجد إلا وقد كان يسبح الله ثلاثمائة سنة(٥)

---

(١) يقول تعالىٰ: تقدسه السماوات السبع والأرض ومن فيهن، أي: من المخلوقات وتنزهه وتعظمه وتجِّلّه وتكبره عما يقول هؤلاء المشركون وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته وإلهيته
وقوله تعالى﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤] أي وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ [الإسراء: ٤٤] أي لا تفقهون تسبيحهم أيها الناس لأنها بخلاف لغتكم وهذا عام في الحيوانات والجمادات والنباتات.
تفسير ابن كثير (٣/٤٣).

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) أخرجه: أحمد في مسنده (٢/ ٢٢٥) والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٣٤٢)، والطبري في تفسيره (١٥/ ٦٥) والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٨٣) والذهبي في المجروحين (٢/ ٢٣٥)، وابن كثير في تفسيره (٥/ ٧٧)، وابن القيسراني في تذكرة الموضوعات (٣٣٥)، مجمع الزوائد (٤/ ٢١٩)

(٤) وقد رواه أحمد في مسنده (٢/ ٢٢٥) بسنده عن عبد الله بن عمرو وفيه: "إن نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه فقال إني قاصر عليكما الوصية آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا إله إلا الله فإن السماوات والأرض وما فيهما لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت أرجح ولو أن السماوات والأرض كانتا حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليها لفصمتها أو لقصمتها وآمركما بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء»

(٥) حديث: «**من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة**» أخرجه: أحمد في مسنده (١/ ٢٤١)، وابن حبان في صحيحه (٣٠١ ـ الموارد)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٧)، والطبراني في المعجم الصغير (١/ ٣٠، ٢/ ١٢٠)

عن المقدام قال: إن التراب يسبح ما لم يبتل، فإذا ابتل ترك التسبيح، وإن الخرزة لتسبح ما لم ترفع في موضعها

فإذا رفعت ترك التسبيح، وإن الورق يسبح ما دام علىٰ الشجرة

فإذا سقطت تركت التسبيح

وأن الثوب ليسبح ما دام جديدًا، فإذا وسخ ترك التسبيح

وأن الماء ليسبح ما دام جاريًا، وإذا ركد ترك التسبيح، وأن الوحوش إذا صاحت سبحت فإذا سكتت ترك التسبيح(١)

وإن الثوب الخلق لينادي في أول النهار اللهم اغفر لمن نقاني

عن أنس بن مالك قال: كنا عند رسول الله ﷺ فأخذ كفًا من حصى فسبحن في يد رسول الله ﷺ

ثم صبهن في يد أبي بكر فسبحن حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد عمر فسبحن حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد عثمان فسبحن حتى سمعنا التسبيح، ثم صبهن في أيدينا فما سبحت في أيدينا

عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: مرض النبي ﷺ فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل النبي ﷺ، فسبح، ثم دخل الحسن والحسين فتناولا منه فسبح العنب والرمان، ثم دخل علي فتناوله فسبح أيضًا

ثم دخل رجل من أصحابه فتناول منه فلم يسبح

فقال جبرائيل عليه السلام: إنما يأكل هذا النبي أو وصي أو ولد النبي ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ

---

(١) وقال عكرمة في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] قال: الأسطوانة تسبح والشجرة تسبح الأسطوانة السارية

وقال بعض السلف: صرير الباب تسبيحه وخرير الماء تسبيحه قال الله تعالىٰ ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] ، وقال سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم قال: الطعام يسبح ويشهد لهذا القول آية السجدة في الحج، وقال آخرون: إنما يسبح ما كان فيه روح يعنون من حيوان أو نبات، وقال قتادة في قوله ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] قال: كل شيء فيه الروح يسبح من شجر أو شيء فيه،وقال الحسن، والضحاك في قوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] قالا كل شيء فيه الروح .

تفسير ابن كثير (٣/ ٤٣) .

﴿تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] يعني لا تعلمون تسبيح ما عدا من يسبح بلغاتكم[١] وألسنتكم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٢]

باب بدء الأذان

وأصل ابتداء الأذان ما روى محمد بن علي الباقر عن أبيه الحسين بن علي عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: لما أراد الله تعالىٰ أن يعلم نبيه الآذان أتاه جبرائيل ﷺ بدابة يقال لها البراق، فلما ذهب ليركبها استعصت عليه فقال جبرائيل[٣]: اسكني

(١) وقال ابن جرير بسنده عن جرير أبي الخطاب قال: كنا مع يزيد الرَّقاشي ومعه الحسن في طعام فقدموا الخوان، فقال يزيد الرقاشي يا أبا سعيد يسبح هذا الخِوَان؟ فقال: كان يسبح مرة ـ

قلت الخِوَان هو المائدة من الخشب ـ فكأن الحسن ﷺ ذهب إلىٰ أنه لما كان حيا فيه خضرة كان يسبح، فلما قطع وصار خشبة يابسة انقطع تسبيحه وقد يستأنس لهذا القول بحديث ابن عباس في صحيح البخاري (٢١٨) كتاب الوضوء، **٥٩** ـ الباب الذي يلي باب ما جاء في غسل البول قال: مر النبي ﷺ بقبرين فقال: «**إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يَسْتَتر من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**» ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين فغرز في كل قبر واحدة قالوا: يا رسول الله لم فعلت؟ قال: «**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**». قال بعض من تكلم علىٰ هذا الحديث من العلماء: إنما قال: ما لم ييبسا لأنهما يسبحان ما دام فيهما خضرة، فإذا يبسا انقطع تسبيحهما والله أعلم.
تفسير ابن كثير (٣/ ٤٤).

(٢) سورة النساء (١٦)

(٣) البراق: بضم الباء الموحدة، قال أهل اللغة: البراق اسم الدابة التي ركبها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء، قال الزبيدي في مختصر العين وصاحب التحرير هي دابة، كان الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يركبونها وهذا الذي قالاه من اشتراك جميع الأنبياء فيها يحتاج إلىٰ نقل صحيح.

قال ابن دريد: اشتقاق البراق من البرق إن شاء الله تعالىٰ يعني لسرعته، وقيل: سمي بذلك لشدة صفائه وتلألئه وبريقه، وقيل: لكونه أبيض، وقال القاضي: يحتمل أنه سمي بذلك لكونه ذا لونين يقال شاة برقاء إذا كان في خلال صوفها الأبيض طاقات سود، قال: ووصف في الحديث بأنه أبيض وقد يكون من نوع الشاة البرقاء وهي معدودة في البيض والله أعلم.
النووي في شرح مسلم (٢/ ١٨٣) طبعة دار الكتب العلمية.

فما ركبك عبد أكرم علىٰ الله من محمد فسكنت، فركبها حتى انتهت إلىٰ الحجاز، إذ خرج ملك من وراء الحجاب فقال النبي ﷺ لجبرائيل: من هذا؟ فقال: والذي بعثك بالحق نبيًا إني لأقرب الخلق مكانًا وإن هذا الملك ما رأيته قط منذ خلقت قبل ساعتي هذا

قال الملك: الله أكبر الله أكبر فنودي صدقت

عبدي أنا أكبر أنا أكبر

قال: أشهد أن لا إله إلا الله، فنودي صدقت عبدي أنا الله لا إله إلا أنا

قال الملك: أشهد أنت محمدًا رسول الله، فنودي من وراء الحجاب صدق عبدي أنا أرسلت محمدًا رسولاً، قال الملك: حي علىٰ الصلاة حي علىٰ الفلاح فنودي صدقت عبدي دعاه إلىٰ عبادتي

وقال الملك الله أكبر الله أكبر فنودي صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر

ثم قال الملك: لا إله إلا الله، فنودي صدق أنا الله لا إله إلا أنا

نودي يا محمد كمل الله لك أشرف علىٰ الأولين والآخرين

ثم علم بلالاً الآذان بعدما رأى عبد الله بن زيد في المنام[(١)]

(عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الأذان ثمان كلمات من الكفر، الأول: يمد الألف من الله .**

الثاني: يمد الباء من أكبر

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٦ ـ (٣٧٩)] كتاب الصلاة، ٣ ـ باب صفة الأذان، عن أبي محذورة أن نبي الله ﷺ علمه هذا الأذان: "الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول اللَّه ، أشهد أن محمدا رسول الله" . . . . . . الحديث

قال النووي: وكذلك اختلف في حديث عبدالله بن زيد في التثنية والتربيع والمشهور فيه التربيع، وبالتربيع قال الشافعي وأبو حنيفة وأحمد وجمهور العلماء، وبالتثنية قال مالك واحتج بهذا الحديث وبأنه عمل أهل المدينة وهم أعرف بالسنن واحتج الجمهور بأن الزيادة من الثقة مقبولة وبالتربيع عمل أهل مكة وهي مجمع المسلمين في المواسم وغيرها ولم ينكر ذلك أحد من الصحابة وغيرهم والله أعلم .
النووي في شرح مسلم (٤/ ٧٠) طبعة دار الكتب العلمية .

والثالث: يمد الهاء من أشهد

والرابع: لا إله إلا الله، بلا تشديد

والخامس يقول: أشهد بلا ألف

والسادس: إن ظهر نون أشهد أن لا إله إلا الله

والسابع: يمد الحاء في الحيعلتين[١]

والثامن: قول الياء بلا تشديد

قال أبو بكر ﷺ أني رأيت النبي ﷺ في المنام أخذني بيدي فقال انظر إلىٰ جهنم فلما نظرت رأيت جماعة كثيرة من المؤمنين وجوههم كوجوه الخنازير ويشربون صديدًا ويخرجون من أفواههم النار

ثم قلت: من أي شيء دخولهم؟

قال ﷺ: «**يؤذنون في الدنيا من الجهل بلا علم لا يتعلمون**»

ثم قلت: يا رسول الله استشفعوا من الله فأجاب إني بريء منهم وهم بريئون مني)[٢]

وذلك ما روى محمد بن زيد الأنصاري قال: كان المسلمون حيث قدموا المدينة اجتمعوا للصلاة وليس ينادي بهن

فاستشار رسول الله ﷺ المسلمون[٣] في ذلك، فقال بعضهم: نقلب

---

(١) قوله: حي علىٰ الصلاة معناه تعالوا إلىٰ الصلاة وأقبلوا إليها قالوا وفتحت الياء لسكونها وسكون الياء السابقة المدغمة ومعنى حي علىٰ الفلاح هلم إلىٰ الفوز والنجاة وقيل إلىٰ البقاء، أي أقبلوا علىٰ سبب البقاء في الجنة والفلح بفتح الفاء واللام لغة في الفلاح حكاهما الجوهري وغيره

ويقال لحي علىٰ كذا الحيعلة، قال الإمام أبو منصور الأزهري قال الخليل بن أحمد رحمهما الله تعالىٰ الحاء والعين لا يأتلفان في كلمة أصلية الحروف لقرب مخرجيهما إلا أن يؤلف فعل من كلمتين مثل حي علىٰ فيقال منه حيعل والله أعلم.

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) روى البخاري في صحيحه (٦٠٤) كتاب الأذان، ١ ـ باب بدء الأذان، عن ابن عمر أنه قال: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة ليس ينادي لها، فتكلموا يوما في ذلك فقال بعضهم: اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى وقال بعضهم: بل قرنا مثل قرن اليهود =

راية فوق ظهر المسجد عند الصلاة[١]

فإذا رأوها أذن بعضهم بعضًا، فلم يحبه ذلك

وقال بعضهم: قرن مثل قرن اليهود

فكره من أجل اليهود

وذكر بعضهم الناقوس، فكره من أجل النصارى

فتفرقوا من غير شيء

قال عبد الله بن زيد فرأيت تلك الليلة رجلاً في المنام عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسًا

فقلت يا عبد الله أتبيع الناقوس

قال: وما تصنع به

قلت: أدعوا به الناس إلىٰ الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ

قال: أفلا أدلك علىٰ ما هو خير من ذلك

قلت: بلى، قال: الله أكبر الله أكبر إلىٰ آخره[٢]

= فقال عمر: أولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة؟ .
قال رسول الله ﷺ: « **يا بلال قم فناد بالصلاة**»
وكذا رواه مسلم في صحيحه [١ ـ (٣٧٧)] في الصلاة، ١- ـ باب بدء الصلاة .

(١) في حديث البخاري ومسلم المتقدم قال النووي: في هذا الحديث فوائد منها منقبة عظيمة لعمر بن الخطاب رضي الله تعالىٰ عنه في إصابته الصواب، وفيه التشاور في الأمور لا سيما المهمة وذلك مستحب في حق الأمة بإجماع العلماء واختلف أصحابنا هل كانت المشاورة واجبة علىٰ رسول الله ﷺ أم كانت سنة في حقه ﷺ كما في حقنا ؟ والصحيح عنهم وجوبها وهو المختار

قال الله تعالىٰ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] والمختار الذي عليه جمهور الفقهاء ومحققو أهل الأصول أن الأمر للوجوب وفيه أنه ينبغي للمتشاورين أن يقول كل منهم ما عنده ثم صاحب الأمر يفعل ما ظهرت له مصلحة والله أعلم .
النووي في شرح مسلم (٤/ ٦٦) طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) حديث عبد الله بن زيد في سنن أبي داود (٤٩٩) كتاب الصلاة، باب كيف الأذان، والترمذي في سننه (١٨٩) في الصلاة، باب ما جاء في بدء الأذان

فوصف له الإقامة فرادى، وقال: إذا قامت الصلاة فقل هذا، فلما استيقظت أتيت النبي ﷺ وأخبرته بذلك، فقال: إنها رؤيا حق إن شاء الله، فألقيها على بلال، فإنه أندى منك صوتًا)[(١)]

قال: فخرجت فجعلت ألقيها على بلال، وهو يؤذن فسمع عمر رضي الله عنه في بيته فخرج يجر رداءه

قال: رأيت مثل الذي رأى ففرح النبي ﷺ وقال: فذاك آليت[(٢)]

وروي عن رسول الله ﷺ: «**أول من أذن في السماء جبرائيل فسمعه عمر بن الخطاب** رضي الله عنه»[(٣)]

باب فضيلة الأذان

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[(٤)]

معناه فلا أحد أحسن قولا ممن دعا عباد الله إلى طاعة الله، وخدمة الله وعبادته.

---

(١) أما سبب تخصيص بلال رضي الله عنه بالنداء والإعلام فقد جاء مبينا في سنن أبي داود والترمذي وغيرهما وفيه فإنه أندى صوتًا منك، معناه أرفع صوتًا وقيل: أطيب فيؤخذ منه استحباب كون المؤذن رفيع الصوت وحسنه وهذا متفق عليه، ولفظه أبو داود (فلله الحمد)

(٢) أخرجه: أبو داود والترمذي وتقدم قبل هذا، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٣٥)، وأحمد في المسند (٤/ ٤٢)

(٣) أخرجه: ابن حجر في المطالب العالية (٢٢٤)

(٤) سورة فصلت (٣٣)

قول تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [**فُصّلَت: ٣٣**] أي دعا عباد الله إليه ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [**فُصّلَت: ٣٣**] أي وهو في نفسه مهتد بما يقوله فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومُتَعَدٍ وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه بل يأتمر بالخير ويترك الشر ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى، وهذه عامة في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد. تفسير ابن كثير (٤/ ١٠٠).

وعمل صالحًا[١]: صلى ركعتين بين الأذان والإقامة ويبعث الله المؤذن إذا بعثه من قبره، وهو يؤذن بأذانه الذي يؤذن في دار الدنيا إلىٰ موضع الحسنات، وإذا صاروا إلىٰ الصراط قيل له: أذن، وإذا انتهى إلىٰ آخر أذانه قيل له أدخل الجنة

وفي بعض الأخبار أن بلالا كان إذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله كان منافق يقول في كل مرة: حرق الكاذب

يعني محمدًا ﷺ

فقام ليلة من الليالي ليصلح السراج فوقعت النار في أصبع من أصابعه ولم يقدر علىٰ إلقائه

ثم أخذت النار كفه، ثم مرفقه وعضده

وما زال تحرق النار حتى أخذت علىٰ المكان

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذ أذن المؤذن فتحت أبواب السماء ويستجيب الدعاء وإذا أخذ في الإقامة لم ترد دعوته**»[٢]

---

(١) وقيل: المراد بها المؤذنون الصلحاء، كما ثبت في صحيح مسلم: «**المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة**» وفي السنن مرفوعا: «**الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن فأرشد الله الأئمة وغفر للمؤذنين**»

وقال: ابن مسعود: ﷺ "لو كنت مؤذنا ما باليت ألا أحج ولا أعتمر ولا أجاهد" قال: وقال عمر بن الخطاب: لو كنت مؤذنا لكمل أمري وما باليت ألا أنتصب لقيام الليل ولا لصيام النهار سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم اغفر للمؤذنين ثلاثا**»

قال: فقلت يا رسول الله تركتنا ونحن نجتلد علىٰ الأذان بالسيوف قال ﷺ: «**كلا يا عمر إنه سيأتي علىٰ الناس زمان يتركون الأذان علىٰ ضعفائهم وتلك لحوم حرمها الله ﷻ على النار لحوم المؤذنين**».

قال: وقالت عائشة ﵂ ولهم هذه الآية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [**فُصِّلَت**: ٣٣] قالت: فهو المؤذن إذا قال حي علىٰ الصلاة فقد دعا إلىٰ الله.

وهكذا قال ابن عمر ﵁ وعكرمة إنها نزلت في المؤذنين، وقد ذكر البغوي عن أبي أمامة الباهلي أنه قال في قوله ﷻ وَعَمِلَ صَالِحًا يعني صلاة ركعتين بين الأذان والإقامة.

تفسير ابن كثير (٤/ ١٠١).

(٢) أوله عن أبي أمامة ﵁، عن النبي ﷺ قال: «**إذا نادى المنادي فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء**» وبزيادة «**فمن نزل به كرب أو شدة فليتحين المنادي**»

أخرجه: الحاكم في المستدرك (١/ ٥٤٦)، وصححه وتعقبه الذهبي فقال: عفير هو ابن معدان واه جدًا، وكذلك أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠/ ٢١٣)، وعمل اليوم والليلة لابن السني (٩٦)، والشجري في أماليه (١/ ٢٤٢) والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٣٣٤).

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أذن سبع سنين محتسبًا حرم الله لحمه علىٰ دواب الأرض أن تأكله في القبر**»[١]

وقال: للمؤذن بين الأذان والإقامة[٢] أجر شهيد

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أذن المؤذن نزل الحور العين، فإذا قال قد قامت الصلاة، قال العبد اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة العالية صلِّ علىٰ محمد عبدك ورسولك، زوجنا من الحور العين، قلن اللهم زوجه إيانا**»

وإذا لم يقل شيئًا من ذلك قلن بعضهم لبعض: ارجعن فليس له فينا حاجة[٣]

عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: «**يغفر للمؤذن مد صوته وله أجر من صلى معه من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا**»[٤]

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٠٦)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٧، ١٧٣) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٦٦٤)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٨٥٠)

(٢) حديث: «**لا يرد الدعاء بين الآذان والإقامة**» أخرجه: أبو داود في سننه (٥٢١) كتاب الصلاة، باب ما جاء في الدعاء بين الأذان والإقامة، والترمذي في سننه (٢١٢) في الصلاة باب ما جاء في أن الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة والنسائي (٦٧) في عمل اليوم والليلة وابن السني (١٠٠) في عمل اليوم والليلة، قال الحافظ ابن حجر: الحديث حسن

(٣) حديث: «**اللهم رب هذه الدعوة التامة. . . إلىٰ آخره** » أخرجه البخاري في صحيحه (٦١٤) كتاب الأذان ٨ ـ باب الدعاء عند النداء، ومسلم في صحيحه [١١] كتاب الصلاة، وأبو داود في سننه (٥٢٩) كتاب الصلاة، باب ما جاء في الدعاء عند الأذان

والترمذي في سننه (٣٦١٤) والنسائي (٢/ ٢٥ ـ المجتبى)، وابن خزيمة في صحيحه (٤١٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٦٥٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٨٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٢٢٦)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٦١)، وابن حجر في تلخيص الحبير (١/ ٢١١).

(٤) أخرجه: أبو داود (٥١٥)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٣٦، ٤٦١)، والنسائي (٢/١٣)، المجتبى وابن ماجه (٧٥٤)، والطبراني في الكبير (٢/ ٣٥٨) وعبد الرزاق في مصنفه (١٨٦٤) وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٢/ ٧٩١)

وقد روى البخاري في صحيحه (٦٠٩) في كتاب الأذان ٥ ـ باب رفع الصوت بالنداء عن أبي سعيد الخدري رفعه: «**إني أراك تحت الغيم والبادية، فإذا كنت في غنمك أو باديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة**»

وحكي أن مؤذنًا كان ببخارى أذن سنين متواليًا وكان فقيرًا

وقال بعض الأغنياء أتبيع ثواب الأذان الذي أذنت مني بكذا وكذا

فقال: نعم وباع منه وأخذ الثمن

فلما أصبح صعد المؤذن ليؤذن فرفع الله الأذان من قلبه ونسيها كلها ولم يقدر بقية عمره

عن سالم بن مروان عن رجل من أهل الشام قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فسلم وقال: أخبرني بعمل واحد أدخل به الجنة؟

قال: كُن مؤذن قومك يجتمعون بك لصلواتهم

قال: يا رسول الله فإن لم أطيق

قال: كن إمام قومك يتمون بك صلواتهم(١)

قال: وإن لم أطيق ، قال: فعليك بالصف الأول(٢)

(إذا صار أهل الجنة فيها نادى بهم يوم السبت، احضروا ضيافة آدم في جنة الخلد، ثم ينادى بهم يوم الأحد احضروا ضيافة نوح في جنة النعيم

ثم ينادى بهم في الاثنين احضروا ضيافة إبراهيم في جنة الفردوس، ثم ينادى بهم يوم الثلاثاء احضروا ضيافة موسى في جنة المأوى

ثم ينادى بهم يوم الأربعاء احضروا ضيافة عيسى في جنة عدن

---

(١) قال النووي: واختلف أصحابنا هل الأفضل للإنسان أن يرصد نفسه للأذان أم للإمامة علىٰ أوجه:

أصحها: الأذان أفضل وهو نص الشافعي رحمه الله في الأم وقول أكثر أصحابنا

والثاني: الإمامة أفضل وهو نص الشافعي أيضاً .

والثالث: هما سواء .

والرابع: إن علم من نفسه القيام بحقوق الإمامة وجميع خصالها فهي أفضل وإلا فالأذان . قاله أبو علي الطبري وأبو القاسم بن كج والمسعودي والقاضي حسين، وأما جمع الرجل بين الإمامة والأذان فإن جماعة من أصحابنا يستحب ألا يفعله، وقال بعضهم: يكره، وقال محققوهم وأكثرهم أنه لا بأس به، بل يستحب وهذا أصح، والله أعلم .

النووي في شرح مسلم (٤/ ٨٠) طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) أخرجه: ابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٣٧٨)

ثم ينادى بهم يوم الخميس احضروا ضيافة محمد ﷺ تحت شجرة طوبى، وهي شجرة عظيمة أصلها في دار النبي ﷺ لو سقط منها ورقة لأظلت الأرض)[١]

عن خولة[٢] بنت حكيم السلمية[٣] قالت: قال رسول الله ﷺ: «**المريض ضيف الله ما دام في مرضه، ويرفع له في كل يوم عمل سبعين شهيدًا فإن عافيته فهو كيوم ولدته أمه، وإن قضي عليه الموت دخل الجنة بغير حساب**»

والمؤذن هو حاجب الله تعالىٰ يعطي بكل أذان ثواب ألف نبي

والإمام وزير الله[٤] يعطي بكل صلاة ثواب ألف صادق، والعالم وكيل الله تعالىٰ بكل حديث نور إلىٰ يوم القيامة وكتب له عبادة ألف سنة

والمتعلمون من الرجال والنساء هم خدم الله تعالىٰ فما جزاؤهم إلا الجنة

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من أذن سبع سنين أعتقه الله من سبع دركات من النار، بعد أن يحسن نيته**»[٥]

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) بالأصل خويلة بنت الحكم والصحيح ما أثبتناه

(٣) خولة بنت حكيم بن أمية السلمية، صحابية مشهورة يقال إنها التي وهبت نفسها للنبي ﷺ وكانت قبل تحت عثمان بن مظعون، أخرج لها: البخاري في خلق أفعال العباد ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه

ويقال لها: أم شريك، ويقال لها: خويلة .

ترجمتها: تهذيب التهذيب (١٢/ ٤١٥)، وتقريب التهذيب (٢/ ٥٩٦) والأصابة (٦٢١/٧)، الثقات (٣/ ١١٥) أسد الغابة (٧/ ٩٣)، أسماء الصحابة الرواة (١٤٤) .

(٤) روى مسلم في صحيحه [٨٨ ـ (٤١٦)] كتاب الصلاة، ٢٠ ـ باب النهي عن مبادرة الإمام بالتكبير وغيره عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «**إنما الإمامة جنة فإذا صلى قاعدا فصلوا قعودا وإذا قال: سمع الله لمن حمده فقولو: اللهم ربنا لك الحمد، فإذا وافق قول أهل الأرض قول أهل السماء غفر له ما تقدم من ذنبه**»

قال النووي: وقوله ﷺ: «**إنما الإمام جنة**» أي ساتر لمن خلفه ومانع من خلل يعرض لصلاتهم بسهو أو مرور أي كالجنة وهي الترس الذي يستر من وراءه ويمنع وصول مكروه إليه .

(٥) أخرجه: الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٧٨)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٣٩٧، ٣٩٨)

وعن أبي سعيد الخدري قال: إذا كنت في بوادي فأذنت فارفع صوتك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يسمع حجرًا ولا شجرًا ولا إنس ولا جان إلا شهد له عند الله ﷻ**»(١)

عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال: «**يبعث يوم القيامة بلال علىٰ ناقة من نوق الجنة يؤذن علىٰ ظهرها، فإذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله نظر الناس بعضهم علىٰ بعض فقالوا أشهد مثل ما يشهد حتى يوافي المحشر، أتى بحلل من حلل الجنة فأول من يكسى بلال وصالح المؤمنين**»(٢)

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة يوم القيامة علىٰ كثبان من مسك لا يهم لهم الحسنات ولا يحزنهم الفزع الأكبر رجل أم بقوم وهم راضون به، ورجل أذن الخمس ابتغاء وجه الله، وعبد أطاع ربه وسيده**»(٣)

عن جبير وعن الضحاك لما رأى عبد الله بن زيد الأذان بالمنام وعلمه بلال فأمر أن يصعد السطح ويؤذن

فلما افتتح سمعوا هدّة بالمدينة، فقال رسول الله ﷺ: «**أتدرون ما هذه الهدّة**»

---

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه (٦٠٩) كتاب الأذان، ٥ ـ باب رفع الصوت بالنداء ورقم (٣٢٩٦) كتاب بدء الخلق، ١٢ باب ذكر الجن وثوابهم وعقابهم، ورقم (٧٥٤٨)، كتاب التوحيد، ٥٢ ـ باب قول النبي ﷺ: «**الماهر بالقرآن مع الكرام البررة**»

وابن ماجه في سننه (٧٢٣) كتاب الأذان، ٥ باب فضل الأذان وثواب المؤذنين وأحمد في مسنده (٣/ ٦)، وابن حجر في تلخيص الحبير (١/ ٢٠٨)، وابن خزيمة في صحيحه (٣٨٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٧٤)، والحميدي في مسنده (٧٣٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٦٥٦) .

(٢) روى البخاري في صحيحه (٣٣٤٩) كتاب أحاديث الأنبياء، ٩ ـ باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ **[النساء: ١٢٥]** عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**انكم تحشرون حفاة عراة غرلاً، ثم قرأ** ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ **[الأنبياء: ١٠٤] وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم**» . . . الحديث

(٣) أخرجه: أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ١٠٦)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٤٦٥)، والشجري في أماليه (١/ ٧٦) والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ١٤٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٨٧٦)، والقرطبي في تفسيره (١١/ ٣٤٦)، والخطيب في تاريخ بغداد (٣/ ٣٥٥)

فقالوا: الله ورسوله أعلم

قال: فإن ربكم أمر بأبواب السماوات ففتحت إلىٰ العرش لأذان بلال

قال أبو سلمة: هذا لبلال خاصة أم للمؤذنين عامة؟ قال: للمؤذنين عامة، وإن أرواح المؤذنين مع أرواح الشهداء، فإذا كان يوم القيامة نادى مناديًا أين المؤذنون فيقومون علىٰ كثبان المسك والكافور

قال: ما من مدينة يكثر فيها المؤذنون إلا قل بردها(١)

قال ابن عباس ثلاثة يعصمهم الله من عذاب القبر المؤذنون والشهداء والمتوفى يوم الجمعة أي علىٰ ليلة الجمعة

باب تفسير الأذان

ينبغي أن يُعرف تفسير الأذان ومعناه.

توضأ يا فتى إن كنت ترجو لقاء الله في دار البقاء.

واشرب بعد إسباغ الوضوء(٢) بماء كان يبقى في الإناء.

فإن الشرب من باقي الوضوء شفاء كان من سبعين داء(٣)

---

(١) أخرجه: العقيلي في الضعفاء (٢/ ٢٦٤)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٧٩)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٩١)، والشوكاني في الفوائد (١/ ١) واللآلئ المصنوعة (٢/ ٨) للسيوطي وعلي القاري في الأسرار المرفوعة (٣٠٨) وابن عدي في الضعفاء (٥/ ١٧٦٤)

(٢) في حديث مسلم [٤١ ـ (٢٥١)] في الطهارة، ١٤ ـ باب فضل إسباغ الوضوء علىٰ المكاره قال النووي: وإسباغ الوضوء تمامه، والمكاره تكون بشرة البرد و ألم الجسم ونحو ذلك

وفي قوله ﷺ: «**فيبلغ أو يسبغ الوضوء** » هما بمعنى واحد أي يتمه ويكمله فيوصله مواضعه علىٰ الوجه المسنون والله أعلم .

وفي حديث: «**لايتوضأ رجل فيحسن الوضوء**» أي يأتي به تاما بكمال صفته وآدابه، وفي هذا الحديث الحث علىٰ الاعتناء بآداب الوضوء وشروطه والعمل بذلك والاحتياط فيه والحرص علىٰ أن يتوضأ علىٰ وجه يصح عند جميع العلماء ولا يترخص بالاختلاف فينبغي أن يحرص علىٰ التسمية والنية والمضمضة والاستنشاق والاستنثار واستيعاب مسح الرأس ومسح الأذنين ودلك الأعضاء والتتابع في الوضوء وترتيبه وغير ذلك من المختلف فيه وتحصيل ماء طهور بالإجماع .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم . النووي في شرح مسلم (٣/ ٩٥) طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) أظنها أبيات من الشعر

وقال أبو محمد النهروي: إذا كان يوم القيامة ودخل أهل الجنة الجنة فيوم السبت يزور الأولاد الآباء في الجنة، ويوم الأحد يزور الآباء الأولاد ويوم الاثنين التلامذة العلماء، ويوم الثلاثاء يزور العلماء التلامذة ويوم الأربعاء يزور الأمم الأنبياء ويوم الخميس يزور الأنبياء الأمم

ويوم الجمعة يزور الخلائق الرب جل جلاله(١) وذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] (٢)

فإن كل كلمة منها ظهر وبطن

فإذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر مرتين فتفسيره الله أعظم وأجل

ومعناه الله أعظم وعلمه واجب فاشتغلوا بعلمه واتركوا اشتغال الدنيا

فإذا قال أشهد أن لا إله إلا الله، وتفسيره أنه وحده لا شريك له، ومعناه أن الله أمركم بأمره فاتبعوه، فإنه لا ينفعكم إلا الله ولا ينجيكم من عذابه أحد إن لم تؤدوا أمره

وإذا قال أشهد أن محمدًا رسول الله تفسيره أشهد أن محمدًا أرسله الله إليكم لتؤمنوا به وتصدقوه، ومعناه أنه أمركم بإقامة الجماعة(٣) فاتبعوا ما أمركم به

فإذا قال: حي علىٰ الصلاة فتفسيره أسرعوا إلىٰ الصلاة

---

(١) اعلم أن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالىٰ ممكنة غير مستحيلة عقلاً، وأجمعوا أيضاً علىٰ وقوعها في الآخرة وأن المؤمنين يرون الله تعالىٰ دون الكافرين، وزعمت طائفة من أهل البدع المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة أن الله تعالىٰ لا يراه أحد من خلقه وأن رؤيته مستحيلة عقلاً وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة علىٰ إثبات رؤية الله تعالىٰ في الآخرة للمؤمنين ورواها نحو من عشرين صحابيًا عن رسول الله ﷺ

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) روى مسلم في صحيحه [٢٥٦ ـ (٦٥٤)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٤٤ ـ باب صلاة الجماعة من سنن الهدى عن عبد الله بن مسعود وفيه: قال: ابن مسعود: «**من سره أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ علىٰ هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم....** » الحديث

ومعناه قد حان وقت الصلاة فأقيموها ولا تؤخروها عن وقتها وصلوها جماعة[(١)]

فإذا قال حي علىٰ الفلاح فتفسيرها أسرعوا إلىٰ النجاة والسعادة

ومعناه أن الله جعل الصلاة سببًا لنجاتكم وسعادتكم فأقيموها ولا تؤخروها عن وقتها لتنجوا من عذاب الغم

وإذا قال الله أكبر الله أكبر فتفسيره الله أعز وأعلم، معناه أن علمه واجب فلا تؤخروا علمه وإذا قال: لا إله إلا الله فتفسيره أنه واحد لا شريك له، ومعناه أخلصوا صلواتكم لوجه الله تعالىٰ

قال رسول الله ﷺ[(٢)]: أتاه جبرائيل ﵇ مع سبعين ألف ملك بعد صلاة الظهر، فقال يا محمد: إن الله تعالىٰ يقرئك السلام وأهدى إليك بهدية لم يهدها إلىٰ أحد من قبلك

قلت: يا جبرائيل وما تلك الهدية؟

قال: الوتر ثلاث ركعات

قلت: وما لي ولأمتي فيها؟ قال: من صلى الوتر ثلاث ركعات يكرمه الله تعالىٰ ثلاث خصال: يتم له بالركعة الأولى تقصيرات صلوات يومه ذلك كلها وبالثانية

---

(١) أجمعوا علىٰ أن صلاة الجماعة مشروعة وأنه يجب إظهارها في الناس، فإذا امتنع من ذلك أهل بلد قوتلوا عليها

ثم اختلفوا هل الجماعة واجبة في الفروض غير الجمعة فقال الشافعي: هي فرض علىٰ الكفاية، وقال جماعة من أصحابه: هي سنة، وقال مالك: هي سنة مؤكدة .

وقال أبو حنيفة: هي فرض علىٰ الكفاية .

وذكر في شرح الكرخي أنها سنة مؤكدة، وقال جماعة من أصحابه هي سنة وقال مالك: سنة مؤكدة، وقال أحمد: هي واجبة علىٰ الإيمان وليست شرطًا في صحة الصلاة، فإن صلى منفردًا مع القدرة علىٰ الجماعة أثم والصلاة صحيحة .

اختلاف الأئمة العلماء (١/ ١٢٩، ١٣٠) من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) أخرجه: ابن عراق في تنزيه الشريعة (١/ ٤٠٨)، والخطيب في تاريخ بغداد (٢/ ٢٠٤)، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٢/ ٢٠٦) والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (٢/ ٢٠٢).

يحفظه علىٰ الإسلام ويخرجه من الدنيا مسلمًا، وبالثالثة يثقل الله تعالىٰ ميزانه من الحشر، ويرزقه شفاعة نبيه[(١)] ﷺ)[(٢)]

باب فضيلة الأذان وجوابه

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قال مثل ما يقول المؤذن كان له مثل أجره**»[(٣)]

وروي في خبر آخر أن رسول الله ﷺ: «**كان إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر يقول معه كذلك في الشهادتين، وإذا قال حي علىٰ الصلاة قال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**»[(٤)]

---

(١) فيما رواه مسلم في صحيحه [٣٢٦ ـ (٢٠٠٠)] كتاب الإيمان ٨٤ ـ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها عن أنس رفعه «**إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلىٰ بعض فيأتون آدم فيقولون له اشفع لذريتك فيقول: لست لها ولكن عليكم بإبراهيم** عليه السلام **فإنه خليل الله فيأتون إبراهيم فيقول: لست لها ولكن عليكم بموسى** عليه السلام **فإنه كليم الله فيؤتى موسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بعيسى** عليه السلام **فإنه روح الله وكلمته فيؤتى عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد** ﷺ **فأوتى فأقول أنا لها، فأنطلق فأستأذن علىٰ ربي فيؤذن لي، فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليه الآن يلهمنيه الله ثم أخر له ساجدا فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول: رب أمتي أمتي**»........... الحديث

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) أخرجه: «**بلفظ حلت له شفاعتي**» البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٣٥٩)، بلفظ «**يقينا دخل الجنة**» أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٩٤ ـ الموارد) وأحمد في مسنده (٢/ ٣٥٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٨٦)

(٤) أخرجه: مسلم في صحيحه [١٢ ـ (٣٨٥)] كتاب الصلاة، ٧ ـ باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي علىٰ النبي ﷺ ثم يسأل الله له الوسيلة

وأبو داود (٥٢٧) كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا سمع المؤذن .

والبيهقي في السنن الكبيرى (١/ ٤٠٩)، وابن خزيمة في صحيحه (٤١٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٦٥٨)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٧٨) والشوكاني في الفوائد المجموعة (١٧) .

=

(ويقال أول جبل نصب على وجه الأرض أبو قبيس وهي ستة الآف جبل وستمائة وثلاثة وسبعون جبلا سوى التلول

وليس منها جبل إلا وله عروق من جبل قاف فإذا أراد أن يزلزل الأرض أوحى الله إلى جبل قاف فيتحرك ذلك العرق فتزلزل، من زهرة الرياض)[١]

عن عثمان بن زبير قال: مات سالم بن عبادة فاجتمعنا عند أبيه فحزن أبوه حزنا شديدًا فقيل له في ذلك

قال: إني لا أحزن على فراقه، ولكن مات على حالة سوء فلما وضع في قبره على ذلك لزمان جاء رجل إلى أم سالم وقال: رأيت ابنك في المنام فقلت له: ماذا فعل بك ربك؟

قال: غفر لي، فقلت: بماذا؟ قال: مررت بمؤذن فلان وأنا قاصد على معصية كبيرة فلما أخذ في الشهادة شهدت بمثل ما شهد

فلما وضعت في لحدي وخل ملكان العذاب قال الرب: لا يجمل من فضلي وكرمي أن أعذب عبدًا في بطن الأرض لأنه شهد لي على ظهرها بالوحدانية فغفر لي بذلك

= وقال النووي: وقوله لا حول ولا قوة إلا بالله يجوز فيه خمسة أوجه لأهل العربية: مشهورة أحدها: لا حول ولا قوة بفتحهما بلا تنوين، والثاني: فتح الأول ونصب الثاني منونًا، والثالث: رفعهما منونين والرابع: فتح الأول ورفع الثاني منونا، والخامس: عكسه قال الهروي: قال أبو الهيثم: الحول الحركة أي لا حركة ولا استطاعة إلا بمشيئة الله .
وكذا قال ثعلب وآخرون، وقيل لا حول في دفع شر ولا قوة في تحصيل خير إلا بالله، وقيل لا حول عن معصية الله إلا بعصمته ولا قوة على طاعته إلا بمعونته وحكي هذا عن ابن مسعود رضي الله عنه وحكى الجوهري لغة غريبة ضعيفة أنه يقال لا حيل ولا قوة إلا بالله بالياء قال: والحيل والحول بمعنى ويقال في التعبير عن قولهم لا حول ولا قوة إلا بالله الحوقلة هكذا قاله الأزهري والأكثرون، وقال الجوهري الحولقة فعلى الأول وهو المشهور الحاء والواو من الحول والقاف من القوة واللام من اسم الله تعالى وعلى الثاني الحاء واللام من الحول والقاف القوة والأول أولى لئلا يفصل بين الحروف ومثل الحوقلة الحيعلة في حي على الصلاة حي على الفلاح حي على كذا .
النووي في شرح مسلم (٤/ ٧٥) طبعة دار الكتب العلمية .

(١) وجدناه بالهامش

وحكي أن زبيدة [١] كانت في مجلس الشراب تشرب الخمر، وعندها القينات[٢] ومغنيات

فلما دب الشراب فيها أخذ المؤذن بالأذان فتقدمت إليهن بالإمساك ليفرغ المؤذن، وشهدت بمثل ما شهد المؤذن

فلما توفيت رآها بعض الصالحين في المنام فقال لها: ما حالك؟ فقالت: غفر لي ربي

فقال لها: بسبب الحياض التي حفرت بين مكة والمدينة؟ قالت: لا فإنها كانت أموالاً مغصوبة وجل ثوابها لأربابها

فقال لها: في ماذا غفر لك؟

قالت: كنت في مجلس شراب الخمر حتى أذن المؤذن فأمسكت عن اللهو والشراب حتى فرغ فقال الله للملائكة: لو لم يكن عقدة التوحيد في قلبها راسخًا في حالة الصحة لما ذكرتني في حالة السكر فغفر لي ذلك

(عن أنس بن مالك ﷺ: الدنيا مسيرة ألف عام ستمائة عام منها بحار وأربعمائة عام بر والخلق ألف، ستمائة خلق في البحر وأربعمائة في البرّ، وما من ليلة إلا وتشرف البحار علىٰ الخلائق تنادي: يا ربنا ائذن لنا فنغرق الخاطئين فيقول الله إن كان العباد عبادكم فافعلوا ما شئتم وإن كان عبادي فدعوهم حتى يحل عن المعصية

---

(١) زبيدة بنت جعفر بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي. واسمها أمة العزيز، وكنيتها أم جعفر الهاشمية العباسية، والدة الأمين محمد بن الرشيد، وقيل لم تلد عباسية خليفة إلا هي

وكان لها حرمة عظيمة، وبر، وصدقات، وآثار حميدة في طريق الحج، والمنصور جدها هو الذي لقبها زبيدة، ومن أخبارها أنها أنفقت في حجها بضعةً وخمسين ألف ألف درهم.

وقيل: كان في قصرها من الأموال والحشم والخدم والآلات ما يقصر عنه الوصف، من جملة ذلك مائة جارية كل منهن تحفظ القرآن، فكان يسمع من قصرها كدوي النحل من القراءة. ولم تزل زين نساء العراق في أيام زوجها الرشيد، وأيام ولدها الأمين، وأيام ابن زوجها المأمون، إلىٰ أن توفيت سنة (٢١٦).

تاريخ الإسلام وفيات (٢١١ ـ ٢٢٠).

(٢) القينة: المغنية والماشطة، جمعها: قيان

وإذا تحيروا أتوا علىٰ بابي قبلتهم[١]، وإن أتوا في وسط الليل قبلتهم وفي النهار قبلتهم[٢] فليس على بابي حاجب ولا بواب، متى قال: يا ربنا أسأنا أقول يا عبد غفرت. (من زهرة الرياض)[٣]

باب كلمات الأذان

وقال بعض العلماء: عددت كلمات الأذان ، فإذا هي خمسون كلمة، والإشارة في ذلك قال: كنت فرضت عليكم في الابتداء خمسين صلاة علىٰ عدد كلمات الآذان فخفضت عليكم وأسقطت خمسة وأربعين صلاة، وأمرتكم بإقامة خمس صلوات في خمسة أوقات في الليل والنهار، فخففت عنكم العمل وأتممت لكم الأجر لتعلموا أني إله كريم فاثبتكم علىٰ هذه الخمسة ثواب خمسين صلاة بفضلي

وقيل: الحكمة في الأذان للصلاة ليس لغيرها من العبادات تنبيه علىٰ أحوال يوم القيامة

---

(١) روى مسلم في صحيحه [١٤ ـ (٢٧٥١)] كتاب التوبة ٤ ـ باب في سعة رحمة الله تعالىٰ وأنها سبقت غضبه، عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «**لما خلق الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي**»

وفي رقم (١٥) عنه قال الله ﷻ: «**سبقت رحمتي غضبي**»

قال النووي: والمراد بالسبق والغلبة هنا كثرة الرحمة وشمولها كما يقال غلب علىٰ فلان الكرم والشجاعة إذا كثرا منه .

(٢) روى مسلم في صحيحه [٣١ ـ (٢٧٥٩)] كتاب التوبة، ٥ ـ باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: « **إن الله ﷻ** يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»

قال النووى: ولا يختص قبولها بوقت وقد سبقت المسألة فبسط اليد استعارة في قبول التوبة، قال المازري: المراد به قبول التوبة، وإنما ورد لفظ بسط اليد لأن العرب إذا رضي أحدهم الشيء بسط يده لقبوله وإذا كرهه قبضها عنه فخوطبوا بأمر حسي يفهمونه وهو مجاز فإن يد الجارحة مستحيلة في حق الله تعالىٰ .

النووى في شرح مسلم (١٧/ ٦٤) طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) وجدناه بالهامش

فأذان الأول تشبيه النفخة الأولىٰ ليميت الخلائق والإقامة تشبيهًا نفخة الثانية ليقوموا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾﴾ (١)

يقوم إسرافيل علىٰ صخرة بيت المقدس فينادي يا أيتها اللحوم المتفرقة والجلود المتمزقة اجتمعوا فأجيبوا للعرض علىٰ الرحمن

والقيام إلىٰ الصلاة يشبه قيام الخلائق لقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطفّفِين: ٦]

والقراءة للصلاة يشبه القراءة بين يدي رب العالمين، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١] (٢)

والسجود يشبه السجود لرب العالمين، كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [القَلَم: ٤٢] (٣)

والتشهد يشبه الجثوة بين يدي رب العالمين كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجَاثِيَة: ٢٨] (٤) والسلام يشبه بتفريق الخلائق كما قال الله

---

(١) سورة ق (٤١)

يقول تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَمِعْ﴾ [ق: ٤١] يا محمد ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾﴾.
قال قتادة: قال كعب الأحبار يأمر الله تعالىٰ ملكا أن ينادي علىٰ صخرة بيت المقدس: أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.
﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: ٤٢] يعني النفخة في الصور التي تأتي بالحق الذي كان أكثرهم فيه يمترون ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ [ق: ٤٢] أي من الأجداث. تفسير ابن كثير (٤/ ٢٣٠).

(٢) قال ابن عباس وغير واحد: خضعت وذلت واستسلمت الخلائق لجبارها الحي الذي لا يموت القيوم الذي لا ينام وهو قيم علىٰ كل شيء يدبره ويحفظه فهو الكامل في نفسه الذي كل شيء فقير إليه لا قوام له إلا به

(٣) روى البخاري في صحيحه (٤٩١٩) كتاب تفسير القرآن، سورة القلم، ٢ ـ باب ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القَلَم: ٤٢] عن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة فيبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا**»

(٤) أي علىٰ ركبها من الشدة والعظمة ويقال إن هذا إذا جيء بجهنم فإنها تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا جثا لركبتيه حتى إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ويقول نفسي نفسي نفسي لا أسألك اليوم إلا نفسي وحتى أن عيسى عليه الصلاة والسلام ليقول: لا أسألك إلا نفسي لا أسألك مريم التي ولدتني

تعالىٰ: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشّورى: ٧]

باب آداب المؤذن والإمام

قال الفقهاء ﷺ: يحتاج المؤذن إلىٰ عشر خصال حتى ينال فضل المؤذن

أولها: أن يعرف ميقات الصلوات ويحفظها

والثاني: يحفظ خالقه ولا يؤذن الأذان لأجل خلقه

والثالث: إن كان غائبًا لم يسخط علىٰ من أذن في المسجد

والرابع: أن يحسن الأذان(١)

والخامس: أن يطلب الثواب من الله تعالى، ولا يمن علىٰ الناس

والسادس: أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقول الحق للغني والفقراء سواء

والسابع: أن ينتظر الإمام بقدر ما لا يشق علىٰ القوم

والثامن: أن لا يغضب علىٰ من أخذ مكانه في المسجد

والتاسع: لا يطول الصلاة بين الأذان والإقامة

---

(١) السبب في تخصيص بلال ﷺ بالنداء والإعلام جاء مبينا في سنن أبي داود والترمذي وغيرهما في الحديث الصحيح حديث عبد الله بن زيد أن رسول الله ﷺ قال له: ألقه علىٰ بلال فإنه أندى صوتا منك

قيل: معناه أرفع صوتا وقيل: أطيب فيؤخذ منه استحباب كون المؤذن رفيع الصوت وحسنه، وهذا متفق عليه.

قال أصحابنا فلو وجدنا مؤذنا حسن الصوت يطلب علىٰ أذانه رزقا وآخر يتبرع بالأذان لكنه غير حسن الصوت فأيهما يؤخذ فيه وجهان أصحهما يرزق حسن الصوت وهو قول ابن شريح والله أعلم.

وذكر العلماء في حكمة الأذان أربعة أشياء إظهار شعار الإسلام وكلمة التوحيد والإعلام بدخول وقت الصلاة وبمكانها والدعاء إلىٰ الجماعة والله أعلم.

النووي في شرح مسلم (٤/ ٦٧) دار الكتب العلمية.

والعاشر: أن يتعاهد مسجده ويطهره من القذر، ويجتنب الصبيان عنه

وكذلك يحتاج الإمام إلىٰ عشر خصال حتى يتم صلاته وصلاة من خلفه

أولها: أن يكون التكبيرات جزمًا صحيحًا

(روي عن الحسن عن أنس أن النبي ﷺ قد قال: ليس من عبد إلا وعليه ملكان صاحب أمير علىٰ صاحب الشمال[١]، فإذا عمل العبد السيئة قال: اكتبها قال: دعه حتى يعمل خمس سيئات، فإذا عمل خمسًا قال: اكتبها

قال: دعه حتى يعمل حسنة، فإذا عمل حسنة قال صاحب اليمين قد أخبرنا أن الحسنة بعشر أمثالها فتعال حتى تمحو خمسًا بخمس، وتثبت له خمسًا من الحسنات.

قال: فيصبح الشيطان ويقول متى أدرك ابن آدم (من تنبيه الغافلين)[٢]

والثاني: أن يكون قارئًا لكتاب الله ولا يكون لحانًا

والثالث: أن يتم ركوعه وسجوده

والرابع: أن يحفظ نفسه من الحرام والشبهات

والخامس: أن يحفظ بدنه وثيابه من الأذى

السادس: أن لا يدخل في الصلاة حتى يستغفر لجميع ذنوبه لأنه مستغفر لما خلفه

---

(١) قال الأحنف بن قيس: صاحب اليمين يكتب الخير وهو أمين علىٰ صاحب الشمال فإن أصاب العبد خطيئة قال له أمسك فإن استغفر الله تعالىٰ نهاه أن يكتبها وإن أبى كتبها

رواه ابن أبي حاتم، وقال الحسن البصري وتلا هذه الآية: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧] يا ابن آدم بُسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر حتى إذا مت طويت صحيفتك وجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة فعند ذلك يقول تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ ثم يقول عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك.

تفسير ابن كثير (٤/ ٢٢٤).

(٢) وجدناه بالهامش

والتاسع[١]: إذا سلم لا يختص نفسه بالدعاء

والعاشر: إذا نزل في المسجد غريب يسأله عما يحتاج إليه

(عن رسول الله ﷺ أنه قال:[٢] «**إذا كان يوم القيامة زفت الكعبة إلىٰ الصخرة فتقول الصخرة: مرحبًا بالزائر والمزور إليها**»

ثم تزف مساجد الجمعة إلىٰ الكعبة والصخرة وتقول المساجد مرحبًا بالزائر والمزور إليها

فمن حج البيت تشفع له الكعبة، وممن شهد الجمعة تشفع له مساجد الجمعة، ومن حافظ في الصلاة الجماعة تشفع له المساجد)[٣]

باب فضل الجماعة

قال رسول الله ﷺ: «**صلاة الجماعة تفضل علىٰ صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة**»[٤]

(عن النبي ﷺ أنه قال: إذا نزلت عاهة من السماء فوفى منها ثلاثة نفر حملة القرآن وعمار المساجد ورعاة الشمس للصلاة[٥] حديث)[٦]

(١) كذا بالأصل لم يذكر السابع، والثامن

(٢) أخرجه: السيوطي في الدر المنثور (١/ ١٣٧)

(٣) وجدناه بالهامش

(٤) أخرجه: البخاري في صحيحه (٦٤٥) كتاب الأذان باب فضل صلاة الجماعة ومسلم في صحيحه [٢٤٩ ـ (٦٥٠)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٤٢ ـ باب فضل صلاة الجماعة، وبيان التشديد في التخلف عنها وأبو داود في سننه (٥٥٩)، والترمذي في سننه (٢١٥)، والنسائي (٢/ ١٠٣ ـ المجتبى) وابن ماجه (٧٨٦، ٧٨٨، ٧٩٠) وأحمد في مسنده (٣/ ٥٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٦٠) والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٠٥٢)، ومالك في الموطأ (١٢٩) وابن حجر في تلخيص الحبير (٢/ ٢٥)، وابن عبد البر في التمهيد (٤/ ٢١٩)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ١٤)، وأبو عوانة في مسنده (٢/ ١٠٣) والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ١٤٨)

(٥) تاريخ أصفهان لأبى نعيم (١/ ٥٩)

(٦) وجدناه بالهامش

قال عثمان ﷺ: "من شهد العشاء فكأنما قام نصف الليل، ومن شهد الصبح فكأنما قام الليل كله"(١)

وقال ﷺ: **«من صلى يوما في الجماعة لا يفوت منها تكبيرة الإحرام كتب له براءتان: براءة من النار وبراءة من النفاق»**

وروي إذا كان يوم القيامة يحشر قوم إلىٰ الجنة وجوههم كالكواكب الدُري، فيقول لهم الملائكة ما أعمالكم؟

فيقولون: كنا إذا سمعنا الأذان قمنا إلىٰ الصلاة لا يشغلنا غيرها

فيقول الملائكة: يحق لكم ذلك

ثم يحشر طائفة أخرى إلىٰ الجنة وجوههم كالقمر ليلة البدر فيقول الملائكة: ما أعمالكم، فيقولون كنا نتوضأ قبل الوقت إلىٰ الصلاة(٢)

فيقول الملائكة: يحق لكم ذلك

ثم يحشر طائفة أخرى وجوههم كالشمس الضاحية فيقول الملائكة: ما أعمالكم، فيقولون: كنا نسمع الأذان ونحن في المسجد

فيقول الملائكة: يحق لكم ذلك

(قال رسول الله ﷺ: **«إذا كان يوم القيامة يخرج من جهنم ولد عفريت يقال له ويش رأسه فوق السماء وعرضه يملأ ما بين الشرق والغرب، فيقول له جبرائيل ماذا تريد؟»**

---

(١) أخرجه: مسلم في صحيحه [٢٦٠ ـ (٦٥٦)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٤٦ ـ باب فضل العشاء والصبح في جماعة، وأبو داود في سننه (٥٥٥) كتاب الصلاة، باب في فضل صلاة الجماعة، وأحمد في مسنده (١/ ٥٨، ٦٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٤٦٤، ٣/ ٦١)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٠٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٦٧)، وأبو عوانة في مسنده (٢/ ٤)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ١٥)، وابن خزيمة في صحيحه (١٤٧٣)

(٢) روى مسلم في صحيحه [٧٢ ـ (٦٤٩)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٤٩ ـ باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«صلاة الرجل في جماعة تزيد علىٰ صلاته في بيته وصلاته في سوقه بضعا وعشرين درجة وذلك أن أحدهم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة لا يريد إلا الصلاة فلم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد. . . . . الحديث»** .

فيقول: أريد خمسة نفر:

أولهما: تارك الصلاة[١]، والثاني: مانع الزكاة، والثالث: آكل الربا ومال اليتيم، والرابع: شارب الخمر والخامس: الذين يتحدثون في المساجد بكلام الدنيا)[٢]

وروى طلحة الأنصاري قال: صلينا مع رسول الله ﷺ صلاة المغرب، فجلسنا في المساء ننتظر عشاء الأخيرة

قال دخل رسول الله ﷺ منزله فخرج علينا مسرعًا يكاد الثوب ينكشف عن ركبتيه حتى وقف علينا فقال: «**السلام عليكم أبشروا فإن ربكم تبارك وتعالىٰ أمر بابًا من أبواب السماء أن يفتح يباهي ملائكته فيقول: يا ملائكتي عبادي قضوا حقي وهم ينتظرون حقًا، يا ملائكتي اشهدوا أني غفرت لهم**»[٣]

(قال ﷺ: «**من حمل من المسجد كفًا من تراب وقمامة، كان ثوابه في ميزانه كجبل أحد**)[٤]

---

(١) تارك الصلاة فإن كان منكرا لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين خارج من ملة الإسلام إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام، ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه، وإن كان تركه تكاسلا مع اعتقاده وجوبها كما هو حال كثير من الناس، فقد اختلف العلماء فيه فذهب مالك والشافعي رحمهما الله والجماهير من السلف والخلف إلىٰ أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب فإن تاب وإلا قتلناه حدا كالزاني المحصن لكنه يقتل بالسيف وذهب جماعة من السلف إلىٰ أنه يكفر وهو مروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل رحمه الله وبه قال عبد الله بن المبارك وإسحاق بن راهويه وهو وجه لبعض أصحاب الشافعي رضوان الله عليه، وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة والمزني صاحب الشافعي رحمهما الله أنه لا يكفر ولا يقتل، بل يعزر ويحبس حتى يصلي، واحتج من قال بكفره بظاهر الحديث (يقصد حديث «**إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**» واحتج من قال لا يقتل بحديث: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث وليس فيه الصلاة**»

النووي في شرح مسلم (٢/ ٦١) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) أخرجه: ابن ماجه في سننه (٨٠١) كتاب المساجد والجماعات، ١٩ ـ باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة، وأحمد في مسنده (٢/ ١٩٧) والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٨٢) وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٦١)

(٤) وجدناه بالهامش

وروي عن أبي بن كعب قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: أشهد فلان، قلنا: نعم، قال: أشهد فلان، قلنا نعم فقال ﷺ: «**هاتين الصلاتين أثقل علىٰ المنافقين ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا يعني عشاء الأخيرة والصبح**»[(١)]

(وحكي أن عصام بن يوسف أتى مجلس حاتم الأصم فقال عصام معترضًا عليه: يا أبا عبد الرحمن كيف تصلي، فحول وجهه إلىٰ عصام فقال: إذا حضر وقت الصلاة[(٢)] أقوم وأتوضأ وضوئين، وضوء باطن ووضوء ظاهر

فقال عصام: كيف وضوء الباطن؟

قال حاتم: الظاهر أغسله بالماء، والباطن أغسله بسبعة أشياء: بالتوبة[(٣)]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه تعليقًا كتاب مواقيت الصلاة، ٢١ ـ باب ذكر العشاء والعتمة ومسلم في صحيحه [١٢٩ ـ (٤٣٧)] كتاب الصلاة، ٢٨ ـ باب تسوية الصفوف وإقامتها
وأحمد في مسنده (٢/ ٢٧٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٤٢٨)، وأبو عوانة في مسنده (٢/ ٣٧)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٤٢٥).

(٢) روى البخاري في صحيحه (٥٢٧) كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، عن ابن مسعود قال: سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلىٰ الله؟ قال: «**الصلاة علىٰ وقتها؟**» قال ثم أي؟ قال: ثم بر الوالدين» قال: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»
وكذا رواه مسلم في صحيحه [١٣٧ ـ (٨٥)] كتاب الإيمان ٣٦ ـ باب بيان كون الايمان بالله تعالىٰ أفضل الأعمال.
وقال النووي: في هذا الحديث الحث علىٰ المحافظة علىٰ الصلاة في وقتها، ويمكن أن يؤخذ منه استحبابها في أول الوقت لكونه احتياطا لها ومبادرة إلىٰ تحصيلها في وقتها.

(٣) إذا تاب من ذنب ثم ذكره هل يجب تجديد الندم فيه خلاف لأصحابنا وغيرهم من أهل السنة قال ابن الأنباري يجب، وقال إمام الحرمين لا يجب وتصح التوبة من ذنب وإن كان مصرا علىٰ ذنب آخر، وإذا تاب توبة صحيحة بشروطها ثم عاود ذلك الذنب كتب عليه ذلك الذنب الثاني ولم تبطل توبته هذا مذهب أهل السنة في المسألتين
وخالفت المعتزلة فيهما.
قال أصحابنا: ولو تكررت التوبة ومعاودة الذنب صحت ثم توبة الكافر من كفره مقطوع بقبولها وما سواها من أنواع التوبة هل قبولها مقطوع به أم مظنون فيه خلاف لأهل السنة واختار إمام الحرمين أنه مظنون وهو الأصح.
والتوبة من مهمات الإسلام وقواعده المتأكدة ووجوبها عند أهل السنة بالشرع، وعند المعتزلة بالعقل ولا يجب علىٰ الله قبولها إذا وجدت بشروطها عقلاً عند أهل السنة لكنه سبحانه وتعالىٰ يقبلها كرماً وفضلاً وعرفنا قبولها بالشرع والإجماع خلافاً لهم.
النووي في شرح مسلم (١٧/ ٥٠) طبعة دار الكتب العلمية.

والندامة، وترك حب الدنيا، وثناء الخلق، والرياسة، والغل والحسد، ثم إذا توضأت أذهب إلىٰ المسجد وأبسط الأعضاء فأقوم والكعبة بين حاجبي ومقام إبراهيم بين صدري والله ناظري والجنة عن يميني والنار عن شمالي وملك الموت خلف ظهري، وكأني واضع قدمي علىٰ الصراط، وأظن هذه الصلاة التي صليتها آخر صلواتي لا أصلي بعدها أبدًا، ثم أنوي الصلاة ثم أكبر بالإحسان وأقرأ بالتفكر، وأركع بالتواضع وأسجد بالتضرع، وأتشهد بالرجاء، وأُسلم بالنية، ثم أسلمها إلىٰ ربي بالإخلاص وأحفظهما بالصبر، وأقعد بالهم أتقبل صلاتي

هكذا منذ أربعين سنة، فبكى عصام بكاء شديدًا)[١]

باب فضيلة المساجد

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [التّوبَة: ١٨] الآية

قال ﷺ: «**من بنى مسجدًا ولو مثل مفحص قطاة، بنى الله له قصرًا في الجنة**»[٢]

وقال: «**الملائكة تصلي علىٰ أحدكم ما دام في مصلاه ما لم يحدث أو يخرج**»[٣]

وقال ﷺ: «**يأتي في آخر الزمان أقوامًا يأتون المساجد ويقعد فيها حلقًا**

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) أخرجه: أحمد في مسنده (١/ ٢٤١)، وابن حبان في صحيحه (٣٠١ ـ الموارد) والطبراني في المعجم الصغير (١/ ٣٠، ٢/ ١٢٠) وابن حجر في المطالب العالية (٣٥٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٧)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ١٥١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٣١٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٣٧، ٩/ ١٧٢)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٢٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ١٩٠، ٤/ ٢١٧)، والخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ٣٧، ٩/ ٩٥)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٤٢٧)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة (٤٤٥) ٦١ ـ باب الحدث في المسجد وأبو داود في سننه في الصلاة (٤٦٩)، باب في فضل القعود في المسجد، وأحمد في مسنده (٢/ ٢١٣، ٤٨٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ١٨٦)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٢٩) والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ١٥١)

ويذكرون الدنيا وحبها فلا تجالسوهم فليس فيهم حاجة»

وقال ﷺ: «**إذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم**»[(١)]

وفي الخبر: أن الحديث في المسجد «**يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش**»[(٢)]

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أخرج القذاة من المسجد أخرجه الله تعالىٰ من أعظم ذنوبه في نفسه**»[(٣)]

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إخراج القذاة من المسجد مهور حور العين**»

وحكي أن بعض الصالحين دخل المسجد، فأدخل رجله اليسرى ناسيًا، ثم تذكر فنظر خلفه فإذا هو عشرين عبدًا، فاعتقهم لوجه الله كفارة لذنبه»

عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يحشر الله تعالىٰ مساجد الدنيا كأنها بيض قوائمها من عنبر وأعناقها من الزعفران ورؤسها من المسك الأزفر وأزمتها من زبرجد أخضر، وقوادها المؤذنون[(٤)] يقودونها، والأئمة يسوقونها**

---

(١) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٨/ ٤٨٦)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٩٥)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٣٩٦)، وابن عبد البر في تجريد التمهيد (٢٦٥)، والفتني في تذكرة الموضوعات (٣٦)

(٢) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٣/ ٣١) والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ١٥٢) والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٤٥٣)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٥) والفتني في تذكرة الموضوعات (٣٦)

وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٤) .

(٣) روى البخاري في صحيحه (٤٥٨) كتاب الصلاة، ٧٢ ـ باب كنس المسجد والتقاط الخرق والقذى والعيدان، عن أبي هريرة أن رجلا أسود ـ أو امرأة سوداء ـ كان يقم المسجد فمات فسأل النبي ﷺ عنه فقالوا: مات، قال: «**أفلا آذنتموني به؟ دلوني علىٰ قبره**» أو قال: قبرها، فأتى قبرها فصلى عليها»

(٤) في حديث مسلم عن معاوية سمعت رسول الله ﷺ يقول: (المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة) قال النووي: ـ هو بفتح همزة أعناقا جمع عنق واختلف السلف والخلف في معناه فقيل معناه أكثر الناس تشوفا إلىٰ رحمة الله تعالىٰ لأن المتشوف يطيل عنقه إلىٰ ما يتطلع إليه فمعناه كثرة ما يرونه من الثواب

=

فيعبرون من عرصات القيامة كالبرق الخاطف، فيقول أهل القيامة هؤلاء الملائكة المقربون والأنبياء المرسلين، فيناديهم يا أهل القيامة ما هؤلاء الملائكة المقربون وما الأنبياء المرسلين ، هؤلاء من أمة محمد ﷺ الذين يحفظون الصلاة بالجماعة[١]

(وحكـي عن الأمير إسماعيل لما دنا وفاته أمر الخازن فجاء بصندوق فيه كواغد وتراب قال: كان لي خلوة في كل يوم مع ربي أسجد علىٰ هذا التراب وأعفر خدي عليه، فإذا مت فاجعلوا منه لبتة[٢] وضعوها تحت خدي لعل الله يرحمني ففعلوا

فرأوا في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟

قال: غفر لي ربي مكرمة لهذا التراب الذي سجدت عليه)[٣]

باب فضيلة السجود

قـال الـلّـه تعـــالـــىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ

=

وقال النضر بن شميل: إذا ألجم الناس العرق يوم القيامة طالت أعناقهم لئلا ينالهم ذلك الكرب والعرق .

وقيل: معناه أنهم سادة ورؤساء والعرب نصف السادة بطول العنق وقيل: معناه أكثر أتباعا، وقال ابن الأعرابي معناه أكثر الناس أعمالا، قال القاضي عياض وغيره: ورواه بعضهم إعناقا بكسر الهمزة أي إسراعا إلىٰ الجنة وهو من سير العنق .

النووي في شرح مسلم (٤/ ٧٩) طبعة دار الكتب العلمية .

(١) روى مسلم في صحيحه [٢٥٥ ـ (٦٥٣)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٤٣ ـ باب يجب إتيان المسجد علىٰ من سمع النداء، عن أبي هريرة قال أتى النبي ﷺ رجل أعمى فقال: يا رسول الله إنه ليس لي قائد يقودني إلىٰ المسجد فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له فيصلي في بيته فرخص له فلما ولى دعاه فقال: «**هل تسمع النداء بالصلاة؟**» قال نعم، قال: «**فأجب**»

قال النووي: فيه دلالة لمن قال: الجماعة فرض عين وأجاب الجمهور عنه بأنه سأل هل له رخصة أن يصلي في بيته وتحصل له فضيلة الجماعة بسبب عذره ؟ فقيل: لا ويؤيد هذا أن حضور الجماعة يسقط بالعذر بإجماع المسلمين .

(٢) اللبتة: موضع القلادة من العنق والقلادة نفسها وجمعها: لبات ولباب

(٣) وجدناه بالهامش

وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾ [الحجّ: ٧٧] [(١)] الآية

ولا يجوز لأحد أن يسجد إلا لله كما قال ﷺ: «**لو جاز لأحد أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن تسجد لأزواجهن من عظم حقهم عليهن**»[(٢)]

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول: يا ويلتى أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار**»[(٣)]

(وفي الخبر: إذا كان يوم القيامة يبعث الله تعالىٰ الخلائق من قبورهم فيأتي الملائكة إلىٰ رأس قبور المؤمنين ويمسحون رؤوسهم من التراب فينتشر التراب منهم إلا ما وقعت علىٰ جباههم ومواضع سجودهم[(٤)] فتمسح الملائكة تلك المواضع فلا يذهب التراب

---

(١) اختلف الأئمة رحمهم الله في هذه السجدة الثانية من سورة الحج هل هي مشروع السجودُ فيها أم لا؟ علىٰ قولين وقد قدمنا عند الأولى حديث عقبة بن عامر عن النبي ﷺ: «**فُضلت سورة الحج بسجدتين، فمن لم يسجدهما فلا يقرأهما**»
تفسير ابن كثير (٣/ ٢٤٣).

(٢) أخرجه: أبو داود في سننه (٢١٤٠) كتاب النكاح، والترمذي في سننه (١١٥٩) كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق الزوج علىٰ المرأة
وأحمد في مسنده (٤/ ٣٨١، ٦/ ٧٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٨٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٣١٠، ٣١١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٢٥٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٩١)، والطبراني في المعجم الكبير (٥/ ٢٣٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ٣٠٦)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٢٢٨) والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٥٥، ٥٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٣ ـ (٨١)] كتاب الإيمان، ٣٥ باب بيان إطلاق اسم الكفر علىٰ من ترك الصلاة
وابن ماجه في سننه (١٠٥٢)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٤٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٣١٢)، وابن خزيمة في صحيحه (٥٤٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٨٩٥) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٦٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٥٦)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ١٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٥٨).

(٤) قال النووي: قد احتج أصحاب أبي حنيفة رحمه الله وإياهم بقوله: «**أمر ابن آدم بالسجود**» علىٰ أن سجود التلاوة واجب، ومذهب مالك والشافعي والكثيرين أنه سنة وأجابوا عن هذا بأجوبة
أحدها: أن تسمية هذا أمراً إنما هو من كلام إبليس، فلا حجة فيها فإن قالوا حكاها النبي ﷺ =

فينادي المنادي: يا ملائكتي ليس ذلك تراب قبورهم إنما هو تراب محاريبهم دعوها عليهم حتى يعبروا الصراط ويدخلوا الجنة، حتى إن كان من ينظر إليهم يعلم أنهم خدامي عبادي)(١)

عن عبد الله بن عباس أنه سُئل فقيل له ما ثواب من سجد سجدة، قال: إذا أردت أن تعرف ثوابه فانظر إلىٰ عقابه

لو سجد للصليب ما حاله؟ قال: يصير كافرًا مخلدًا في النار

قال: إذا سجد للصليب يصير كافرًا مخلدًا في النيران فإذا سجد لله تعالىٰ يصير منعمًا مخلدًا في الجنان»

(حكي أن أحدًا دخل في الصلاة فانتهى إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [**الفَاتِحَة**: ٥] (٢) خطر بباله أنه عابد في الحقيقة فنودي في السر: كذبت إنما تعبد الخلق، فتاب واعتزل عن الناس

ثم شرع في الصلاة، فلما انتهى إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [**الفَاتِحَة**: ٥]

= ولم ينكرها، قلنا: قد حكى غيرها من أقوال الكفار ولم يبطلها حال الحكاية وهي باطلة.

الوجه الثاني: أن المراد أمر ندب لا إيجاب.

الثالث: المراد المشاركة في السجود لا في الوجوب والله أعلم.

النووي في شرح مسلم (٢/ ٦٢) طبعة دار الكتب العلمية.

(١) وجدناه بالهامش

(٢) قال بعض السلف: الفاتحة سر القرآن وسرها هذه الكلمة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ [**الفَاتِحَة**: ٥] فالأول تبرؤ من الشرك، والثاني تبرؤ من الحول والقوة، والتفويض إلىٰ الله ﷻ وهذا المعنى في غير آية من القرآن كما قال تعالىٰ ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [**هُود**: ١٢٣] ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [**المُلك**: ٢٩] ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝﴾ [**المُزمّل**: ٩] وكذلك هذه الآية الكريمة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ [**الفَاتِحَة**: ٥]

وتحول الكلام من الغيبة إلىٰ المواجهة بكاف الخطاب وهو مناسبة لأنه لما أثنى علىٰ الله فكأنه اقترب وحضر بين يدي الله تعالىٰ فلهذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ [**الفَاتِحَة**: ٥] وفي هذا دليل علىٰ أن أول السورة خبر من الله تعالىٰ بالثناء علىٰ نفسه الكريمة بجميل صفاته الحسنى وإرشاد لعباده بأن يثنوا عليه بذلك ولهذا لا تصح صلاة من لم يقل ذلك وهو قادر عليه.

تفسير ابن كثير (١/ ٢٥).

خطر بباله زوجته نودي كذبت إنما تعبد فرج زوجتك، فطلق امرأته

ثم شرع في الصلاة، فلما انتهى إلىٰ قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [**الفَاتِحَة: ٥**] خطر بباله ماله، نودي كذبت تعبد مالك فتصدق بماله بذله كله

ثم شرع فيها فلما انتهى إلىٰ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [**الفَاتِحَة: ٥**] فلم يجد من الخاطر شيء نودي: صدقت تعبد ربك

واعلم أن من يحصل من الثواب بقدر نيته وخشوعه فرب ركعتين من رجل ورع تقي أفضل من ألف ركعة من غيره لخشوعه وجميل إرادته وحسن مذهبه وطريقته)[١]

ومن فضل السجدة أنها عدلت بعبادة مائة ألف وعشرين ألف سنة لم يكن في سبع سموات وفي سبع أرضين موضع شبر إلا سجد فيها إبليس سجدة

فلما لم يسجد لآدم سجدة واحدة بأمر الله تعالىٰ رد الله كلها وأحبط فلو لم يكن سجدة واحدة عديلاً لما ذكرنا من العبادات لم يحبط عمله بتركها

وفي هذا دلالة أن المؤمن إذا سجد لله سجدة أعطاه الله تعالىٰ ثواب مائة ألف وعشرين ألف سنة

وكانت هذه السجدة لمخلوق بأمر الخالق، فكيف ثواب سجدة للخالق بأمر الخالق

وقال عطاء: ما من مؤمن سجد لله سجدة في بقعة من الأرض إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم موته[٢]

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) قال تعالىٰ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [**الدّخَان: ٢٩**] أي لم تكن لهم أعمال صالحة تصعد في أبواب السماء فتبكي علىٰ فقدهم ولا لهم في الأرض بقاع عبدوا الله فيها فقدتهم فلهذا استحقوا ألا ينظروا ولا يؤخروا لكفرهم وإجرامهم وعتوهم وعنادهم

قال الحافظ أبو يعلى الموصلي بسنده: عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ما من عبد إلا وله في السماء بابان: باب يخرج منه رزقه وباب يدخل منه عمله وكلامه فإذا مات فقداه وبكيا عليه**» وتلا هذه الآية: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [**الدّخَان: ٢٩**] وذُكر ـ أنهم لم يكونوا عملوا علىٰ الأرض عملا صالحا يبكي عليهم ولم يصعد لهم إلىٰ السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام طيب ولا عمل صالح فتفقدهم فتبكي عليهم».

تفسير ابن كثير (٤/ ١٤٢).

واعلم أن القربة نوعان ظاهرة وباطنة، فالظاهرة كقربة المكان والسبب والنسب والباطنة كقرب الخادم من المخدم، والعبد إلىٰ المعبود، وهو الذي يمكن تصوره هنا .

إذا (لبثوا)[١] في مستحيلة في الله تعالىٰ

القربة من المعبود علىٰ العبادات أنواع منها ما يتعلق بالقلب كالنية[٢] والمحبة والتعظيم

ومنها ما يتعلق بالجوارح الظاهرة كالقيام والركوع

ومنها ما يتعلق باللسان كالذكر ونحوه

فقد ذكر جميع ذلك في السجود، فصار قرب القربات، فالقيام والقعود يجوز لغير الله بخلاف السجود

قال رسول الله ﷺ: «**إذا وضع العبد وجهه علىٰ الأرض برئ من الكبر، وناهيك من دليل علىٰ فضيلة السجود حين سجد الملائكة لآدم وامتنع إبليس، فلم يسجد فطرده الله من بين الملائكة**»

جاء جبرائيل فقام موضع إبليس[٣]، وسجد من غير أن يؤمر بذلك ، فقال له

---

(١) كذا بالأصل

(٢) روى البخاري في صحيحه (١) كتاب بدء الوحي، ١ ـ باب كيف كان بدء الوحي إلىٰ رسول الله ﷺ، عن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلىٰ دنيا يصيبها أو إلىٰ امرأة ينكحها فهجرته إلىٰ ما هاجر إليه**»

وكذا مسلم في صحيحه [١٥٥ ـ (١٩٠٧)] كتاب الإمارة، ٤٥ ـ باب قوله ﷺ: (إنما الأعمال بالنية) قال النووي: أجمع المسلمون علىٰ عظم موقع هذا الحديث وكثرة فوائده وصحته قال الشافعي وآخرون: هو ثلث الإسلام وقال الشافعي: يدخل في سبعين بابا من الفقه، وقال آخرون: هو ربع الإسلام . النووي في شرح مسلم (١/ ٤٧) طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) قال تعالىٰ للملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة دون الملائكة الذين في السماوات: «**اسجدوا لآدم فسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس أبى واستكبر لما كان حدث نفسه من الكبر والاغترار فقال لا أسجد له وأنا خير منه وأكبر سنا وأقوى خلقا خلقتني من نار وخلقته من طين يقول إن النار أقوى من الطين قال: فلما أبى إبليس أن يسجد أبلسه الله أي آيسه من الخير كله وجعله شيطانا رجيما عُقُوبة لمعصيته**»

عن ابن عباس قال: كان إبليس اسمه عزازيل وكان من أشراف الملائكة من ذوي الأجنحة =

الجبار جل جلاله: لم فعلت قال: إظهارًا لعظمتك حتى لا يبق موضع خال عن عبادتك

فقال تعالىٰ: أعطتك بهذا من الثواب مثل ما أعطيت جميع الملائكة

فلما أخبر النبي ﷺ بذلك تعجب

فقال جبرائيل: وهل أخبرك أعجب من هذا؟ قال: نعم، قال: حين قيل لي ذلك تعجبت الآن فقال لي الجبار ﷻ: وإن في آخر الأمم لو دخل رجل في صلاة الإمام، والإمام في السجود فلم يمتنع بل وقع في السجود، مع علمه بأن هذا السجود لا يعتد به، فإني أعطيه يا جبرائيل جميع ما أعطيتك وملائكتي

قال ﷺ (١): «**ما تقرب إليّ بشيء من السجود خفي**»

وقال رجل يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مرافقتك في الجنة، فقال ﷺ (٢): أعني بكثرة السجود)(٣)

وقال أنس بن مالك: ما من بقعة يذكر الله ﷻ عليها بصلاة أو ذكر إلا افتخرت ما حولها من البقاع واستشرفت بذكر الله إلىٰ منتهى من سبع أرضين)(٤)

= الأربعة ثم أبلس بعد، وعن ابن عباس أيضًا: إن من الملائكة قَبيلا يقال لهم: الجن، وكان إبليس منهم وكان يوسوس ما بين السماء والأرض فعصى فمسخه الله شيطانا رجيما وقال ابن جرير بسنده عن الحسن ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنس .
تفسير ابن كثير (١/ ٧٧) .

(١) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٣/ ١٧) والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ١٤٩)

(٢) أخرجه النسائي (٢/ ٢٢٨ ـ المجتبى) وأحمد في مسنده (٣/ ٥٠٠) وابن المبارك في الزهد (٤٥٥)، والزبيدي في الإتحاف (٣/١٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٤٧٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٨٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٥/٥٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٣٢، ٩٢)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ١٦٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٨٢)، وابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٣٣٤)

(٣) وجدناه بالهامش

(٤) أخرجه: المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٦٦)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٣٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٧٩)، والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ١٩٤)، وابن حجر في المطالب الغالية (٣٣٨١، ٣٣٨٢)

وقال: أحب العبيد إلىٰ الله عبد ساجد يقول في سجوده: رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت[١]

والسجود علىٰ الأرض والتراب مستحب تواضع وتخشعًا وتذليلاً لله تعالىٰ

لأن أذل الأشياء التراب يطؤه الناس، وأعز أعضائه الوجه فمن وضع وجهه علىٰ التراب فقد ذل لله تعالىٰ

باب الإمامة

قال: «**ثلاثة لا تجاوز صلاتهم رؤسهم: العبد الآبق حتى يرجع، وامرأة ساخط عليها زوجها وإمام قوم وهم له كارهون**»[٢]

(للإمامة خمسة أركان: الطهارة من الحدث والخبث وأن يكون أعلمهم وأن تصح صلاته باعتقاد المأموم وأن يكون خالصًا لوجه الله، وأن يتوجه إلىٰ القبلة)[٣]

فالكراهية علىٰ وجهين: إن كانت كراهيتهم لفساد فيه أو لحانًا في قراءة وهم يجدون غيره، أو كان في الجماعة من هو أعلم منه، وإن لم يكن في الجماعة من هو

---

(١) بلفظ: «**أحب العبيد إلىٰ الله الأتقياء الأخفياء** » أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٨/ ٢٦٣)، ٧/ ٣٨٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١: ١٥)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٧٠)

(٢) أخرجه: الترمذي في سننه (٣٦٠) في الصلاة، باب ما جاء فيمن أم قوما وهم له كارهون

وابن ماجه في سننه (٩٧١) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، ٤٣ ـ باب من أم قوما وهم له كارهون .

والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٢٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٣١٤)، والعراقي في المغني عن حمل الاسفار (١/ ١٧٣)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ١٧١)، وابن أبي شيبة في مصفه (٤/٣٠٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٥٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٣٤١، ٣٤٣)، والسيوطي في اللآلى المصنوعة (٢/ ١١) .

(٣) وجدناه بالهامش

أعلم منه[١]، ولم يكن فيه علة مما ذكرنا فقد جاز له أن يؤمهم وإن رغم أنفسهم

وقال النخعي: مثل الذي يؤم الناس بغير علم كمثل الذي يكيل الماء في البحر لا يدري زيادة ولا نقصان

وعن عبيدة بن الجراح أنه أمّ قومًا مرة ، فلما انصرف قال: ما زال الشيطان بي آنفًا حتى أُريت أن لي فضلا علىٰ غيري لا أمّ أبدًا

وكان بعض الورعين يدع الإمامة لما فيها ما علىٰ الإمام ومن ثقلها وتحملها

وتكره الإمامة لمن كثر شهوته في الصلاة أو له اشتغال يشتغل به عن فهم المناجاة

ثم وظائف الإمام قبل الصلاة ستة، الأول أن لا يتقدم الإمامة علىٰ قوم يكرهونه بالخبر المذكور فإن اختلفوا فالنظر إلىٰ الأكثرين[٢]، فإن كان ورائه من هو أفقه وأقرأ وأتقى منه وأورع منه، فاليتقدم لها إلا إذا امتنع من هو أولى فله التقدم، وإن لم يكن شيئًا من ذلك يكره لهم المرافقة

فقد قيل أن قومًا تدافعوا الإمامة بعد إقامة الصلاة فخسف الله بهم الأرض

(قال الشيخ الإمام ؒ: سمعت الخطاب يقول: كان رجل كثير الصلاة فقال

---

(١) اختلفوا في الأولى بالإمامة هل هو الأفقه أو الأقرأ؟ فقال أبو حنيفة ومالك والشافعي: الأفقه الذي يحسن الفاتحة أولى

وقال أحمد: الأقرأ الذي يحسن جميع القرآن ويعلم أحكام الصلاة أولى، وإن كان الآخر يعرف من الفقه أكثر مما يعرف ويحسن من القرآن ما تجزئ به الصلاة، واختلفوا في إمامة الأمي بالقارئ، والأمي هو الذي لا يتم الفاتحة، فقال أبو حنيفة: تبطل صلاتهما وقال مالك وأحمد: تبطل صلاة القارئ وحده .

وقال الشافعي: صلاة الأمي صحيحة وفي صلاة القارئ قولان: الجديد كقول مالك وأحمد والقديم تصح وللشافعي قول ثالث تصح صلاة الأسرار بناء علىٰ قوله: لا يجب علىٰ المأموم القراءة في حال جهر الإمام .

اختلاف الأئمة العلماء (١/ ١٤١، ١٤٢) من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) وجدت ورقة بالمخطوط بخط مختلف أظنها وضعت في هذا المكان خصيصًا وهي عبارة عن رسالة أو نصائح للحسن البصري ؒ بها خمسون خصلة للإمام، وما يجب أن يتوافر فيه وزيلها برأي للإمام أبي حنيفة في الإمام وقد آثرنا وضعها في نهاية هذا الباب حتى لا نقطع كلام المصنف وهي مفيدة جامعة

له أبو الحسن (السا)[١] رَحِمَهُ اللهُ: أنت رجل كثير الصلاة[٢] فإذا دخلت في صلاتك لا تخلو من ثلاثة أوجه: إما أن ترى نفسك أو ترى ربك أو ترى الخلق فإن ترى نفسك فهو عجب، وإن ترى ربك فهو منة، وإن ترى الخلق فهو رياء، وهذه الثلاثة تبطل الأعمال

فقال له الرجل فما الحيلة؟ قال: إنك إذا دخلت في الصلاة فاذكر من الله توفيقه إياك للصلاة وفتحه لك الباب حتى يحضرك أي شيء وقت شئت، ودعاك إلىٰ بابه في كل يوم خمس مرات حتى تؤدي الأمانة التي أبت السماوات والأرضون عن قبولها، وأنت قبلت مع ضعفك[٣] فالعبد إذا صلى هكذا قد وصل ربه)[٤]

الثاني: إذا خير المريد في الآذان والإمامة فالإمامة أولى لمواظبة رسول الله ﷺ

وكره رسول الله ﷺ أن يكون الإمام مؤذنًا وقال: الأذان إلىٰ المؤذن والإمامة إلىٰ الإمام

---

(١) كذا بالأصل

(٢) روى مسلم في صحيحه [٤١ ـ (٢٥١)] كتاب الطهارة، ١٤ ـ باب فضل إسباغ الوضوء علىٰ المكاره، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « **ألا أدلكم علىٰ ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟** » قالوا: بلى يا رسول ، قال: «**إسباغ الوضوء علىٰ المكارة، وكثرة الخطا إلىٰ المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط**»

(٣) قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾

قال ابن كثير: قال العوفي عن ابن عباس يعني بالأمانة الطاعة عرضها عليهم قبل أن يعرضها علىٰ آدم فلم يطقنها فقال لآدم: إني قد عرضتُ الأمانة علىٰ السماوات والأرض والجبال فلم يطقنها فهل أنت آخذ بما فيها؟ قال: يا رب وما فيها؟ قال: إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت فأخذها آدم فتحمَّلها فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [**الأحزاب**: ٧٢] وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الأمانة الفرائض عرضها الله علىٰ السماوات والأرض والجبال إن أدوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم فكرهوا ذلك وأشفقوا من غير معصية ولكن تعظيمًا لدين الله ألا يقوموا بها ثم عرضها علىٰ آدم فقبلها بما فيها وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [**الأحزاب**: ٧٢] تفسير ابن كثير (٣/ ٥٣٨).

(٤) وجدناه بالهامش

الثالث: أن يراعي أوقات الصلاة فيصلي في أوائلها ليدرك رضوان الله تعالىٰ.

قال: أول الوقت علىٰ آخرها كفضل الآخرة علىٰ الدنيا، ولا يؤخر الانتظار لتكثير الجمع، بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة أول الوقت، فهي أفضل من كثرة الجماعة

الرابع: أن يؤم مخلصًا لوجه الله بأن لا يؤخذ عليه أجرة، وذلك لا يحل له قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[١]

فإن أخذ رزقًا من المسجد قد وقف من يقوم بإمامة أو من السلطان أو آحاد الناس فلا نحكم بتحريمه ولكنه مكروه

وأما الإمامة لا يجوز أخذ الأجرة عليها للإجماع في الفرائض، وأما في التراويح فوجهان

وعلى الأذان أيضًا لا يحل له الأجرة، لما روي أنه أمر عثمان بن أبي العاص فقال ﷺ: «**اتخذ مؤذنا ولا يأخذ عليه أجرًا**»[٢]، فهذا الداعي إلىٰ الصلاة لا يحل له أن يأخذ علىٰ دعائه أجرًا فكيف المصلى القائم بين الله وبين عباده

الخامس: أن يحترز عن الكبائر والفسوق والإصرار علىٰ الصغائر لأن الإمام كالشفيع فينبغي أن يكون خير القوم

وكذا أن يكون طاهرًا عن الحدث والخبث فإنه لا يطلع عليه أحد سواه، فإن تذكر في أثناء صلاته حدثًا أو خرج منه ريح فلا ينبغي أن يستحي بل يخرج ويأخذ من يقربه ويستخلف

---

(١) سورة الأنعام (٩٠)

(٢) أخرجه: أبو داود في سننه (٥٣١) كتاب الصلاة، باب أخذ الأجر علىٰ التأذين، والنسائي (٢/ ٢٣ ـ المجتبي)، والترمذي في سننه (٢٠٩) في الصلاة، باب ما جاء ما يقول الرجل إذا أذن المؤذن من الدعاء، وأحمد في مسنده (٤/ ٢١، ٢١٧) والحاكم في المستدرك (١/ ١٩٩)، والبيهقي في السنن الكبري (١/ ٤٢٩)، والطبرانى في المعجم الكبير (٩/ ٤٣)، والحميدي في مسنده (٩٠٦) والزبيدي في الإتحاف (٣/ ١٧٧)، والألباني في إرواء الغليل (٥/ ٣١٥)

تذكر رسول الله ﷺ الجنابة[1] في أثناء الصلاة فاستخلف واغتسل ودخل في الصلاة

(قال سفيان: صل خلف كل بر وفاجر إلا مدمن الخمر، أو ما علق بالفسق أو عاق لوالديه أو صاحب بدعة أو عبد آبق (في إحياء علوم الدين)[2]

السادس: أن لا يكبر حتى تستوي الصفوف، فإن رأى خللا أمر بالتسوية

وأما في الصلاة خمسة:

الأول: أن يرفع صوته بتكبيرة الإحرام وسائر التكبيرات ولا يرفع المأموم صوته إلا قدر ما يسمع نفسه

وينوي الإمام الإمامة[3] لينال الفضل، فإن لم ينو صحت صلاته وصلاة القوم، وهو لا ينال فضل الإمامة

---

(١) الحديث أخرجه: البخاري في صحيحه (٢٧٥). كتاب الغسل ١٧ ـ باب إذا ذكر في المسجد أنه جنب يخرج كما هو ولا يتيمم

ومسلم في صحيحه [١٥٧ ـ (٦٠٥)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٢٩ ـ باب متى يقوم الناس للصلاة وأبو داود في الطهارة باب (٩٣)، والنسائي (٢/ ٨١، ٨٩ ـ المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٣٧، ٢٨٣) والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٣٩٨)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣٦٤٢)، وابن خزيمة في صحيحه (١٦٢٨)، وأبو عوانة في مسنده (٢/ ٢٩) .

وفيه بلفظ مسلم: « **فأتى رسول الله ﷺ حتى إذا قام في مصلاه قبل أن يكبر ذكر فانصرف وقال لنا: مكانكم فلم نزل قياما ننتظره حتى خرج إلينا وقد اغتسل**»، **ومثله قوله في رواية البخاري: وانتظرنا تكبيره، وفي رواية أبي داود أنه كان دخل في الصلاة فتحمل هذه الرواية على أن المراد بقوله: دخل في الصلاة أنه قام في مقامه للصلاة وتهيأ للإحرام بها ويحتمل أنهما قضيتان وهو الأظهر، وظاهر هذه الأحاديث أنه لما اغتسل وخرج لم يجددوا إقامة الصلاة، وهذا محمول على قرب الزمان، فإن طال فلا بد من إعادة الإقامة**

النووي في شرح مسلم (٥/ ٨٨) طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) اتفقوا على أنه لا بد من أن ينوي المأموم الاتمام ثم اختلفوا في حق الإمام هل يلزمه أن ينوي الإمامة؟

فقال أحمد: يلزمه، وقال مالك والشافعي: لا يلزم الإمام فيه الإمامة إلا في الجمعة .

وقال أبو حنيفة: إن كان فيمن خلفه امرأة كقول أحمد وإن كان فيمن خلفه رجل كقول الشافعي واستثنى الجمعة والعيدين وعرفة فقال: لا بد من نية الإمام الإمامة في هذه المواضع الأربعة على الإطلاق . اختلاف الأئمة العلماء (١/ ١٤٣، ١٤٤) من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية .

والثاني: أن يجعل ثلاث سكتات في القيام بعد تكبيرة الإحرام[١] بمقدار قراءة الفاتحة من خلفه فإن لم يسكت فإن منهم الاستماع فيكون ما نقص من صلاتهم عليه

وبعد قراءة الفاتحة وهي نصف السكتة الأولى، وبعد قراءة السورة قبل أن يركع، وهي نصف السكتة الثانية، بقدر ما ينفصل القراءة عن التكبير، فقد نهى عن الوصل

الثالث: أن يقرأ في الصبح سورتين من المثاني دون المائدة، فإن الإطالة بها سنة ولا يضره الخروج مع الأسفار

(أولهن إذا كبر وهي الطولى منهن مقدار ما يقرأ من خلفه الفاتحة وذلك وقت قراءة دعاء الاستفتاح[٢]، فإنه أن يسكت يفوتهم الاستماع فيكون عليه الإثم ما نقص من صلاتهم فإن لم يقرأ الفاتحة في سكوته، أو اشتغلوا بغيرها، فذاك عليهم لا عليه)[٣]

الرابع: أن لا يزيد في التسبيحات علىٰ ثلاث في الركوع والسجود

---

(١) روى البخاري في صحيحه (٧٤٤) كتاب الأذان، ٨٩ ـ باب ما يقول بعد التكبير، عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يسكت بين التكبير وبين القراءة إسكاتة ـ قال: أحسبه قال: هنيهة ـ فقلت بأبي وأمي يا رسول الله إسكاتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟ قال أقول: «**اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد**»

وكذا رواه مسلم في صحيحه [١٤٧ ـ (٥٩٨)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٢٧ ـ باب ما يقال بين تكبيره الإحرام والقراءة وفيه دليل للشافعي وأبي حنيفة وأحمد والجمهور رحمهم الله تعالىٰ أنه يستحب دعاء الافتتاح، وجاءت فيه أحاديث كثيرة في الصحيح منها هذا الحديث وحديث علي رضي الله عنه في وجهت وجهي إلىٰ آخره .

(٢) روى مسلم في صحيحه [٢٠٠ ـ [٧٧١)] كتاب صلاة المسافرين وقصدها، ٢٦ ـ باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، عن علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلىٰ الصلاة قال: «**وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعًا . . . الحديث بطوله**»

(٣) وجدناه بالهامش

فقد روي عن أنس بن مالك قال: «**ما رأيت أخف صلاة من رسول الله ﷺ في تمام**»(١)

والمأموم ينبغي له أن يتأخر عن الإمام في الأركان ولا يساويه فإن ساواه صحت صلاته، وقيل إن الناس يخرجون من صلاتهم علىٰ ثلاثة أقسام: طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يركعون ويسجدون بعد ركوع الإمام وسجوده

وطائفة صلاة واحدة وهم الذين يشاقون، وطائفة بلا صلاة وهم الذين يسبقونه.

الخامس: أن لا يزيد الإمام في دعاء التشهد(٢) علىٰ مقدار التشهد ولا يختص بالدعاء لنفسه بل يأتي بصيغة الجمع، وأن ينوي بالتسليمتين علىٰ القوم والملائكة(٣)

فإذا سلم يُسرع في الإقبال بوجهه إلىٰ الناس

---

(١) رواه مسلم في صحيحه [١٨٩ ـ (٤٦٩)، كتاب الصلاة ٣٧ باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام وفي رقم (١٩٠) عن أنس قال: «**ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم صلاة من رسول الله ﷺ** »

(٢) روى البخاري في صحيحه (٨٣٢) كتاب الأذان ١٤٩ ـ باب الدعاء قبل السلام، عن عائشة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يدعوا في الصلاة: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من المأثم والمغرم**» فقال قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم فقال: «**إن الرجل إذا غرم حدث فكذب، ووعد فأخلف**

وفي البخاري (١٣٧٧) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال» .

(٣) روى البخاري في صحيحه (٨٣١) كتاب الأذان، ١٤٨ ـ باب التشهد في الآخرة، عن عبد الله ابن مسعود قال: كنا إذا صلينا خلف النبي ﷺ قلنا: السلام علىٰ جبريل وميكائيل السلام علىٰ فلان وفلان فالتفت إلينا رسول الله ﷺ فقال: « **إن الله هو السلام فإن صلى أحدكم فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين فإنكم إذا قلتموها أصابت كل عبد لله صالح في السماء والأرض أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله**»

رسالة للحسن البصري في وصاياه للإمام

رب يسر ولا تعسر

روي عن الحسن البصري رحمة الله عليه أنه قال: ينبغي للإمام إذا كان إمامًا للمسلمين يصلي بهم أن يكون عنده خمسون خصلة حتى يكون في إمامته مخلصًا لأنه ضامن القوم

الأول: أن يكون أقرأهم لكتاب الله

والثاني: أن يكون أعلمهم بالسنة

والثالث: أن يكون أورعهم

والرابع: أن يكون أعلمهم بأمر الصلاة(١)

الخامس: أن يكون أحسنهم أخلاقًا، لأن حُسن الخلق من أخلاق النبيين وهو في مكان النبيين فليس له أن يخالف أخلاق الأنبياء، لأن من ترك أخلاق الأنبياء لم ينل رائحة الجنة

والسادس: أن يكون تقيًا مجتنبًا عن الطمع لأن الطمع حجر تزل عليه يوم القيامة أقدام الطامعين إذا زلت قدمه زل في النار

والسابع: أن يكون سخيًا لأن السخاء حرفة الخلفاء وهو في مكان

(١) روى البخاري في صحيحه (٦٣٠) كتاب الأذان ١٨ ـ باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة عن مالك بن الحويرث قال: أتى رجلان النبي ﷺ يريدان السفر فقال النبي ﷺ إذا أنتما خرجتما فأذنا ثم أقيما ثم ليؤمكما أكبركما»

وروى مسلم في صحيحه [٢٩٠ ـ (٦٧٣)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٥٣ ـ باب من أحق بالإمامة عن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: **«يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سلما، ولا يؤمن الرجل الرجل في سلطانه ولا يقعد في بيته علىٰ تكرمته إلا بإذنه»** .

الخلفاء فإذا لم يكن الإمام سخيًا لم يجد فضل الإمامة[١]

والثامن: أن يكون صابرًا علىٰ شدائد الله تعالىٰ لأن هذا عمل الصابرين فإذا لم يكن الإمام صابرًا فقد بطل أجر إمامته

والتاسع: أن يكون راضيًا بقضاء الله تعالىٰ لأنه لو لم يكن راضيًا بقضاء الله تعالىٰ فقد بطل صلاته

والعاشر: أن يكون قانعًا بقسم الله تعالىٰ شاكرًا لأنعم الله تعالىٰ لخصوصيته في مقام أوليائه فإنهم كانوا شاكرين بما أنعم الله عليهم

الحادي عشر: أن يكون محتملاً لأذى الناس متجاوزًا عنهم

والثاني عشر: أن يكون زاهدًا[٢] حتى يكون قلبه من حب الدنيا منقطعًا متعلقًا بحب الآخرة

والثالث عشر: أن يكون خائفًا من الله، فإن هذا مقام الخائفين، فإذا لم يكن الإمام خائفًا من الله فلا تجاوز صلاته لشحمة أذنيه فإذا رد الله صلاة الإمام عليه فكيف يجوز من خلقه

الرابع عشر: أن يكون حليمًا فلا يغضب فإذا كان الإمام غضبان صار أسيرًا

---

(١) قال النووي في حديث مسلم المتقدم قبل هذا: فيه دليل لمن يقول بتقديم الأقرأ علىٰ الأفقه وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد وبعض أصحابنا، وقال مالك والشافعي وأصحابهما: الأفقه مقدم علىٰ الأقرأ لأن الذي يحتاج إليه من القراءة مضبوط والذي يحتاج إليه من الفقه غير مضبوط وقد يعرض في الصلاة أمر لا يقدر علىٰ مراعاة الصواب فيه إلا كامل الفقه، قالوا: ولهذا قدم النبي ﷺ أبا بكر ﷺ في الصلاة علىٰ الباقين مع أنه ﷺ نص علىٰ أن غيره أقرأ منه، وأجابوا عن الحديث بأن الأقرأ من الصحابة كان هو الأفقه لكن في قوله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة دليل علىٰ تقديم الأقرأ مطلقًا

النووي في شرح مسلم (٥/ ١٤٧) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) زهد المحسنين ومن تحتهم من الصالحين والمؤمنين والمسلمين إنما هو في الدنيا ولذاتها وزهد الشهداء في الدنيا والآخرة جميعًا وزهد الصديقين في سائر المخلوقات فلا يشهدون إلا للحق وأسمائه وصفاته وزهد المقربين في البقاء مع الأسماء والصفات فهم في حقيقة الذات.

ويفرق السهرودي بين زهد الصوفية وخلوتهم التي يحصل عنها الاشراق في قلوبهم وبين زهد الفلاسفة والبراهمة والدهريين وخلوتهم التي غايتها منع الشواغل عن الحواس بقصد تحصيل المعارف العقلية. المعجم الصوفي (ص١١٧).

لإبليس، فإذا كان الإمام أسيرًا لإبليس فعليه أن يبدأ بفكاك نفسه

والخامس عشر: أن يكون رحيمًا بالمؤمنين في الصلاة، ويصلي بهم صلاة أضعفهم لأنه من ورائه الضعيف والكبير وذا الحاجة(١)

والسادس عشر: أن يكون متقيًا، فإن الله تعالىٰ سائله يوم القيامة عن إمامته

والسابع عشر: أن يكون تائبًا من كل شيء في السر والعلانية

والثامن عشر: أن يكون متوكلا علىٰ الله في قرائر نفسه وقام في عداد المتوكلين وهذا مقامهم

والتاسع عشر: أن يكون هاربًا من هوى نفسه حتى يهدمه، فإذا هدمه فقد أتم أمر دين خالقه

والعشرون: أن يكون للأيتام كالأب الرحيم وللأرامل كالزوج العطوف لأن النبيين والخلفاء كانوا كذلك وهو خليفتهم فعليه أن يقتدي بهم

والحادي والعشرون: أن يكون معتزلاً متجانبًا عن الناس حتى يكون في صلاته مخلصًا لله(٢)

---

(١) حديث: «**من أم قومًا فليخفف فإن فيهم الضعيف والكبير والمريض وذا الحاجة**»

أخرجه: البخاري في صحيحه (٧٠٣) كتاب الأذان، ١٢ باب إذا صلى لنفسه فليطول ما شاء ومسلم في صحيحه [١٨٥ ـ (٤٦٧)] كتاب الصلاة، ٣٧ ـ باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «**إذا صلى أحدكم للناس فليخفف فإن في الناس الضعيف والسقيم وذا الحاجة**»

قال النووي: معنى أحاديث الباب ظاهر وهو الأمر للإمام بتخفيف الصلاة بحيث لا يخل بسنتها ومقاصدها وأنه إذا صلى لنفسه طول ما شاء في الأركان التي تحتمل التطويل وهي القيام والركوع والسجود والتشهد دون الاعتدال والجلوس بين السجدتين والله أعلم .

(٢) قال النووي: ولنا وجه اختاره جماعة من أصحابنا: أن الأورع مقدم علىٰ الأفقه والأقرأ؛ لأن مقصود الإمامة يحصل من الأورع أكثر من غيره

ثم قوله ﷺ: (فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة) قال أصحابنا: يدخل فيه طائفتان: إحداهما: الذين يهاجرون اليوم من دار الكفر إلىٰ دار الإسلام، فإن الهجرة باقية إلىٰ يوم القيامة عندنا وعند جمهور العلماء، وقوله ﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح**» ، أي لا هجرة من مكة ؛ لأنها صارت دار الإسلام، أو لا هجرة فضلها كفضل الهجرة قبل الفتح، الطائفة الثانية: أولاد المهاجرين إلىٰ رسول الله ﷺ فإذا استوى اثنان في الفقه والقراءة، وأحدهما من أولاد من تقدمت هجرته، والآخر من أولاد من تأخرت هجرته ؛ قدم الأول .

النووي في شرح مسلم (٥/ ١٤٧) طبعة دار الكتب العلمية .

الثاني والعشرون: أن يكون مختلفًا ماشيًا إلىٰ العلماء أناء الليل والنهار فإذا لم يكن اختلافه إلىٰ العلماء فالذي يفسد من صلاته أكثر مما يصلح

الثالث والعشرون: أن يكون متواضعًا ولا يكون متكبرًا لأن المتكبر ملعون، ولا يكون الملعون إمام المسلمين

والرابع والعشرون: أن يكون ساهرًا بالليل والنهار قائمًا بين يدي الله تعالىٰ في أوقات الخلوات

والخامس والعشرون: أن يكون في بعض أوقاته صائمًا فيكون قلبه نقيًا وبطنه خاليًا وجوارحه مطيعة

والسادس والعشرون: أن يكون مخوفًا لأن الخلفاء كلهم كانوا أصحاب الخوف .

والسابع والعشرون: أن يكون حافظًا لحدود الله لأن الأحكام والأوامر والنواهي في قلبه

والثامن والعشرون: أن يكون مؤديًا لأمانة الله في المسلمين

والتاسع والعشرون: أن يكون حافظًا ما بين شفتيه من الغيبة[1] لأن

(١) روى مسلم في صحيحه [٧٠ ـ ٢٥٨٩) كتاب البر والصلة والآداب، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « **أتدرون ما الغيبة؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته»

قال النووي: تباح الغيبة لغرض شرعي وذلك لستة أسباب:

أحدها: التظلم إلىٰ السلطان والقاضي .

الثاني: الاستغاثة علىٰ تغيير المنكر ورد العاصي .

الثالث: الاستفتاء بأن يقول للمفتي ظلمني فلان أو أبي أو أخي أو زوجي بكذا، فهذا جائز للحاجة .

الرابع: تحذير المسلمين من الشر وذلك من وجوه منها جرح المجروحين من الرواة والشهود والمصنفين وذلك جائز بالإجماع بل واجب صونا للشريعة .

الخامس: أن يكون مجاهرا بفسقه أو بدعته كالخمر ومصادرة اموال الناس وجباية المكوس وتولي الأمور الباطلة فيجوز ذكره بما يجاهر به .

السادس: التعريف فإذا كان معروفا بلقب كالأعمش والأعرج والأزرق والقصير والأعمى والأقطع ونحوها جاز تعريفه به، النووي في شرح مسلم (١٦/ ١١٨) طبعة دار الكتب العلمية .

الغيبة تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب

والثلاثون: أن يكون عفيفًا متجنبًا من سوء الظن، فإن بعض الظن يوقعه في الكبائر .

والحادي والثلاثون: أن يكون متجنبًا عن التجسس عن عيوب المسلمين، فإنه منهي عنه

والثاني والثلاثون: أن يكون يأكل حلالا بأن صلاته أو صلاة من خلفه تامة جائزة .

والثالث والثلاثون: أن يكون نقيًا للثياب من الدنس

والرابع والثلاثون: أن يكون طاهر القلب من الفخر والخيلاء سيما من المكر

والخامس والثلاثون: أن يكون لكل صلاة يصليها صلاة الوداع حتى يكون قلبه متعلقًا بحب الله ورسوله أبدًا

والسادس والثلاثون: أن يكون مفوضًا أمره إلىٰ الله مع حسن الظن به(١)

والسابع والثلاثون: أن يكون مبغضا لأهل الفسق لأن الخلفاء كانوا بهذه الصفة

والثامن ثلاثون: أن يكون محبًا لأهل الصلاح والعفة، لأن حرفته حرفة الصالحين

والتاسع والثلاثون: أن لا يدخل في الصلاة حتى يستغفر من جميع ذنوبه لأنه شفيع لمن خلفه(٢)

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٢ ـ (٢٦٧٥)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ١ ـ باب الحث علىٰ ذكر الله تعالىٰ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « **يقول الله** ﷻ أنا عند ظن عبدي بي. . . . الحديث»

قال النووي: قال القاضي: قيل معناه بالغفران له إذا استغفر والقبول إذا تاب والإجابة إذا دعا والكفاية إذا طلب الكفاية، وقيل: المراد به الرجاء وتأميل العفو، وهذا أصح .

(٢) قال القاضي عياض: وقد عرف بالنقل المستفيض سؤال السلف الصالح رضي الله عنهم شفاعة نبينا ﷺ ورغبتهم فيها، وعلىٰ هذا لا يلتفت إلىٰ قول من قال إنه يكره أن يسأل الإنسان الله تعالىٰ أن يرزقه شفاعة محمد ﷺ لكونها لا تكون إلا للمذنبين، فإنها قد تكون كما قدمنا لتخفيف الحساب وزيادة الدرجات ثم كل عاقل معترف بالتقصير محتاج إلىٰ العفو غير معتد بعمله مشفق من أن يكون من الهالكين ويلزم هذا القائل ألا يدعو بالمغفرة والرحمة لأنها لأصحاب الذنوب وهذا كله خلاف ما عرف من دعاء السلف والخلف. هذا آخر كلام القاضي رحمه الله والله أعلم، النووي في شرح مسلم (٣/ ٣٢) طبعة دار الكتب العلمية

والأربعون: أن يكون منصفًا للناس من نفسه في كل شيء من أمر الدنيا والآخرة والدين

والحادي والأربعون: أن يكون منبسط الوجه ولا يكون منقبضًا بين المؤمنين.

والثاني والأربعون: أن يكون واصل الرحم مع من قطعه عنه

الثالث والأربعون: أن يكون عفوًا لمن أساء إليه

والرابع والأربعون: أن يكون مشفقًا علىٰ الخاص والعام رحيمًا عليهم لأنه عامل للخاص والعام

والخامس والأربعون: أن يكون عابدًا بالليل والنهار لأن آلة العادة عنده وهي القرآن

والسادس والأربعون: أن يكون شديد القول ليخاف الناس عنه، وهذا من آداب الخليفة

والسابع والأربعون: أن يكون مؤدبًا متعلمًا

والثامن والأربعون: مقتديًا بالنبي ﷺ (١)

والتاسع والأربعون: أن يكون متبعًا آثار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

الخمسون: أن يكون مستعدًا لكل وقت مستقيمًا تامًا أمره قبل أن يجيء أجله وقبض روحه

وهذا ما ينبغي للإمام من الخصال المحمودة ، فمن لم يكن له هذه الخصال مستعملا فهو خادع نفسه

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ **[الأحزاب: ٢١]**

هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه ﷻ صلوات الله وسلامه عليه دائما إلىٰ يوم الدين ولهذا قال تعالىٰ للذين تقلقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ **[الأحزاب: ٢١]** أي: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله ﷺ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ **[الأحزاب: ٢١]**

تفسير ابن كثير (٣/ ٤٩١).

وفقنا الله وجميع الأمة لما يحب ويرضى، وجنبنا الله عما يكره، ويسخط بقضله العام وكرمه التام إنه ولي الأنعام

وروي عن أبي حنيفة رحمه الله: **إذا اتخذوا الإمام فسلوه أربعة مسائل فإن علم فاقتدوا به وإن لم يعلم فأعيدوا ما صليتم خلفه**

أولها: قولوا صليت هذه الصلاة لأجلك أم لأجل قومك

الجواب: إن قال: صليت لأجلي ونويت قومي يعلم المسألة

وثانيها: فاسألوه إنَّا اقتدينا بك وأنت بمن اقتديت

الجواب: فإن قال أنا اقتديت بالمصطفى، يعلم المسألة

وثالثها: فاسألوه إنَّا اتخذناك وأنت لمن اتخذت

الجواب: فإن قال: أنا أتخذ القرآن، يعلم المسألة

ورابعها: فاسألوه إتمام صلاتنا معك وصلاتك بأي شيء تتم

الجواب: فإن قال بسنة رسول الله ﷺ يعلم المسألة(١)

باب فضيلة الجمعة(٢)

اعلم أن الجمعة يوم عظيم عظمه الله بالإسلام، وخص به المسلمين، لأنه

(١) بذلك انتهت رسالة الحسن البصري في خصال الإمام والبالغه خمسون خصلة وزيلت برأي للإمام أبي حنيفة في معرفه فقه الإمام وعلمه كما ورد

(٢) يقال الجمعة بضم الميم، وإسكانها، وفتحها

حكاهن الفراء والواحدي وغيرهما، ووجهوا الفتح بأنها تجمع الناس ويكثرون فيها .
كما يقال: همزة ولمزة لكثرة الهمز واللمز ونحو ذلك سميت جمعة لاجتماع الناس فيها، وكان يوم الجمعة في الجاهلية يسمى العروبة .
وقد اختلف العلماء في غسل الجمعة فحكي وجوبه عن طائفة من السلف حكوه عن بعض الصحابة وبه قال أهل الظاهر وحكاه الخطابي عن الحسن البصري ومالك، وذهب جمهور العلماء من السلف والخلف وفقهاء الأمصار إلىٰ أنه سنة مستحبة ليس بواجب .
قال القاضي: وهو المعروف من مذهب مالك وأصحابه واحتج من أوجبه بظواهر هذه الأحاديث واحتج الجمهور بأحاديث صحيحة منها حديث الرجل الذي دخل وعمر يخطب وقد ترك الغسل، النووي في شرح مسلم (٦/ ١١٥) طبعة دار الكتب العلمية .

طلب اليهود فضلوا إلىٰ يوم السبت وطلبوا النصارى فضلوا إلىٰ يوم الأحد

(عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: أوصاني رسول الله ﷺ أن نغتسل يوم الجمعة، فقال: «**يا أبا هريرة إن الله كتب علىٰ المسلم والمسلمة أن يغتسل في كل ستة أيام يومًا وهو يوم الجمعة، فإنه ليس شيء من التطوع أعظم ثوابًا عند الله من الغسل يوم الجمعة**»

فقلت يا رسول الله: ما ثوابه؟

قال: «**بكل شعرة يمر الماء عليها حسنة وكُتب من العابدين إلىٰ الجمعة الأخرى**»[(١)]

فقلت: يا رسول اللّه إن أغتسل من الجنابة أعيد مرة أخرى

قال: «**لا يكفيك ذلك، وبكل قطرة يعطيك الله جارية عليها حُليها فيساوي بها الدنيا، وبكل قطرة وصيفة في الجنة، طوبى لمن رغب فيها**»

عن كعب الأحبار قال: لأن أشرب قدحًا من نار، أحب إليّ من أن أشرب قدحًا من خمر، ولأن أشرب قدحًا من خمر أحب إلي من أن أتخلف[(٢)] عن الجمعة، ولأن أتخلف عن الجمعة أحب إليّ من أن أتخطى الرقاب. (نقل من تنبيه الغافلين)[(٣)]

قال ﷺ: «**من ترك الجمعة ثلاثًا من غير عذر فقد نبذ الإسلام وراء ظهره**»[(٤)]

---

(١) أخرجه: ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٢/ ٥٤٧)

(٢) روى مسلم في صحيحه [١٧ ـ (٨٥٤)] كتاب الجمعة، ٥ ـ باب فضل يوم الجمعة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها**»

قال النووي: قال أبو بكر بن العربي في كتابه الأحوذي في شرح الترمذي: الجميع من الفضائل وخروج آدم من الجنة هو سبب وجود الذرية وهذا النسل العظيم ووجود الرسل والأنبياء والصالحين والأولياء ولم يخرج منها طردا بل لقضاء أوطار ثم يعود إليها، وأما قيام الساعة فسبب لتعجيل جزاء الأنبياء والصديقين والأولياء وغيرهم وإظهار كرامتهم وشرفهم، وفي هذا الحديث فضيلة يوم الجمعة ومزيته علىٰ سائر الأيام.

(٣) وجدناه بالهامش

(٤) أخرجه: الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ١٩٣)

(عن أنس بن مالك ﵁: صلى النبي ﷺ صلاة الصبح وأسند إلىٰ المحراب وقال: «**يا معاشر المؤمنين إذا كان يوم الجمعة يأمر الله الملائكة فيأتون البيت المعمور، وهو بيت في السماء الرابعة، له أربعة أركان: ركن من ياقوت أحمر، وركن من زمرد أخضر، وركن من فضة بيضاء، وركن من ذهب أحمر، فيأتيه الملائكة، فيصعد جبرائيل علىٰ منارة من فضة بيضاء فينادى بالأذان ويصعد ميكائيل علىٰ منبر ياقوت أحمر فيخطب عليه ثم ينزل ويصلي بهم الجمعة، ثم يقول جبرائيل ﵇ ويقول يا ملائكة ربي أشهدكم أني وهبت ثواب هذا الآذان لأمة محمد ﷺ ثم يقول ميكائيل ويقول يا ملائكة ربي أشهدكم أني قد وهبت ثواب هذه الخطبة**(١) **والإمامة لأمة محمد ﷺ فيقول الله تعالىٰ: أتسخون وأنا معدن السخاء أشهدكم أني قد غفرت لجميع أمة محمد ﷺ**»

وعنه ﷺ أنه قال: «**ما من عبد أو أمة قام لله مخلصًا يوم الجمعة فتوضأ وضوءًا سابغًا ثم دنا من المسجد فصلى، إلا جعل الله خلفه سبعين صفًا من الملائكة في كل صف ما لا يحصى عددهم إلا الله أحد طرف الصف بالمشرق والأخر بالمغرب، فإذا انتهى من صلاته ودعا أمنوا علىٰ دعائه ، فإذا فرغ كتب اللّٰه له بعدد هؤلاء الملائكة حسنات ومحي عنه بعددهم سيئاته ورفع له بعددهم درجات، ومن صلى الجمعة كتب الله له عمل مائتا سنة**»

عن النبي ﷺ أنه قال: «**عليكم بالجمعة والجماعة فإن هذين يذهبن السيئات ويظهرن البركات، ويتجنب من الدركات، ويؤتين الدرجات**»

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٣٤ ـ (٨٦٢)] كتاب الجمعة، ١ ـ باب ذكر الخطبتين قبل الصلاة وما فيهما من الجلسة،عن جابر بن سمرة قال: كانت للنبي ﷺ: «**خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس**»

قال النووي: فيه دليل للشافعي في أنه يشترط في الخطبة الوعظ والقرآن، قال الشافعي: لا يصح الخطبتان إلا بحمد الله تعالىٰ والصلاة علىٰ رسول الله ﷺ فيهما والوعظ .

وهذه الثلاثة واجبات في الخطبتين وتجب قراءة من القرآن في إحداهما علىٰ الأصح، ويجب الدعاء للمؤمنين في الثانية علىٰ الأصح، وقال مالك وأبو حنيفة والجمهور: يكفي من الخطبة ما يقع عليه الاسم وقال أبو حنيفة وأبو يوسف ومالك في رواية عنه: يكفي تحميدة أو تسبيحة أو تهليلة وهذا ضعيف لأنه لا يسمى خطبة ولا يحصل به مقصودها مع مخالفته ما ثبت عن النبي ﷺ .

وعنه ﷺ أنه قال: [(١)] «**ليلة أسري بي إلىٰ السماء رأيت تحت العرش سبعين مدينة كل مدينة مثل مدائنكم هذه سبعين مرة مملوءة من الملائكة يسبحون الله ويقدسونه ويقولون في تسبيحهم: اللهم اغفر لمن شهد الجمعة واغتسل يوم الجمعة**»[(٢)]

عن سعيد بن المسيب عن جابر بن عبد الله قال خطبنا رسول الله ﷺ يوم فقال: [(٣)] يا أيها الناس توبوا إلىٰ ربكم قبل أن تموتوا وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشتغلوا، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له، والصدقة في السر والعلانية.

واعلموا أن الله فرض عليكم الجمعة إلىٰ يوم القيامة فمن تركها[(٤)] في حياتي أو بعد مماتي فلهم إمام عادل فلا جمع الله شمله ولا بارك الله له في أمره لا صلاة له ولا زكاة له ولا صيام له إلا أن يتوب، فمن تاب تاب الله عليه

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة خُلق فيه آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم سأل الله فيها خيرًا إلا أتيه**»[(٥)]

---

(١) ذكره القرطبى في تفسيره (١٨/ ١١٩)

(٢) وجدناه بالهامش ﷺ

(٣) أخرجه: ـ الزبيدي في الإتحاف (٨/ ٥٠٥)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٥٤)، والقرطبي في تفسيره (١٨/ ١١٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٥٢)، والالباني في إرواء الغليل (٣/ ٥٠)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٤/ ١٤٩٨)

(٤) روى مسلم في صحيحه [٤٠ ـ (٨٦٥)] كتاب الجمعة، ١٢ ـ باب التغليظ في ترك الجمعة، عن أبي هريرة رفعه «**لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات، أو ليختمن الله علىٰ قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين**»

قال النووي: وفيه أن الجمعة فرض عين ومعنى الختم الطبع والتغطية قالوا في قول الله تعالىٰ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [**البَقَرَة**: ٧] أي طبعه ومثله الرين فقيل: الرين اليسير من الطبع، والطبع اليسير من الأقفال، والأقفال أشدها.

قال القاضي: اختلف المتكلمون في هذا اختلافا كثيرا فقيل هو إعدام اللطف وأسباب الخير وقيل هو خلق الكفر في صدورهم وهو قول أكثر متكلمي أهل السنة.

(٥) أخرجه: [١٧ ـ (٨٥٤)]، (١٨) كتاب الجمعة، ٥ ـ باب فضل يوم الجمعة

وانظر آخر الحديث في مسلم [١٣ ـ (٨٥٢)]، (١٤) كتاب الجمعة ٤ ـ باب في الساعة التي في يوم الجمعة.

=

عن مجاهد قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيد الأيام يوم الجمعة وهي أعظم من يوم الفطر ويوم الأضحى ويوم عرفة ويوم عاشوراء، والصدقة فيه أفضل الصدقة والعمل فيه، أفضل العمل والإثم فيه أعظم الإثم**»[(١)]

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ: «**إن من وراء جبل قاف أرض بيضاء أملس من الفضة مثل الدنيا سبع مرات، مملوءة من الملائكة ما لو سقطت إبرة لسقطت عليهم بيد كل ملك لواء مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله، يجتمعون كل ليلة جمعة حول جبل قاف فيتضرعون إلىٰ الله، ويدعون بالسلامة لأمة محمد ﷺ**»

فيقولون يا ربنا ارحم أمة محمد ﷺ ولا تعذبهم، ينادون إلىٰ انفجار الصبح، فإذا انفجر الصبح يقولون اللهم اغفر لمن اغتسل وحضر الجمعة[(٢)] والخطبة وطول ألويتهم أربعون فرسخًا فيرفعون أصواتهم بالدعاء والبكاء

= وأبو داود في سننه (١٠٤٦)، والترمذي في سننه (٤٩١)، والنسائي (٣/ ٩٠، ١١٤)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٠١، ٤١٨) والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٥١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٧٨)، وابن خزيمة في صحيحه (١٧٢٩)، وابن حبان في صحيحه (١٠٢٤ ـ الموارد) والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٩٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٣٥٦) .

(١) أخرجه: أحمد في مسنده (٣/ ٤٣٠)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٧٧)، والسيوطي في الدر المنثور
(٦/ ٢١٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ١٦٣، ١٦٤) والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٥٥٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ١٤٩)، وابن خزيمة في صحيحه (١٧٢٨)، والبخاري في التاريخ الكبير (٤/ ٤٤).

(٢) روى مسلم في صحيحه [١ ـ (٨٤٤)] ٧ ـ كتاب الجمعه، في فاتحته عن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا أراد أحدكم أن يأتي الجمعة فليغتسل**» وفي رواية « **غسل الجمعة واجب علىٰ كل محتلم**». **والمراد بالمحتلم البالغ، وفي الحديث الآخر «حق لله علىٰ كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يغسل رأسه وجسده»**

وفي مسلم رواية عن أبي هريرة رقم (٤) قال: بينما عمر بن الخطاب يخطب الناس يوم الجمعة إذ دخل عثمان بن عفان .

فعرض به عمر فقال: ما بال رجال يتأخرون بعد النداء، فقال عثمان: يا أمير المؤمنين ما زدت حين سمعت النداء أن توضأت ثم أقبلت فقال عمر والوضوء أيضا: ألم تسمعوا رسول الله ﷺ يقول: «**إذا جاء أحدكم إلىٰ الجمعة فليغتسل**» .

فقيل لهم ماذا تريدون فيقولون نريد أن تغفر لأمة محمد ﷺ فيقول أنه قد غفر لهم .

([1]) وروىٰ أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**وأيما رجل لم يكن له صدقة فيقل: اللهم صلِّ علىٰ عبدك ورسولك، وصلِّ علىٰ المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات فإنها كفارة له (وفي رواية زكاة له)**

وعن عبد الله بن أنس عن أبيه أنه قال: قال رسول الله ﷺ:[2] «**من صلى علي في يوم مائة مرة كتب الله له بها ألف ألف حسنة ومحي عنه ألف ألف سيئة وكتب له مائة صدقة مقبولة أكثروا من الصلاة فإنها لكم زكاة .**

عن عيسى عليه السلام أنه مر علىٰ صياد نصب شبكة وتعلق بها ظبية فأنطقها الله تعالىٰ معه، قالت: يا روح الله إن لي أولاد صغار وتعلقت بهذه الشبكة منذ ثلاثة أيام فاستأذن من الصياد أن أُرضع أولادي فأرجع

فأخبره فقال الصياد: هيهات لا تعود

فأخبرها فقالت: إن لم أعد فأنا أشر من ذلك الذي وجد الماء يوم الجمعة فلم يغتسل[3] فأخذ عليها العهد

---

(١) هذا أول كلام وجدناه بالهامش وهو طويل

(٢) بلفظ: «**من صلى عليَّ في يوم مائة مرة قضى الله له مائه حاجه**» أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٣/ ٢٨٩) وذكره الهندي في الكنز (٢٠٢٣٢، ٢٠٢٣٣)

(٣) قوله ﷺ: «**إذا أراد أحدكم أن يأتي الجمعة فليغتسل**»، «**وغسل الجمعة واجب علىٰ كل محتلم**»

قال النووي: فالحديث الأول ظاهر في أن الغسل مشروع لكل من أراد الجمعة من الرجال سواء البالغ والصبي المميز، والثاني: صريح في البالغ وفي أحاديث أخر ألفاظ تقتضي دخول النساء كحديث ومن اغتسل فالغسل أفضل .

فيقال في الجمع بين الأحاديث أن الغسل يستحب لكل مريد الجمعة ومتأكد في حق الذكور أكثر من النساء لأنه في حقهن قريب من الطيب ومتأكد في حق البالغين أكثر من الصبيان، ومذهبنا المشهور أنه يستحب لكل مريد لها وفي وجه لأصحابنا يستحب للذكور خاصة، وفي وجه يستحب لمن يلزمه الجمعة دون النساء والصبيان والعبيد والمسافرين ووجه يستحب لكل أحد يوم الجمعة سواء أراد حضور الجمعة أم لا كغسل يوم العيد، يستحب لكل أحد والصحيح الأول والله أعلم .

النووي في شرح مسلم (٦/ ١١٨) طبعة دار الكتب العلمية .

فذهبت ورجعت كراهية نقض العهد، فذهب عيسى ﵇ فرأى لبنة من ذهب وأمر أن يدفعها إلىٰ الصياد عن الظبية

فقبل فما إن وصل للصياد وجد قد ذبحها فدعا عيسى ﵇ وقال: رفع الله ﷻ البركة من عملكم

قال النبي ﷺ: «**والذي بعثني بالحق نبيًا واصطفاني بالرسالة صادقًا، إذا كان يوم القيامة جاءت صلاة الجمعة التي صلى بغسله فيقول لصاحبه هل تعرفني؟**»

فيقول: ما أعرفك ولكن وجهك وجهاً طلقًا من كل خير فمن أنت رحمك الله؟

فيقول لصاحبه: أنا صلاة الجمعة التي اغتسلت وتنظفت ومشيت ودنوت فسمعت فيأخذه بيده بإذن الله فيرفعه في الدرجات

فيقول هذا جزاءك من رب كريم شكور، وكل من عبد الله المزيد مع خلود الأبد في جوار الله في دار البقاء

وروي عن مقاتل بن سليمان[١] أنه قال: إن لله مدينة في الهواء أحيط بها كقشر البيض لها سبعون ألف بابًا علىٰ كل باب منها ملائكة مثل ولد بني آدم ألف ألف مرة.

فإذا كان يوم الجمعة كلهم يقولون: اللهم اغفر لمن اغتسل يوم الجمعة وحضر الجمعة

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «**من كتب الصلاة عليّ في كتابه لم تزل الملائكة تستغفر ربها له ما دام الحبر في ذلك[٢] الكتاب**»

---

(١) مقاتل بن سليمان بن بشير، أبو الحسن الازدي الخراساني، البلخي، صاحب التفسير، المروزي كذبوه وهجروه ورمي بالتجسيم، وأخرج له أبو داود في المسائل، توفي سنه (١٠٥)

ترجمته: تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٧٩)، تقريب التهذيب (٢/ ٢٧٢)، تاريخ البخاري الكبير (٨/ ١٤) ميزان الاعتدال (٤/ ١٧٣)، معجم المؤلفين (١٢/ ٣١٧)، المجروحين (٣/ ١٤)، سير الأعلام (٧/ ٢٠١) .

(٢) أخرجه: الزبيدي في اتحاف السادة المتقين (٥/ ٥٠)، والخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث (٢٤٨)، والسيوطي في اللآلى المصنوعة (١/ ١٠٦)

قال رسول الله ﷺ: «**من صلى عليّ يوم الجمعة ثمانين مرة غفر له ذنوبه ثمانون سنة**»[١]

وفي رواية أخرى عنه أنه قال[٢]: الصلاة عليّ نور علىٰ الصراط فمن صلى عليّ ثمانين مرة في يوم وليلة غفر له ذنوبه ثمانين سنة[٣]

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليلة الجمعة ويوم الجمعة أربعة وعشرون ساعة ما منها ساعة[٤] إلا ولله فيها ستمائة ألف عتيق كلهم قد استوجب العذاب**»

وعنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ إذا خرجت من بيتك يوم الجمعة فأنت مهاجر فإن مت في بعض الطريق فأنت في الجنة، فإن مت في المسجد فأنت في الجنة، صلاة يوم الجمعة بخمسمائة صلاة

عن ميمون بن مهران عن عبد الله قال[٥]: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان يوم الجمعة دفعت ألوية الحمد إلىٰ الملائكة ويحضر جبرائيل في المسجد الحرام**

---

(١) ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٢١٥)

(٢) ذكره الهندي في كنز العمال (٢١٤٩)

(٣) وجدناه بالهامش

(٤) في الساعة التي في الجمعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه»
قال النووي: قال القاضي: اختلف السلف في وقت هذه الساعة، وفي معنى قائم يصلي، فقال بعضهم: هي من بعد العصر إلىٰ الغروب، قال: ومعنى يصلي يدعو، ومعنى قائم ملازم ومواظب، كقوله تعالىٰ: ﴿مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآيِمًاۗ﴾ [آل عِمرَان: ٧٥] وقال آخرون: هي من حين خروج الإمام إلىٰ فراغ الصلاة، وقال آخرون: من حين تقام الصلاة حتى يفرغ، والصلاة عندهم علىٰ ظاهرها، وقيل: من حين يجلس الإمام علىٰ المنبر حتى يفرغ من الصلاة، وقيل: آخر ساعة من يوم الجمعة.
قال القاضي: وقد رويت عن النبي ﷺ في كل هذا آثار مفسرة لهذه الأقوال، قال: وقيل: عند الزوال، وقيل: من الزوال إلىٰ أن يصير الظل نحو ذراع، وقيل: هي مخفية في اليوم كله كليلة القدر.
النووي في شرح مسلم (٦/ ١٢٢) طبعة دار الكتب العلمية.

(٥) ذكره الهندي في الكنز (٢١١٨٦)

فيجلس الملائكة علىٰ أبواب المساجد يكتبون الأول فالأول[(١)] فإذا قام الخطيب طووا صحفهم وجلسوا يستمعون الذكر وقالوا: اللهم إن كان ميتًا فاغفر له وإن كان غائبًا فاحفظه وإن كان مريضًا فاشفه فيؤمن من معه»

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة درة مطبقة ما رآها نبي مرسل ولا ملك مقرب فإذا كان يوم الجمعة أوحى الله تعالىٰ إليها أن انطقي أيتها الدرة»**

فقالت: قد أفلح المؤمنون من أمة محمد ﷺ المعتكفون علىٰ ذكر الله المؤدون لفرائضه ثم يبعث الله ملكًا إلىٰ قبري فيقول: يا محمد إن الله تعالىٰ يقرئك السلام ويقول لك: أبشر وقر عينا في أمتك فإن لك في أمتك يوم الجمعة ثلاث نظرات[(٢)] ما نظرت إليهم فيها إلا عتق منهم ستين ألف»

وقال ﷺ: «**من صلى الجمعة كتب له حجة متقبلة، وإن صلى العصر كانت**

---

(١) روى البخاري في صحيحه (٨٨١) كتاب الجمعة، ٤ ـ باب فضل الجمعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر»**

وكذا رواه مسلم في صحيحه[١٠ ـ (٨٥٠)] كتاب الجمعة، ٢ ـ باب الطيب والسواك يوم الجمعة، عن أبى هريرة .

(٢) قال النووي في حديث مسلم المتقدم قبل هذا: في المسألة خلاف مشهور مذهب مالك وكثير من أصحابه والقاضي حسين وإمام الحرمين من أصحابنا أن المراد بالساعات هنا لحظات لطيفة بعد زوال الشمس والرواح عندهم بعد الزوال

وادعوا أن هذا معناه في اللغة، ومذهب الشافعي وجماهير أصحابه وابن حبيب المالكي وجماهير العلماء استحباب التبكير إليها أول النهار والساعات عندهم من أول النهار والرواح يكون أول النهار وآخره، قال الأزهري لغة العرب الرواح الذهاب سواء كان أول النهار أو آخره أو في الليل، وهذا هو الصواب الذي يقتضيه الحديث والمعنى لأن النبي ﷺ أخبر أن الملائكة تكتب من جاء في الساعة الأولى وهو كمهدي بدنة ومن جاء في الساعة الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة، وفي رواية النسائي السادسة فإذا خرج الإمام طووا الصحف ولم يكتبوا بعد ذلك أحداً .

النووي في شرح مسلم (٦/ ١١٩) طبعة دار الكتب العلمية .

عمرة، وإن حمَّس[١] **في مكانه لم يسأل الله شيء إلا أعطاه إياه»**

وبرواية أخرى: أنه قال ﷺ: «**من صلى الجمعة وصام يومه وعاد مريضًا وشهد جنازة وشهد نكاحًا وجبت له الجنة**»

(وفي الأخبار أن موسى ﷺ كان يقرأ التوراة فوجد نعت الأمة فقال يا رب هل أحد أفضل من أمتي قال: نعم، أمة محمد ﷺ، ثم قال اذهب إلىٰ جبل بيت المقدس فذهب فرأى أقوامًا يعبدون الله تعالىٰ فسألهم فقالوا: نحن من أمتك فعبدوا الله من ها هنا منذ سبعين سنة بالجد والاجتهاد، فقد لبسنا لباس الصوف الصبر[٢] ورداء التواضع علىٰ عنقنا وعمامة الشكر علىٰ رؤوسنا وعصا التوكل في أيدينا ونعل الخشية علىٰ أرجلنا وطعامنا نبات الأرض وشربتنا ماء المطر ولباسنا قشر الشجر، ولا نرفع رؤوسنا إلىٰ السماء حياء من الله تعالىٰ منذ سبعين سنة، ففرح موسى بذلك.

وقال الله تعالىٰ: لأمة محمد يوم وليلة ركعتان فيهما خير من هذا كله

فقال موسى: يا رب أي يوم هذا؟

قال: يوم الجمعة، السبت لك يا موسى، والأحد لعيسى والاثنين للخليل، والثلاثاء لزكريا والأربعاء ليحيى، والخميس لآدم، والجمعة لمحمد ﷺ وأمته، فتعجب موسى من فضل هذه الأمة)[٣]

وقال ﷺ: [٤] «**فضل الله أهل المدن علىٰ القرى كفضل أهل السماء علىٰ أهل الأرض لأجل الجمعة والجماعات**»

---

(١) كذا بالأصل ومعناه أمسى

(٢) الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب والفناء في البلوى بلا ظهور شكوى وهو علىٰ أقسام فصبر علىٰ ما هو كسب للعبد وصبر علىٰ ما ليس بكسب والصبر علىٰ المكتسب قسمان: صبر علىٰ ما أمر الله تعالىٰ به، وصبر علىٰ ما نهى عنه، وأما الصبر علىٰ ما ليس بمكتسب للعبد فصيره علىٰ مقاساة ما يتصل به من حكم الله فيما يناله فيه من مشقة

المعجم الصوفي (ص ـ ١٤٠، ١٤١) .

(٣) وجدناه بالهامش

(٤) أخرجه: ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ١١٩، ٤٠٢)

برواية أنس رضي الله عنه

وقال ﷺ: «**من أدرك الجمعة فله عند الله أجر مائة شهيد**»، برواية ابن عباس وابن عمرو

وقال ﷺ: «**من ترك ثلاث جمع متواليات من غير عذر طبع الله علىٰ قلبه، ومن طبع علىٰ قلبه يجعل في أسفل السافلين دركات جهنم**»(١) برواية أنس بن مالك.

ركعتان في يوم الجمعة أفضل من ألف ركعة في غير الجمعة ، وتسبيحة واحدة في يوم الجمعة أفضل من ألف تسبيحة في غيره

باب فضيلة الأضحية

عن أنس قال: ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيديه وكبر، قال: رأيته واضعًا قدمه علىٰ صفاحهما وهو يقول: بسم الله أكبر(٢)

عن جابر قال: ذبح النبي ﷺ يوم الذبح كبشين أملحين أقرنين موجبين فلما ذبحهما قال: إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من

(١) أخرجه: أوله حتى: «**على قلبه**» أبو داود في سننه (١٠٥٢) كتاب الصلاة، باب التشديد في ترك الجمعة، والنسائي (٣/ ٨٨ ـ المجتبى) وأحمد في مسنده (٣/ ٤٢٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٠٩)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٢١٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٣٧١، ١٣٧٢)

(٢) أخرجه: البخاري (٥٥٦٥) في الأضاحي، ١٤ ـ باب التكبير عند الذبح البخاري في صحيحه (٥٥٥٣، ٥٥٥٤) كتاب الأضاحي، ٧ ـ باب في أضحية النبي ﷺ بكبشين أقرنين

ومسلم في صحيحه[١٧ ـ (١٩٦٦)] كتاب الأضاحي، ٣ ـ باب استحباب الأضحية وذبحها مباشرة بلا توكيل والتسمية والتكبير .

وأبو داود في سننه (٢٧٩٤) كتاب الضحايا، باب ما يستحب من الضحايا، والنسائي (٧/ ٢٣١، ٧/ ٢٣٠ ـ المجتبى) .

المشركين إن صلاتي ونُسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم منك ولك عن محمد وأمته بسم الله والله أكبر»[١]

وقال ﷺ: **«كل بيت لم يضح اشتكت إلىٰ الله بإنزال البلاء»**

وفي أخبار داود ﷺ أنه قال: إلهي ما ثواب من ضحى من أمة محمد ﷺ قال: يا داود ثوابه أعطيه بكل شعرة علىٰ جسدها عشر حسنات وأمحي عنه عشر سيئات وله بقرونها مثلان من النور، يا داود أما علمت أن الضحايا هي المطايا تمح الخطايا، والضحايا تدفع البلاء

وقال ﷺ: **«من رأى هلال ذي الحجة وأراد أن يضحي فلا يأخذ من شعره ولا من أظفاره[٢] ويجوز الأضحية عن الميت»**

باب زيارة القبور

اعلم أن زيارة القبور مستحبة علىٰ الجملة، وزيارة قبور الصالحين محبوبة

(١) أخرجه: أبو داود في سننه (٢٧٩٥) كتاب الضحايا، باب ما يستحب من الضحايا

قال النووي: قال ابن الأعرابي وغيره: الأملح هو الأبيض الخالص البياض، وقال الأصمعي هو الأبيض ويشوبه شيء من السواد، وقال أبو حاتم: هو الذي يخالط بياضه حمرة، وقال الكسائي هو الذي فيه بياض وسواد والبياض أكثر .

وقال الخطابي هو الأبيض الذي في خلل صوفه طبقات سود، وقال الداودي هو المتغير الشعر بسواد وبياض، وقوله: أقرنين أي لكل واحد منهما قرنان حسنان .

قال العلماء: فيستحب الأقرن، وأجمع العلماء علىٰ جواز التضحية بالأجم الذي لم يخلق له قرنان، واختلفوا في مكسور القرن فجوزه الشافعي وأبو حنيفة والجمهور سواء كان يدمي أم لا، وكرهه مالك إذا كان يدمي وجعله عيبًا، وأجمعوا علىٰ استحباب استحسانها واختيار أكملها .

النووي في شرح مسلم (١٣/ ١٠٢) طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) أخرجه: مسلم في صحيحة [٤٠ ـ (١٩٧٧)] في الأضاحي، باب نهى من دخل عشر ذي الحجه أن يأخذ من شعره الترمذي في سننه (١٥٢٣) كتاب الأضاحي، باب ترك أخذ الشعر لمن أراد أن يضحي، وأبو داود في سننه (٢٧٩١) كتاب الضحايا، باب الرجل يأخذ من شعره في العشر وهو يريد أن يضحي

والنسائي (٧/ ٢١١ ـ المجتبى) وابن ماجه في سننه (٣١٥٠) الأضاحي، باب من أراد أن يضحي فلا يأخذ قي العشر من شعره وأظافره .

لأجل التبرك مع الاعتبار وقد كان رسول الله ﷺ نهى عن زيارة القبور ثم أذن فيه[١]

وزار رسول الله ﷺ قبر أمه في ألف، فلم ير باكيًا أكثر من يومئذ[٢]

وفيه قال: «**أذن لي في الزيارة دون الاستغفار**»[٣]

ولا بأس بخروج المرأة في ثياب بذلة ترد أعين الناس عنها بشرط الاقتصار علىٰ الدعاء وترك الحديث علىٰ رأس القبر

وقال أبو ذر قال رسول الله ﷺ: «**زُر القبر تذكر بها الآخرة، واغسل الموتى فإن معالجة جسد خاوي موعظة بليغة وصلي علىٰ الجنازة لعل ذلك أن يحزنك فإن الحزين سكن ظل الله**»

وقال ﷺ: «**من زار قبر أبويه أو أحديهما في كل جمعة غُفر له، فيكتبه الله من البارين**»[٤]

والمستحب في زيارة القبور أن يقف مستدبرًا القبلة مستقبلا لوجه الميت وأن يسلم ولا يمسح القبر ولا يقبله، فإن ذلك من عادة النصارى

---

(١) أخرجه: ابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٣٤٢، ٣٤٣)

(٢) أخرجه: ابن عبد البر في التمهيد (٣/ ٢٣٠)

(٣) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٣٥٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (١/ ١٤٨)
وبلفظ: « **استأذنت ربي أن استغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي**» .
أخرجه: ـ مسلم في صحيحه [١٠٥ ـ (٩٧٦)] كتاب الجنائز ٣٦ ـ باب استئذان النبي ﷺ ربه ﷻ في زيارة قبر أمه، وابو داود في الجنائز (٨١) .
وابن ماجه (١٥٧٢)، والنسائي (٤/ ٩٠ ـ المجتبى وأحمد في مسنده (٢/ ٤٤١)، والزبيدي في الإتحاف (٣٥٢٨٠، ٣٦٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٧٦٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٥٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٣٤٣) والبيهقي في السنن الكبري (٤/ ٧٠)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٧٥)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٢/ ١٣٧) .

(٤) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٣٦٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٧٤، ٥/ ٢٧٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٥٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٧٦٨)، والشجري في أماليه (٢/ ١٢٢)، والفتني في تذكره الموضوعات (٢١٩)، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (٢/ ٢٣٤)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٤٩)

قال ﷺ: **«إن الرجل ليموت والداه وهو عاق بهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين»**(١)

وقال رجل من آل عاصم الجحدري: رأيت عاصم في المنام بعد موته بسنتين، فقلت فأين أنت؟

قال: في روضة من رياض الجنة نجتمع في كل ليلة الجمعة وصبيحتها إلىٰ بكر بن عبد الله المزني فيتلقاني أخباركم

قلت: أرواحكم أو أجسادكم؟ فقال: هيهات بليت الأجسام وإنما تتلاقى الأرواح

قلت: فهل تعلمون بزيارتنا إياكم

قال: نعلم بها عشية الخميس ويوم الجمعة كلها ويوم السبت إلىٰ طلوع الشمس.

قلت: فكيف ذاك دون الأيام؟

قال: لفضل يوم الجمعة، وعظمه

قال ﷺ: **«ما الميت في قبره إلا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من ابنه أو أخيه أو صديق له، فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها، وإن هدايا الأحياء للأموات الدعاء والاستغفار»**(٢)

عن بعضهم قال: مات أخ لي فرأيته في المنام فقلت ما كان حالك حيث وضعت في القبر؟

قال: أتاني آت بشهاب من نار، فلولا أن داعيًا دعا لي لرأيته أنه سيضربني

---

(١) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٣٦٣)، والعراقي في المغني عن حمل الاسفار (٤/ ٤٧٤)

(٢) أخرجه: التبريزي في مشكاة المصابيح (٢٣٥٥)، والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٣٦٧)، والذهبي في ميزان الاعتدال (٧٣٠)، وابن حجر في لسان الميزان (٥/ ٣٣٩)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٤/ ٤٧٦)

به، وعن هذا يستحب تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له(١)

قال: بلغنا أن صالح المُري أقبل في ليلة الجمعة يريد المسجد الجامع ليصلي فيه صلاة الفجر فمر بمقبرة فقال: اقمت حتى يطلع الفجر فصلى ركعتين واتكأ علىٰ قبر فغلبت عيناه في المنام فكأن أهل القبور قد خرجوا فقعدوا حلقًا حلقا يتحدثون فإذا شاب عليه ثياب دنسة فقعد في جانب مغمومًا فلم يلبثوا إذ أقبلت أطباقًا عليها الطعام، مغطاة بمناديل

فكلما جاء أحد منهم طبق أخذه ودخل في قبره بقي الفتى في آخر القوم فلم يأتيه شيء فقام حزينًا ليدخل قبره

فقلت له: يا عبد الله ما لي أراك حزينًا ، وما الذي رأيت؟ فقال: يا صالح المُري وهل رأيت الأطباق؟ قلت: نعم فما هي؟ فقال: تلك أطباق الأحياء لأمواتهم كلما تصدقوا ودعوا لهم ذلك في يوم الجمعة، وإني رجل من أهل السند أقبلت بوالدتي نريد الحج، فلما صرت بالبصرة توفيت، وتزوجت والدتي بعدي ولم تذكرني لزوجها وألهتها الدنيا، فما تذكرني بشفقة ولا بلسان، فيحق لي الحزن بذلك، إذ ليس لي من يذكرني من بعد

قال صالح قلت: وأين منزلها؟ فوصف لي المواضع فلما أصبحت وقضيت صلاتي أقبلت وسألت عن منزلها فأرشدت إليها، فجئت واستأذنت فأذن لي بالدخول، فدخلت(٢)

---

(١) روى أبو داود في سننه (٣٢٢١) عن عثمان بن عفان ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: «**استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل**»

وفى مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٣٣٠) عن علي ﷺ أنه كبر علىٰ يزيد بن مكفف أربعا ثم قام علىٰ القبر فقال « **اللهم عبدك نزل بك اليوم، وأنت خير منزول به اللهم وسع له مدخله، واغفر له ذنبه فإنا لانعلم الا خيرًا وأنت أعلم به**» .

وفيه ايضا عن أنس أنه كان إذا سوى علىٰ الميت قبره قام عليه ثم قال: «**اللهم عبدك رد اليك فارأف به وارحمه اللهم جاف الأرض عن جنبيه وافتح أبواب السماء لروحه وتقبله منك بقبول حسن اللهم إن كان محسنًا فضاعف له في إحسانه وإن كان مسيئا فتجاوز عن سيئاته**» .

(٢) روى مسلم في صحيحه [١٠٢ ـ (٩٧٤)] كتاب الجنائز، ٣٥ ـ باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلىٰ البقيع فيقول: « **السلام عليكم دار قوم مؤمنين وآتاكم ماتوعدون غدا مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد**»

=

فقلت لها: أحب أن لا يسمع كلامي وكلامك أحد، فدنوت فقلت، يرحمك الله هل لك من ولد، قالت: لا، فهل كان لك ولد

فتنفست وقالت: قد كان لي ومات وهو شاب فقصصت عليها القصة

قال: فبكت حتى انحدرت دموعها علىٰ خدودها ثم قالت: يا صالح المري ذاك ما زال عن كبدي وأحشائي ثم دفعت إلي ألف درهم وقالت: تصدق بها عن حبيبي وقرة عيني ولا أنساه بالدعاء والصدقة فيما بقي من عمري

قال: فانطلقت فتصدقت بألف درهم، فلما كان يوم الجمعة الأخرى أقبلت أريد الجامع فأتيت المقبرة وصليت ركعتين فأسندت إلىٰ قبر محففة برأسي فإذا أنا بالقوم قد خرجوا وإذا الفتى عليه ثياب بيض فرحًا مسرورًا أقبل حتى دنا مني ثم قال: يا صالح المري جزاك الله عني خيرًا، قد وصلت إلينا الهدية فقلت لهم أنتم تعرفون ليلة الجمعة؟

قال: نعم إن الطيور في الهواء يقولون سلام سلام ليوم صالح يعني يوم الجمعة.

ورأى أمير خراسان أباه في المنام فقال له يا أمير إذا أكلت اللحم فأطعمنا العظام فاطرح بين يدي السنانير والكلاب، واجعل ثوابه لنا[1] فإنا نشتهي اللحم

قال ﷺ: «**إذا تصدق بنيته للميت أمر الله تعالىٰ إلىٰ جبرائيل أن يحمل إلىٰ**

= قال النووي في الاحاديث فيه استحباب هذا القول لزائر القبور، وفيه ترجيح لقول من قال في قوله: «**سلام عليكم دار قوم مؤمنين**» أن معناه أهل دار قوم مؤمنين وفيه أن المسلم والمؤمن قد يكونان بمعنى واحد. وفيما تقدم من زيارة النبي ﷺ لقبر أمه

قال النووي: فيه جواز زيارة المشركين في الحياة وقبورهم بعد الوفاة لأنه إذا جازت زيارتهم بعد الوفاة ففي الحياة أولى، وفيه النهي عن الاستغفار للكفار.

النووي في شرح مسلم (٧/ ٣٨، ٣٩) طبعة دار الكتب العلمية.

(١) روى مسلم في صحيحه [٥١ ـ (١٠٠٤)] كتاب الزكاة، ١٥ ـ باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه، عن عائشة أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن أمي افتلتت نفسها ولم توص وأظنها لو تكلمت تصدقت أفلها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: «**نعم**»

في الحديث أن الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها وهو كذلك بإجماع العلماء، وكذا أجمعوا علىٰ وصول الدعاء وقضاء الدين بالنصوص الواردة في الجميع ويصح الحج عن الميت إذا كان حج الإسلام، واختلف العلماء في الصوم والراجح جوازه عنه.

قبره ويقول السلام عليك وليّ الله هذه هدية فلان ابن فلان إليك، فيتلألأ قبره نور وأعطاه الله ألف مدينة في الجنة وزوجه ألف حور، وألبسه ألف حُلة وقضى ألف حاجة»

صلاة الخسوف وهي ركعتان وركوعان وقيامان والسنة أن يقرأ في الركعة الأولى فاتحة الكتاب وسورة البقرة، فإن لم يحفظها فليقرأ خمسًا وعشرين مرة الإخلاص وإلا (فإذا الشمس كورت) ثم يركع ويسبح فيها مائة مرة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، أو خمسين مرة، أو خمسًا وعشرين مرة، وفي القيام الثاني يقرأ بعد الفاتحة سورة آل عمران وإن لم يحفظها فالإخلاص عشرين مرة وإلا فإذا السماء انفطرت

ثم يركع ويسبح فيه أربعين مرة ثم يسجد ولا يطول السجود، ثم يقرأ في القيام الثالث النساء ، روى الإخلاص ثمانية وعشرين مرة، أو والشمس ثم يركع ويسبح فيه ثلاثين ، ثم يقرأ في القيام الرابع المائدة، أو الإخلاص خمس عشر مرة أو والليل ثم يركع ويسبح فيه خمسة وعشرين مرة، ثم يسجد ويقرأ التشهد ويُسلم ولو اقتصر علىٰ الفاتحة في كل قيام أجزاءه، ولو اقتصر علىٰ سور قصار أجزأ ومقصود التطويل دوام الصلاة إلىٰ الانجلاء (من الإحياء)[١]

باب التعزية والبكاء

قال رسول الله ﷺ: «**النياحة من عمل الجاهلية**»[٢] ، والنياحة كلمات منظومة تشبه الشعر

ذلك كراهية تحريم لما فيه من تجديد الحزن ومنع الصبر وعظم الإثم

والجاهلية أيامها من لدُن عيسى إلىٰ نبينا محمد ﷺ

---

(١) وجدناه بالهامش

انظر إحياء علوم الدين في كيفية صلاة الكسوف والخسوف .

(٢) أخرجه: ابن ماجه في سننه (١٥٨١ ، ١٥٨٢) كتاب الجنائز، باب في النهي عن النياحة. والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٥١)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٢٥)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٤٤٧)]

والبكاء يجوز(١) من غير ندب ونياحة والمنهي هو الندب، والنياحة أن يقول من مات له قريب: وايلاه واحسرتاه

والندب أن يعده عند البكاء بخصال الميت أن يقول واشجاعاه واأسداه

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**هذه النوائح يجعلن يوم القيامة صفين فينبحن كما ينبح الكلاب**»

وقال: «**ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية**»(٢)

وقال: «**أنا بريء ممن خلق وسلق وخرق**»(٣)

وقال: «**أربع من أمتي من أمر الجاهلية لا يتركوهن الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة**»

---

(١) فيما رواه مسلم عن ابن عمر رفعه «**إن الميت ليعذب ببكاء أهله**» قال النووي: تأولها الجمهور علىٰ من وصى بأن يبكى عليه ويناح بعد موته فنفذت وصيته، فهذا يعذب ببكاء أهله عليه ونوحهم لأنه بسببه ومنسوب إليه قالوا: فأما من بكى عليه أهله وناحوا من غير وصية منه فلا يعذب لقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [**الأنعام: ١٦٤**] قالوا: وكان من عادة العرب الوصية بذلك، ومنه قول طرفة بن العبد:

إذا مت فانعيني بما أنا أهله وشقي علي الجيب يا ابنة معبد

قالوا: فخرج الحديث مطلقا حملا علىٰ ما كان معتادا لهم.

وقالت طائفة: هو محمول علىٰ من أوصى بالبكاء والنوح أو لم يوص بتركهما فمن أوصى بهما أو أهمل الوصية بتركهما يعذب بهما لتفريطه بإهمال الوصية بتركهما، فأما من وصى بتركهما فلا يعذب بهما إذ لا صنع له فيهما ولا تفريط منه وحاصل هذا القول إيجاب الوصية بتركهما، ومن أهملهما عذب بهما.

النووى في [شرح مسلم (٦/ ٢٠٣) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ١٠٣، ١٠٤) ومسلم في صحيحه [١٦٥ . (١٠٣)] كتاب الإيمان، ٤ . باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٦٧ . (١٠٤) كتاب الإيمان ٤٤ باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية، وأحمد في مسنده (٤/ ٤١١)، وأبو داود في مسنده (٣١٣٠)، والنسائي (٤/ ٢٠ المجتبى) والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٥٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٢٩٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد

وقال: «**النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب**»(١)

وقال: «**من عزَّى مصابًا فله مثل أجره**»(٢)

وعن أبي بردة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من عزَّى ثكلى كُسي بردًا في الجنة**»(٣)

وقال: «**من عزَّى بعزايا الجاهلية، فاعضوه بهن أبيه سترا**» (٤)

ويندب تهيئة طعام لأهل الميت ويكون بحيث يشبعهم في يومهم وليلتهم، لأن النبي ﷺ لما مات جعفر بن أبي طالب قال: «**اصنعوا لآل جعفر طعاما فإنه قد جاء ما يشغلهم**»(٥)

وقال ابن الصباغ: فأما إصلاح أهل الميت طعامًا وجمع الناس إليه، فلم ينقل شيء فيه وهو بدعة غير مستحبة

(إصلاح أهل الميت بدعة غير واجب، وكل بدعة ضلالة وضلالة يعني منهي عنها من رسول الله ﷺ

قال النبي ﷺ: « **من أطعم علىٰ أهل الميت أو أكل عندهم فالله ورسوله**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٩ . (٩٣٤)] كتاب الجنائز، ١٠ . باب التشديد في النياحة، والترمذي في سننه (١٠٠١)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٥٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٦٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٧٢١)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٥٢)]

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (١٠٧٣)، وابن ماجه في سننه (١٦٠٢)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٣٠٧)، وابن حجر في التلخيص (٢/ ١٣٨)]

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (١٠٧٦) وتلخيص الحبير (٢/ ١٣٨)، والألباني في إرواء الغليل (٣/ ٢١٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٧٣٨)، والسيوطي في اللآلئ (٢/ ٢٢٦)]

(٤) كذا بالأصل

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (٣١٣٢)، والترمذي في سننه (٩٩٨)، وابن ماجه في سننه (١٦١٠)، وأحمد في مسنده (١/ ٢٠٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٩١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٧٢)، والدارقطني في السنن الكبرى (٢/ ٧٧)، وعبد الرزاق في مصنفه (٦٦٦٥، ٦٦٦٦)، التبريزي في مشكاة المصابيح (١٧٣٩)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٢/ ١٣٨)]

بريئان منه وهو طريق الجاهلية، ومن طريق الكافرين (محيط) »(١)

باب الوعيد لمانع الزكاة

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾(٢) الآية

واختلفوا في معنى الكنز، فقال ابن عباس والسدي والضحاك وغيره: كل ما أدى زكاته فليس بكنز وإن كان تحت الأرض، وكل ما لم يؤد زكاته فهو كنز وإن كان فوق الأرض

وقيل: كل ما فضل من المال عن حاجته فهو كنز وهو يدل عليه، ما روي لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ(٣): «**تبًا للذهب تبًا للفضة**» يقول لها ثلاثًا، فشق ذلك علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ، وقال المهاجرون: فأي المال نتخذ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لسانا ذاكرًا وقلبا شاكرا وزوجة مؤمنة تعين أحدكم علىٰ دينه**»

عن أبي ذر قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة ، فلما رآني

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) سورة التوبة (٣٤)

قال مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر: الكنز هو المال الذي لا تؤدى زكاته، وروى الثوري وغيره عن عُبَيد الله عن نافع عن ابن عمر قال: ما أُدِّي زكاتُه فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين وما كان ظاهرا لا تؤدى زكاته فهو كنز .

وقد رُوي هذا عن ابن عباس وجابر وأبي هريرة موقوفا ومرفوعا وعمر بن الخطاب نحوه: أيما مال أديت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونا في الأرض، وأيما مال لم تؤد زكاته فهو كنز يكوى به صاحبه وإن كان علىٰ وجه الأرض .

وروى البخاري من حديث الزهري عن خالد بن أسلم قال: خرجنا مع عبد الله بن عمر فقال: هذا قبل أن تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها الله طُهرًا للأموال .

(٣) أخرجه: أحمد في مسنده (٥/٣٦٦)، والشجري في أماليه (٢/ ١٦٩)، والقرطبي في تفسيره (٨/ ١٢٧) والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٣٢)، والواحدي في أسباب النزول (١٦٥)]

قد أقبلت قال: «**هم الأخسرون ورب الكعبة هم الأخسرون**» (١)

قال: فدخلني غم وجعلني أتنفس وقلت: هذا شيء حدث، ثم قلت ومن هم فداك أبي وأمي؟ قال: «**هم الأكثرون إلا من قال بالمال هكذا وهكذا وهكذا في عباد الله، عن يمينه وشماله ومن أمامه ومن خلفه وقليل ما هم**»(٢)

قال: مات رجل من أهل الصفة فوجد في مئزره دينار، فقال النبي ﷺ: «**كيتان**»(٣) فلما نزلت هذه الآية كبر ذلك علىٰ المسلمين وقالوا: ما يستطيع أحد منا أن يدع لولده مال يبقى بعده

قال عمر: أنا أفرج عنكم، فانطلق واتبعه ثوبان فأتى النبي ﷺ وقال: يا نبي الله إنه قد كبر علىٰ أصحابك هذه الآية

فقال ﷺ: «**إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقي من أموالكم، وإنما فرض المواريث في أموال تبقى بعدكم**»

---

(١) قوله ﷺ: «**هم الأخسرون ورب الكعبة**» فيه الحث علىٰ الصدقة في وجوه الخير وأنه لا يقتصر علىٰ نوع من وجوه البر، بل ينفق في كل وجه من وجوه الخير يحضر، وفيه جواز الحلف بغير تحليف بل هو مستحب إذا كان فيه مصلحة كتوكيد أمر وتحقيقه ونفي المجاز عنه .

وأما إشارته ﷺ إلىٰ قدام ووراء والجانبين فمعناها ما ذكرنا أنه ينبغي أن ينفق متى حضر أمر مهم .

[النووي في شرح مسلم (٧/ ٦٤) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه (٦٦٣٨) كتاب الأيمان والنذور، ٣ . باب كيف كانت يمين النبي ﷺ

ومسلم في صحيحه [٣٠ . (٩٩٠) كتاب الزكاة، ٨ . باب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة والترمذي (٦١٧)، كتاب الزكاة، باب ما جاء عن رسول الله ﷺ في منع الزكاة من التشديد، والنسائي (٥/ ١٠ المجتبى) وأحمد بن حنبل في مسنده (٥/ ١٥٢، ١٥٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٩٧، ١٠/ ٢٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ٢٤٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٨٥)] .

(٣) أخرجه: أحمد في مسنده (١/ ١٣٧، ١٣٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٤١)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١٤٨)، وابن حبان في صحيحه . الموارد (٢٤٨١)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٦٤٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٣٧٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٧)، والزبيدي في الاتحاف (٩/ ٥٠٥)، والشجري في أماليه (٢/ ٢٠٥، ٢١٣)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٢٧١)]

ثم قال: «**ألا أخبركم بخير ما يكنز الرجل، المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته**»(١)

عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «**ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أُحمي عليه في نار جهنم فيجعل صحائفا فتكوى بها جبينه وجنباه حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون . ثم يرى سبيله إما إلىٰ الجنة أو إلىٰ النار .**

وما من صاحب غنم لا يؤدي زكاتها إلا بُطح لها بقاع قرقر كأوفر ما كانت فتطؤه بأظلافها وتنطحه بقرونها ليس فيها عصفا ولا جلحا كلما مضى عليه آخره ردت عليها أولاها حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون(٢)

ثم يرى سبيله إما إلىٰ الجنة وإما إلىٰ النار، وكذلك صاحب الإبل»(٣)

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (١٦٦٤) كتاب الزكاة، باب في حقوق المال والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٨٣)، والحاكم في مستدركه (١/ ٤٠٨)، وابن كثير في تفسيره (٤/ ٨٢)، التبريزي في مشكاة المصابيح (١٧٨١)، والقرطبي في تفسيره (٨/ ١٢٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٣٢)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٨)] .

(٢) قال النووي: قوله ﷺ: «**ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته**»: قال الطبري: الكنز كل شيء مجموع بعضه علىٰ بعض سواء كان في بطن الأرض أم علىٰ ظهرها زاد صاحب العين وغيره وكان مخزونا قال القاضي: واختلف السلف في المراد بالكنز المذكور في القرآن والحديث، فقال أكثرهم: هو كل مال وجبت فيه الزكاة فلم تؤد فأما مال أخرجت زكاته فليس بكنز، وقيل: الكنز هو المذكور عن أهل اللغة ولكن الآية منسوخة بوجوب الزكاة وقيل: المراد بالآية أهل الكتاب المذكورون قبل ذلك، وقيل كان ما زاد علىٰ أربعة آلاف فهو كنز وإن أديت زكاته وقيل هو ما فضل عن الحاجة ولعل هذا كان في أول الإسلام وضيق الحال واتفق أئمة الفتوى علىٰ القول الأول، وهو الصحيح لقوله ﷺ: «**ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته وذكر عقابه**» وفي الحديث الآخر من كان عنده مال فلم يؤد زكاته مثل له شجاعا أقرع وفي آخره فيقول أنا كنزك

[النووي في شرح مسلم (٧/ ٥٩، ٦٠) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٣) أخرجه مسلم في [٢٦ . (٩٨٧)، كتاب الزكاة ٦ . باب إثم مانع الزكاة وأبو داود في سننه (١٦٥٨) كتاب الزكاة باب في حقوق المال وأحمد في مسنده (٢/ ٣٨٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٨١) وابن كثير في تفسيره (٨/ ٢٥١)]

وروي عن ثوبان أن النبي ﷺ كان يقول: «**من ترك بعده كنزًا مثل له يوم القيامة شجاع أقرع له زبيبتان يتبعه يقول ويلك من أنت فيقول أنا كنزك التي تركته بعدك، فلا يزال يتبعه حتى يلقم يده، فيقضمها ثم يلقم سائر جسده**»[(١)]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من عبد يكون له مال فيمنعه من حقه ويضيعه في غير حقه إلا مثل الله شجاع**[(٢)] **أقرع مشى الريح لا يمر بأحد إلا استعاذ منه حتى مر صاحبه قال: أعوذ بالله منك.**

قال: لم تستعيذ مني وأنا مالك الذي كنت تبخل به في الدنيا، فطوقه في عنقه حتى يدخله جهنم»

عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «**ما خالطت الصدقة مالاً إلا أهلكته**»[(٣)]

وقال ﷺ: «**ما حبس قوم الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر**» [(٤)]

وأنشد فيه:

يا مانع الزكاة كم تظن به   طمع بالله في الخلود معه
هل حمل المال ميت معه   أما تراه لغيره جمعه

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**ثلاثة من تركهن فهو عدوي**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٧ ٩٨٧] كتاب الزكاة باب إثم مانع الزكاة والحاكم في المستدرك (١/ ٣٨٨)، وابن حبان في صحيحه (٨٠٣ . الموارد)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٢٥ . الموارد) وابن حجر في المطالب العالية (٨٧١)]

(٢) انظر مسلم في صحيحه [٢٧. (٩٨٨)] كتاب الزكاة بلفظ «**ولا صاحب كنز لا يفعل فيه حقه إلا جاء كنزه يوم القيامة شجاعا أقرع يتبعه فاتحا فاه فإذا أتاه فر منه فيناديه، خذ كنزك الذي خبأته فأنا عنه غني فإذا رأى أن لا بد منه، سلك يده في فيه فيقضمها قضم الفحل**»

قال النووي: الشجاع الحية الذكر والأقرع الذي تمعط شعره لكثرة سمه وقيل الشجاع الذي يواثب الراجل والفارس ويقوم علىٰ ذنبه وربما بلغ رأس الفارس ويكون في الصحاري.

قال القاضي: ظاهره أن الله تعالىٰ خلق هذا الشجاع لعذابه ومعنى مثل له: أي نصب وصير: بمعنى أن ماله يصير علىٰ صورة الشجاع.

(٣) أخرجه: الحميدي في مسنده (٢٣٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٦٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٤٣)

(٤) أخرجه: ابن أبي حاتم في علل الحديث (٦٣٠) وبنحوه: الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٦٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٤٣)]

حقا، ومن أخذ بهت فهو ولي حقا: الصلاة والصوم والزكاة»(١)

بِرواية علي رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**فرض للفقراء في أموال الأغنياء**(٢) **قدر ما يسعهم فإن منعوهم حتى يجوعوا أو يعروا حاسبهم الله حسابًا شديدا وعذبهم عذابا أليما»**

عن أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ(٣): «**من أدى زكاة ماله قيمته وافية طيبة بها نفسه سُمي في السماء سخيًا، وفي الثانية مباركًا محفوظًا عليه ماله، وفي الثالثة جوادًا، وفي الرابعة مطيعًا، وفي الخامسة بارًّا، وفي السادسة محفوظا عليها، وفي السابعة مغفورا له، ومن لم يؤد زكاة ماله سُمي في السماء الدنيا بخيلا**(٤)**، وفي الثانية هالكًا، وفي الثالثة متمسكا، وفي الرابعة ممقوتا، وفي الخامسة عاصيًا، وفي السادسة غير محفوظ عليها في سهل ولا جبل ولا بحر ولا بر، وفي السابعة مردود عليه صلاته وصيامه مضروب بهما وجهه»**

---

(١) أخرجه: ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٤/ ١٦٣٨)]

(٢) الزكاة في اللغة النماء والتطهير، فالمال ينمى بها من حيث لا يرى وهي مطهرة لمؤديها من الذنوب وقيل: ينمى أجرها عند الله تعالى، وسميت في الشرع زكاة لوجود المعنى اللغوي فيها، وقيل: لأنها تزكي صاحبها، وتشهد بصحة إيمانه كما سبق في قوله ﷺ«**والصدقة برهان**»

وسميت صدقة لأنها دليل لتصديق صاحبها وصحة إيمانه بظاهره وباطنه، قال القاضي عياض رحمه الله: قال المازري رحمه الله: قد أفهم الشرع أن الزكاة وجبت للمواساة وأن المواساة لا تكون إلا في مال له بال وهو النصاب ثم جعلها في الأموال الثابتة وهي العين والزرع والماشية وأجمعوا علىٰ وجوب الزكاة في هذه الأنواع واختلفوا فيما سواها كالعروض.
[النووي في شرح مسلم (٧/ ٤٢، ٤٣) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه: البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٨٤، ١٣٣، ١٣٧)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٣٣٦)]

(٤) روى مسلم في صحيحه [٥٧. (١٠١٠)] كتاب الزكاة ١٧. باب في المنفق والممسك، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفا ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفا**»

قال النووي: قال العلماء: هذا في الإنفاق في الطاعات ومكارم الأخلاق وعلىٰ العيال والضيفان والصدقات ونحو ذلك، بحيث لا يذم ولا يسمى سرفا والإمساك المذموم هو الإمساك عن هذا.

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ [(١)]: «**الدين خمس لا يقبل الله تعالىٰ منها شيئًا دون شيء: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإيمانًا بالله وملائكته وكتبه ورسله[(٢)] والجنة والنار والبعث بعد الموت. هذه واحدة** .

والصلوات الخمس لا يقبل الله تعالىٰ الإيمان إلا بالصلاة والزكاة طهورًا للذنوب لا يقبل الله الإيمان ولا الصلاة إلا بالزكاة

ومن فعل هؤلاء وترك صيام رمضان متعمدًا لم يقبل الله تعالىٰ منه الإيمان ولا الصلاة ولا الزكاة

ومن فعل هؤلاء الأربع ثم تيسر له الحج ثم لم يحج أو لم يوص بحجه لم يقبل الله تعالىٰ منه الإيمان ولا الصلاة ولا الزكاة ولا الصيام

لأن الحج فريضة من فرائض الله تعالىٰ ولم يقبل شيء من فرائضه بعضها دون بعض

---

(١) أخرجه: أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٢٠١)، وابن أبي حاتم في علل الحديث (٨٧٩)].

(٢) روى البخاري في صحيحه (٥٠) كتاب الإيمان ٣٨. باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، عن أبي هريرة رفعه «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث**»

قال: ما الإسلام؟ قال: «**الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان**» .

قال: ما الإحسان؟، قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».... الحديث . وكذا رواه مسلم في صحيحه [٥. (٩)] كتاب الإيمان ١ت باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان .

قال النووي: قوله ﷺ «**الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا . . . الى آخره**»:

أما العبادة فهي الطاعة مع خضوع فيحتمل أن يكون المراد بالعبادة هنا معرفة الله تعالىٰ والإقرار بوحدانيته، فعلى هذا يكون عطف الصلاة والصوم والزكاة عليها لإدخالها في الإسلام، فإنها لم تكن دخلت في العبادة، وعلىٰ هذا إنما اقتصر علىٰ هذه الثلاث لكونها من أركان الإسلام وأظهر شعائره والباقي ملحق بها.

باب فضيلة الصدقة[١]

قال رسول الله ﷺ للزبير[٢]: « **يا زبير أتدرون ماذا قال ربكم، قال: الله ورسوله أعلم، قال: قال الله تعالىٰ: عبدي أنفق أنفق عليك ووسع أوسع عليك ولا تضيق فأضيق عليك وإن أبواب الرزق مفتوحة متواصلة إلىٰ العرش لا يغلق ليل ولا نهار، تبارك وتعالى منه الرزق علىٰ كل أمر بقدر نيته وعطيته ونفقته من أكثر أكثر له[٣]، ومن أقل أقل له ومن أمسك أمسك عليه .**

يا زبير: كل وأطعم ولا تحصي فيحصي عليك ولا تقتر فيقتر عليك إن الله يحب الإنفاق ويبغض الاقتار، وإن السخاء من اليقين والبخل من الشك .

ولا يدخل النار من أنفق ولا يدخل الجنة من أمسك»

قال ﷺ: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة**» [٤]

---

(١) أخرجه: السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٣٩)، في جامع المسانيد (٢/ ٢٢٦)]

(٢) سميت صدقه لأنها دليل لتصديق صاحبها وصحة إيمانه بظاهره وباطنه

(٣) حديث مسلم «**كل معروف صدقة**» عن حذيفة رقم (٥٢) كتاب الزكاه، ١٦. باب بيان أن اسم الصدقة يقع علىٰ كل نوع من المعروف

وفي رقم (٥٣)عن أبي ذر رفعه، وفيه«**إن بكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة وفي بضع أحدكم صدقة قالوا يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجرا**» .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٤١٧)، كتاب الزكاة ١١ . باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة، ومسلم في صحيحه [٦٨ . (١٠١٦)] كتاب الزكاة ٢٠ باب الحث علىٰ الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار

والنسائي (٥/ ٧٥ . المجتبى) وأحمد في مسنده (٤/ ٢٥٦، ٢٥٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٢٥)، والدارمي في سننه (١/ ١٩٠)، وابن عبد البر في التمهيد (٤/ ٣٠٢)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٦٤)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٥٥)، والزبيدي في الاتحاف (١٠/ ٤٧٠)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٣١٥)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٤٢٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ١١٠)] .

أي ادفعوا النار عن أنفسكم بالخيرات من الصدقات ولو بنصف تمرة، فإن الصدقة تدفع النار وإن كانت قليلة

وقال ﷺ: «**الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار**»[(١)] مصابيح

قوله ﷺ: «**الصدقة تطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء**» [(٢)]

قال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه: إن الصدقة لتدفع سبعين بابًا من السوء[(٣)] نقل من المجموع[(٤)]

(فكان النبي ﷺ لا يكلم خصلتين إلىٰ تمرة، كان يضع طهوره بالليل والخميرة سبعين بابا من السوء)[(٥)] وفضل سرها علىٰ علانيتها سبعين ضعفا وإنها لتفك لحى سبعين شيطانًا

وقال معاذ: ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا إلا الحبة من الصدقة

وكانت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما إذا أرسلتا إلىٰ الفقير قالتا للرسول احفظ ما يدعو به ثم تردان عليه مثل قوله وتقولان حتى تخلص لنا صدقتنا

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٦١٤، ٢٦٢٦)، وابن ماجه في سننه (٣٩٧٣، ٤٢١٠)، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٢١، ٣٩٩)، والقضاعي في مسند الشهاب (١٠٤، ١٠٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ١٥، وابن حبان في صحيحه (٢٦١، ١٥٦٩ . الموارد) والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١١، ٢١)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٥٥)، والزبيدي في الاتحاف (٨/ ٥٠)، والألباني في إرواء الغليل (٢/ ١٣٨).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ١٤٥) والهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٧٠، ١١٠)، وابن حبان في صحيحه (٨١٦ . الموارد)، وآخره في مسند أحمد (٣/ ٢٠٥)]

(٣) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٤/ ١٦٧، ١٧٣) والألباني في إرواء الغليل (٣/ ٣٩٣) والخطيب في تاريخ بغداد (٨/ ٢٠٨)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٢٩)]

(٤) وجدناه بالهامش

(٥) كذا بالأصل

باب فضيلة الصيام[١]

قال الله تعالىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ **[البَقَرَة: الآية ١٨٥]** [٢] الآية

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن رمضان سيد الشهور وأعظمها حرمة**» [٣]

كان رسول الله ﷺ لما[٤] حضر شهر رمضان قال: «**سبحان الله ماذا تستقبلون وماذا يستقبلكم قالها ثلاثا**»

قال عمر: يا رسول الله أوحي نزل أو عدو حضر؟

قال: «**لا ولكن الله يغفر في أول ليلة من رمضان لكل أهل هذه القبلة**» [٥]

(وقال ﷺ: «**من صلى ركعتين في أول ليلة من رمضان يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة إنا فتحنا لك فتحا مرة، وقرأ بعد السلام إنا أنزلناه عشر، وصلى عليَّ عشرا**[٦] **لم يخرج من الدنيا حتى يرى ربه جل جلاله في المنام أو يرى ليلة القدر**

---

(١) الصيام هو في اللغة الإمساك، وفي الشرع إمساك مخصوص في زمن مخصوص من شخص مخصوص بشرطه

(٢) يمدح تعالىٰ شهر الصيام من بين سائر الشهور بأن اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم وكما اختصه بذلك قد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل فيه علىٰ الأنبياء

(٣) أخرجه: العجلوني في كشف الخفا (١/ ٥٥٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٤٠)، والسيوطى في الدر المنثور (١/ ١٨٦)]

(٤) كذا بالأصل وأظنها (إذا»

(٥) أخرجه: السيوطي في الدر المنثور (١/ ١٨٥)، والعقيلي في الضعفاء (٣/ ٢٦٦)، والدولابي في الكنى والأسماء (١/ ١٠٧)]

(٦) روى مسلم في صحيحه [٧٠. (٤٠٨)] كتاب الصلاة، ١٧. باب الصلاة علىٰ النبي ﷺ بعد التشهد. عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**من صلى عليَّ واحدة، صلى الله عليه عشرا**»

ومن رآها لم يعذبه الله عذابا ولم يحاسبه ولم ينشر كتابه ويدخل الجنة بغير حساب»[١]

وقال ﷺ: « **من صلى كل ليلة من رمضان ركعتين يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله أحد ثلاثا إن شاء في أول الليل وإن شاء في آخره أعطاه الله بكل ركعة ثواب سبعين عمرة وسبعين رقبة يعتقها ويجعل له نصيبا في ثواب الملائكة والأنبياء والشهداء والصالحين»**

ويزيد الله تبارك وتعالى في عمره، ويبارك له في رزقه، وكان يوم القيامة من الناجين» [٢]

عن سلمان الفارسي قال: خطبنا رسول الله ﷺ قال: «**يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم شهر فيه ليلة القدر خير من ألف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا من تقرب، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر**[٣] **الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة وشهر يزيد فيه رزق المؤمن**

---

(١) في دخول الجنة بغير حساب روى البخاري في صحيحه (٦٥٤١) كتاب الرقاق، ٥٠. باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب، عن أبي هريرة، ورقم (٦٥٤٣) عن سهل بن سعد وفي الأول «**هؤلاء أمتك وهؤلاء سبعون ألفا قدامهم لا حساب عليهم**».... . الحديث

وكذا رواه مسلم في صحيحه [٣٦٧. (٢١٦) كتاب الإيمان، ٩٤. باب الدليل علىٰ دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، عن أبي هريرة رفعه بلفظ: «**يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا بغير حساب**» و قال النووي فيه عظم ما أكرم الله سبحانه وتعالى به النبي ﷺ وأمته زادها الله فضلا وشرفا. وقد جاء في صحيح مسلم سبعون ألفا مع كل واحد منهم سبعون ألفا .

[النووي في شرح مسلم (٣/ ٧٥) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) قال النووي: قوله ﷺ «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار**» فيه دليل للمذهب الصحيح المختار الذي ذهب إليه البخاري والمحققون أنه يجوز أن يقال رمضان من غير ذكر الشهر بلا كراهة وفي هذه المسألة ثلاثة مذاهب، قالت طائفة: لا يقال رمضان علىٰ انفراده بحال، وإنما يقال شهر رمضان، هذا قول أصحاب مالك وزعم هؤلاء أن رمضان اسم من أسماء الله تعالىٰ فلا يطلق علىٰ غيره إلا بقيد، وقال أكثر أصحابنا وابن الباقلاني إن كان هناك قرينة تصرفه إلىٰ الشهر فلا كراهة وإلا فيكره، قالوا: فيقال صمنا رمضان قمنا رمضان، =

وشهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار .

ومن فطَّر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبة من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيئًا»

قالوا: يا رسول الله ليس كلنا نجد ما يفطر الصائم

فقال رسول الله ﷺ[1]: «**يعطي الله هذا الثواب من فطر صائما علىٰ مزقة لبن أو تمرة أو شربة ماء**»

ومن أشبع صائما فيه سقاه الله من الحوض شربة لا يظمأ أبدا حتى يدخل الجنة، وكان كمن أعتق رقبة، ومن خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار فاستكثروا فيه من أربع خصال خصلتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه وأما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الجنة وتعوذون من النار»[2]

= ورمضان أفضل الأشهر، ويندب طلب ليلة القدر في أواخر رمضان وأشباه ذلك ولا كراهة في هذا كله وإنما يكره أن يقال جاء رمضان ودخل رمضان وحضر رمضان ونحو ذلك، والمذهب الثالث مذهب البخاري والمحققين أنه لا كراهة في إطلاق رمضان بقرينة وبغير قرينة وهذا المذهب هو الصواب

شرح مسلم للنووي (٧/ ١٦٤) .

(١) أخرجه: المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٩٥، ١٤٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٩٦٥)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٨٤)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٨٧١)

(٢) تقدم تخريجه قبل هذا

قال النووي: قال القاضي عياض رحمه الله: اختلف الناس فيمن عصى الله تعالىٰ من أهل الشهادتين فقالت المرجئة: لا تضره المعصية مع الإيمان وقالت الخوارج: تضره ويكفر بها، وقالت المعتزلة: يخلد في النار إذا كانت معصيته كبيرة ولا يوصف بأنه مؤمن ولا كافر ولكن يوصف بأنه فاسق

وقالت الأشعرية: بل هو مؤمن وإن لم يغفر له وعذب فلا بد من إخراجه من النار وإدخاله الجنة قال: وهذا الحديث حجة علىٰ الخوارج والمعتزلة وأما المرجئة فإن احتجت بظاهره قلنا محمله علىٰ أنه غفر له أو أخرج من النار بالشفاعة ثم أدخل الجنة فيكون معنى قوله ﷺ: «**دخل الجنة**» أي دخلها بعد مجازاته بالعذاب وهذا لا بد من تأويله لما جاء في ظواهر كثيرة من عذاب بعض العصاة، فلا بد من تأويل هذا لئلا تتناقض نصوص الشريعة .

[النووي في شرح مسلم (١/ ١٩٤) طبعة دار الكتب العلمية] .

(قال رسول الله ﷺ: «**من صام يوما من رمضان خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**» (١)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ جالسًا مع أصحابه أتاه نفر من اليهود سألوه مسائل منها: لم فرض الله تعالىٰ عليك وعلىٰ أمتك صوم ثلاثين؟

فقال ﷺ: « **لأن أبانا آدم عليه السلام أكل من تلك الشجرة المنهية فبقيت تلك اللقمة التي أكلها في بطنه شهرًا، فابتلى الله تعالىٰ ذريته من هذه الأمة بصوم ذلك القدر من الأيام**» فقالوا صدقت)(٢)

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ (٣): «**أبواب السماء وأبواب الجنة لتفتح لأول ليلة من شهر رمضان فلا يغلق إلىٰ آخر ليلة منه، وما من عبد يصلي في ليلة منها إلا كتب الله بكل سجدة ألف وسبعمائة حسنة وبنى له بيتا في الجنة من ياقوتة حمراء، فإذا صام أول يوم من شهر رمضان غفر الله له كل ذنب إلىٰ آخر يوم من رمضان وكان بكل يوم يصومه قصرًا في الجنة، وله ألف باب من ذهب يستغفر له ألف ملك من غدوة إلىٰ أن توار الحجاب وكان له بكل سجدة يسجدها من ليل أو نهار شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها أبدًا**»

وقال ﷺ: «**نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح ودعائه مستجاب وعمله مضاعف**» (٤)

---

(١) بلفظ: «**من صام يوما في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا**» أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ٣٢)، ومسلم في صحيحه (١٦٨) كتاب الصيام ٣١. باب فضل الصيام في سبيل الله يطيفه

قال النووي: فيه فصيلة الصيام في سبيل الله وهو محمول علىٰ من لا يتضرر به لايفوت به حق ولا يختل به قتاله ولاغيره من مهمات والخريف السنة، والمراد سبعين سنة .

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) أخرجه: أحمد في مسنده (٥/ ٤١٧)، والبيهقي في السنن الكبري (٢/ ٧٨٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٤٢)، والطبراني في المعجم الصغير (١/ ١١٧)]

(٤) أخرجه: الزبيدي في الاتحاف (٤/ ١٩٢، ٥/ ١٥٧)، والشجري في أماليه (١/ ٢٨١)، والعراقي في المغني عن حمل الاسفار (١/ ٢٣٢)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٨٠)، وأبو نعيم في حلية الاولياء (٥/ ١٨٣)، وعلي القاري في الاسرار المرفوعة (٣٧٤)

وقال ﷺ: «**لو أن الله أذن السموات والأرض أن تتكلما لبشرتا من صام رمضان بالجنة**» (١)

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**رأيت ليلة أسري بي عند سدرة المنتهى ملكا لم أر مثله طولا وعرضا، طوله مسيرة ألف ألف سنة، وله سبعون ألف رأس في كل رأس سبعون ألف وجه في كل وجه سبعون ألف فم، علىٰ رأسه سبعون ألف ذؤابة(٢) من نور، وعلىٰ ذؤابه ألف ألف لؤلؤة معلقة بقدرة الله في جوف كل لؤلؤة بحر حيتان كل حوت مقدار مائتي عام مكتوب علىٰ ظهرهن لا إله إلا الله محمد رسول الله .**

وذلك الملك واضع يده والأخرى علىٰ ظهرها فإذا سبح اهتز العرش بحسن صوته

فسألت جبريل: أي خلق هذا؟

قال: هذا ملك خُلق قبل آدم بألفي عام .فقلت: أين كان هذا إلىٰ هذه الغاية؟

قال: إن الله مرجا في الجنة تحت العرش وكان هذا في ذلك المرج فأمر به في ذلك المكان(٣) لأجلك فسلم عليه وسلمت عليه ولم يسمع كلامي لاشتغاله بالتسبيح

---

(١) أخرجه: ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٩١)، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (٢/ ١٥٨)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (١/ ٢١٢)، وابن القيسراني في تذكرة الموضوعات (٦٣٩)

لخص القاضي عياض في الإسراء جملا حسنة نفيسة فقال: اختلف الناس في الإسراء برسول الله ﷺ فقيل: إنما كان جميع ذلك في المنام والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أسري بجسده ﷺ والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها ولا يعدل عن ظاهرها إلا بدليل ولا استحالة في حملها عليه فيحتاج إلىٰ تأويل .

النووى في [شرح مسلم (٢/ ١٨١) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٢) الذؤابة: من كل شيء أعلاه، وهو شعر مقدم الرأس، والطرف، جمعها: ذوائب

(٣) فيما روى مسلم في صحيحه [٢٧٩. (١٧٣)] كتاب الايمان، ٧٦. باب في ذكر سدرة المنتهى، عن عبد الله بن مسعود قال: لما أسري برسول الله ﷺ انتهى به إلىٰ سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة إليها ينتهي ما يهبط به من فوقها. . . . . الحديث

قال النووي: هذ تقدم في الروايات الأخر من حديث أنس أنها فوق السماء السابعة، قال القاضي: كونها في السابعة هو الأصح وقول الأكثرين وهو الذي يقتضيه المعنى، وتسميتها =

حتى قال جبرائيل: هذا محمد، فنبسط الملك جناحين أخضرين حتى ملأ السموات والأرضين وضمني إلىٰ صدره وقبلني وقال: يا محمد أبشر فإن الله قد غفر لك ولأمتك بسبب شهر رمضان

فرأيت صندوقين بين يديه علىٰ كل صندوق مائة ألف قفل من النور فسألت جبرائيل عن الصندوقين؟

فقال: سله بنفسك يا محمد

فسألته، قال: إن في هذا الصندوق براءة الصائمين من أمتك من عذاب جهنم وأنا شاهد عليها، طوبى لك ولأمتك»

وحكي عن بعض أهل العلم قال: كان عندنا رجل اسمه محمد، وكان لا يصلي قط[١]، فإذا دخل شهر رمضان زين نفسه بالثياب والطيب ويصوم ويصلي يقضي ما فات منه

= بالمنتهى .
قلت: أي النووي: ويمكن أن يجمع بينهما فيكون أصلها في السادسة ومعظمها في السابعة، فقد علم أنها في نهاية من العظم وقد قال الخليل رَحِمَهُ اللَّهُ: هي سدرة في السماء السابعة قد أظلت السموات والجنة، وقد تقدم ما حكيناه عن القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُفي قوله: إن مقتضى خروج النهرين الظاهرين النيل والفرات من أصل سدرة المنتهى أن يكون أصلها في الأرض فإن سلم له هذا أمكن حمله علىٰ ما ذكرناه والله أعلم
[النووي في شرح مسلم (٣/٣) طبعة دار الكتب العلمية] .

(١) روى مسلم في صحيحه [١٣٤. (٨٢)] كتاب الإيمان ٣٥. باب بيان إطلاق اسم الكفر علىٰ من ترك الصلاة. عن جابر بن عبد الله سمعت رسول الله ﷺ: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»

وقال النووي: تارك الصلاة إن كان منكرا لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين خارج من ملة الإسلام إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام، ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه، وإن كان تركه تكاسلا مع اعتقاده وجوبها كما هو حال كثير من الناس، فقد اختلف العلماء فيه فذهب مالك والشافعي رحمهما الله والجماهير من السلف والخلف إلىٰ أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب، فإن تاب وإلا قتلناه حداً كالزاني المحصن ولكنه يقتل بالسيف .
وذهب جماعة من السلف إلىٰ أنه يكفر وهو مروي عن علي بن أبي طالب وهو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل، وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة والمزني صاحب الشافعي رحمهما الله أنه لا يكفر ولا يقتل، بل يعزر ويحبس حتى يصلي .
[النووي في شرح مسلم (٢/ ٦١) طبعة دار الكتب العلمية] .

فقلت له في ذلك

فقال: هذا شهر التوبة والرحمة والبركة عسى الله يتجاوز عني بفضله

فمات فرأيته يوما في المنام فقلت ما فعل الله بك؟

فقال: غفر الله لي لأجل حرمة رمضان

وحكي أن مجوسي رأى ابنه يأكل في رمضان فضربه

فقال له: قال لأنك لم تحفظ حرمة المسلمين في رمضان لما أكلت جهارا

فمات المجوسي في ذلك الأسبوع فرآه عالم البلدة في المنام علىٰ سرير العز في الجنة فقال: ألست مجوسيًا؟

فقال: بلى ولكن وقت الموت سمعت نداء من فوقي لا أترك مجوسيًا(١) فأكرمني بالإسلام بحرمة رمضان

فالمجوسي باحترامه شهر رمضان وجد الأمان فكيف لمن صام رمضان واحترمه سبعين سنة . نقل من زهرة الرياض)(٢)

وناجى موسى عليه السلام ربه فقال: إلهي هل أكرمت أحدًا مثل ما أكرمتني أسمعتني كلامك(٣)

---

(١) المجوس فرقة عبدوا الله من حيث الأحدية، فكما أن الأحدية مفنية لجميع المراتب والأسماء والأوصاف، فكذلك النار، فإنها أقوى العناصر وأرفعها فإنها مفنية لجميع الطبائع بمحازاتها لا تقاربها طبيعة إلا وتستحيل إلىٰ النارية لغلبة قوتها فكذلك الأحدية لا يقابها اسم ولا وصف إلا ويندرج فيها يضمحل فلهذه اللطيفة عبدوا النار وحقيقتها ذاته تعالىٰ
المعجم الصوفي (ص٢٢١)

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) كلام الله في الجملة صفة واحدة نفسية لكن لها جهتين: الأولى علىٰ نوعين الأول: أن يكون الكلام صادرًا عن مقام العزة بأمر الألوهية ليجري الكون علىٰ ما أمره به وإلى هذا أشار الله تعالىٰ بقوله للسماء والأرض ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾، والثاني: أن يصدر الكلام من مقام الربوبية بلغة الإنس كالكتب المنزلة علىٰ أنبيائه والمكالمات لهم ولمن دونهم من الأنبياء ولذلك وقعت الطاعة والمعصية في الأوامر المنزلة لأن الكلام صدر بلغة الإنس فهم في الطاعة كالمخيرين

وأما الجهة الثانية فكلام الحق نفس أعيان الممكنات وكل ممكن كلمة من كلماته ولذا لا نفود للممكن قال تعالىٰ: ﴿لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾ [**الكهف: الآية ١٠٩**] ، المعجم الصوفي (ص٢٠٩)

قال: يا موسى إن لي عبادًا أخرجهم في آخر الزمان وأكرمهم بشهر رمضان وأن أكون أقرب إليهم منك، فإني كلمتك بيني وبينك سبعون ألف حجاب، فإذا صامت أمة محمد ﷺ حتى أبيضت شفاههم واصفرت ألوانهم أدفع تلك الحجب وقت الإفطار .

يا موسى طوبى لمن عطش كبده وجاع في رمضان فإني لا أجازيهم دون لقائي، خلوف فمهم عندي أطيب من ريح المسك

ومن صام استوجب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر[(١)]

قال موسى: إلهي أكرمني بشهر رمضان

قال: هذا لأمة محمد ﷺ

باب الشروط الباطنة في الصيام

اعلم أن تمام الصيام ستة أمور: الأول غض البصر عن النظر[(٢)] إلىٰ ما يذم ويكره، وإلى كل ما يلهي القلب عن ذكر الله تعالىٰ

قال ﷺ: «**خمسة يفطرن الصائم: الكذب، والنميمة والغيبة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة**»[(٣)]

الثاني: حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٢. (٢٨٢٤)] كتاب الجنة، وصفة نعيمها وأهلها، في مقدمته، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**قال الله ﷻ: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر**»

(٢) في النظر روى مسلم في صحيحه [٤٥. (٢١٥٩)] كتاب الآداب، ١٠. باب نظر الفجأة، عن عبد الله بن مسعود سألت رسول الله ﷺ «**عن نظرة الفجأة، فأمرني أن أصرف بصري**»

قال النووي: معنى نظر الفجأة أن يقع بصره علىٰ الأجنبية من غير قصد فلا إثم عليه في أول ذلك ويجب عليه أن يصرف بصره في الحال، وإن استدام النظر أثم لهذا الحديث .

(٣) أخرجه الزبيدي في الاتحاف (٤/ ٢٤٥)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٩٦)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٢٣٥)، والسيوطي في اللآلئ (٢/ ٦٠)، والزيلعي في نصب الراية (٢/ ٤٨٣)]

قال ﷺ: «**الصوم جنة فإذا صام أحدكم فلا يرفث ولا يجهل، وإن أمرؤ شاتمه أو قاتله فليقل إني صائم**» [(١)]

قال ﷺ: «**من اغتاب خرق صومه فليرفعه بالاستغفار**» [(٢)]

الثالث: كف السمع عن الاصغاء إلىٰ كل مكروه

وقال ﷺ: «**المغتاب والمستمع شريكان في الإثم**» [(٣)]

(وإن من الناس من يكمل صومه صوم رمضان واحد في عشرين رمضان وإن العبيد يصح له صوم يوم من خمسة أيام كما تصح له صلاة واحدة في خمس صلوات)[(٤)]

الرابع: كف بقية الجوارح عن المكاره ، وكف البطن عن الإفطار بالحرام والشبهات

فمثال هذا: الصائم الذي يفطر علىٰ الحرام مثال من يبني قصرًا ويهدم مصرًا، فإن الحرام سُم يهلك الدين، والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره، فالعبد الحافظ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ١٧٥)، ومسلم في صحيحه [١٦٢، ١٦٣)، كتاب الصيام ٣٠ ـ باب فضل الصيام، والترمذي في سننه (٦١٤)، في الصلاة باب ذكر فضل الصلاة والنسائي (٤/ ١٦٦ ـ المجتبى) وابن ماجه في سننه (٣٩٧٣)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٠٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٤٢)]

(٢) أخرجه بلفظ: من اغتاب أخاه فاستغفر له وبلفظ آخر: «**من اغتاب رجلا ثم استغفر له من بعد ذلك غفرت له غيبته**» أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٧/ ٥٥٨، ٥٥٩)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ١٦٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٢٥٤)، وابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١١٩)]

(٣) أخرجه الزبيدي في الاتحاف (٧/ ٥٣، ٤/ ٢٤٧)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٢٣٦)، وعلي القاري في الأسرار المرفوعة، والفتني في تذكرة الموضوعات (١٧٠)].

(٤) قال الحنفية: ما يوجب القضاء والكفارة معا أمران: الأول: الأكل أو الشرب، والثاني أن يقضي شهوة الفرج كاملة وقالت الحنفية: يفسد الصوم بالجماع الذي يوجب الغسل ويفسد به صوم البالغ من الواطئ والموطوء وقالت الحنابلة: القضاء والكفارة علىٰ من وطئ سواء متعمدًا أو ساهيًا أو عالمًا أو جاهلا مختارًا أو مكرهًا أو مخطئًا كمن وطئ وهو يعتقد أن الفجر لم يحن ثم تبين أنه وطئ بعد الفجر والشافعية قالوا: ما يوجب القضاء والكفارة ينحصر في شيء واحد هو الجماع، فإن وطئ ظانًا بقاء الليل أو دخول المغرب ثم تبين أنه جامع نهارًا فلا كفارة عليه الفقه علىٰ المذاهب الأربعة (١/ ٥٢٥ ـ ٥٣٨)

لحدود الله إن أفطر بالأكل والجماع[١] فهو صائم عند الله في الفضل، ومن صام بالأكل والجماع[٢] وتعد الحدود فهو مفطر عند الله صائم عند نفسه

وكل حرام عليك أن تفعله فحرام عليك أن تفطر إليه أو يخطر ببالك

وقد سوى الله بين المستمع والقائل إنكم إذا مثلهم

الخامس: أن لا تستكثر من الحلال عند الافطار بحيث تمتلئ ، فما من وعاء أبغض إلىٰ الله من بطن مُلئ من الحلال

وكيف يستفاد من الصوم، إذا تدارك الصائم عند الفطر ما فاته ضحوة النهار حتى استمرت العادات لبعض الناس أن يدخر لرمضان جميع ألوان الأطعمة، فيؤكل فيه، ما لا يؤكل في عدة شهور

فإن مقصود الصوم كسر الهوى التي هي وسائل الشيطان

ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل، وهي أن يأكل كل ليلة لو لم يصم، فإن لم يكن كذلك لم ينتفع بصومه

السادس: أن يكون قلبه بعد الإفطار مفطر بين الخوف والرجاء، إذ ليس يدري أتقبل صومه فهو من المقربين أم رد عليه فهو من الممقوتين

ولكن كذلك من آخر كل عبادة يفرغ منها

---

(١) هذا كلام بالأصل ولا أفهمه

(٢) اختلفوا فيما إذا طلع الفجر وهو مخالط فقال أبو حنيفة إن نزع في الحال صح صومه ولا قضاء عليه وإن استدام فعليه القضاء دون الكفارة وقال زفر: إن ثبت علىٰ ذلك أو نزع فلا كفارة عليه وعليه القضاء وقال مالك: إن استدام فعليه القضاء والكفارة وإن نزع فالقضاء فقط، وقال الشافعي: إن نزع مع طلوع الفجر صح صومه وإن لم ينزع بل استدام وجب عليه القضاء والكفارة.
وقال أحمد: إذا طلع الفجر وهو مخالط وجب عليه القضاء والكفارة معًا، سواء نزع في الحال أم استدام. [اختلاف الأئمة العلماء (١/ ٢٣٤، ٢٣٥)
من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية] .

باب فضيلة ليلة القدر

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [**القدر: الآية ١**] [١] الآية

(واختلفوا في ليلة القدر فقال بعضهم: في ليلة سبع وعشرين، وبعضهم في الخامس وعشرين، وبعضهم في الثالث وعشرين وبعضهم في الحادي وعشرين، وبعضهم في التاسع

وقال أكثر الصحابة منهم ابن عمر وابن عباس أنها ليلة السابع والعشرين وهو أشبه الأقاويل بالتأويل وأقرب إلىٰ الصواب ويدل عليه كتاب الله وسنة رسول الله

وقال ﷺ: «**من أحيا ليلة سبع وعشرين من رمضان إلىٰ الصبح فهو أحب إليّ من قيام شهر رمضان كلها**»

فقالت فاطمة: يا أبت ما يصنع الضعفاء من الرجال والنساء الذين لا يقدرون علىٰ القيام قال: «**يا فاطمة والذي بعثني بالحق نبيا ما من رجل ولا امرأة يضعف عن القيام بتلك الليلة، ثم يضعون الوسائد فيكونون عليها ويقعدون ساعة تلك الليلة**[٢] **ويدعون الله** ﷻ إلا كان ذلك أحب من جميع أمتي قيام شهر رمضان كله،

---

(١) يخبر الله تعالىٰ أنه أنزل القرآن ليلة القدر وهي الليلة المباركة التي قال الله ﷻ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [**الدّخان: الآية ٣**] وهي ليلة القدر وهي من شهر رمضان كما قال تعالىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [**البَقَرة: الآية ١٨٥**] قال ابن عباس وغيره: أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلىٰ بيت العِزّة من السماء الدنيا ثم نزل مفصلا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة علىٰ رسول الله ﷺ، ثم قال تعالىٰ مُعَظِّما لشأن ليلة القدر التي اختصها بإنزال القرآن العظيم فيها فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ تفسير ابن كثير (٤/ ٥٢٩)]

(٢) قال العلماء: وسميت ليلة القدر لما يكتب فيها للملائكة من الأقدار والأرزاق والآجال التي تكون في تلك السنة كقوله تعالىٰ: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤﴾ [**القَدر: الآية ٤**] ومعناه يظهر للملائكة ما سيكون فيها ويأمرهم بفعل ما هو من وظيفتهم وكل ذلك مما سبق علم الله تعالىٰ به وتقديره له، وقيل: سميت ليلة القدر لعظم قدرها وشرفها، وأجمع من يعتد به علىٰ وجودها ودوامها إلىٰ آخر الدهر للأحاديث الصحيحة المشهورة، قال القاضي: واختلفوا في محلها فقال جماعة: هي منتقلة تكون في سنة في ليلة وفي سنة أخرى في ليلة أخرى وهكذا، وبهذا يجمع بين الأحاديث ويقال: كل حديث جاء بأحد أوقاتها ولا تعارض فيها

[النووي في شرح مسلم (٨/ ٤٦) طبعة دار الكتب العلمية] .

وقد فاتهم تلك الليلة » نقل من زهرة الرياض)[١]

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « **من أحيا ليلة القدر وصلى فيها ركعتين فاستغفر فيها ربه غفر الله له وخاض في رحمة الله، ومسحه جبرائيل بجناحه ومن مسحه جبرائيل دخل الجنة**» [٢]

ومن شرف هذه الليلة أن نورًا يقع من السماء ومثل العلم فتخرق سبعين ألف حجاب فيقع النور من العرش علىٰ الثرى فيسجد لله جميع الخلق من النبات والأشجار والمياه والأنهار

قوله تعالىٰ: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾ **[القَدر: الآية ٣]** [٣] أي ليلة التقدر يقدر فيها الآجال والأمراض والمصائب، وكم يهب الريح والبلايا والعافية والفرح والأمطار كلها والثلج كل عام كم يمطر في هذه السنة وكم تثلج وكم يهب الريح ريح الدبور وريح الصبا والجنوب والشمال كل واحد كم يهبه، ثم يسلم إلىٰ خزائنه كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾[٤] فيقدر فيه أرزاق كل شيء من الجن

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) بلفظ: «**من صلى ليلة القدر**» أخرجه: الخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ٣٣٠)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٤/ ١٤٠٠)]

(٣) اتفقوا علىٰ أن ليلة القدر تطلب في شهر رمضان إلا أبا حنيفة فإنه قال: هي في جميع السنة ثم اختلف المتفقون علىٰ أنها في شهر رمضان في آكد لياليه تختفي فيها

فقال الشافعي: ليلة ثلاث وعشرين وقال مالك: ليالي الإفراد من العشر الأواخر كلها سواء، وقال أحمد ليلة سبع وعشرين .

قال المؤلف: والذي رأيته أنا في ليلة الحادية والعشرين كما ذكرت من قبل إلا أنها ليلة جمعة .

وأخبرني من أثق به أنه رآها ليلة سبع وعشرين .

[اختلاف الأئمة العلماء (١/ ٢٥٧، ٢٥٨) من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية] .

(٤) يخبر تعالىٰ أنه مالك كل شيء، وأن كل شيء سهل عليه يسير لديه وأن عنده خزائن الأشياء من جميع الصنوف ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ﴾ **[الحِجر: الآية ٢١]** كما يشاء وكما يريد ولما له في ذلك من الحكمة البالغة والرحمة بعباده لا علىٰ وجه الوجوب بل هو كتب علىٰ نفسه الرحمة، قال يزيد بن أبي زياد عن أبي جحيفة عن عبد الله: ما من عام بأمطر من عام ولكن الله يقسمه حيث شاء عاما هاهنا وعاما هاهنا ثم قرأ ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١﴾ **[الحِجر: الآية ٢١]** رواه ابن جرير

[تفسير ابن كثير (٢/ ٥٦٥)] .

والإنس والطيور والوحوش والسباع وعدد أنفاسهم وحركاتهم وحياتهم وموتهم ثم يسلم إلىٰ ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥﴾ (١)

ويعطى لملك الموت دفتراً ونسخة بحال السنة والشهور وأيامها وساعاتها

فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وإذا كان ليلة القدر أمر الله الملائكة بالنزول إلىٰ الأرض

لأن العباد تزينوا أنفسهم بالطاعة والصوم والصلاة ومساجدهم بالمسابيح

يقول الله: يا جبرائيل الطاهر وميكائيل الذاكر ويا إسرافيل الراكع اختاروا من الملائكة أرحمهم واقصدوا زيارة العصاة

فيرسل الملائكة ـ يعني جبرائيل ـ الطاهرين إلىٰ العصاة، فأرسل الله جبرائيل ، قال الله: عبدي مكانك حتى ينزل إليك معراجك وهو سلام الله عليه

فمن كان جالساً(٢) سلم عليه الملك ومن كان ذاكرًا سلم عليه ميكائيل، ومن كان مصليًا سلم عليه الرب

فينزلون مع كل واحد منهم سبعون ألف ملك معهم أربعة ألوية ، لواء الحمد ولواء المغفرة ولواء الرحمة ولواء الكرامة

فسمع أهل كل سماء حتى الحور في الجنان فيقلن يا رضوان: ما هذه الليلة فيقول هذه ليلة العرض يعرض أزواجكن عليكن فيرفع الحجب حتى ينظرن إلىٰ أزواجهن فينزل الملائكة فينصبون لواء المغفرة علىٰ قبر محمد ﷺ فلا يغفر الله تلك

---

(١) سورة النازعات (٥)

قال علي ومجاهد وعطاء وأبو صالح والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدي هي الملائكة زاد الحسن تدبر الأمر من السماء إلىٰ الأرض يعني بأمر ربها ﷻ ولم يختلفوا في هذا ولم يقطع ابن جرير بالمراد في شيء من ذلك إلا أنه حكى في فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا أنها الملائكة ولا أثبت ولا نفى .

تفسير ابن كثير (٤/ ٤٦٦) .

(٢) روى مسلم في صحيحه [٢٧٣. (٦٤٩)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٤٩. باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الملائكة تصلي علىٰ أحدكم ما دام في مجلسه تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث وأحدكم في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه**»

الليلة لمؤمن ولا مؤمنة إلا علم ذلك محمد ﷺ في قبره وينصب لواء المغفرة فوق الكعبة، ولواء الكرامة فوق الصخرة ببيت المقدس، ولواء الحمد بين السماء والأرض مكتوب علىٰ الألوية لا إله إلا الله محمد رسول الله فلا يبقى بيت فيها مؤمن ولا مؤمنة إلا دخله ملك وسلك عليه إلا البيعة والكنيسة وبيت الأصنام[١] والنار، والأماكن التي يطرح فيها الخبائث وبيت فيه خمر، ومدمن خمر وقاطع الرحم

ولا يدعون أحدًا إلا صافحوه ويسلمون عليه وعلامة ذلك يقشعر جلده ورقا قلبه، ودمعت عينه

ومن قال لا إله إلا الله ثلاث مرات في ليلة القدر غفر له بواحدة، وبواحدة يدخل الجنة وبواحدة يرضى عنه

قيل: وإن كان منافقًا، قال: والذي نفسي بيده إن ليلة القدر[٢] تثقل علىٰ المنافقين والكافرين حتى كأنه جبل فلا يقدر أن يذكر الله، فلجبرائيل جناحان من النور ينشرهما في تلك الليلة من المشرق إلىٰ المغرب

وعلامة ليلة القدر أن الشمس لا شعار لها من الغد، فإذا انفجر الصبح وأراد الرجوع يقول الله يا جبرائيل امكثوا حتى يُصلى الفجر، فمن لم يحضرنا الليلة

---

(١) في إزالة الأصنام من حول الكعبة روى مسلم في صحيحه [٨٧. (١٧٨١)] كتاب الجهاد والسير ٣٢ـ باب إزالة الأصنام من حول الكعبة عن عبد الله قال: دخل النبي ﷺ مكة وحول الكعبة ثلاث مائة وستون نصبا، فجعل يطعنها بعود كان بيده ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [**الإسراء: الآية ٨١**]، ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ زاد ابن أبي عمر يوم الفتح .

(٢) قول مالك والثوري وأحمد وإسحاق وأبي ثور وغيرهم وإنما تنتقل في العشر الأواخر من رمضان وقيل: بل في كله، وقيل: إنها معينة فلا تنتقل أبدا بل هي ليلة معينة في جميع السنين لا تفارقها وعلىٰ هذا قيل: في السنة كلها وهو قول ابن مسعود وأبي حنيفة وصاحبيه، وقيل: بل في شهر رمضان كله وهو قول ابن عمر وجماعة من الصحابة وقيل: بل في العشر الوسط والأواخر وقيل: في العشر الأواخر، وقيل: تختص بأوتار العشر، وقيل بأشفاعها كما في حديث أبي سعيد، وقيل: بل في ثلاث وعشرين أو سبع وعشرين، وهو قول ابن عباس، وقيل: تطلب في ليلة سبع عشرة أو إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين، وحكي عن علي وابن مسعود وقيل: ليلة ثلاث وعشرين وهو قول كثيرين من الصحابة وغيرهم

[النووي في شرح مسلم (٨/ ٤٧) طبعة دار الكتب العلمية] .

فسيحضر الصلاة، فسلم عليه حتى أن ملكًا يذهب إلىٰ النائم سبعين مرة حتى استيقظ فيبلغه السلام، ثم ينادى جبرائيل فيجتمعون عنده ويقولون: يا جبرائيل ما فعل الله بأمة محمد ﷺ ؟

فيقول: قد غفر لمحسنهم وتجاوز عن مسيئهم إلا مدمن الخمر(١) وقاطع الرحم والنمام

ثم يصعدون إلىٰ السماء فيسألهم أهل السماء: أين كنتم؟ فيقولون كنا عند أمة محمد ﷺ ثم يصعدون إلىٰ السماء الثانية إلىٰ سدرة المنتهى، فتقول السدرة حدثني عن سكاني فيقولون غفر لهم، ثم اهتزت السدرة فتسمع جنة المأوى وتقول لم اهتززت يا سدرة؟ فتقول: حدثني سكاني عن جبرائيل إن الله غفر لأمة محمد ﷺ، فاهتزت جنة المأوى ثم جنة النعيم ثم جنة الفردوس ثم جنة عدن ثم الكرسي ثم العرش

فيقول صدق جبرائيل صدق سدرة المنتهى، صدق جنة النعيم، صدق جنة الفردوس، صدق جنة عدن، صدق الكرسي، صدق العرش إني غفرت لأمة محمد ﷺ ولهم عندي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر

اللهم ارزقنا يا رب العالمين

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٧٣. (٢٠٥٣)] كتاب الأشربة، ٧. باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام، عن ابن عمر قال: قال سول الله ﷺ: «**كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتب لم يشربها في الآخرة**»

قال النووي: معناه أنه يحرم شربها في الجنة وإن دخلها فإنها من فاخر شراب الجنة فيمنعها هذا العاصي بشربها في الدنيا، قيل: إنه ينسى شهوتها لأن الجنة فيها كل ما يشتهي وقيل: لا يشتهيها وإن ذكرها، ويكون هذا نقص نعيم في حقه تمييزا بينه وبين تارك شربها وفي هذا الحديث دليل علىٰ أن التوبة تكفر المعاصي الكبائر، وهو مجمع عليه، واختلف متكلمو أهل السنة في أن تكفيرها قطعي أو ظني وهو الأقوى والله أعلم .

[النووي في شرح مسلم (٣/ ١٤٧)

طبعة دار الكتب العلمية] .

باب فضيلة أيام البيض(١)

روى عبد الملك بن هارون عن أبيه عن جده قال: سمعت عليًا ﷺ يقول: أتيت رسول الله ﷺ ذات يوم عند انتصاف النهار وهو في الحجرة فسلمت عليه، فرد عليَّ

ثم قال: «**يا علي هذا جبرائيل يقرئك السلام**»

فقلت: عليك وعليه السلام يا رسول الله، ثم قال: «**ادن مني**» فدنوت، فقال: «**يا علي يقول لك جبرائيل** ﷺ: صم من كل شهر ثلاثة أيام يكتب لك في أول يوم عشرة الآف سنة، وباليوم الثاني ثلاثين ألف سنة، وباليوم الثالث مائة ألف سنة»

فقلت: هذا الثواب لي خاصة أم للناس عامة؟

فقال: «**يعطي الله هذا الثواب لمن يعمل مثل عملك بعدك**»

فقلت: يا رسول الله فما هم؟

قال: «**أيام البيض ثالث عشر وأربع عشر وخمس عشر**»

فقلت لعلي: لأي شيء سميت أيام البيض(٢)؟

---

(١) روى الترمذي في سننه (٧٦١) كتاب الصوم باب ماجاء في صوم ثلاثة أيام من كل شهر، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا ذر إذا صمت من الشهر ثلاثة أيام، فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة**»

وفي حديث مسلم [١٩٤. (١١٦٠)] كتاب الصيام ٣٦. باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس عن عائشة لما سئلت: أكان رسول الله ﷺ يصوم من كل شهر ثلاثة أيام؟ قالت: نعم،.......الحديث وفيه «**لم يكن يبالي من أي أيام الشهر يصوم**»

وفي مسلم أيضاً من حديث عبد الله بن عمرو وفيه: «**وصم من الشهر ثلاثة أيام**» .

وقال النووي: يستحب أن تكون الأيام الثلاثة من سرة الشهر وهي وسطه، وهذا متفق علىٰ استحبابه، وهو استحباب كون الثلاثة هي أيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر . [النووي في شرح مسلم (٨/ ٤٠) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٢) قال النووي: قال القاضي: واختلفوا في تعيين هذه الأيام الثلاثة المستحبة من كل شهر ففسره جماعة من الصحابة والتابعين بأيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، منهم عمر بن الخطاب وابن مسعود وأبو ذر، وبه قال أصحاب الشافعي واختار النخعي وآخرون آخر الشهر، واختار آخرون ثلاثة من أوله منهم الحسن، واختارت عائشة =

قال: لما أُهبط آدم من الجنة إلىٰ الأرض أسود جسده من الشمس، فأتاه جبرائيل فقال: يا آدم أتحب أن تبيض جسدك؟

قال: نعم، قال: صم من الشهر ثالث عشر وأربع عشر وخمس عشر، فصام آدم أول يوم فابيض ثُلث جسده، وصام اليوم الثاني فابيض ثلثا جسده، وصام اليوم الثالث فابيض جميع جسده، فسميت أيام البيض لأجل ذلك

باب فضيلة رجب

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا إن رجب شهر الله الأصم فمن صام من رجب يوما إيمانا واحتسابا استوجب رضوان الله الأكبر، وأطفأ غضب الرحمن وأغلق عليه بابا من أبواب النيران، ومن صام يومين لم يصفه الواصفون من أهل السموات والأرض ما له عند الله من الكرامة وكتب الله له صوم ألفي يوم، ومن صام ثلاثة أيام جعل الله بينه وبين النار حجابًا طوله مسيرة سبعين سنة .**

قال: ومن صام أربعة أيام عوفي من البلايا من الجنون والجذام والبرص وذات الجنب ومن فتنة المسيح الدجال(١)، ومن صام سبعة أيام أغلقت عليه سبعة أبواب

= وآخرون: صيام السبت والأحد والاثنين من شهر ثم الثلاثاء والأربعاء والخميس من الشهر الذي بعده، واختار آخرون الاثنين والخميس، وفي حديث رفعه ابن عمر أول اثنين في الشهر وخميسان بعده، وعن أم سلمة أول خميس والاثنين بعده ثم الاثنين، وقيل أول يوم الشهر والعاشر والعشرين، وقيل إنه صيام مالك بن أنس وروي عنه كراهة صوم أيام البيض، وقال ابن شعبان المالكي: أول يوم من الشهر والحادي وعشرون والله أعلم

[النووي في شرح مسلم (٨/ ٤١، ٤٢) طبعة دار الكتب العلمية] .

(١) في قصة الدجال الذي ذكرته الأحاديث في مسلم وغيره حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده وأقدره علىٰ أشياء من مقدورات الله تعالىٰ من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره ونهريه واتباع كنوز الأرض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالىٰ ومشيئته، ثم يعجزه الله تعالىٰ بعد ذلك فلا يقدر علىٰ قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل أمره ويقتله عيسى عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا، هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار خلافا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة

[النووي في شرح مسلم (١٨/ ٤٦) طبعة دار الكتب العلمية] .

جهنم، ومن صام ثمانية أيام فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء، ومن صام خمسة عشر يومًا بدلت سيئاته حسنات ونادى منادي من السماء قد غفر الله لك واستأنف العمل، ومن زاد زاده الله تعالىٰ

روي عن النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم أنه قال[١]: «**إن شهر رجب عظيم من صام منه يوما كتب الله له صوم ثلاثة آلاف سنة**» صدق رسول الله فيما قال

وروي عن النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم أنه قال:[٢] «**اكرموا رجب يكرمكم الله بألف كرامة يوم القيامة**» [٣]

قال ﷺ: «**من صام ثلاثة أيام من أول رجب، وثلاثة أيام من أوسطه، وثلاثة من آخره، غفر الله له وبنى له ألف مدينة من در وياقوت وكتب له عبادة ثلاثمائة سنة، صيام نهارها وقيام ليلها**» [٤]

ويقال: الرجب اسم نهر في الجنة ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج لا يشرب منه إلا من صام من رجب

وحكي أن امرأة ببيت المقدس كانت تقرأ كل يوم من رجب اثنا عشر ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [**الإخلاص: الآية ١**] وكانت تلبس الصوف في رجب كله فمرضت وأوصت إلىٰ ابنها بأن يدفنها مع صوفها فكفنها بثياب مرتفعة[٥] فرآها في

(١) أخرجه: ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٠٧) والشوكاني في الفوائد (١٠١) والذهبي في ميزان الاعتدال (٥٥٤٠)، والسيوطي في اللآلىء المصنوعة (٢/ ٦٥)، وابن حجر في تبيين العجب (٥٢)]

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) أخرجه: ابن حجر في تبيين العجب (٤١)]

(٤) أخرجه: الشجري في أماليه (٢/ ٩٧)، وابن حجر في تبيين العجب (٤٠)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٢٠٦)]

(٥) اتفقوا علىٰ وجوب تكفين الميت وأنه مقدم علىٰ الدين والورثة، ثم اختلفوا في الصفة المجزئة؟

فقال أبو حنيفة: يجوز الاقتصار علىٰ ثوبين في حق الرجل وإن كفن في ثلاثة أثواب أحدها حبرة، والآخران أبيضان فهو أحب إليه الحبر بردة يمينية وقال مالك والشافعي وأحمد: يكفن الرجل في ثلاثة أثواب لفائف والمستحب البياض في كلها ويجزئ الواحد .

وأما كفن المرأة فهو خمسة أثواب: قميص، ومئزر ولفافة ومقنعة وخامسة يشد بها فخذاها عند =

منامه فقالت: أنا عنك غير راضية لأنك لم تعمل بوصيتي، فانتبه فزعا ورفع صوفها فذهب فنبش قبرها فلم يجدها في قبرها فتحير

فسمع نداء أما علمت أن من أطاعنا في رجب لا نتركه في القبر فردًا وحيداً

عن ثوبان قال: كنا نمشي مع النبي ﷺ فممرنا بمقبرة فوقف الرسول ﷺ فسلم ثم بكى بكاءًا شديدًا ثم قال: «**يا ثوبان هؤلاء يعذبون في قبورهم دعوت فخفف عنهم**»

ثم قال ﷺ: «**يا ثوبان لو صاموا هؤلاء من رجب وقاموا ليله ما عذبوا في قبورهم**»

فقلت: يا رسول الله صوم يوم واحد وقيام ليلة واحدة يمنع عنه عذاب القبر

قال: «**نعم يا ثوبان، والذي بعثني بالحق نبيا ما من مسلم ولا مسلمة يصوم يوما من رجب ويقوم ليلة يريد بها وجه الله إلا كتب الله بها عبادة سنته قيام لياليها وصيام نهارها**»

عن أبي الدرداء قال(١): قال رسول الله ﷺ: «**من صام يوما من رجب فكأنما عبد الله عمره صائما قانتا، وكان له بصوم كل يوم مثل ذلك، فإن صام رجب نودي**

= الشافعي وأحمد، وقال أبو حنيفة: الأفضل ذلك، فإن اقتصروا علىٰ ثلاثة أثواب جاز ويكون الخمار فوق القميص وتحت اللفافة.

وقال مالك: ليس للكفن حد، وإنما الواجب ستر الميت.

فأما تكفينها في المعصفر والمزعفر والحرير، فقال الشافعي وأحمد يكره، وقال أبو حنيفة ومالك لا يكره.

وكفن المرأة إن كان لها مال فيصرف من مالها عند أبي حنيفة ومالك وأحمد وإن لم يكن لها مال فقال مالك هو علىٰ زوجها، وأما أبو حنيفة فلا يوجد عنه ذلك نص، إلا أن أبا يوسف قال: هو علىٰ زوجها، وقال محمد: هو علىٰ بيت المال، فأما إذا كان الزوج معسرًا فعلى بيت المال علىٰ الوفاق بينهما وقال أحمد: لا يجب علىٰ الزوج كفن زوجته بحال، وقال الشافعي: هو علىٰ الزوج بكل حال.

[اختلاف الأئمة العلماء (١/ ١٨٠، ١٨١) من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية].

(١) أخرجه: الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/١٨٨)، وعلي القاري في تذكرة الموضوعات (١١٦)، والخطيب في تاريخ بغداد (٨/ ٣٣١)، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (٢/ ٢٩، ٦٥)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٨٩، ١٦٤)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (٤١٠/، ٤٣٩)]

من السماء أبشر يا ولي الله بالكرامة العظمى، وسقاه الله عند موته شربة فيموت ريانًا، ويدخل في قبره ريانًا، ويخرج من قبره ريانًا ويدخل الجنة ريانًا»

واعلم يا عاصي لو احترمت هذا الشهر كله لأجل هذا لأن الحال حال الشدة وحال العطش واحتراق الكبد، ففي ذلك الوقت يجد الشيطان الفرصة من نزع الإيمان .

إخواني إذا أردتم الراحة عند الموت والخروج من الدنيا مع الإيمان والنجاة من الشيطان، فاحترموا هذا الشهر بكثرة الصيام

أعاذنا الله من خاتمة السوء

باب فضيلة شعبان

عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أحيا ليلتين: ليلة العيد وليلة النصف من شعبان لم يمت قلبه يوم تموت القلوب**» (١)

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صام يوم الأول من شعبان ثم مات في عامه ذلك سهل الله تعالىٰ عليه جواب منكر ونكير(٢)، ومن صام اليوم**

(١) أخرجه: ابن الجوزي في العلل المتناهية (٧٢/ ٢)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٤١٠)]

روى مسلم في صحيحه [١٩٩.(١١٦١)] كتاب الصيام ٣٧. باب صوم سرر شعبان، عن عمران بن الحصين أن رسول الله ﷺ قال له . أو لآخر. «**أصمت من سرر شعبان ؟**» قال: لا، قال: «**فإذا أفطرت فصم يومين**» .

قال النووي: قال الأوزاعي وأبو عبيد وجمهور العلماء من أهل اللغة والحديث والغريب: المراد بالسرر آخر الشهر، سميت بذلك لاستسرار القمر فيها، قال القاضي: قال أبو عبيد وأهل اللغة: السرر آخر الشهر، قال: وأنكر بعضهم هذا وقال: المراد وسط الشهر، قال: وسرار كل شيء وسطه، قال: هذا القائل لم يأت في صيام آخر الشهر ندب فلا يحمل الحديث عليه بخلاف وسطه فإنها أيام البيض .

[النووي في شرح مسلم (٨/ ٤٣) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٢) روى الترمذي في سننه (١٠٧١) كتاب الجنائز، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ إذا قبر الميت أو قال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير، فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول هو: عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين، ثم ينور له فيه. . . . . . . الحديث بطوله

الثاني صار القبر روضة من رياض الجنة، ومن صام ثلاثة أيام قام من قبره يوم القيامة وجهه يتلألأ كالقمر ليلة البدر، ومن صامه كله قبل الله تعالىٰ صيامه وقيامه في رمضان وأعطاه رضوانه الأكبر»

وقال ﷺ: «**من صام ثلاثة أيام من أول شعبان وثلاثة من أوسطه، وثلاثة من آخره كتب الله له ثواب سبعين نبيا، وكأنما عبد الله سبعين سنة، فإن مات في تلك السنة مات شهيدا»**

وروى جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلى عليّ في شعبان ألف مرة قضى الله له مائة ألف حاجة من حوائج الدنيا والآخرة، وكتب له مائة ألف حسنة، ومحي عنه مائة ألف سيئة ورفع له مائة ألف درجة، وبعث الله إليه ألف ملك يحفظونه بكل عامه ويستغفرون أيام حياته، فإذا مات قاموا علىٰ قبره يكتبون له الحسنات إلىٰ يوم القيامة»** (١)

وروي أن عيسى عليه السلام كان في سياحته إذ نظر إلىٰ جبل عال، وقصده، فإذا هو بصخرة في ذروة الجبل أشد بياضًا من اللبن فجعل عيسى يطوف حولها ويتعجب من حسنها .

فأوحى الله إليه يا عيسى أتحب أن أبين لك أعجب مما ترى؟ قال: نعم يا رب، فانفلقت الصخرة عن شيخ عليه مدرعة من شعر خضراء بيده عكازه بين يديه غُب، وهو قائم يصلي فتعجب عيسى عليه السلام من ذلك

فقال: يا شيخ ما هذا الذي أرى؟

---

(١) روى مسلم في صحيحه [١٤. (١٦٣١)] كتاب الوصية، ٣. باب ما يلحق الانسان من الثواب بعد وفاته، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**»

قال النووي: قال العلماء: معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته، وينقطع تجدد الجواب له إلا في هذه الأشياء الثلاثة لكونه كان سببها فإن الولد من كسبه وكذلك العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيف وكذلك الصدقة الجارية وهي الوقف وفيه فضيلة الزواج لرجاء ولد صالح . وفيه أن الدعاء يصل ثوابه إلىٰ الميت وكذلك الصدقة وهما مجمع عليهما، وكذلك قضاء الدين وأما الحج فيجزي عن الميت عند الشافعي وموافقيه وهذا داخل في قضاء الدين إن كان حجا واجبا وإن كان تطوعا وصى به وهو من باب الوصايا .

[النووي في شرح مسلم (١١/ ٧٢) طبعة دار الكتب العلمية] .

قال: رزقي في كل يوم، قال له: منذ كم تعبد الله في هذا الحجر، فقال: منذ أربعمائة سنة

قال عيسى: إلهي وسيدي ومولاي ما أقول أنك خلقت خلقًا أفضل من هذا

فأوحى الله إليه أن رجلا من أمة محمد ﷺ أدرك شهر شعبان فصلى ليلة النصف(١) منه فهو أفضل عندي من عبادة هذا أربعمائة سنة

قال عيسى: يا ليتني كنت من أمة محمد ﷺ

وروي عن الحسن عن أصحاب النبي ﷺ: من صلى ليلة الخامس عشر مائة ركعة يقرأ في كل ركعة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ **[الإخلاص: الآية ١]** عشر مرات، وإن شاء صلىٰ عشر ركعات يقرأ في كل ركعة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ **[الإخلاص: الآية ١]** مائة مرة، قضى الله له كل حاجة طلبت تلك الليلة، وإن كان شقياً محي اسمه من ديوان الأشقياء وكتب في السعداء

اللهم اكتب أسماءنا في ديوان السعداء(٢)

باب فضل العشر من ذي الحجة

(وفي الأخبار أن موسى عليه السلام قال: يا رب دعوت فلم تجب دعوتي فعلمني ما تشاء أدعوك به

---

(١) روى الترمذي في سننه (٧٣٩) كتاب الصوم باب ماجاء في ليلة النصف من شعبان، عن عائشة قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة فخرجت فإذا هو بالبقيع فقال: «**أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟ قلت: يا رسول الله إني ظننت أنك أتيت بعض نسائك، فقال: «إن الله ﷻ ينزل ليلة النصف من شعبان إلىٰ السماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب**»

(٢) قال في [بستان الفقراء ونزهة القراء]: لليلة النصف من شعبان عند العلماء سبعة أسماء مشهورة: ليلة التشريف وليلة الصك، وليلة البراءة، وليلة الشفاعة، وليلة مباركة وليلة التقدير وليلة الرحمة

وقال في تعريف ليلة الصك: فهو أن الله تعالىٰ يكتب فيها لكل عبد وأمة صكًا برزقه وشقاوته، وسعادته إلىٰ العام القابل، وأنشدوا في المعنى شعرًا :

ليت شعري ليلة النصف هل أكون من سعداء أم أشقياء
أم أكون من جملة الموتى أم أكون في عصابة الأحياء

[بستان الفقراء ونزهة القراء (١/ ٣١٣) من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية] .

فأوحى الله إليه أن يا موسى إذا دخل أيام عشر ذي الحجة قل: لا إله إلا الله[١] أقض حاجتك

قال: يا رب كل عبادك يقولها

قال الله تعالىٰ: يا موسى من قال لا إله إلا الله في هذه الأيام مرة واحدة فلو وضعت السموات السبع والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة لمالت بهن جميعًا) نقل من زهرة الرياض

عن أبي الدرداء قال: عليكم بالصوم في أيام العشر[٢] وإكثار الدعاء والاستغفار والصدقة فيها، فإني سمعت نبيكم ﷺ قال: «**الويل لمن حُرم خير أيام العشر، وعليكم بصوم التاسع خاصة فإن فيها من الخيرات أكثر من أن يحصيه العادون**» (من تنبيه الغافلين)[٣]

عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من أيام أحب إلىٰ الله ورسوله العمل فيهن من أيام العشر**»

قيل: ولا الجهاد في سبيل الله؟، قال: «**ولا الجهاد في سبيل الله إلا من**

---

(١) روى الترمذي في سننه (٣٥٨٥) كتاب الدعوات، باب في دعاء يوم عرفة، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك، له له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير

(٢) فيما رواه مسلم في صحيحه [٩. (١١٧٦)]، كتاب الاعتكاف، ٤. باب صوم عشر ذي الحجة، عن عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت رسول الله ﷺ صائما في العشر قط. وفي رقم (١٠) عن عائشة أن النبي ﷺ لم يصم العشر

وقال النووي: قال العلماء: هذا الحديث مما يوهم كراهة صوم العشرة والمراد بالعشر هنا الأيام التسعة من أول ذي الحجة، قالوا: وهذا مما يتأول فليس في صوم هذه التسعة كراهة بل هي مستحبة استحباباً شديداً لاسيما التاسع منها وهو يوم عرفة، وقد سبقت الأحاديث في فضله .

ثم قال: فيتأول قولها لم يصم العشر أنه لم يصمه لعارض مرض أو سفر أو غيرهما أو أنها لم تره صائما فيه ولا يلزم عن ذلك عدم صيامه في نفس الأمر .

[النووي في شرح مسلم (٨/ ٥٨)

طبعة دار الكتب العلمية] .

(٣) وجدناه بالهامش

خرج بنفسه ومالــه ثم لم يرجع حتى اهريق دمه، فأكثروا فيهن التسبيح والتهليل والتكبير» [(١)]

وفي الخبر قال ﷺ: إن اليوم الذي فيه غفر الله لآدم أول يوم من ذي الحجة، ومن صام ذلك اليوم غَفر الله له كل ذنب

واليوم الثاني: نجا فيه يونس من بطن الحوت ومن صام ذلك اليوم كمن عبد الله سنة لم يعص الله في عبادته طرفة عين

واليوم الثالث: الذي استجاب الله فيه لزكريا ومن صام فيه استجاب الله كل دعوة

واليوم الرابع: ولد فيه عيسى ﷺ، ومن صام ذلك اليوم نفى عنه البؤس والفقر

واليوم الخامس: ولد فيه موسى ﷺ من صام ذلك اليوم برأ من النفقاق وأمن من العذاب

واليوم السادس: فتح الله علىٰ نبيه خيبر[(٢)]، ومن صام ذلك اليوم نظر الله إليه، ومن نظر الله إليه لا يعذبه أبدًا

واليوم السابع: يخمد فيه جهنم وتغلق فيه فلا يفتح فيها باب حتى ينقضي العشر

---

(١) أخرجه: أبو داود في سننه (٢٤٣٨) كتاب الصوم، ٦١. باب في صوم العشر، والترمذي (٧٥٧) كتاب الصوم، باب ما جاء في العمل في أيام العشر، وابن ماجه (١٧٢٧) كتاب الصيام ٣٩. باب صيام العشر، وأحمد في مسنده (١/ ٢٢٤) وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٤٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/١٩٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٤٦٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٤٨٤)، والالباني في إرواء العليل (٤/ ١١٠)، وأبو نعيم في حلية الاولياء (٣/ ٢٦، ٦/ ١١)، والشجري في أماليه (٢/ ٦٤)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٨٦٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ١٦)، والزيلعى في نصب الراية (٢/ ١٥٦)]

(٢) ذكر الذهبي أنها كانت سنة (٧) من الهجرة وقد روى البخاري في صحيحه (٤/ ٥) عن أنس أن رسول الله ﷺ حين خرج إلىٰ خيبر أتاها ليلا، وكان إذا جاء قوما بليل لم يغر عليهم حتى يصبح فلما أصبح خرجت يهود بمساحيهم ومكاتلهم فلما رأوه قالوا محمد وافق والله محمد الخميس، فقال رسول الله ﷺ «**الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين**»

والثامن: يوم التروية ومن صام فيه أعطي من الأجر ما لا يعلمه إلا الله[١]

والتاسع: يوم عرفة[٢] وهو اليوم المشهور، ومن صام فيه كتب بصيامه سنتين سنة ماضية وسنة مستقبلة، ويكتب من القانتين

وصوم عاشوراء كفارة سنة

والعاشر: يوم الأضحى من قرب فيه قربانًا فأول قطرة من دمه غفر الله ذنوبه وذنوب عياله ، ومن أطعم فيه مؤمنًا أو تصدق بُعث يوم القيامة آمنا ويكون في ميزانه أثقل من جبل أحد

ويقال من صام أيام العشر أكرمه الله بعشر كرامات[٣] البركة في عمره، والزيادة في ماله والحفظ لعياله والتكفير لسيئاته والتضعيف لحسناته، والتسهيل لسكراته، والضياء لظلماته والتثقيل لميزانه والنجاة من دركاته، والصعود لدرجاته ولا ينظر الله يوم عرفة إلىٰ مختال ومتكبر

قال رسول الله ﷺ: «**من تصدق في يوم من أيام العشر علىٰ مسكين فكأنما تصدق علىٰ أنبياء الله تعالىٰ ورسله**[٤]**، ومن عاد فيها مريضًا فكأنما عاد أولياء الله**

---

(١) حديث «**من صام يوم التروية أعطاه الله مثل ثواب أيوب**» أخرجه: ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ١٦٤)، والفتني في تذكرة الموضوعات (١١٩)]

(٢) وفي صيام يوم عرفة روى البخاري في صحيحه (١٩٨٨) كتاب الصوم، ٦٥. باب صوم يوم عرفة، عن أم الفضل بنت الحارث أن ناسا اختلفوا عندها يوم عرفة في صوم النبي ﷺ فقال بعضهم هو صائم وقال بعضهم ليس بصائم فأرسلت إليه بقدح لبن وهو واقف علىٰ بعيره فشربه»

(٣) ظهور الكرامات علىٰ الأولياء جائز عقلا وصدقا طالما أن ذلك معلق بقدرة الله تعالىٰ والفرق بين المعجزة والكرامة أن الأنبياء عليهم السلام مأمورون بإظهار معجزاتهم والولي يجب عليه ستر كراماته وإخفاؤها وليست الكرامات للأولياء تأديبا لنفوسهم وتهذيبا لها وزيادة لهم وأكبر الكرامات أن تبدل خلقا مذمومًا من أخلاق نفسك بخلق محمود

المعجم الصوفي (ص٢٠٨)

(٤) روى البخاري في صحيحه (١٤٩١) كتاب الزكاة، ٦٢. باب ما يذكر في الصدقة للنبي ﷺ عن أبي هريرة قال: "أخذ الحسن بن علي رضي الله عنه تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال النبي ﷺ: «**كخ كخ ليطرحها، ثم قال: أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة؟**»

وكذا رواه مسلم في صحيحه [١٦١. (١٠٦٩)] في الزكاة، ٥٠. باب تحريم الزكاة علىٰ رسول =

وبدلاؤه، ومن شيع جنازة فكأنما شيع جنازة الشهداء، ومن كسى فيها مؤمنا كساه الله من حلل الجنة، ومن ألطف فيها يتيما أظله الله يوم القيامة تحت عرشه، ومن حضر فيها مجلس عالم فكأنما حضر مجلس أنبياء الله ورسله .

باب فضيلة المحرم[(١)]

عن الحسن، عن النبي ﷺ أنه قال: «**من صام يوم عاشوراء كتب الله له ألف حجة وألف عمرة وأعطي ثواب ألف شهيد وكتب له الأجر ما بين المشرق والمغرب، وكان كمن أعتق نسمة من أولاد إسماعيل، وكتب له سبعون ألف قصر في الجنة مكللاً بالدر والياقوت .**

ومن صام يوم عاشوراء حرم الله جسده علىٰ النار وفتح له أبواب الجنة، يدخل من أي باب شاء»

وعن ابن عباس قال[(٢)]: قال رسول الله ﷺ: «**من صام يوم عاشوراء أعطاه الله ثواب عشرة الآف ملك وأجر حاج ومعتمر، وكان له أجرة عشرة الآف شهيد،**

= الله ﷺ وعلىٰ آله وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون غيرهم .
قال النووي: هذا مذهب الشافعي وموافقيه أن آله هم بنو هاشم وبنو المطلب، وبه قال بعض المالكية وقال أبو حنيفة ومالك: هم بنو هاشم خاصة، قال القاضي: وقال بعض العلماء: هم قريش كلها، وقال أصبغ المالكي: هم بنو قصي، دليل الشافعي أن رسول الله ﷺ قال: «**إن بني هاشم وبني المطلب شيء واحد، وقسم بينهم سهم ذوي القربى**»، وأما صدقة التطوع فللشافعي فيها ثلاثة أقوال: أصحها أنها تحرم علىٰ رسول الله ﷺ وتحل لآله، والثاني: تحرم عليه وعليهم، والثالث: تحل له ولهم .
[النووي في شرح مسلم(٧/ ١٥٥) دار الكتب العلمية] .

(١) روى مسلم في صحيحه [٢٠٢. (١١٦٣)] كتاب الصيام، ٣٨. باب فضل صوم المحرم، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل**»

(٢) بلفظ «**من صام يوم عاشوراء فكأنما صام الدهر**»
أخرجه: الشوكاني في الوائد المجموعة (٩٦)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ١٤٩)، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (٢/ ٦١)] .

وكان له من الأجر زنة السموات السبع وما فيهن، ومن صام يوم عاشوراء فكأنما صام الدهر وقام لياليها»

وروي عن عائشة قالت: رأيت النبي ﷺ يصلي أول الليل من المحرم، وكانت ليلتي منه فلما انتبهت لم أره، فرأيته يتوضأ ثم تسوك(١) ثم خرج ورفع رأسه إلىٰ السماء وهو يقول: سبحان الملك القدوس ثلاثًا، ثم دخل المسجد وصلى ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد عشر مرات

ثم قال: اللهم هب لي أمتي كلهم فرأيت في المسجد نورًا ساطعًا في السماء، فتعجبت منه

ثم خرج وهو يقول: سبحان الملك القدوس ثلاثًا، ثم دخل المسجد وصلى ركعتين فقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد عشر مرة ثم قال : اللهم هب لي أمتي كلهم(٢)، فرأيت في البيت نورًا أضوأ من الأول الذي رأيت، فخرجت إلىٰ ذلك النور انظر إليه فرأيت النور ما بين المشرق والمغرب ثم دخلت البيت ولم يعلم النبي ﷺ بخروجي من البيت، ثم دخل النبي ﷺ المسجد فصلى ركعتين مثل ما صلى ثم قال: اللهم هب لي أمتي كلهم(٣)، قالت: فرأيت نورًا أضوأ من النور الأول الذي رأيت

---

(١) السواك مستحب في جميع الأوقات ولكن في خمسة أوقات أشد استحبابا أحدها عند الصلاة سواء كان متطهرا بماء أو بتراب أو غير متطهر كمن لم يجد ماء ولا ترابا، الثاني عند الوضوء، الثالث: عند قراءة القرآن، الرابع: عند الاستيقاظ من النوم، الخامس: عند تغير الفم وتغيره يكون بأشياء منها ترك الأكل والشرب ومنها أكل ما له رائحة كريهة ومنها طول السكوت ومنها كثرة الكلام

[النووي في شرح مسلم (٣/ ١٢٢) دار الكتب العلمية] .

(٢) روى مسلم في صحيحه [٣٢٢. (١٩٣)] كتاب الإيمان ٨٤. باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، عن أنس وفيه قال رسول الله ﷺ «**فيأتوني فأستأذن علىٰ ربي فيؤذن لي فإذا أنا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله، فيقال: يا محمد ارفع رأسك قل تسمع سل تعطه، اشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي، ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرجهم من النار. . . . . . . الحديث بطوله** .

(٣) قال النووي: قال القاضي عياض رحمه الله مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلا ووجوبها سمعاً بصريح قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ **[طه: الآية ١٠٩]** وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ **[الأنبياء: الآية ٢٨]** وأمثالهما وبخبر الصادق ﷺ، وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة =

ثم جاء النبي ﷺ وقال: يا عائشة أنائمة أنت؟ قلت: لا

قال: أسمعت خفق أجنحة الملائكة؟

قلت: لا، قال: نزل جبرائيل مع سبعين ألف ملك بشارة لأمتي

يا عائشة لقد دعوت الله أن يهب لي أمتي كلهم

فصليت ركعتين، فنزل جبرائيل عليه السلام مع سبعين ألف ملك ونور من العرش فقال: يا محمد الله يقرئك السلام ويقول: وهبت ثلث أمتك، فقلت والله لأجتهدنَّ في هذه الليلة، وخرجت ورفعت يدي إلىٰ السماء فقلت: سبحان الملك القدوس ثلاثاً ثم صليت ركعتين فدعوت الله أن يهب لي أمتي كلهم، فنزل جبرائيل عليه السلام ومعه من كل سماء سبعون ألف ملك ومعه نور من تحت العرش وقال: الرحمن يقرئك السلام ويقول: وهبت لك ثلثي أمتك، ثم خرجت الثالثة وفعلت كذلك

فنزل جبرائيل عليه السلام وقال: يقول الله تعالىٰ قد وهبت أمتك كلهم، قالت: يا رسول الله أعطاك الله هذه الكرامة[1] في هذه الليلة فما لأمتك بعدك فقال: يا عائشة ليس أحد من الرجال والنساء يصلي مثل صلاتي هذه ويدعوا مثل دعائي هذا إلا

= لمذنبي المؤمنين

وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنن عليها، ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها وتعلقوا بمذاهبهم في تخليد المذنبين في النار واحتجوا بقوله تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدَّثِّر: الآية ٤٨] وبقوله تعالىٰ: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: الآية ١٨] وهذه الآيات في الكفار، وأما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات فباطل .

(١) قال الشوكاني: صاحب الكرامة بعد من الأولياء إن كان من المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره مقيمًا لما أوجب الله عليه، تاركًا لما نهاه الله عنه مستكثرًا من طاعاته فهو من أولياء الله سبحانه وما ظهر عليه من الكرامات التي لم تخالف الشرع فهي موهبة من الله ﷻ لا يحل لمسلم أن ينكرها

ومن كان بعكس هذه الصفات فليس من أولياء الله سبحانه وليست ولايته رحمانية بل شيطانية وكراماته من تلبيس الشيطان عليه وعلىٰ الناس، وليس هذا بغريب ولا مستنكر فكثير من الناس من يكون مخدوما بخادم من الجن أو بأكثر فيخدمونه في تحصيل ما يشتهيه وربما كان محرمًا من المحرمات وقد قدمنا أن المعيار الذي لا يزيغ والميزان الذي لا يجور هو ميزان الكتاب والسنة .

[الشوكاني في كتاب قطر الولي علىٰ حديث الولي من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية] .

يشفع له في أهل بيته الذين وجبت لهم النار قالت عائشة: لم ذلك يا رسول الله؟ قال: لأن المحسن لا يحتاج إلىٰ الشفاعة وإنما الشفاعة لكل هالك

(من قال أول المحرم اللهم أنت الأبدي القديم، وهذه سنة جديدة أسألك فيها العصمة من الشيطان وأوليائه، والعون علىٰ هذه النفس الأمارة بالسوء والاشتغال بما يقربني إليك يا كريم

قال الشيطان آيسنا من نفسه ويوكل الله به ملكين يحرسانه تلك السنة

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من صام أول جمعة من المحرم غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام ثلاثة أيام من المحرم الخميس والجمعة والسبت كتب الله له عبادة تسعمائة عام**»[(١)]

عن علي رضي الله عنه أنه سأله رجل قال: أي شهر تأمرني أن أصوم بعد شهر رمضان[(٢)]

قال: ما سمعت أحد يسأل عن هذا إلا رجلا واحدًا سمعته قد سأل رسول الله ﷺ وأنا قاعد وقال يا رسول الله أي شيء تأمرني أن أصوم بعد شهر رمضان، فقال النبي ﷺ: «**إن كنت صائمًا شهرًا بعد رمضان فصم المحرم، فإنه شهر قد تاب الله فيه علىٰ قوم ويتوب فيه علىٰ آخرين**»[(٣)]

قال الفقيه رحمة الله عليه: الصوم مستحب في جميع الأوقات خصوصًا إذا كان في شهر المحرم

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) قال النووي في قوله ﷺ: «**أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم**»: تصريح بأنه أفضل الشهور للصوم، وقد سبق الجواب عن إكثار النبي ﷺ من صوم شعبان دون المحرم وذكرنا فيه جوابين: أحدهما: لعله إنما علم فضله في آخر حياته

والثاني: لعله كان يعرض فيه أعذار من سفر أو مرض أو غيرهما.
[شرح مسلم للنووي (٨/ ٤٥) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه: هذا الحديث بلفظ قد تقدم في تخريجنا بمعناه مسلم في صحيحه [٢٠٢. (١١٦٣)] كتاب الصيام، ٣٨. باب فضل صوم المحرم، وأبو داود (٢٤٢٩) كتاب الصوم، باب في صوم المحرم، والترمذي (٤٣٨) في الصلاة، باب ماجاء في فضل صلاة الليل، والنسائي (٣/ ٢٠٧ ـ المجتبىٰ)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٤٤، ٣٥٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٢٩١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٢٣)، (٢/ ١١٤)]

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**أفضل الصوم بعد شهر رمضان صوم المحرم**» (١)

ويقال: إن الله اصطفى من الملائكة جبرائيل ومن الناس رسلاً، ومن الكلام ذكره، ومن الأرض المساجد، ومن الشهور خمسة: شهر رمضان والأشهر الحُرم، ومن الأيام يوم الجمعة(٢)، ومن الليالي ليلة القدر

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**من اكتحل في يوم عاشوراء(٣) لم ترمد عيناه ابدًا**»(٤) معناه لم ترمد عينا قلبه بزوال الإيمان ويقال لم ترمد عيناه في الآخرة

يعني بالحرق في النار

---

(١) تقدم تخرجه قبل هذا وانظر تعليق النووي عليه قريبا

(٢) في حديث: «**خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة**»

قال النووي: وفي هذا الحديث فضيلة يوم الجمعة ومزيته علىٰ سائر الأيام، وفيه دليل لمسألة غريبة حسنة وهي لو قال لزوجته أنت طالق في أفضل الأيام وفيها وجهان لأصحابنا: أصحهما تطلق يوم عرفة، والثاني: يوم الجمعة .

لهذا الحديث وهذا إذا لم يكن له نية، فأما إن أراد أفضل أيام السنة فيتعين يوم عرفة، وإن أراد أفضل أيام الأسبوع فيتعين الجمعة، ولو قال أفضل ليلة تعينت ليلة القدر، وهي عند أصحابنا والجمهور منحصرة في العشر الأواخر من شهر رمضان .

[النووي في شرح مسلم (٦/ ١٢٤) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٣) قال النووي: اتفق العلماء علىٰ أن صوم يوم عاشوراء اليوم سنة ليس بواجب واختلفوا في حكمه في أول الإسلام حين شرع صومه قبل صوم رمضان فقال أبو حنيفة: كان واجبا واختلف أصحاب الشافعي فيه علىٰ وجهين مشهورين أشهرهما عندهم: أنه لم يزل سنة من حين شرع ولم يكن واجبا قط في هذه الأمة ولكنه كان متأكد الاستحباب فلما نزل صوم رمضان صار مستحبا دون ذلك الاستحباب

والثاني: كان واجبا كقول أبي حنيفة وتظهر فائدة الخلاف في اشتراط نية الصوم الواجب من الليل فأبو حنيفة لا يشترطها ويقول كان الناس مفطرين أول يوم عاشوراء ثم أمروا بصيامه بنية من النهار . شرح النووي (٨/ ٥) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٤) أخرجه بنحوه الفتني في تذكرة الموضوعات (١١٨) وعلي القاري في الأسرار المرفوعة (٣٣٢)، وبلفظه الزيلعي في نصب الراية (٢/ ٤٥٦)]

باب فضيلة الحج[١]

قال رسول الله ﷺ: «**من مات ولم يحج ولم يحدث[٢] بها فليمت إن شاء يهوديًا وإن شاء نصرانيًا**» [٣]

وقال ﷺ: «**من حج البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**» [٤].

(الحاج إذا خرج من منزله خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)[٥]

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: « **من مات في أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين**» [٦]

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: « **الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران في الجنة[٧] وهما مقبرة مكة والمدينة**»

---

(١) الحج فرض عين على كل مكلف حر مسلم مستطيع
واختلف العلماء في وجوب العمرة فقيل واجبة وقيل مستحبة وللشافعي قولان أصحهما وجوبها وأجمعوا على أنه لا يجب الحج ولا العمرة في عمر الإنسان إلا مرة واحدة إلا أن ينذر فيجب الوفاء بالنذر بشرطه وإلا إذا دخل مكة أو حرمها لحاجة لا تتكرر من تجارة أو زيارة ونحوهما ففي وجوب الإحرام بحج أو عمرة خلاف العلماء، وهما قولان للشافعي أصحهما: استحبابه، والثاني وجوبه بشرط ألا يدخل لقتال ولا خائفا من ظهوره وبروزه.

(٢) بالهامش: أي لا يظن فعل الحج به

(٣) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٤/ ٢٦٧)]

(٤) أخرجه: أحمد في مسنده (٤/ ٤٨٤، ٤٦٤) والدارمي في سننه (٢/ ٣١)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٢٧٠)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٢٤٠)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٣/ ١٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٢٦٤)]

(٥) وجدناه بالهامش

(٦) أخرجه: الزبيدي في الاتحاف (٤/ ٤١٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٥)، والفتني في تذكرة الموضوعات (٧٢)]

(٧) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (١/ ٤١٩)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (١١٣)، وعلي القاري في الأسرار المرفوعة (١٨٤)، والفتني في تذكرة الموضوعات (٧٥)]

عن ابن مسعود قال[١]: وقف النبي ﷺ علىٰ المقبرة وليس بها يومئذ مقبرة فقال: يبعث الله يوم القيامة هذه البقعة من هذا الحرم سبعين ألفا كلهم يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر

وقال ﷺ: «**من صبر علىٰ حَر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام وتقربت منه الجنة مسيرة مائة عام**»[٢]

وقال وهب بن منبه[٣]: مكتوب في التوراة أن الله يبعث يوم القيامة سبعمائة ألف ملك من الملائكة المقربين بيد كل واحد منهم سلسلة من ذهب إلىٰ البيت الحرام فيقول لهم زموه بهذه السلاسل ثم قودوه إلىٰ المحشر فيأتونه ويزمونه سبعمائة ألف سلسلة من ذهب إلىٰ البيت الحرام ثم يقودونه وملك ينادي: يا كعبة الله سيري[٤]

فتقول لست بسائرة حتى يُعطى سؤالي فينادي ملك من جو السماء سلي

فتقول الكعبة: يا رب شفعني في جيران الذين دفنوا حولي من المؤمنين

فيقول الله سبحانه قد أعطيك سؤالك فيحشر موتى مكة من قبورهم بيض

---

(١) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٩/ ٣٨٨، ١٠/ ٥٦٧)، (٤/٤/٤٢٤)، وعبد الرزاق في مصنفه (٦٧٣١)، وابن حجر في القول المسدد (٩)]

(٢) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٥٤)، وعلي القاري في الأسرار المرفوعة (٣٤٧)].

(٣) وهب بن منبه بن كامل بن سيح بن ذي كناز، أبو عبد الله اليماني الصنعاني، الذماري الأنباري، أخرج له: البخاري وأصحاب السنن الأربعة، توفي سنة (١١٤)]

ترجمته: تهذيب التهذيب (١١/ ١٦٦)، تقريب التهذيب (٢/ ٣٣٩)، تاريخ البخاري الكبير (٨/ ١٦٤)، الجرح والتعديل (٩/ ١١٠)، ميزان الاعتدال (٤/ ٣٥٣)] .

(٤) روى المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٩٤)، عن عائشة والطبراني في الأوسط عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ «**أشهدوا هذا الحجر خيرا فإنه شافع مشفع له لسان وشفتان، يشهد لمن استلمه**»

وذكر الأزرقي في أخبار مكة: أن الكعبة تأتي يوم القيامة ولها لسان وعينان فقول يا محمد اشفع أنت فيمن لم يزورني فأنا أشفع فيمن زارني .

الوجوه كلهم محرمين[١] فيجتمعون حول الكعبة يلبون

ثم تقول الملائكة: سيري يا كعبة الله

فتقول: لست بسائرة حتى يعطى سؤالي

فينادي من جو السماء سلي تعط

فتقول الكعبة: يا رب عبادك المذنبون الذين وفدوا إليّ من كل فج عميق، شعثًا غبرا، وتركوا الأهلين والأولاد والأحباء

وخرجوا شوقًا إليّ زائرين مسلمين طائعين قضوا مناسكهم كما أمرتهم فأسألك أن تؤمنهم من الفزع الأكبر وتشفعني فيهم وتجمعهم حولي

فينادي الملك: فإن منهم من ارتكب الذنوب بعدك، وأصر علىٰ الكبائر، حتى وجبت له النار

فتقول الكعبة: إنما أسألك الشفاعة لأهل الذنوب العظام[٢]

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٤٥١. (١٣٥٨)] كتاب الحج، ٨٤. باب جواز دخول مكة بغير إحرام، عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ: «**دَخَلَ مَكَّة وَعَلَيْهِ عِمَامَة سَوْدَاء بِغَيْرِ إِحْرَام**»

قال النووي: قوله: دخل مكة بغير إحرام: هذا دليل لمن يقول: بجواز دخول مكة بغير إحرام لمن لم يرد نسكا سواء كان دخوله لحاجة تكرر كالحطاب والحشاش والسقاء والصياد وغيرهم أم لم تتكرر كالتاجر والزائر وغيرهما سواء كان آمنا أو خائفا، وهذا أصح القولين للشافعي وبه يفتي أصحابه، والقول الثاني: لا يجوز دخولها بغير إحرام إن كانت حاجته لا تكرر إلا أن يكون مقاتلا أو خائفا من قتال أو خائفا من ظالم لو ظهر، ونقل القاضي نحو هذا عن أكثر العلماء. [النووي في شرح مسلم (٩/ ١١١، ١١٢) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) روى أبو داود في سننه (٤٧٣٩)، والترمذي في سننه (٢٤٣٥)، عن أنس رفعه «**إن شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»

أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٨/ ١٠، ١٧، ١٩)].

وقال البيهقي: ظاهر هذا الحديث يوجب أن تكون الشفاعة لأهل الكبائر يختص بها رسول الله ﷺ دون الملائكة وأن الملائكة إنما يشفعون في الصغائر واستزداد الدرجات وقد يكون القصد منه بيان كون المشفوع له مرتضى بإيمانه وإن كانت له كبائر دون الشرك فيكون المراد بالآية نفي الشفاعة للكبائر وأن أحدا لا يجترئ أن يشفع لأن الله لا يرضى اعتقادهم.

ثم أخرج من طريق ابن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [**الأنبياء: الآية ٢٨**] قال الذين ارتضاهم بشهادة أن لا إله إلا الله.

[انظر [بستان الفقراء ونهاية القراء (٣/ ٢٥٦) من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية].

فيقول الله: قد شفعتك فيهم وأعطيتك سؤالك فينادي مناد من جو السماء: إلا من زار الكعبة فليعتزل من الناس فيعتزلون

فيجمعهم الله حول الحرم بيض الوجوه أبيض من النار يطوفون ويلبون ، ثم ينادي ملك من جو السماء إلا يا كعبة الله سيري

فتقول الكعبة: لبيك لبيك والخير في يديك ، لبيك لا شريك لك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك

ثم يمدونها إلىٰ المحشر فأول من يحشر محمد ﷺ

فتقول الكعبة: يا محمد اشتغل ممن لم يزرني ومن زارني فأنا شفيعته

باب فضيلة القرآن

قال رسول الله ﷺ: **«ما من شفيع أفضل منزلة عند الله تعالىٰ يوم القيامة من القرآن ولا نبي ولا ملك غيره»** [(١)]

وقال ﷺ: « **أشد (اذنا)[(٢)] إليّ قارىء القرآن من صاحب القينة إلىٰ قينته**» .

قال الفقيه رحمة الله عليه: إذا ذهب رجل إلىٰ دار التي مات فيها رجل وامرأة[(٣)]، وقرأ القرآن أعطاه الله ثواب ألف شهيد، وكتب له الجنة، إن لم يأكل

(١) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٤/ ٤٦٣)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٢٠)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٢٧٣)]

(٢) كذا بالأصل

(٣) في وصول ثواب الصدقة إلىٰ الميت روى مسلم في صحيحه [٥١. (١٠٠٤)] كتاب الذكاة، ١٥. باب وصول تواب الصدقة عن الميت إليه، عن عائشة أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن أمي افتلتت نفسها ولم توص، وأظنها لو تكلمت تصدقت أفلها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: «**نعم**»

قال النووي: في الحديث أن الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها وهو كذلك بإجماع العلماء، وكذا أجمعوا علىٰ وصول الدعاء وقضاء الدين بالنصوص الواردة في الجميع، ويصح الحج عن الميت إذا كان حج الإسلام، وكذا إذا وصى بحج التطوع علىٰ الأصح عندنا، واختلف العلماء في الصواب إذا مات وعليه صوم، فالراجح جوازه عنه للأحاديث الصحيحة فيه، والمشهور في مذهبنا أن قراءة القرآن لا يصله ثوابها .

وقال جماعة من أصحابنا: يصله ثوابها، وبه قال أحمد بن حنبل، وأما الصلاة وسائر الطاعات فلا تصله عندنا ولا عند الجمهور، وقال أحمد: يصله ثواب الجميع كالحج .

[النووي في شرح مسلم (٧/ ٧٩). طبعة دار الكتب العلمية] .

طعامهم وفتح أبواب الجنة (للمية)[١] وإن أكل طعامهم وكان القرآن لأجل طعامه ولا يكون لله ولا (للتمية)[٢]

وقال ﷺ: «**يقول الله تعالىٰ: من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين**» [٣]

وقال ﷺ: «**إن الله تعالىٰ قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بألفي عام فلما سمعت الملائكة قالوا: طوبى لأمة محمد ﷺ تنزل عليهم هذه، طوبى لأجواف تحمل هذا، وطوبى لألسن تنطق بهذا**» [٤]

وحكي أن عيسى عليه السلام مرّ علىٰ قبر فرأى ملائكة العذاب يعذبون الميت، فلما انصرف مرّ علىٰ ذلك القبر فرأى ملائكة الرحمة معهم أطباق من نور فتعجب ودعا الله فأوحى الله إلىٰ عيسى فإن هذا العبد كان عاصيًا ومحبوسًا في العذاب، وكان ترك امرأة حبلى، فولد له ولد حتى كبر وسلمته إلىٰ الكتاب فلقنه المعلم بسم الله الرحمن الرحيم[٥]

فقال الصبي: الله، فاستحييت من عبدي أنا أعذبه في بطن الأرض وولده ذكر اسمي علىٰ ظهر الأرض فرفعت العذاب عنه بذكر ولده اسمي[٦] (زهرة الرياض)

---

(١) كذا بالأصل

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ١٠٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٣٨)، والدارمي في سننه (٢/ ٤٤١)]

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٦٩)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٣٢)، وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١١٠)، والعقيلي في الضعفاء (١٠/ ٦٦)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (١/ ٢١٨)]

(٥) وروى الحاكم في مستدركه (١/ ٥٥٢) والسيوطي في الدر المنثور (١/٨) وابن أبي حاتم في علل الحديث (٢٠٢٩) عن ابن عباس أن عثمان بن عفان سأل رسول الله ﷺ عن بسم الله الرحمن الرحيم؟ فقال: «**هو اسم الله من أسماء الله وما بينه وبين اسم الله الأكبر إلا كما بين سواد العين وبياضها من القرب**».

(٦) ما وجدناه رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٢٥١)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (٤٩٧)، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ «**إن عيسى ابن مريم** عليه السلام أسلمته أمه إلىٰ الكتاب ليعلمه فقال له المعلم: اكتب فقال: ما أكتب؟ قال: بسم الله، قال له عيسى: وما =

وقال ﷺ: «**ستفترق أمتي علىٰ أصل دينها علىٰ ثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة يدعون إلىٰ النار**»

قال حذيفة: قلت يا رسول الله فما تأمرني إن أدركت ذلك الزمان؟

قال: «**تعلم كتاب الله واعمل بما فيه، فإنه حبل الله المتين ونوره المبين وشفاءه النافع، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقام ولا يزيغ فيستقيم، من قال به صدق، ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدي إلىٰ صراط مستقيم**» (١)

وقال أبو هريرة (أن البيت الذي يتلى فيه كتاب الله اتسع بأهله وكثر خيره، وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين، وإن البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله ضاق بأهله وقل خيره، وخرجت الملائكة ودخلت فيه الشياطين)(٢)

وقال عمرو بن ميمون(٣) من نشر مصحفا حين يطلع الصبح فقرأ مائة آية رفع الله له مثل عمل جميع أهل الدنيا

عن أبـي سعيد قـال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كـان يوم القيامة وضعت منابر من نور تحت العرش مربوطـة عند كل منبـر ناقة من نوق الجنة، ثم ينـادي المنادي أين حملة كتـاب الله اجلسوا علىٰ هذه المنابر، فلا روع عليـكم ولا حزن حتى يفرغ الله مما بيـنه وبين العباد فإذا فرغ الله من حساب الخلق حُملوا علـىٰ**

= بسم الله؟ قال: المعلم ما أدري، قال له عيسى: الباء بهاء الله والسين سناؤه والميم مملكته والله إله الآلهة، والرحمن رحمن الدنيا والآخرة والرحيم رحيم الآخرة

وروى ابن مردويه بسنده عن جابر قال: لما نزل بسم الله الرحمن الرحيم هرب الغيم إلىٰ المشرق وسكنت الرياح وهاج البحر وأصغت البهائم بآذانها ورجمت الشياطين من السماء وحلف الله تعالىٰ بعزته وجلاله أن لا يسمى اسمه علىٰ شيء إلا بارك فيه .

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٣٠)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٣/ ٣٠٩)]

(٢) أخرجه السيوطي في الحبائك في معرفة الملائك (١٤٦)]

(٣) عمرو بن ميمون بن مهران أبو عبد الله أبو عبد الرحمن الجزري الرقي سبط سعيد بن جبير الأودي، البصري ثقة فاضل، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (١٤٥، ١٤٧)]

ترجمته: تهذيب التهذيب (٨/ ١٠٨)، تاريخ البخاري الكبير (٦/ ٣٦٧)، تقريب التهذيب (٢/ ٨٠)، تاريخ البخاري الصغير (٢/ ٨٦)، الجرح والتعديل (٦/ ١٤٢٣)، سير الأعلام (٦/ ٣٤٦)] .

تلك النوق، وذُوفوا إلىٰ الجنة» (١)

وقال ﷺ(٢): **«من قرأ القرآن نظرًا خفف الله عن أبويه العذاب، وإن كانا مشركين ومن قرأ القرآن ظاهرًا فظن أنه لا يغفر له فهو في كتاب الله من المستهزئين»**

وقال ﷺ(٣): **«إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة ينشق عنه قبره فيقول له: هل تعرفني فيقول ما أعرفك، فيقول أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلتك فيوضع علىٰ رأسه تاج الوقار، ثم يقال له: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها فهو في صعود ما دام يقرأ هذا (كان)(٤) أو ترتيلا**

عن أبـي الدرداء قال: قـال رسول الله ﷺ: **«القرآن أفضل من كـل شيء دون الله فمـن وقـر القـرآن فقد وقرَّ الله، ومن لـم يوقـر القرآن استخف بحرمة الله، وحرمة القرآن علىٰ الله كحرمة الولد علىٰ ولده»** (٥)

(قال علي ﷺ قال رسول الله ﷺ: **«لما أراد الله تعالىٰ أن ينزل فاتحة الكتاب وآية الكرسي(٦)، وشهد الله، وقل اللهم إلىٰ قوله: «بغير حساب» تعلقوا بالعرش**

---

(١) أخرجه: ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٠٣)]

(٢) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٤/ ٤٩٥)]

(٣) أخرجه: أحمد في مسنده (٥/ ٣٤٨)، وابن حجر في المطالب العالية (٣٤٨٧)، وابن كثير في تفسيره (١/ ٥٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٧٧) والسيوطي في اللآلئ (١/ ١٢٦)، والعقيلي في الضعفاء (١/ ١٤٤)]

(٤) كذا بالأصل وأظنها «**موجودًا**»

(٥) أخرجه: العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٢٠)، والقرطبي في تفسيره (١/٢٦، ١٥/ ٢٠)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٢٩٤)]

(٦) روى الترمذي في سننه (٢٨٧٨) كتاب فضائل القرآن، ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لكل شيء سنام، وإن سنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن، هي آية الكرسي»

وروى أحمد في مسنده (٥/ ١٤٢) عن أبي أن النبي ﷺ سأله: **«أي آية في كتاب الله أعظم؟، قال: الله ورسوله أعلم فرددها مرار ثم قال أبي: آيه الكرسي، قال: «ليهنك العلم أبا المنذر والذي نفسي بيده إن لها لسانا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش»** .

وليس بينهم وبين الله تعالىٰ حجابًا وقلن يا ربنا تهبطنا إلىٰ دار الذنوب وإلى من يعصيك .

فقال الله تعالىٰ: وعزتي وجلالي ما من عبد قرأكن دُبر كل صلاة مكتوبة إلا أسكنته حضيرة القدس علىٰ ما كان فيه، ولنظرت إليه بعين مكنونة في كل يوم سبعين مرة، ولقضيت له في كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة ولعذرته من كل عدوٍّ ونصرته عليه ولا يمنعه من دخول الجنة»[١] رواه الثعلبي مسندا بإسنادين إلىٰ علي وأبي هريرة ، ازهار وكذا من سيد داود[٢] رَحِمَهُ اللهُ)[٣]

وقال [٤] ﷺ: «**من أوتي ثلث القرآن أوتي ثلث النبوة ومن أوتي القرآن كله أوتي النبوة كلها ثم يقال له يوم القيامة اقرأ وارق[٥] بكل آية درجة حتى ينجز ما معه من القرآن، ثم يقال له اقبض فيقبض، فيقال: هل تدري ما في يمينك فإذا يده اليمنى الخلد، وفي الأخرى النعيم .**

ويدفع عن مستمع القرآن شر الدنيا، ويدفع عن تالي القرآن بلوي الدنيا والآخرة .

والمستمع آية من كتاب الله خير من ثبير ذهبًا ولتالي آية من كتاب الله خير مما تحت العرش إلىٰ تخوم الأرض السفلى

وإن هذا القرآن هو حبل الله المتين وهو نوره المبين والشفاء النافع، فاقرأه فإن الله

---

(١) أخرجه: القرطبي في تفسيره (٤/ ٥٢)]

(٢) كذا بالأصل.

(٣) وجدناه بالهامش

(٤) أخرجه: ابن القيسراني في تذكرة الموضوعات (٧٥٤)، وابن أبي حاتم في علل الحديث (١٦٨٢)]

(٥) حديث «**يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها**» أخرجه الترمذي في سننه (٢٩١٤)، في كتاب فضائل القرآن وأبو داود (١٤٦٤)في الصلاة باب استحباب الترتيل في القراءة وابن ماجه (٣٧٨٠)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٩٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٥٣).

بأجركم علىٰ تلاوته لكل حرف عشر حسنات أما إني لا أقول آلم حرف ولكن ألف ، ولام وميم ثلاثون حسنة»

وقال ﷺ: «**إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخراب**» [١].

وقال ﷺ[٢]: «**من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس والداه تاجًا يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كان فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا**

وقال ﷺ: «**لو كان القرآن في إهاب[٣] ما مسته النار**» [٤]

عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**من قرأ القرآن واستظهره فأحل حلاله وحرَّم حرامه، أدخله الله به الجنة، وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت له النار**»[٥]

---

(١) أخرجه: الترمذي في سننه (٢٩١٣) كتاب فضائل القرآن، عن ابن عباس
وقال الترمذي: حديث حسن صحيح .

(٢) أخرجه ابو داود في سننه (١٤٥٣)، والحاكم في مستدركه (١/ ٥٦٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٦٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢١٣٩)، وابن حجر في المطالب العالية (٣٥٠٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٤٩)]

(٣) بالهامش: الإهاب: الجلد قبل الدباغ

(٤) أخرجه: أحمد في مسنده (٤/ ١٥٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٦/ ٢١٢)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٤٦٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٦٣)، والشجري في آماليه (١/ ٨٦، ١٢٠)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٢٧٤)، وابن كثير في تفسيره (٦/ ٢٩٥)، والعقيلي في الضعفاء (٢/ ٢٩٥)]

(٥) أخرجه: الترمذي في سننه (٥٩٠٥)، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل قارئ القرآن وابن ماجه في سننه في المقدمة، باب ثواب من تعلم القرآن وعلمه، وأحمد في مسنده (١/ ١٤٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٥٥)]
وقال الترمذي: هذا حديث غريب وليس إسناده بصحيح وبهامش سنن الترمذي واستظهره أي حفظه عن ظهر قلب .

باب الزجر عن الكلام فيه بغير علم

عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال: «**اتقوا الحديث إلا ما علمتم فإنه من كذب عليّ متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار، ومن كذب في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار**» [(١)]

عن ابن عباس من فسر القرآن بالرأي وأصاب لم يؤجر وإن أخطأ دخل النار

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من فسر القرآن برأيه فأصاب يكتب عليه خطيئة لو قسمت بين العباد لوسعتهم وإن أخطأ فليتبوأ مقعده من النار**» [(٢)]

وقال الشعبي[(٣)]: أدركت أصحاب عليّ وعبد الله وما هم لشيء أكره من تفسير القرآن

باب فضيلة علم القرآن

عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ كان يقرأ لهم عشر آيات فلا يجاوزهن حتى يعلموا ما عليهم فيها من العلم

قال: تعلم القرآن والعلم جميعا

---

(١) أخرجه: أحمد في مسنده (١/ ٢٩٣، ٣٢٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٣٢)]

(٢) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (١/ ٢٥٧، ٤/ ٥٢٦)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (١/ ٢٧٤)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (٣١٧)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٣٨)]

(٣) الشعبي هو عامر بن شراحيل بن عبد، أبو عمرو الشعبي الحميري، والكوفي الهمداني، ثقة مشهور فقيه، فاضل، توفي سنة (١٠٩، ١٠٥، ١٠٤)، أخرج له أصحاب الكتب بالستة

ترجمته: تهذيب التهذيب (٥/ ٦٥)، تقريب التهذيب (١/ ٣٨٧)، الكاشف (٢/ ٥٤)، تاريخ البخاري الكبير (٦/ ٤٥٠)] .

عن الحسين: والله ما أنزل آية إلا وهو يحب أن يعلم فيما أنت فيه، وما معناها[١]

وقال الحسين: علم القرآن ذكر لا يعلمه إلا الذكور من الرجال

عن سعيد قال: أتينا الفضيل بن عياض بمكة فسألناه أن يملي علينا

قال: ضيعتم كتاب اللّه وطلبتم كلام فضيل بن عياض لو تفرغتم لكتاب الله لوجدتم فيه شفاء لما تريدون

قلنا: قد تعلمنا القرآن[٢]

قال: إن في تعلم القرآن شُغلاً لأعماركم وأعمار أولادكم وأولاد أولادكم

قلنا: وكيف قال: لن تعلموا القرآن حتى تعرفوا إعرابه ومحكمه متشابهة وحرامه وحلاله وناسخه ومنسوخه

فإذا عرفتم ذلك اشتغلتم عن كلام فضيل وغيره

عن سفيان الثوري أنه قال: أفنينا عمرنا في الإيلاء[٣] والظهار ونبذنا كتاب الله

---

(١) روى ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٤٨١)، أن النبي ﷺ خرج يومًا إلىٰ أصحابه فقال: «**أبشروا أبشروا أليس تشهدون أن لا إله إلا الله**» قالوا: بلى

قال: «**فإن هذا القرآن سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به، فلن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدًا**

وروى عتبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا يعذب الله قلبًا وعى القرآن**».

وقال العجلوني بعد أن ذكره في كشف الخفا (٢/ ٥٢١)، رواه الديلمي عن عقبة رضي الله عنه.

(٢) أفضل القراءة للقرآن ما كان في الصلاة، وأما في غير الصلاة فأفضلها قراءة الليل والنصف الأخير منه أفضل من الأول، والقراءة بين المغرب والعشاء محبوبة، وأما قراءة القرآن في النهار فأفضلها بعد صلاة الصبح، ولا كراهة في وقت من الأوقات ولا في أوقات النهي عن الصلاة ويستحب الاجتماع عند الختم لحصول البركة

[انظر بستان الفقراء ونزهة القراء (١/ ٧٤) من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) الإيلاء في اللغة الامتناع باليمين، وفي الشرع باليمين من وطء الزوجة ويستوي في ذلك اليمين بالله أو الصوم أو الصدقة أو الحج أو الطلاق، وقد كان الرجل في الجاهلية يحلف ألا يمس امرأته السنة والسنتين والأكثر من ذلك بقصد الإضرار بها فيتركها معلقة لا هي مطلقة فأراد الله سبحانه أن يضع حدا لهذا العمل الضار، فوقته بمدة أربعة أشهر، يتروى فيها الرجل عله يرجع إلىٰ رشده بأن حنث في اليمين ولامس زوجته وكفر عن يمينه فيها وإلا طلق

[فقه السنة (٢/ ١٧٠)].

وراء ظهورنا فماذا نقول لربنا في المعاد

باب ذم المقصرين في القرآن

قال فضيل: حامل القرآن حامل راية الإسلام، فلا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يلغوا مع من يلغوا تعظيما لحق القرآن(١)

قال ابن مسعود ينبغي لحامل القرآن أن يصلي بالليل إذ الناس نائمون ويصوم بالنهار إذ الناس مفطرون، ويحزن إذ الناس يفرحون، ويبكي إذ الناس يضحكون، ويصمت إذ الناس يخوضون ويخضع إذ الناس يختالون، ولا ينبغي أن يكون جافيًا ولا مماريا ولا صخابا ولا حديدا ولا صياحا

قال ﷺ: «**أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها**» (٢)

---

(١) قال في بستان الفقراء: وعن جابر بن عبد الله وعبد الرحمن بن سمرة ﷺ أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما أجر من علم ولده القرآن؟ فقال: «**القرآن كلام الله لا غاية له**» فنزل جبريل عليه السلام فقال: يا جبريل ما أجر من علم ولده القرآن فقال جبريل: القرآن كلام الله لا غاية له، فصعد جبريل فلقي إسرافيل فقال: يا إسرافيل ما أجر من علم ولده القرآن؟ فقال إسرافيل: يا جبريل القرآن كلام الله لا غاية له، فأوحى الله إلىٰ جبريل إن قل لمحمد: إن الله يقرئك السلام ويقول: من علم ولده القرآن أو اقرأه لنفسه فكأنما حج عشرة آلاف حجة أو اعتمر عشرة الآف عمرة وغزا عشرة آلاف غزوة وأطعم عشرة الآف مسلم جائع وكسا عشرة الآف عريان واعتق عشرة آلاف رقبة من ولد إسماعيل وكان له بكل حرف عشر حسنات وتمحى عنه عشر سيئات فقال جبريل لمحمد ﷺ ذلك، وقال: يا محمد يكون مؤنسًا في القبر ويجوز علىٰ الصراط كالبرق الخاطف إلىٰ آخر الحديث

[بستان الفقراء ونزهة القراء (١/ ٧٥، ٧٦) من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية] .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٧٥، ٤/ ١٥٥)، والزبيدي في الإتحاف (٢/ ٢٧٠، ٤/ ٤٦٩)، والشوكاني في الفوائد (٢٨٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٢٩، ٢٣٠)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ١٧٩)، والخطيب في تاريخ بغداد (١/ ٢٥٧)، والفتني في تذكرة الموضوعات (٢٤)]

وقال ﷺ: «**وبعض السلف إن العبد إذا قرأ سورة وأحل حلالها وحرم حرامها صلت عليه وإلا لعنته تلك السورة**»

قال سليمان الداراني: الزبانية أسرع إلىٰ حملة القرآن الذين يعصون الله تعالىٰ منهم إلىٰ عبدة الأوثان

قال ﷺ: «**اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا**» (١)

وقال صالح المروزي: قرأت القرآن علىٰ رسول الله ﷺ في المنام فقال لي: يا صالح هذه القراءة فأين البكاء

وقال ﷺ: «**إن القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه فتحازنوا**» (٢)

وقال ابن عباس: إذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا، فإن لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه علىٰ فقد الحزن والبكاء(٣)

قال: ذلك أعظم المصائب

باب الاستغفار

قال ﷺ: «**من كثر الاستغفار جعل الله له في كل هم فرجًا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب**» (٤)

(فعليك بكثرة الاستغفار والتوبة حتى يصير قلبك مصقولاً وتصير الكبائر صغائر ويصير الضيق فرحًا، والكرب والغم سرورًا والمال القليل كثيرًا، فإن الاستغفار

---

(١) ذكره الهندي في الكنز (٢٧٩٤)

(٢) أخرجه: الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٤/ ٤٨٠)، والعقيلي في الضعفاء (٣/ ٤٢٢)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٢٧٨)

(٣) أخرجه: الشجري في أماليه (١/ ٩١)

(٤) أخرجه: أبو داود في سننه (١٥١٨)، وابن ماجه في سننه (٣٨١٩)، وأحمد في مسنده (١/ ٢٤٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٦٢)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٥٦)، والطبراني في الصغير (٢/ ٧٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٨٢)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٥٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٥١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٣٣٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٢١١)]

مفتاح كل خير وسد باب كل شرّ فليكن همتك التوبة في جميع أمورك)[(١)]

وقال حين يأوي إلىٰ فراشه: استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل وورق الأشجار وعدد أيام الدنيا)[(٢)]

وفي حديث آخر: «**غفر له وإن كان فارًا من الزحف**» [(٣)]

وقال ﷺ: «**إذا أذنب العبد ذنبا فقال: اللهم اغفر لي فيقول الله تعالىٰ: إن عبدي أذنب ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنوب عبدي افعل ما شئت فقد غفرت لك**» [(٤)]

وقال ﷺ: «**إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإذا تاب واستغفر صقل قلبه منها، فإن زاد زاد حتى تعلوا منها فذلك الران الذي ذكره الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿كَلَّا بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ١٤﴾ [المطفّفِين: ١٤]** [(٥)]

وعن علي رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور، ثم قام وصلى ركعتين ثم استغفر الله إلا غفر له**» [(٦)]

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) أخرجه: المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤١٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٤٠٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١١٣)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٥٧)

(٣) أخرجه: أبو داود في سننه (١٥١٧)، والترمذي (٣٥٧٢)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٧/ ٤٦)، والحاكم في المستدرك (١١٨١)]

(٤) أخرجه: البخاري في صحيحه (٧٥٠٧) كتاب التوحيد، ٣٥. باب قول الله تعالىٰ ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ﴾ **[الفتح: الآية ١٥]**

ومسلم في صحيحه [٢٩. (٢٧٥٨)] كتاب التوبة ٥. باب قبول التوبة من الذنوب، وإن تكررت الذنوب والتوبة، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٩٤)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٥٤)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٥٩، ٩/ ١٧٧)].

(٥) أخرجه: ابن ماجه في سننه (٤٢٤٤)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٩٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٨٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥١٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٩٢)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٣١٥)، والطبري في تفسيره (١/ ٨٧)، والآجري في تنزيه الشريعة (١١١)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٥٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٣٤٢)]

(٦) أخرجه الزبيدي في الاتحاف (٨/ ٦٠٣)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٣٤، ٤/ ٤٦).

وقال ﷺ: «**سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا علىٰ عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»

قال: من قالها من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو في الجنة، ومن قالها في الليل موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة» (١)

(قال ﷺ: «**ثلاثة أصوات يحبها الله تعالىٰ: صوت الديك، وصوت الذي يقرأ القرآن وصوت المستغفرين بالأسحار**» (٢)

قال سفيان الثوري رحمه الله: إن الله تعالىٰ خلق ريحا تهب وقت الأسحار تحمل الأذكار والاستغفار إلىٰ الله الملك الجبار)(٣)

قال ﷺ(٤): «**قال الله تعالىٰ: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك علىٰ ما كان فيك ولا أبالي، ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرت**

---

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه (٦٣٠٦) كتاب الدعوات، ٢. باب أفضل الاستغفار وأحمد في مسنده (٤/ ١٢٢، ١٢٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٥٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٣٥١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٢٩٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٣٣٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٤٨)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٦٠)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٣١٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٧٤)]

(٢) ذكره الهندي في الكنز (٣٥٢٨٥)]

(٣) وجدناه بالهامش

في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٧] دل علىٰ فضيلة الاستغفار وقت الأسحار، وقد قيل إن يعقوب عليه السلام لما قال لنبيه ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ أنه أخرهم إلىٰ وقت السحر وثبت في الصحيحين وغيرهما من المسانيد والسنن من غير وجه عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال: ينزل الله تبارك وتعالى في كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: هل من سائل فأعطيه هل من داع فاستجيب له .. الحديث .

(٤) أخرجه: الترمذي في سننه (٣٥٤٠) كتاب الدعوات باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده، والدارمي في سننه (٢٧٩١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢١٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٣٣٦)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ١٧٧)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٢١٧)]

وقراب الأرض بضم القاف من ملئها وحكى فيه صاحب المطالع بالكسر .

غفرت لك ولا أبالي، يا بن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة» [(١)]

وقال: ومن أعلم أني ذو قدرة علىٰ مغفرة الذنوب، فغفرت له ولا أبالي ما لم يشرك بي شيئًا» [(٢)]

عن عامر الرَّاميّ[(٣)] قال: بينما نحن عنده يعني رسول الله ﷺ إذ أقبل رجل عليه كساء وفي يده شيء قد التف عليه فقال: يا رسول الله مررت بغيضة شجر فسمعت فيها أصوات فراخ طائر فأخذتهن فوضعتهن في كسائي، فجاءت أمهن فاستدارات علىٰ رأسي فكشفت عنهن فوقعت عليهن فلففتهن بكسائي فهن أولاء معي

قال: «**ضعهن**» فوضعهن فأبت أمهن إلا لزومهن

فقال رسول الله ﷺ[(٤)]: «**أتعجبون لرحم أم الأفراخ علىٰ فراخها، فوالذي بعثني بالحق نبيًا لله أرحم بعباده من أم الأفراخ علىٰ فراخها، ارجع بهن حتى تضعهن من حيث أخذتهن وأمهن معهن» فرجع بهن .**

وقال ﷺ: «**من قال: استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثاً غفر له ذنوبه»** [(٥)]

---

(١) تخريجه في أول الحديث قبل هذا

(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (١٢٧)، والزبيدي في الاتحاف (٥/ ٦٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٧٠، ٣/ ١٧٠)]

(٣) عامر ﷺ الرامي أخو الخضر بن محارب، المحاربي صحابي له حديث يروى بإسناد مجهول أخرج له: أبو داود

ترجمته: تهذيب التهذيب (٥/ ٨٤)، تقريب التهذيب (١/ ٣٩٠)، تاريخ البخاري الكبير (٩/ ٤٤٦)، والجرح والتعديل (٦/ ٣٢٩)، أسماء الصحابة الرواه (٧٢٧)] .

(٤) أخرجه: أبو داود في سننه (٣٠٨٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٣٧٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٨)]

(٥) أخرجه: أبو داود في سننه (١٥١٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٧٠)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٥٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٧٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٣٥٣)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٣١٤، ٣٣٨)، وابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ٣١٥)، وابن سعد في طبقاته (٧/ ٤٦)]

وقال ﷺ: «**من قال استغفر الله في اليوم سبعين مرة قبل أن تغرب الشمس يغفر الله ذنب سبعين سنة**»

والاستغفار لست معازم(١):

أحدها: الندم علىٰ ما مضى

والثاني: أن لا تعود إلىٰ الذنب أبدا

والثالث: أن تؤدي حق الله في كل فرض ضيعته

والرابع: أن تؤدى حقوق المخلوقين الذين بينك وبينهم من المظالم

والخامس: أن تنظر إلىٰ اللحم الذي نبت من الحرام فتذيبه حتى يرجع الجلد إلىٰ العظم ثم ينشئ بينهما لحما حلالاً

والسادس: أن تذيقه ألم الطاعات كما أذقته لذات المعاصي، فذلك من الاستغفار الكامل لا الاستغفار باللسان، وقلبه في أودية الدنيا وذلك قنطرة ما جاوز البحر

باب فضيلة التسبيح والتهليل

قال رسول الله ﷺ: «**من قال سبحان الله وبحمده سبحان العظيم في**

---

(١) قال النووي: للتوبة ثلاثة أركان: الإقلاع والندم علىٰ فعل تلك المعصية والعزم علىٰ ألا يعود إليها أبدا، فإن كانت المعصية والعزم علىٰ أن لا يعود إليها أبدا، فإن كانت المعصية لحق آدمي فلها ركن رابع وهو التحلل من صاحب ذلك الحق وأصلها الندم وهو ركنها الأعظم

واتفقوا علىٰ أن التوبة من جميع المعاصي واجبة وأنها واجبة علىٰ الفور لا يجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة.

والتوبة من مهمات الإسلام وقواعده المتأكدة ووجوبها عند أهل السنة بالشرع وعند المعتزلة بالعقل ولا يجب علىٰ الله قبولها إذا وجدت بشروطها عقلا عند أهل السنة لكنه سبحانه وتعالى يقبلها كرما وفضلا وعرفنا قبولها بالشرع والإجماع خلافا لهم وإذا تاب من ذنب ثم ذكره هل يجب تجديد الندم فيه خلاف لأصحابنا وغيرهم من أهل السنة قال ابن الأنباري يجب، وقال إمام الحرمين لا يجب.

[شرح مسلم للنووي (١٧/ ٥٠) طبعة دار الكتب العلمية].

اليوم مائة مرة حطت خطاياه، وإن كان مثل زبد البحر» (١)

روي أن رجلا أتى النبي ﷺ قال: «**يا رسول الله تولت عني الدنيا وقلت ذات يدي. فقال رسول الله ﷺ فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلق وبها يرزقون**»

فقال: وما ذلك يا رسول الله؟ قال ﷺ: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم(٢) وبحمده استغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر إلىٰ أن تصلي الصبح، تأتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله من كل كلمة ملكًا يسبح الله تعالىٰ إلىٰ يوم القيامة ويجعل لك ثوابها»

وقال ﷺ: «**ما علىٰ وجه الأرض قال: لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم إلا غفرت ذنوبه**»

وقال ﷺ: أفضل الكلام أربع سبحان الله والحمد ولا إله إلا الله والله أكبر(٣)

(وقال ﷺ في حديث آخر: لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله

---

(١) أخرجه: البخاري (٦٤٠٥)، كتابة الدعوات ٦٧ . باب فضل التسبيح ومسلم في صحيحه (٢٨/ ٢٦٩)، كتاب الذكر والدعاء باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء وأبو داود في سننه (٥٠٩١)، كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح والترمذي (٣٤٦٩)، كتاب دعوات والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٧٨)، باب نوع آخر ما يقول إذا أمسى وانظر البخاري (٦٤٠٥)، في الدعوات باب فضل التسبيح وأخرجه الحاكم في مستدركه (١/ ٥١٨)، وصححه علىٰ شرط مسلم ووافقه الذهبي

(٢) أوله أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤٠٦) كتاب الدعوات باب فضل التسبيح ومسلم في صحيحه ٣١ كتاب الذكر والدعوات والمنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٤٢٣ والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٩٤، والبيهقي في الأسماء والصفات ٤٩٩، وابن كثير في تفسيره ٨/ ٢٩

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٧٣)، وابن خزيمة في صحيحه (١١٤٢) والتبريزي في مشكاته المصابيح (٢٩٤) وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٢٤٢)]

والله أكبر أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس[١] يعني من الدنيا وما فيها من الأموال وغيره)[٢]

وقال ﷺ: «**كلمتان خفيفتان علىٰ اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلىٰ الرحمن سبحان الله العظيم وبحمده**»

وقـال ﷺ: «**لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم كنز من كنوز الجنة**» [٣]

وقال ﷺ: «**من سبح الله مائة مرة بالغدوة ومائة بالعشي كمن حج مائة مرة ومن حمد الله مائة مرة بالغدوة ومائة بالعشي كان كمن حمل مائة فرس في سبيل الله، ومن هلل الله مائة مرة بالغدوة ومائة بالعشي كان كمن أعتق مائة رقبة من ولد إسماعيل، ومن كبر الله مائة مرة بالغدوة ومائة بالعشي لم يأت ذلك اليوم أحد بأكثر مما أوتي به إلا من قال مثل ذلك أو زاد علىٰ ما قال**» [٤]

---

(١) أخرجه: مسلم في صحيحه (٤٢) كتاب الذكر والدعاء، والترمذي في سننه (٣٥٩٧)، والمنذري في الترغيب (٢/ ٤٢٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٢٦)، البخاري في صحيحه (٦٤٠٦)، كتاب الدعوات (٦٧ . باب فضل التسبيح ورقم (٦٦٨٢) كتاب الأيمان والنذور ١٩ باب إذا قال والله لا أتكلم اليوم ورقم (٧٥٦٣)، ٩٨ . كتاب التوحيد، ٥٨ . باب قول الله تعالىٰ ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [**الأنبياء: الآية ٤٧**] ومسلم [٣١ (٢٦٩٤)] كتاب الذكر والدعاء، ١٠ باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء والترمذي (٣٤٦٧)، كتاب الدعوات والنسائي في عمل اليوم والليلة (٨٣٠)]

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) أخرجه: البخاري (٦٣٨٤) ٨٠ كتاب الدعوات ٥٢ . باب الدعاء إذا علا عقبه ومسلم (٢٧٠٤)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب استحباب خفض الصوت بالذكر وأبو داود (١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨)، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار والترمذي (٣٤٦١) ٤٩ . كتاب الدعوات، ٥٨ . باب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد، والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٣)، وابن ماجه (٣٨٢٤)، ٣٣ كتاب الأدب ٥٩ . باب ما جاء في لا حول ولا قوة إلا بالله

(٤) أخرجه: الترمذي في سننه (٣٤٧١) كتاب الدعوات، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٥٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٣١٢)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٤/ ١٤١٧)

[وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب] .

ولا تظنن أن هذه الحسنات بأن تحرك اللسان بهذه الكلمات من غير حصول معانيها في القلب فسبحان الله كلمة تدل علىٰ التقديس، والحمد لله تدل علىٰ معرفة النعمة من الواحد الحق، ولا إله إلا الله تدل علىٰ التوحيد فالحسنات بإدراك هذه، وهي أبواب الإيمان واليقين ويتقى الشر في الأفعال

باب فضيلة التهليل

قال رسول الله ﷺ: **«ما علىٰ وجه الأرض أحد يقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم إلا كُفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر»** (١)

(قال ﷺ: **«ما من قوم يذكرون الله تعالىٰ إلا نادى مناد من السماء قوموا فقد بدلت سيئاتكم حسنات وغفر لكم جميعا»**

قال ﷺ: **«من ذكر الله تعالىٰ قبل طلوع الشمس وقبل غروبها استحيى منه ربنا أن يعذبه بناره، ولو بلغ ذنوبه مثل عدد النجوم أربعين ألف مرة»**

قال: **ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالىٰ فيه إلا**

(١) بنحوه أخرجه مسلم في صحيحه [٢٨. (٢٦٩١)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ١٠. باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، عن أبي هريرة

وقال النووي: هذا فيه دليل علىٰ أنه لو قال هذا التهليل أكثر من مائة مرة في اليوم كان له هذا الأجر المذكور في الحديث علىٰ المائة ويكون له ثواب آخر علىٰ الزيادة وليس هذا من الحدود التي نهي عن اعتدائها ومجاوزة أعدادها، وإن زيادتها لا فضل فيها أو تبطلها كالزيادة في عدد الطهارة، وعدد ركعات الصلاة ويحتمل أن يكون المراد الزيادة من أعمال الخير لا من نفس التهليل ويحتمل أن يكون المراد مطلق الزيادة سواء كانت من التهليل أو من غيره أو منه ومن غيره، وهذا الاحتمال أظهر والله أعلم، وظاهر إطلاق الحديث أنه يحصل هذا الأجر المذكور في هذا الحديث من قال هذا التهليل مائة مرة في يومه سواء قاله متوالية أو متفرقة في مجالس أو بعضها أول النهار وبعضها آخره ولكن الأفضل أن يأتي بها متوالية في أول النهار ليكون حرزا له في جميع نهاره .
[النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٥) طبعة دار الكتب العلمية] .

قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان لهم حسرة»[١])[٢]

عن النبي ﷺ[٣]: «**إذا شرع أحدكم الرُّمح إلىٰ الرجل وإن سنانه عند ثغر نحره فقال لا إله إلا الله، فليرفع عنه الرّمح، جعل الله هذه الكلمات عصمة لدمه وماله، أفلا يجعله عصمة عند عقوبة جهنم». قال موسى** عليه السلام: يا رب علمني شيئًا أذكرك به، قال: قل لا إله إلا الله

لو أن السموات السبع ومن فيهن والأرضين السبع وضعت في كفة الميزان، ولا إله إلا الله في كفة أخرى، لمالت . أي لترجحت . وزاد كلمة لا إله إلا الله .

وفي الخبر عن ابن عباس قال: آخر من يخرج من النار[٤] من هذه الأمة يبقى سبعة الآلف سنة في النار، فيصيح بعد أربعة الآلف سنة يا الله يا الله ألف سنة، ثم يصيح ألف سنة يا حنان يا منان، ثم يصيح ألف سنة يا حي يا قيوم[٥]، فيقول الله يا مالك إن العبد يدعوني في قعر جهنم فهل تعرف مكانه

فيقول: يا رب أنت تعرف مكانه مني

فيقول الله تعالىٰ: فإنه في واد في قعر جهنم وفي الوادي بئر وفي البئر صندوق وهو فيه

---

(١) أخرجه: أبو داود في سننه (٤٨٥٥) كتاب الأدب، باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله

والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤١٠)، وابن تيمية في الكلم الطيب (٢٢٤)، وفي الأذكار النبوية (٢٦٦)، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧٧)] .

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) أخرجه: ابن حجر في المطالب العالية (٢٨٤١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٥)، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٦/ ٤٤٨)]

(٤) روى مسلم في صحيحه [٣٠٨.(١٨٦) كتاب الإيمان، ٨٣. باب آخر أهل النار خروجا، عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «**إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا الجنة، رجل يخرج من النار حبوا، فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى. . . . . وفي آخر الحديث: «اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها»**

(٥) القيوم: هو القائم الدائم بلا زوال، وهو نعت المبالغة في القيام علىٰ الشيء، وقيل هو القيم علىٰ كل شيء بالرعاية له

فيقول الله: قدمه إليّ، فيصيح مالك في النار فتأكل النار بعضها بعضًا من هيبة مالك فأخرجه من النار قد اشتعلت النار في أعضائه، ويقول له: يا شقي إن الله يدعوك، فيقول لمالك: أي العذاب أشد في جهنم فيقول: السعير وسقر، فيقول: يا مالك اجعلني نصفين، فألقي نصفي في السعير ونصفي في سقر ولا تقدمني بين يدي الله ﷻ(١)

فيقول الله عبدي ألم أخلق لك سمعًا وبصرًا كذا وكذا، فيغرق حياء (٢) من الله

فيقول: يا رب النار أحب إليّ من هذا

فيقول الله تعالىٰ: اذهبوا به إلىٰ النار، فيلتفت العبد فيقول العبد: يا رب ما كان ظني بك هكذا

فيقول الله: ما كان ظنك بي، فيقول ظني أن تخرجني من النار فلا تعيدني إليها ثانيًا

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٢٤. (٢٧٥٦)] كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله تعالىٰ عن أبي هريرة ﵁ قال: أن رسول الله ﷺ قال: «**قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله إذا مات فحرقوه، ثم اذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم فأمر الله البر فجمع ما فيه وأمر البحر فجمع ما فيه ثم قال: لم فعلت هذا؟ قال: من خشيتك: يا رب وأنت أعلم فغفر الله له**»

(٢) الحياء انقباض النفس من شيء وتركه حذرًا من اللوم والحياء الإيماني يمنع المؤمن من فعل المعاصي خوفًا من الله تعالى، وهو بخلاف الحياء النفساني الذي خلفه في النفوس كلها، كالحياء من كشف العورة

والحياء من الوصف العام والوصف الخاص فأما الوصف العام فهو ما أمر به الرسول في قوله: «**استحيوا من الله حق الحياء يحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وتذكرت الموت والبلى وترك زينة الدنيا ومن يفعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء**» .
وأما الحياء الخاص فمن الأحوال فقد ذكر عثمان ﵁ أنه ليغتسل في البيت المظلم فينطوي حياء من الله، وقال ذو النون: الحياء وجود الهيبة في القلب مع حشمة ما سبق منك إلىٰ ربك وقيل العلم الأكبر هو الهيبة والحياء فإذا ذهب عنه الهيبة والحياء فلا خير فيه .
المعجم الصوفي .

فيقول الله تعالىٰ: صدق عبدي، هل تدري لماذا أخرجتك من النار

فيقول لا يا رب، فيقول الله: إنك كنت قلت في يوم كذا وكذا وليلة كذا لا إله إلا الله محمد رسول الله، فاليوم أخرجتك من النار لأجل ذلك

فيقول الله: ادخل الجنة(١)

فيقول: يا رب إن الجنة قسمها أولياءك فلا أجد المكان، فيقول الله إن لك في الجنة مثل ما طلعت عليه الشمس وغربت سبع مرات

قال: فيغسل في نهر يقال له الحيوان، فيخرج ووجهه كالقمر ليلة البدر

فيتمنى أهل النار أن يكونوا قالوا مرة واحدة لا إله إلا الله محمد رسول الله حتى ينجوا من العذاب كما قال الله تعالىٰ: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾ **[الحِجر: الآية ٢]**

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تعالىٰ فتنادوا هلموا إلىٰ حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم فإذا صعدوا إلىٰ السماء قال: فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم من أين جئتم؟**

---

(١) في حديث مسلم [٧٧. (٢٨١٧)] كتاب صفات للمنافقين وأحكامهم عن جابر قال «**سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يدخل أحد منكم عمله الجنة ولا يجيزه عن النار ولا أنا إلا برحمة من الله»**

قال النووي: اعلم أن مذهب أهل السنة أنه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا إيجاب ولا تحريم ولا غيرهما من أنواع التكليف ولا تثبت هذه كلها ولا غيرها إلا بالشرع ومذهب أهل السنة أيضا أن الله تعالىٰ لا يجب عليه شيء تعالىٰ الله بل العالم ملكه والدنيا والآخرة في سلطانه يفعل فيهما ما يشاء فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان عدلا منه، وإذا أكرمهم ونعمهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه، ولو نعم الكافرين وأدخلهم الجنة كان له ذلك ولكنه أخبر وخبره صدق أنه لا يفعل هذا بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته ويعذب المنافقين ويخلدهم في النار عدلا منه، وأما المعتزلة فيثبتون الأحكام بالعقل ويوجبون ثواب الأعمال ويوجبون الأصلح ويمنعون خلاف هذا في خبط طويل لهم تعالىٰ الله عن اختراعاتهم الباطلة المنابذة لنصوص الشرع وفي ظاهر هذه الأحاديث دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته .
[النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٣٢) طبعة دار الكتب العلمية] .

فيقولون: جئنا من عند عبادك في الأرض

قال: ما يقولون عبادي[١]

قالوا: يسبحونك ويكبرونك ويمجدونك

قال النبي: فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا ما رأوك، قال النبي: فيقول: كيف لو رأوني، فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تحميدًا وأكثر لك تسبيحًا.

قال النبي: فيقول الله: فما يسألوني؟ قالوا: يسألونك الجنة، قال: هل رأوها، فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها، قال: يقول كيف أنهم لو رأوها يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة

قال الله: فمما يتعوذون؟ قالوا: يتعوذون من النار، قال: وهل رأوها؟

قال: يقولون: لا والله ما رأوها، قال النبي: يقول الله: كيف لو رأوها، قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا وأشد لها مخافة

قالوا: ويستغفرونك، قال: فيقول أشهدكم أني قد غفرت لهم

---

(١) وفي هذا الحديث فضيلة الذكر وفضيلة مجالسه والجلوس مع أهله وإن لم يشاركهم وفضل مجالس الصالحين وبركتهم، قال القاضي عياض: وذكر الله تعالىٰ ضربان: ذكر بالقلب وذكر باللسان، وذكر القلب نوعان أحدهما: وهو أرفع الأذكار وأجلها الفكر في عظمة الله تعالىٰ وجلاله وجبروته وملكوته وآياته في سماواته وأرضه ومنه الحديث خير الذكر الخفي والمراد به هذا. والثاني: ذكره بالقلب عند الأمر والنهي فيمتثل ما أمر به ويترك ما نهي عنه ويقف عما أشكل عليه، وأما ذكر اللسان مجردا فهو أضعف الأذكار ولكن فيه فضل عظيم كما جاءت به الأحاديث قال وذكر ابن جرير الطبري وغيره اختلاف السلف في ذكر القلب واللسان أيهما أفضل قال القاضي: والخلاف عندي إنما يتصور في مجرد ذكر القلب تسبيحا وتهليلا وشبههما وعليه يدل كلامهم لا أنهم مختلفون في الذكر الخفي الذي ذكرناه وإلا فذلك يقاربه ذكر اللسان فكيف يفاضله، وإنما الخلاف ذكر القلب بالتسبيح المجرد ونحوه والمراد بذكر اللسان مع حضور القلب فإن كان لاهيا فلا واحتج من رجح ذكر القلب بأن عمل السر أفضل ومن رجح اللسان، قال: لأن العمل فيه أكثر فإن زاد باستعمال اللسان اقتضى زيادة أجر

[شرح مسلم للنووي (١٧/ ١٤) طبعة دار الكتب العلمية].

وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم ما استجاروا [١]

قال النبي يقول ملك من الملائكة: يا رب فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة

وفي رواية: يقولون رب فيهم عبد خطأ إنما مرّ فجلس معهم

قال: فيقول الله تعالىٰ: وله غفرت ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»

وقال ﷺ: «**لتدخلن الجنة كلكم إلا من يأبى وشرد شرد البعير علىٰ أهله فقيل: يا رسول الله من الذي يأبى؟**

قال: من لم يقل لا إله إلا الله[٢]، قبل أن يحال بينكم وبينها، فإنها ثمن الجنة»[٣]

وقال إبراهيم الخواص: طلبت المعاش فاضطررت لصيد السمك، فبينما أنا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٦٠٧)، مسلم في صحيحه [٢٥ ـ (٢٦٨٩)، كتاب الذكر والدعاء، ٨ ـ باب فضل مجالس الذكر، والنسائي (٣: ٤٣. المجتبى) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٢١٧)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ١٢٥)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٣٤، ٢٩٨)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٥٠)، والخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ١٠٤)]

(٢) أخرجه: الحاكم في المستدرك (١/ ٥٥، ٤٤/ ٢٤٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٤٠٣)، وابن حبان في صحيحه (٢٣٠٦ ـ الموارد) والزبيدي في الاتحاف (٥/ ١١)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٢٩٩)]

(٣) اعلم أن مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف أن من مات موحدا دخل الجنة قطعا علىٰ كل حال فإن كان سالما من المعاصي كالصغير والمجنون والذي اتصل جنونه بالبلوغ، والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي إذا لم يحدث معصية بعد توبته والموفق الذي لم يبتل بمعصية أصلا فكل هذا الصنف يدخلون الجنة ولا يدخلون النار أصلا لكنهم يردونها علىٰ الخلاف المعروف في الورود والصحيح أن المراد به المرور علىٰ الصراط وهو منصوب علىٰ ظهر جهنم أعاذنا الله منها ومن سائر المكروه وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة فهو في مشيئة الله تعالى، فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أو لا وجعله كالقسم الأول، وإن شاء عذبه القدر الذي يريده سبحانه وتعالى ثم يدخله الجنة فلا يخلد في النار أحد مات علىٰ التوحيد ولو عمل من المعاصي ما عمل

[النووي في شرح مسلم (١/ ١٩٢) طبعة دار الكتب العلمية] .

جالس ومعي قصبة فيها شيء أصطاد به السمك فوقعت سمكة فأخرجتها فرميت بها، ثم وقعت أخرى فأخرجتها فرميت لها

فنادى شيء من خلفي فالتفت فلم أر شيئًا وسمعت قائلا يقول: أنت لم تجد معاشًا إلا أن تجيء إلىٰ من يذكر الله في قعر البحار فتقتلهم، فكسرت القصبة ومضيت

عن مكحول الازدي[1] قال: قلت لابن عمرو رأيت قاتل النفس وشارب الخمر والسارق والزاني أيذكر الله وقد قال تعالىٰ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ **[البَقَرَة: ١٥٢]**

قال: إذا ذكر الله هذا ذكر الله باللغة حتى سكت

والذكر المؤثر النافع هو الذكر مع الله تعالىٰ لأن حضور القلب مع الله تعالىٰ علىٰ الرواية غاية ثمرة العبادات

باب فضيلة الصلاة علىٰ النبي ﷺ

قال رسول الله ﷺ: «**حسب المؤمن البخيل أن أُذكر عنده فلا يصلي عليّ كلما ذكرني**» [2]

وروي أنه ﷺ جاء ذات يوم والبشر يُرى في وجهه فقال: «**أنه جاءني**

---

(١) مكحول أبو عبد الله الأزدي البصري، صدوق أخرج له البخاري في الأدب

ترجمته: تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٩٣) (٥١٠)، تقريب التهذيب (٢/ ٢٧٣)، خلاصة تهذيب الكمال (٣/ ٥٥)، الذيل علىٰ الكاشف رقم (٥٥٢٣)، تاريخ البخاري الكبير (٨/ ٢٢)، الجرح والتعديل (٨/ ١٨٦٦)، ثقات (٥/ ٤٤٧)، التمهيد (١/ ١٥٧)، تاريخ أسماء الثقات (١٣٧٧)، سير الأعلام (٥/ ١٦٠)، والحاشية تاريخ الإسلام (٥/ ٦)] .

(٢) بلفظ: «**البخيل من ذكرت عنده ولم يصلي علي**»

أخرجه الترمذي وفي سننه (٣٥٤٦)، وأحمد في مسنده (١/ ٢٠١)، والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ١٣٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٦٤)، وابن حبان في صحيحه (٢٣٨٨)، والألباني في إرواء الغليل (١/ ٣٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢١٨)، والمنذري والترغيب والترهيب (٢/ ٥١٠)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٤٩)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٣٢)] .

جبرائيل عليه السلام وقال: قال الله أما يرضيك يا محمد أن لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرًا[١] ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرا»

وقال: «**من صلى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب الكتاب**»[٢]

(حكى قال الشيخ: سمعت في رواية أن يهوديًا كان ادعى جملا في زمان النبي ﷺ علىٰ رجل مسلم بالكذب فتحاكما إلىٰ النبي ﷺ فأنكر المسلم

فشهد عليه أربعة من المنافقين، فحكم النبي ﷺ بقطع يد المسلم[٣] ورد الجمل إلىٰ اليهودي

فتحير المسلم ورفع رأسه إلىٰ السماء وقال: إلهي أنت تعلم بأني مظلوم لا آثم.

ثم قال: يا رسول الله حكمك حكم حق ولكن استخبر من هذا الجمل

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٧٠. (٤٠٨)] كتاب الصلاة ١٧. باب الصلاة علىٰ النبي ﷺ بعد التشهد، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا**».

قال القاضي: معناه رحمته وتضعيف أجره كقوله تعالىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [**الأنعام: الآية ١٦٠**] وقد يكون الصلاة علىٰ وجهها وظاهرها تشريفاً له بين الملائكة كما في الحديث: «**وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم**».

[النووي في شرح مسلم (٤/ ١٠٩) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٥/ ٥٠، ٣/ ٢٨٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١١٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٣٦)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٣١٢)، وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٢٨)، والفتني في تذكرة الموضوعات (٩٠)، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٢/ ١١٤)]

(٣) الاسلام احترم المال من حيث انه عصب الحياة واحترم ملكية الأفراد له وجعل حقهم فيه حقا مقدسا لا يحل لأحد أن يعتدي عليه بأي وجه من الوجوه، ولهذا حرم الإسلام السرقة والغصب والاختلاس والخيانة والربا والغش والتلاعب بالكيل والوزن والرشوة، وشدد في السرقة فقضى بقطع يد السارق التي من شأنها أن تباشر السرقة، حكمة من تشديد العقوبة كما نقله النووي عن القاضي عياض، لأن السرقة تندر إقامة البينة عليها فعظم أمرها واشتدت عقوبتها ليكون أبلغ في الزجر عنها

[فقه السنة (٢/ ٤١٠، ٤١١)].

فقال النبي ﷺ: «**لمن أنت يا جمل**»(١) فقال الجمل بلسان فصيح: يا رسول الله أنا ملك حلال لهذا المسلم وهؤلاء الشهود منافقين فقال النبي ﷺ: «**أيها الرجل ماذا فعلت حتى أنطق الله تعالىٰ هذا الجمل لأجلك**»

قال: يا رسول الله لست أعرف شيئًا غير أني لا أنام بالليل إلا بعد أن أصلي عليك عشر مرات

فقال: نجوت من القطع في الدنيا ومن العذاب في الآخرة ببركة صلاتك عليّ) من الإحياء

وفي الخبر أن جبرائيل عليه جاء يوما إلىٰ النبي ﷺ وقال: يا رسول الله رأيت عجبًا

قال النبي ﷺ: «**قل يا جبرائيل ، قال: لما بلغت قاف سمعت أنينا وبكاء فذهبت إليه وقد رأيت ملكًا وكنت رأيته قبل ذلك في السماء علىٰ سرير وحوله سبعون ألف ملك صفوفًا يخدمونه، وكان كل نفس يتنفس ذلك الملك يخلق الله من نفسه ملكًا**

والآن رأيت ذلك الملك علىٰ جبل قاف منكسر الجناح وهو يبكي، فلما رآني قال: اشفع لي

قلت: وما جرمك؟ قال: كنت علىٰ السرير ليلة المعراج فمر محمد ﷺ فما قمت له فعاقبني الله بهذه العقوبة وجعلني في هذا المكان كما ترى

---

(١) بنحوه ذكر ذلك القاضي عياض في الشفا (١/٦)، والدارمي في سنه (١/١١)، وذكره الألباني السلسلة الصحيحة (١٧١٨)، عن أنس ﷺ دخل النبي ﷺحائطًا فجاء بعير فجذله مثله، ومثله في الجهل، وكان لا يدخل أحد الحائط إلا شد عليه الجمل

فلما دخل النبي ﷺ دعاه فوضع مشفره في الأرض وبرك بين يدي رسول الله ﷺ فخطمه وقال: «**ما بين السماء والأرض شيء إلا يشهد أني رسول الله إلا عاصي الجن والإنس**» .
وفي حديث الجمل: أن النبي ﷺ سألهم عن شأنه فأخبروه أنهم أرادوا ذبحه .
وفي رواية: أنه شكا إليه كثرة العمل وقلة العلف .
وفي رواية: إنه شكا إليّ أنكم أردتم ذبحه بعد أن استعملتموه في شاق العمل من صغره، فقالوا: نعم .
[بستان الفقراء ونزهة القراء (١/ ٤٥٥). من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية] .

قال: فتضرعت إلىٰ الله وشفعته

قال الله: يا جبرائيل قل له يصلي علىٰ محمد ﷺ[١]

فصلى ذلك الملك حتى عفا الله عنه وأنبت جناحه[٢]

وروي عن الشافعي رحمه الله قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله ما جزاء الشافعي عنك حيث يقول في كتاب الرسالة: اللهم صل علىٰ محمد كلما ذكره الذاكرون وكلما غفل عن ذكره الغافلون فقال: حسبك أن لا توقف للحساب[٣]

---

(١) قال أبو الليث السمرقندي: ليس شيء من العبادات أفضل من الصلاة علىٰ النبي ﷺ لأن سائر العبادات قد أمر الله تعالىٰ بها عباده، وأما الصلاة علىٰ النبي ﷺ فقد صلى هو تعالىٰ بنفسه وأمر ملائكته بذلك ثم أمر العباد بذلك

وقال أحمد بن محمد اليماني: كنت بضاعًا فرأيت رجلا والناس مجتمعون عليه، فقلت: ما هذا؟ فقال: هذا رجل كان يؤم بنا في شهر رمضان وكان حسن الصوت بالقرآن فلما بلغ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [**الأحزاب: الآية ٥٦**] قرأ: إن الله وملائكته يصلون علىٰ عليّ فخرص وبرص وتجذم وعمي وأقعده فهذا مكانه.

[انظر [بستان الفقراء (١/ ٤٦١)].

وروى الترمذي عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة**» وقال الترمذي حديث حسن وهو في رقم (٤٨٤)، كتاب الصلاة باب ما جاء في فضل النبي ﷺ.

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) ذكر الشافعي في أول كتاب الرسالة التي هي مقدمة كتاب الأم، وصلى الله علىٰ محمد كلما ذكره الذاكرون وكلما سهى عنه أو قال عن ذكره. الغافلون

والذي اعتقده أن الشافعي رحمه الله إنما أراد بقوله ذكر الرب سبحانه وتعالى لأنه الذي يضاف إليه في الاستعمال فيقال: ذكر الله وسهى عن ذكر الله فيكون الصواب أن يقال: اللهم صل علىٰ محمد كلما ذكرك الذاكرون وسها عن ذكرك الغافلون

وقوله: ولعل الشافعي أول من استعملها، يشير بذلك إلىٰ ما حكى عن بعض الأئمة كما ذكره أبو نعيم وغيره أنه رأى النبي ﷺ في المنام فقال: يا رسول الله ابن عمك محمد بن إدريس هل خصصته بشيء؟ قال: نعم، سألت الله أن لا يحاسبه، قلت: لماذا يا رسول الله؟ قال: لأنه كان يصلي علىٰ صلاة لم يصل علىٰ صلاة أحد بها قبله.

[بستان الفقراء ونزهة القراء (١/ ٤٧٢) من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية].

وفي بعض الأخبار قال لي جبرائيل ﷺ: إن لله بحر من وراء جبل قاف وفي البحر سمك يصلي عليك، فمن أخذ سمكة منها شلت يده وصارت السمكة حجرا في يده .

وفي الخبر : إن لله ملكاً له جناحان جناحا له بالمشرق وجناحاً له بالمغرب، ورأسه تحت العرش ورجلاه تحت الأرضين السابعة وعليه بعدد الخلق ريش وزغب فإذا صلى رجل أو امرأة من أمتي عليّ أمره الله تعالىٰ بأن يغمس نفسه في بحر تحت العرش فيقطر من كل ريش قطرة فيخلق الله من كل قطرة ملكا يستغفر له إلىٰ يوم القيامة

وفي خبر آخر: إن لله ملكًا يقال له عزاريل يبسط أجنحته يوم القيامة علىٰ الصراط ويقول فالبحر عليّ نت صلى علىٰ محمد ﷺ ولا تضرهم النار

(ويقال: لما خلق الله الزبانية وأمرهم بدخول النار قالوا لا طاقة لنا مع النار فأمر جبرائيل وأتى بخاتم مكتوب عليه اسم محمد ﷺ وأعطاه له فأمره أن يختم علىٰ جبهتهم فختم، فدخلوها فلم يبلغ إليهم شيء فكذلك المؤمن ببركة اسم الله، واسم محمد ﷺ لا تحرقهم النار (من زهرة الرياض)[١]

(حكي أن امرأة غدت إلىٰ مسجد رسول الله ﷺ تسمع كلامة إذا لقيها شاب فسألها وقال إلىٰ أين؟

قالت: إلىٰ رسول الله ﷺ

قال: أتحبين رسول الله ﷺ ؟

قالت: نعم، قال الشاب بحق رسول الله ﷺ أن ترفعي نقابك[٢]

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) كيف يصح ذلك وإن صح قول الفتني فكيف تطيعه المرأة المسلمة في معصية الخالق سبحانه وتعالى وقد روى البخاري في صحيحه (٩/ ١٠٩)، ومسلم في صحيحه [٣٩ . (١٨٤٠)] كتاب الإمارة، ٨ . باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، عن عليّ أن رسول الله ﷺ بعث جيشًا وأمر عليهم رجلا فأوقد نارًا وقال: ادخلوها فأراد ناس أن يدخلوها وقال الآخرون إنا قد فررنا منها، فذكر ذكر لرسول الله ﷺ فقال الذين أرادوا أن يدخلوها لو دخلتموها لم تزالوا فيها إلىٰ يوم القيامة، وقال للآخرين قولا حسنًا، وقال: «**لا طاعة في معصبة الله إنما الطاعة في المعروف**»

قال النووي: هذا موافق للأحاديث الباقية أنه لا طاعة في معصية إنما هي في المعروف وهو الذي فعله هذا الأمير قبل أراد امتحانهم وقيل كان مازحًا .

فرفعت حرمة لرسول الله فأخذ الشاب طرفه ذقنها وقال: صدقت المرأة علىٰ ذلك

وأخبرت زوجها بذلك، فندب ودخل زوجها علىٰ النبي ﷺ وأخبره القصة فقال النبي ﷺ أوقد النار في التنور، ثم أمرها بحق النبي ﷺ أن تدخلي النار، ففعل ثم أمرها بذلك فكرهت، ثم قال: بحق النبي ﷺ

قالت: نعم وكرامة، فدخلت وغطى رأس التنور عليها بغطاء، ثم رجع إلىٰ النبي ﷺ فأخبره بذلك

قال النبي ﷺ: ارجع فانظر حالها فرجع فإذا هي جالسة وسط التنور وقد عرقت عرقا، فخرجت سالمة بإذن الله تعالى، وكان يوم عرفة نقل من زهرة الرياض)[١]

وقال بعضهم: كنت أكتب الحديث وأصلي علىٰ النبي ﷺ ولا أسلم[٢]، فرأيت النبي ﷺ في المنام فقال: أما تتم الصلاة عليّ في كتابك بعد ذلك إلا صليت عليه وسلمت

ثم الحكمة في تخصيص الصلاة علىٰ إبراهيم ﷺ من بين سائر الأنبياء هو أن إبراهيم ﷺ لما بنى الكعبة دعا فقال: اللهم من حج هذا البيت من الشيوخ من أمة محمد ﷺ فيهب[٣] مني) وفي أهل بيته

---

(١) وحدناه بالهامش

(٢) قال النووي في كتاب الأذكار في باب الصلاة علىٰ النبي ﷺ: الأفضل أن يقول: اللهم صل علىٰ محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلىٰ آل محمد وذريته كما صليت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم وبارك علىٰ محمد النبي الأمي وعلىٰ آل محمد وأزواجه وذريته كما باركت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، وقد روى البخاري في صحيحه (٤٧٩٨)، كتاب تفسير القرآن، باب قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ **[الأحزاب: الآية ٥٦]** الآية، عن أبي سعيد الخدري وفيه: «**قولوا اللهم صل علىٰ محمد عبدك ورسولك كما صليت علىٰ آل إبراهيم وبارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما باركت علىٰ إبراهيم**» .الحديث

(٣) كذا بالأصل وأظنها «**فشفعني فيه**»

ثم دعا إسماعيل فقال: اللهم من حج هذا البيت من الشباب من أمة محمد ﷺ فشفعني فيهم فأمن من أهل بيته كلهم

ثم إسحاق فقال: اللهم من حج هذا البيت من الكهول من أمة محمد ﷺ فشفعني فيه فأمن أهل بيته

ثم دعت سارة فقالت: اللهم من حج هذا البيت من النسوان الحرائر من أمة محمد ﷺ فشفعني فيهن

ثم دعت هاجر(١) فقالت: اللهم من حج هذا البيت من الموالي والمواليات من أمة محمد ﷺ فشفعني فيهن، فلما كان إبراهيم ومن أهل بيته خصوصًا دعوا لهذه الأمة أمر بالصلاة عليه وعلىٰ آل بيته من بين سائر الأنبياء عليهم السلام

(قال الشيخ رحمه الله: سمعت في رواية أن النبي ﷺ صعد يوما المنبر ، فلما صعد الدرجة الأولى قال: آمين

وكذلك علىٰ الثانية والثالثة

فلما نزل قيل له في ذلك

(١) قال أهل الكتاب: إن إبراهيم عليه السلام سأل الله ذرية طيبة وإن الله بشره بذلك وإنه لما كان إبراهيم ببلاد بيت المقدس عشرون سنة قالت سارة لابراهيم عليه السلام إن الرب قد حرمني الولد فادخل علىٰ أمتي هذه لعل الله يرزقني منها ولداً

فلما وهبتها له دخل بها إبراهيم عليه السلام حملت منه، قالوا فلما حملت ارتفعت علىٰ سيدتها فغارت منها سارة فشكت ذلك إلىٰ إبراهيم فقال لها افعلي بها ما شئت فخافت هاجر فهربت فنزلت عند عين هناك فقال لها ملك من الملائكة لا تخافي فإن الله جاعل من هذا الغلام الذي حملت خيرا وأمرها بالرجوع وبشرها أنها ستلد ابنا وتسميه إسماعيل ويكون وحش الناس يده علىٰ الكل ويده الكل به ويملك جميع بلاد إخوته وهذه البشارة إنما انطبقت علىٰ ولده محمد ﷺ فإنه الذي به سادت وملكت جميع البلاد غربا وشرقا وآتاها الله من العلم النافع والعمل الصالح ما لم تؤت أمة من الأمم قبلهم ولما رجعت وضعت إسماعيل اشتدت غيرة سارة منها وطلبت من الخليل أن يغيب وجهها عنها فذهب بها وبولدها فسار بهما حتى وضعهما حيث مكة اليوم فروى البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء عن ابن عباس وفيه «**ثم جاء بها إبراهيم وبابنها اسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء**» .
قصص الأنبياء لابن كثير (ص ١٥٥)

فقال: لما صعدت الدرجة الأولى جاءني جبرائيل فقال[(١)]: اللهم لا ترحم من أدرك شهر رمضان ولم يجتهد حتى يرحمه الله

فقلت: آمين، فصعدت الثانية، فقال: اللهم لا ترحم من أدرك والديه ولم يجتهد في رضائهما حتى يرضيا عنه، فقلت: آمين، فصعدت الثالثة فقال: اللهم لا ترحم من ذُكر نبيك هذا بين يديه ولم يصل عليه، فقلت آمين

فهذا أيضًا من فضل الصلاة علىٰ النبي ﷺ من الإحياء)[(٢)]

وحكي عن سفيان الثوري[(٣)] قال: خرجت حاجًا فرأيت شابًا متعلقا بأستار الكعبة يكثر الصلاة علىٰ النبي ﷺ

فقلت: هذا بيت الله الحرام ولكل موضع دعاء مخصوص ولا أسمع منك إلا الصلاة علىٰ محمد ﷺ[(٤)]

فقال: لولا أنك شيخ من المسلمين ما أخبرتك بقصتي، فسألته

---

(١) أخرجه: ابن حبان في صحيحه (٢٠٢٨ . الموارد) والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٧٥)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٨٥)]

وبنحوه: أخرجه الترمذي (٣٥٤٥)، كتاب الدعوات باب قول رسول الله ﷺ رغم أنف رجل، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٥٤)، والحاكم في مستدركه (١/ ٥٤٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٠٨)، والشجري في أماليه (١/ ١٢٩)] .

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) سفيان بن سعيد بن مسروق أبو عبد الله الثوري الكوفي ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة وكان ربما دلس

أخرج له: أصحاب الكتب الستة توفي (١٦١، ١٦٤)] .

ترجمته: تهذيب التهذيب (٤/ ١١١)، تقريب التهذيب (١/ ٣١١)، تاريخ البخاري الكبير (٤/ ٩٢)، سير الأعلام (٧/ ٢٢٩)، ميزان الاعتدال (٢/ ١٦٩)، ديوان الإسلام (١١٠٣)، طبقات الحفاظ (٨٨)] .

(٤) قال وهب بن منبه رحمه الله: لما خلق الله ﷻ آدم عليه السلام ونفخ فيه من الروح فتح عينيه فنظر إلىٰ باب الجنة، فإذا عليه مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله الله، فقال: يا رب هل تخلق خلقًا أكرم عليك مني، قال: نعم، يا آدم نبيًا من ذريتك من أجله خلقت الجنة والنار، فلما خلق حواء قال: يا رب زوجني بها قال: هات مهرها، قال: يا رب وما مهرها قال: أن تصلي علىٰ محمد ﷺ عشر مرات فكان المهر

[بستان الفقراء (١/ ٤٦٨) من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية] .

قال الشاب: خرجت أنا ووالدي حاجين فنزلنا في بعض الطريق، فمرض والدي ومات واسود وجهه وازرقت عيناه، وصار رأسه كرأس الخنزير، فقلت: لي ثلاث مصائب موت أبي واسوداد وجهه، ولو أخبرت الناس يعيروني فقلت: إن أبي كان منافقًا، فغلبت عيناي في النوم، فرأيت في المنام[1] شابًا لا بالطويل ولا بالقصير أدعج العينين أقرن الحاجبين

جلس عند رأسه ومر بيديه المباركة علىٰ وجهه فصار سواده بياض، وصح رأسه كما كان أولاً

وأراد أن يرجع فقلت: من أنت رحمك الله ؟

قال: أما تعرفني؟ أنا سيد ولد آدم أنا محمد ﷺ[2]

اعلم أيها الشاب لما نزلت بأبيك ملائكة العذاب أتاني ملائكة صلاتي فأخبروني ما نزل به فأتيت وكشفت ما نزل وأنه كان يصلي عليّ وإن كان شريرًا

ثم قال الشاب: فانتهيت وكشفت وجهه فإذا هو يتلألأ نورًا

فالآن لا أفتر عن الصلاة عليه ﷺ

فقال سفيان: صدقت، ثم قال لتلامذته حدثوا به أمه محمد ﷺ لينجوا من العذاب كما نجّا به أبوه

(١) حديث: «**من رآني في المنام فقد رآني في اليقظة**» أخرجه: البخاري في صحيحه (٦٩٩٣)، ومسلم في صحيحه (٧، ١٣)، كتاب الرؤيا والترمذي في سننه (٢٢٧٦)، وابن ماجه في سننه (٣٩٠٠)، وأحمد في مسنده (١/ ٣٧٥)/ والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٩٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٨١)، وابن أبي شيبة شيبة في مصنفه (١١/ ٥٥، ٥٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٦٠٩)، والخطيب في تاريخ بغداد (٨/ ٣٣٤)]

(٢) حديث «**أنا سيد ولد آدم**» أخرجه مسلم في صحيحه (٣) كتاب الفضائل والترمذي في سننه (٣١٤٨، ٣٦١٠)، وأحمد في مسنده (١/ ٢٨١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٧٤١، ٥٧٦١)، والقرطبي في تفسيره (٣/ ٢٦٢)، (٤/ ٨٤)، وابن حبان في صحيحه (٢١٢٧)، والزبيدي في الاتحاف (٩/ ٢٢٢)، وأبو نعيم في الدلائل (١/ ١٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٤٤٢)]

باب آداب الكسب والنهي عن السؤال

قـال رسول الله ﷺ: «**من الذنوب ما يكفرها النهم في طلب العائشة**»[١]

وقال ﷺ: «**من طلب الدنيا تعففًا عن المسألة وسعيًا علىٰ عياله وتعطفًا علىٰ جاره لقي الله وجهه كالقمر ليلة البدر**»[٢]

عن أنس بن مالك قال: قلت يا رسول الله الجلوس مع العيال أفضل أم الجلوس في المسجد؟

قال: الجلوس ساعة عند العيال أحب إليّ من الاعتكاف في مسجدي هذا»

قلت: يا رسول الله النفقة في سبيل الله أحب إليك أم النفقة علىٰ العيال؟

قال: «**درهم تنفقه علىٰ عيال أحب إليّ من دينار تنفقه في سبيل الله**»

قلت: يا رسول الله بر الوالدين أحب إليك أم عبادة ألف سنة

قال: يا أنس بر الوالدين أحب إلىٰ الله وإلى من عبادة ألف ألف سنة. من تنبيه الغافلين[٣]

وكان رسول الله ﷺ جالسًا ذات يوم مع أصحابه فنظر إلىٰ شاب ذي جلد وقوة يسعى

فقالوا: يا ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله

فقال رسول الله ﷺ: «**لا تقولوا هذا فإنه إن كان يسعى علىٰ نفسه ليكفها عن**

---

(١) أخرجه: الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٦٣)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٣١٥)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٢٩٧)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٩٢٤).

(٢) أخرجه: ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ١٦)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٤١٤)، (٨/ ١٢٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٢٠٧) والشجري في أماليه (٢/ ١٧٣)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٢١٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ١١)، (٨/ ٢١٥).

(٣) وجدناه بالهامش

المسألة أو يسعى علىٰ أبوين ضعيفين أو ذرية ضعافًا ليكفهم فهو في سبيل الله في ذلك، وإن كان يسعى تفاخرًا أو تكاثرًا فهو في سبيل الشيطان» (١)

وقال ﷺ (٢): **«إن الله يحب المؤمن المحترف»**

وقال ﷺ: **«مسألة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها»** (٣)

وقال عمر رضي الله عنه لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق يقول اللهم ارزقني فإن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة

وكان إمام الأئمة أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة أخذ الأثواب تحت جنبه ودخل السوق، فاجتمع المسلمون وكرهوا له ذلك

فقال: تشغلوني بذلك عن عيالي فإني أضيعهم وكنت لما سواهم أضيع(٤)

وقال معاذ بن جبل: ينادي يوم القيامة أين قضاة الله في أرضه، فيقوم السؤال بالمساجد

---

(١) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٥/ ٤١٤، ٤١٥) وابن حجر في المطالب العالية (٢٥٢٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٨٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٤٧٩)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ١٢٩)، وفي الصغير (٢/ ٦٠)، وسعيد بن منصور في سننه (٢٦١٨)

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٠٠). والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٦٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٤٩)، والزبيدي في الاتحاف (٨/ ٥٠٦، ٥٩٥)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٢٩١)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (١٤٥)، والقرطبي في تفسيره (٤/ ١٨٩)، (١١/ ٢٣١)، وابن أبي حاتم في العلل (١٨٧٧).

(٣) [أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٩/ ٣٠٤)، والفتني في تذكرة الموضوعات (٦٢)]

(٤) قال الذهبي في تاريخ الإسلام: عن حميد بن هلال قال: لما بويع أبو بكر أصبح وعلىٰ ساعده أبراد (وهي جمع أثواب يتاجر فيها) فقال عمر: ما هذا؟

قال يعني لي عيال، قال: انطلق يفرض لك أبو عبيدة، فانطلقنا إلىٰ أبي عبيدة فقال: أفرض لك قوت رجل من المهاجرين وكسوته، ولك ظهرك إلىٰ البيت .

وقالت عائشة: لما استخلف أبو بكر ألقى كل دينار ودرهم عنده في بيت المال وقال: قد كنت أتجر فيه وألتمس به فلما وليتهم شغلوني .

وقال عطاء بن السائب: لما استخلف أبو بكر وعلىٰ رقبته أثواب يتجر فيها، فلقيه عمر وأبو عبيدة فكلماه فقال: فمن أين أطعم عيالي؟ قالا: انطلق حتى نفرض لك، فقال: ففرضوا له كل يوم شطر من شاة وما كسوه نوع من المساومة في الرأس والبطن .

[تاريخ الإسلام للذهبي وفيات منه (١٣)] .

وروي أن إبراهيم بن أدهم وأصحابه كانوا في مسجد في شهر رمضان فسئل رجل من الجماعة، فلم يعط شيء، ووضع إبراهيم وأصحابه عشاؤهم، فقالوا: يا أبا إسحاق ندعوه، قال: لا تدعوه فبات بغير عشاء، فلما كان من الغد قال رفيق لإبراهيم يا أبا إسحاق رأيت الرجل الذي سأل البارحة علىٰ رأسه حزمة حطب.

فقال: أتدرون لم قلت لكم لا تدعوه، سبق إليّ قلبي أنه لم يسأل قبلها، فيتكل علىٰ عشائكم

وقال ﷺ: «**من سأل الناس من أموالهم تكثر فإنما يسأل جمرًا فليستقل أو ليستكثر**» (١)

وقال ﷺ: «**ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مضغة لحم**»

وقال: «**من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في جبهته خدوش أو خموش أو كدوح**» (٢)

قيل: يا رسول الله وما يغنيه؟

قال: خمسون درهمًا أو قيمتها من الذهب(٣)

وقال: من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من النار ؟

قالوا يا رسول الله وما يغنيه؟

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٥) كتاب الزكاة، وابن ماجه في سننه (١٨٣٨)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٣١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٩٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٥٧٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ١٥٣) ومسلم في صحيحه (١٠٤)، كتاب الزكاة والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٨٣٩)، والنسائي (٥/ ٩٤) المجتبى والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٣٠٤).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الزكاة والترمذي في سننه (٦٥٠)، والنسائي (٥/ ٩٧)، المجتبى وابن ماجه في سننه (١٨٤٠)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ١٦)، والدارقطني في سننه (٢/ ١٢٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٥٢).

قال: «**قدر ما يغديه ويعشيه**»[(١)]

وفي رواية: شبع يوم وليلة

«**ومن سأل الناس ليثري ماله كان خموشًا في وجهه يوم القيامة ورضفًا يأكله في جهنم، فمن شاء فليقل ومن شاء فليكثر**» [(٢)]

وقال ﷺ: «**من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تُسد فاقته، ومن أنزلها بالله أوشك الله له بالغنى إما يموت عاجل أو غنى عاجل**»[(٣)]

وقال ﷺ: «**من سأل وله ما يكفيه جاء يوم القيامة وعظم وجهه يتقعقع ليس عليه لحم**» [(٤)]

وروي أن قومًا بايعوا رسول الله ﷺ علىٰ الإسلام، فاشترط عليهم السمع والطاعة، ثم قال كلمة خفيفة: لا تسألوا الناس شيئًا

وقد ورد في الحديث قال: استغنوا بغنى الله ؟

قيل: وما هو؟ قال: غداء يوم وعشاء ليلة» [(٥)]

وكان السري السقطي[(٦)] يقول: الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل وإن أُعطي

---

(١) أخرجه: أبو داود في سننه (١٦٢٩) كتاب الزكاة باب من يعطي من الصدقة وحد الغنى وأحمد في مسنده (٤/ ١٨١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٧٥)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٣٠٤).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٦٥٣)، كتاب الزكاة باب ما جاء من لا تحل له الصدقة والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٥٩).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (١٦٤٥)، كتاب الزكاة باب في الاستعفاف

وأحمد في مسنده (١/ ٤٠٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٩٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٠٨)، والدارمي في سننه (٢/ ٣٤)، وابن كثير في تفسيره (٥/ ٩١).

(٤) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٩/ ٣٠٤، ٣٠٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٨٤٧).

(٥) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٩/ ٣٠٥، ٣٠٩)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٢٠٨)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٣/ ١٠٩٨).

(٦) السري أبو الحسن السقطي البغدادي الزاهد علم الأولياء في زمانه صحب معروفاً الكرخي، وحدث عن الفضيل بن عياض وهشيم وأبي بكر بن عياش ويزيد بن هارون، وعنه الجنيد وأبو الحسن النوري وغيرهم، قال عنه الجنيد سمعت السري يقول: أشتهي منذ ثلاثين سنة جزرة أغمسها في دبس وآكلها فما تصح لي وقال السري أيضا أحب أن أكل أكلك ليس لله =

لم يأخذ فهذا مع الروحانيين في العليين

وفقير لا يسأل وإن أُعطي أخذ، فهذا في جنات الفردوس وفقير يسأل عند فاقته وهذا مع الصديقين في أصحاب اليمين

فاعلم أن الشيء إما أن يكون مضطرًا إليه أو محتاجًا حاجة مهمة أو محتاجًا حاجة خفيفة، أو مستغنى عنه

أما المحتاج المهم كالمريض يحتاج للدواء لعظم خوفه لو لم يستعمله لتلف، أو كمن له جبة ولا قميص تحته في الشتاء وهو ينادي بالبرد

أما المضطر إليه كسؤال الجائع عند خوفه علىٰ نفسه قوتًا أو قرضًا، وسؤال العاري وبدنه مكشوف ليس معه ما يواريه

أما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله قميصًا ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه فيستر الخرق في ثيابه عن أعين الناس

أما المستغني وهو الذي يطلب شيئًا وعنده مثله فسؤاله حرام (والماضي ثلث)[١] ليس بمكروه، ولكن الصبر أولى

عن حجاج بن عبد الكريم قال: خرجت في طلب إبراهيم بن أدهم[٢] فرأيته

= علي فيها تبعة ولا لمخلوق فيها منة، فما أجد إلىٰ ذلك سبيلاً وقال الجنيد: سمعت السري يقول: إني لأنظر إلىٰ أنفي كل يوم مراراً مخافة أن يكون وجهي قد اسود وسمعته يقول: ما أحب أن أموت حيث أعرف أخاف أن لا تقبلني الأرض فافتضح، وسمعته يقول: قال السلمي: السري أول من أظهر ببغداد لسان التوحيد، وتكلم في علوم الحقائق وهو إمام البغداديين في الإشارات، توفي في رمضان سنة ثلاث وخمسين وقيل: سنة إحدى، وقيل: سنة سبع وخمسين

[تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (٢٥١. ٢٦٠)] .

(١) كذا بالأصل

(٢) إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر، أبو إسحاق العجلي، وقيل التميمي البلخي الزاهد أحد الأعلام

روى عن أبيه ومنصور ومحمد بن زياد، وأبي إسحاق، وأبي جعفر الباقر، ومالك بن دينار وجماعة. وعنه: سفيان الثوري وشقيق البلخيّ وأبو إسحاق الفزاريّ وبقية وضمرة بن ربيعة وغيرهم. قال بشر الحافي: ما أعرف عالماً إلا قد أكل بدينه سوى وهيب بن الورد وإبراهيم بن أدهم وسلم الخواص ويوسف بن أسباط .

بحمص في أتون شجرها، فسلمت عليه وسألته عن حاله، فرد علي السلام وسألني عن حالي وحال أقربائي

فكنت معه يومه ذلك، فقال لي: لعل نفسك ينازعك إلىٰ شيء من طعام، فقلت نعم

فأخذ رمادًا أو ترابًا فخلطهما وأكلهما، ثم أقبل بوجهه عليّ وأنشأ يقول:

واخلط التراب بالرماد وكلهما وإن حرى النفس عن مقام السؤال
فإن شئت أن تقنع بالذل فرم ما حوته أيدي الرجال

فخرجت من عنده فمكثت أيامًا لم أدخل عليه فاشتد شوقي إليه فدخلت عليه ومكثت عنده فلم يتكلم شيء

فقلت: لم لا تتكلم، فقال:

معنى الخطاب أنه نسب الرّد والنطق فيه معادن الآفات
فإذا نطقت فكن لربك ذاكرًا وإذا صمت[1] فعد (خمسك)[2] مات

= وعن إبراهيم بن أدم قال: الزهد منه فرضه، وهو ترك الحرام، وزهد بسلام وهو الزهد في الشبهات، وزهد فضل، وهو الزهد في الحلال .
وقال ضمرة: سمعت إبراهيم بن ادهم قال: أخاف أن لا يكون لي أجر في تركي أطايب الطعام لأنّي لا أشتهيه وكان إذا جلس علىٰ طعام طيّب رمى إلىٰ أصحابه وقنع بالخبز والزيتون، وقال رجل: لو تزوَّجت فقال: لو أمكنني أن أطلِّق نفسي لفعلت، توفي سنة (١٦١) .
[تاريخ الإسلام وفيات سنة (١٦١. ١٧٠)] .

(١) روى مسلم في صحيحه [١٤. (٤٨)] كتاب اللقطة ٣. باب الضيافة ونحوها، عن أبي شريح العدوي رفعه وفي آخره «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت**». قال النووي: فمعناه أنه إذا أراد أن يتكلم فإن كان ما يتكلم به خيرا محققا يثاب عليه واجبا أو مندوبا فليتكلم، وإن لم يظهر له أنه خير يثاب عليه فليمسك عن الكلام، سواء ظهر له أنه حرام أو مكروه أو مباح مستوي الطرفين، فعلى هذا يكون الكلام المباح مأمورا بتركه مندوبا إلىٰ الإمساك عنه مخافة من انجراره إلىٰ المحرم أو المكروه، وهذا يقع في العادة كثيرا أو غالبا، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: **الآية ١٨**]
واختلف السلف والعلماء في أنه هل يكتب جميع ما يلفظ به العبد وإن كان مباحا لا ثواب فيه ولا عقاب لعموم الآية أم لا يكتب إلا ما فيه جزاء من ثواب أو عقاب، وإلى الثاني ذهب ابن عباس رضي الله عنهم وغيره من العلماء . [شرح مسلم للنووي (٢/ ١٧) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٢) كذا بالأصل

باب مكروهات ومحمودات الصناعة

اعلم أن من الصناعات ما هي مكروهة وما هي محمودة فالمكروهات صناعة النقش والصباغة وتشييد البنيان بالجعر[(١)]، فهذه مكروهة عند ذوى الدين

أما عمل الملاهي والآلات التي يحرم استعمالها وخياطة القباء من الإبرسيم للرجال والصباغة للصابغ من مواد الذهب، وخواتم الذهب للرجال[(٢)]، فكل ذلك من المعاصي، والأجر المأخوذة عليه حرام

وأما المحمودة من الكسب فعمل الخز والتجارة والخياطة والخزف والقصارة، وعمل الخفاف وعمل الحديد والمغازل ومعالجة صيد البر والبحر والكتابة

عن عبد الوهاب قال لي أحمد بن حنبل: ما صنعتك؟

قلت: الوراقة والكتابة، قال: الكسب الطيب ، لو كنت صانعًا بيدي لصنعت صنعتك

ثم قال: لا تكتب إلا مواضعة يعني استثني الحواشي وظهور الاجرا[(٣)]

وأما ما يؤخذ عليه الأجر فكل عمل يتقرب به إلىٰ الله ويكون من أعمال الآخرة من البر والمعروف

---

(١) الجعر: خرء كل ذي مخلب من السباع

(٢) في النهي عن لبس الحرير والذهب روى مسلم في صحيحه [٣. (٢٠٦٦)] كتاب اللباس والزينة ٢. باب تحرم استعمال إناء الذهب والفضة علىٰ الرجال والنساء، وخاتم الذهب والحرير علىٰ الرجل عن البراء بن عازب أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع، وفيه ونهانا عن خواتيم أو عن تختم بالذهب. . . الحديث»

قال النووي: وأما خاتم الذهب فهو حرام علىٰ الرجل بالإجماع وكذا لو كان بعضه ذهبا وبعضه فضة حتى قال أصحابنا لو كانت سن الخاتم ذهبا أو كان مموها بذهب يسير فهو حرام لعموم الحديث الآخر في الحرير والذهب: «**إن هذين حرام علىٰ ذكور أمتي حل لإناثها**» .

وأما لبس الحرير والإستبرق والديباج والقسي فكله حرام علىٰ الرجال سواء لبسه للخيلاء أو غيرها إلا أن يلبسه للحكة فيجوز في السفر والحضر .

[شرح مسلم للنووي (١٤/ ٢٩) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٣) كذا بالأصل

فأخذ الأجرة عليه مكروه مثل تعليم القرآن وتعليم العلم ومجالس الذكر والصلاة في شهر رمضان وأما في صلاة الفرائض فحرام

وأما فروض الكفاية كغسل الأموات وحفر القبور ودفنهم فأخذ الأجرة عليها لا يستحب، لأن هذه تجارة الآخرة، فلا يؤخذ أجرها إلا من الآخرة وقد خسر من أخذ أجرها اليوم في الدنيا إذا ربح المحتسبون

وقد روي أن النبي ﷺ قال لعثمان بن أبي وقاص: واتخذ مؤذنا لا يأخذ عليه أجرًا[(١)]

وقال في حديث أبي عبادة[(٢)] وقد أهدي إليه قوس، وكان علم رجلا سورة من القرآن «أتحب أن يقوسك الله قوسًا من نار»، فردها

وفي تعليم المسألة بعينها أو سورة بعينها فصحيح

ثم إن الأصح (فيمنعه)[(٣)] سوق الدنيا عن سوق الآخرة، وأسواق الآخرة المساجد

قال الله تعالىٰ: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ **[النُّور: الآية ٣٧]**

يعني إن كانوا حدادين أو خزازين فرفع المطرقة وغرز الأشياء فسمع الآذان لم يخرج الأشياء من المغرز، ولم يضرب المطرقة ورمى بها وقام إلىٰ الصلاة فإن الدنيا خاسرة ربحها، والآخرة باقية (خسرانها)[(٤)]

---

(١) اختلفوا في أخذ الأجرة علىٰ الأذان والإقامة فقال أبو حنيفة لا يجوز وقال مالك: وأكثر أصحاب الشافعي: يجوز وقال أبو حامد غلط من أجاز ذلك

فإن الشافعي قال: ويرزقهم الإمام ولم يذكر الإجارة وروى ابن المنذر عن الشافعي أنه قال: يرزق المؤذن إلا من خمس الخمس سهم النبي ﷺ.
[اختلاف الأئمة العلماء (١/ ٩٥)].

(٢) أبو عبادة ويقال ابن عبادة المدني الأنصاري صحابي وفي إسناد حديثه اضطراب أخرج له أبو داود والنسائي، وابن ماجه وترجمته : تهذيب التهذيب (١/ ٧٧)، تقريب التهذيب (١/ ٤٨)، الكاشف (١/ ٩٨)، الجرح والتعديل (٢/ ٢٩٠)، أسماء الصحابة الرواة (٥١٥)، أسد الغابة (٣١)، الاستيعاب (٧٠)، المعرفة والتاريخ (١/ ٣١٦)، التبصرة والتذكرة (٣/ ١٣٤)، أعيان الشيعة (٢/ ٤٥٤)، الإصابة (٢٩)، الثقات (٣/٦)، الوافي بالوفيات (٦/ ١٩٢)]

(٣) كذا بالأصل

(٤) كذا بالأصل

باب النكاح[١]

اختلف العلماء في فضل النكاح وتركه

أما فضيلته قال الله تعالىٰ في وصف الرسل ومدحهم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرّعد: الآية ٣٨] [٢]

وأن الله تعالىٰ لم يذكر في كتابه نبيًا إلا (المتهلبين)[٣] أما يحيى بن زكريا عليهما السلام كان قد تزوج ولم يجامع، وإنما فعل ذلك لينال الفضل وإقامة السُنة

وأما عيسى عليه السلام فإنه سينكح إذا نزل علىٰ الأرض ويولد له

وأما الأخبار في النكاح: قال ﷺ: «**النكاح سنتي فمن أحب فطرتي فليستن بسنتي**» [٤]

وقال ﷺ: «**من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا**» [٥]

وكان ابن مسعود يقول: لو لم يبق في عمري إلا عشرة أيام لأحببت أن أتزوج، لا ألقى الله عزبًا

---

(١) اتفقوا علىٰ أن النكاح من العقود الشرعية المسنونة قال تعالىٰ: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النِّساء: الآية ٣] واتفقوا علىٰ أن من تاقت نفسه إليه وخاف الفتن فإنه يتأكد في حقه ويكون أفضل من حج التطوع وجهاد التطوع والصلاة والصوم المتطوع بهما وزاد أحمد فبلغ به إلىٰ الوجوب مع الشرطين وهما أن تتوق نفسه ويخاف العنت رواية واحدة علىٰ أن من تاقت نفسه وأمن العنت فالمستحب أن يتزوج إجماعًا
[اختلاف الأئمة العلماء (٢/ ١٢١)].

(٢) سورة الرعد (٣٨)

(٣) كذا بالأصل

(٤) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٥/ ٢٨٦)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٣/ ١١٦)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٤٤٧)، وابن ماجه في سننه (١٨٤٦)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٤١).

(٥) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٥/ ٢٨٦)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (١٢٥)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٢٢)، والفتني في تذكرة الموضوعات (١٢٤).

وتزوج علي ﷺ بعشرة نسوة، فتوفي عن أربع وقد تزوج أمامة[١] بنت زينب ابنة رسول الله ﷺ، قد أوصته فاطمة ﷺ عند موتها بذلك

ويقال أنه نكح بعد وفاة فاطمة بستة ليال

وقال رجل لإبراهيم بن أدهم طوبى لك قد تفرغت للعبادة بالعزبة

فقال: لروحة منك أو غدوة بسبب العيال أفضل من جميع ما أنا فيه، فقال: فمن الذي يمنعك من التزويج؟

قال: ما لي حاجة إلىٰ امرأة وما أريد أن أغر امرأة بنفسي

وأما الترغيب عن النكاح فقد قال ﷺ: «**خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ**» [٢]

يعني الذي لا أهل له ولا ولد

وقال ﷺ: «**يأتي علىٰ الناس زمان يكون هلاك الرجل علىٰ يد زوجته وولده وأبويه، يعيرونه بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق، فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك** .

وقال سليمان الداراني: الصبر عنهن خير من الصبر عليهن، والصبر عليهن خير من الصبر علىٰ النار

وقال إبراهيم بن أدهم: من تعود أفخاذ النساء لا يفلح، ثم الاجتماع والمرافقة بين الأخيار في ترغيب النكاح وتركه فهو بما قيل يعني لا يصلح التزويج[٣] في هذا

---

(١) أمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس الأموية النبوية بنت السيدة زينب ابنة رسول الله ﷺ وهي التي كانت يحملها النبي ﷺ في الصلاة، تزوجها علي ﷺ في إمرة عمر بن الخطاب، وبقيت معه إلىٰ أن استشهد وجاءه منها أولاد، ثم تزوجها المغيرة ابن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب فتوفيت عنده بعد أن ولدت له يحيى

[انظر تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (٤١/ ٥٠)] .

(٢) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٥/ ٢٩٠) والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٤٦٤)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٢٤)]

(٣) روى البخاري في صحيحه (٥٠٦٣) في كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح من حديث أنس بن مالك: جاء ثلاثة رهط إلىٰ بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا** =

الوقت إلا لرجل يدركه من الشق ما يدرك الحمار إذا نظر إلىٰ أتان فإنه لم يملك أن تثنيه نفسه عنها حتى يضرب رأسه وهو لا شيء

فإذا كان الإنسان علىٰ مثل هذا الحال كان التزويج في هذا الوقت للرجل له أفضل وإلا فلا، كما قال داود الطائي: منذ خمسين سنة ما خالط ذكرى ريح

باب الخصال المرعية في النساء

أن تكون المرأة صالحة ذات دين وهو الأصل وإن كانت ضعيفة الدين في صيانة نفسها وفرجها[1] ومع ذلك جميلة كان بلائها أشد،

= **أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»**

وكذا رواه مسلم في صحيحه (٥/ ١٤٠١) كتاب النكاح باب استحباب النكاح عن طاقت نفسه إليه ووجد مؤنه .

قال الإمام النووي: معناه من تركها إعراضا عنها غير معتقد لها ما هي عليه، أما من ترك النكاح علىٰ الصفة التي يستحب له تركه كما سبق أو ترك النوم علىٰ الفراش لعجزه عنه أو لاشتغاله بعبادة مأذون فيها أو نحو ذلك فلا يتناوله هذا الذم والنهي .

[النووي في شرح مسلم (٩/ ١٥٠) طبعة دار الكتب العلمية] .

(١) روى البخاري في صحيحه (٥٠٩٠) كتاب النكاح ١٦. باب الأكفاء في الدين عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك

وكذا رواه مسلم (٥٣/ ١٤٦٦) ١٥. باب استجاب نكاح ذات الدين، وقال النووي: في معنى هذا الحديث أن النبي ﷺ أخبر بما يفعله الناس في العادة فإنهم يقصدون هذه الخصال الأربع وآخرها عندهم ذات الدين فاظفر أنت أيها المسترشد بذات الدين لا أنه أمر بذلك، قال شمر: الحسب الفعل الجميل للرجل وآبائه، وفي هذا الحديث الحث علىٰ مصاحبة أهل الدين في كل شيء لأن صاحبهم يستفيد من أخلاقهم وبركتهم وحسن طرائقهم ويأمن المفسدة من جهتهم .

وقال أيضا في حديث: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»:أن في هذا الحديث الأمر بالنكاح لمن استطاعه وتاقت إليه نفسه وهذا مجمع عليه لكنه عندنا وعند العلماء كافة أمر ندب لا إيجاب فلا يلزم التزوج ولا التسري سواء خاف العنت أم لا

هذا مذهب العلماء كافة ولا يعلم أحد أوجبه إلا داود ومن وافقه من أهل الظاهر .

[النووي في شرح مسلم (٩/ ١٤٨، ١٠/ ٤٤) طبعة دار الكتب العلمية] .

ويشق علىٰ الزوج مفارقتها، فلا يصبر عليها ولا يصبر عنها

وأن تكون حسنة الخلق، فإذا كان سليطة اللسان سيئة الخلق كافرة النعم، كان ضررها أكثر من نفعها

وأن تكون حسنة الوجه إذ به يحصل التحصين ولا يكتفي بالدميمة

وقد قيل: إذا كانت المرأة حسناء الدين والأخلاق وسوداء الحدقة والشعر كبيرة العينين بيضاء اللون محبة لزوجها قاصرة الطرف عليه فهي علىٰ صورة الحور العين، وأن تكون خفيفة المهر

قال ﷺ: «**خير النساء أحسنهن وجهًا وأرخصهن مهرًا**» (١)

وفي الخبر: «**من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة طلقها ويسير مهرها**»

وزوج سعيد بن المسيب ابنته من أبي هريرة علىٰ درهمين ثم حملها مواليه ليلا فأدخلها هو من الباب ثم انصرف

وأن تكون المرأة ولودًا(٢)، فإن عرفت بالعقم فليمتنع من تزويجها

وأن تكون بكرًا، وأن تكون نسبية يعني من أهل بيت الدين والصلاح

وأن لا تكون من القرابة القريبة، فإن الولد يُخلق ضاويًا أي نحيفًا، وذلك لتضعيف الشهوة ودوام النظر إليه مدة، وإنما يقوى الإحساس بالأمر التقريب الجديد فهذه الخصال المرعية في النساء

باب حسن الخلق معهن

وقال ﷺ: «**من صبر علىٰ سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر ما أعطي**

---

(١) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٥/ ٣٤٥)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٤١).

(٢) حديث: «**عليكم بالولود**» أخرجه: الزبيدي في في الاتحاف (٥/ ٣٤٧)، وذكر ه الحافظ ابن حجر في الفتح (٩/ ١٢٣).

أيوب علىٰ بلائه، ومن صبرت علىٰ سوء خلق زوجها أعطاه الله من الأجر مثل آسية امرأة فرعون» (١)

آخر ما أوصى رسول الله ﷺ ثلاثًا كان يتكلم بهن حتى يتلجلج لسانه يقول: الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون، واتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم»(٢)

واعلم أن حُسن الخلق معها ليس كف الأذى عنها فقط، بل حسن الخلق لاحتمال الأذى منها والحلم عند بطشها وغضبها اقتداءً به، فإنه ﷺ كان أزواجه يراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يومًا إلىٰ الليل

وقالت عائشة رضي الله عنها عنها مرة في كلام غضبت عنده: أنت الذي تزعم أنك نبي الله، فتبسم رسول الله ﷺ واحتمل ذلك حلمًا وكرمًا» (٣)

عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ أرحم الناس بالنساء والصبيان(٤)

(١) أخرجه: العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٤٤)، والفتني في تذكرة الموضوعات (١٢٨)، وابن أبي حاتم في العلل (١٣٥)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٦٢٧)

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٥١٥٦)، كتاب الأدب باب في حق المملوك

وأحمد في مسنده (٦/ ٢٩٠، ٣١١)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٥٧)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣٢٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٦٠)، والطبري في تفسيره (٢٢/ ٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ٢٠٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٨١).

(٣) روى ابن سعد في طبقاته (٨/ ٤٧، ٥٥) من حديث عائشة قالت: قال لي رسول الله ﷺ **«ما يخفى علي حين ترضين وحين تغضبين، في الرضا تحلفين لا ورب محمد، وفي الغضب تحلفين: لا ورب إبراهيم»**.

فقلت: صدقت يا رسول الله.

ورواه أبو أسامة عن هشام وفي آخره فقلت: والله لا أهجر إلا اسمك

(٤) أخرجه: والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٣٥٤، ٧/ ١١٢) والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٤٥).

باب الغيرة

والغيرة محمودة إذا بدا منها أمور يخشى غوائلها ولا يتبع في إساءة الظن وتجبر، وذلك مكروه

وفي الخبر: رأى معاذًا امرأته تطلع في الكوة فضربها

وقال: "اعروا النساء يلزمن الحجال"[1] يريد أن يعريهن من اللباس الذي يتخذن للدخول والخروج، ويكسون ما يحتجن إليه في المنزل ومما لا بد منه في الشتاء والصيف والفصلين الآخرين، يعني لا تفرط لهن في الثياب الفاخرة ليلزمن داخل بيوتهن، ولا يبرزن للناس لئلا يقعن في الفتنة ومكائد الشهوة

وعن النبي ﷺ: «**أيما رجل رضي أن تزين امرأته وتخرج من دارها متزينة متعطرة فهو ديوث،**[2] **أفلا يأثم من سميته ديوثًا، والمرأة إذا خرجت من دارها متزينة متعطرة والزوج بذلك راض بنى لزوجها بكل قدم بيتًا في النار، فقصروا أجنحة النساء ولا تطولونها، فإن تطويل أجنحتها بدعة وجزاؤها النار .**

باب ايتاء النساء

عن ابن عباس قال: جاء عمر ﵁ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله

---

(١) أخرجه: العجلوني في كشف الخفا (١/ ١٥٩)، وابن حجر في لسان الميزان (٢/ ١٩٥)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٢١٢)، والخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ٣٦٨)، والسيوطي في اللآلئ (٢/ ٩٩)، والشوكاني في الفوائد (١٣٥)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٢٨٢)] .

(٢) حديث «**لا يدخل الجنة ديوث**» أخرجه: عبد الرزاق في مصنفه (٢٠٤٣٧)، وابن حجر في المطالب العالية (٢١٤٥)]

والديوث هو الذي لا يغار على عرضه .

هلكت، فقال: وما الذي أهلكك[١]

قال: حولت رحلي البارحة فلم يرد عليه شيء فأنزل الله ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ **[البَقَرَة: ٢٢٣]**

أي بذر ومنبت للولد، ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ **[البَقَرَة: ٢٢٣]**

يقول: «أقبل وأدبر واتق الدبر والحيضة»[٢]

عن جابر قال: كانت اليهود تقول: من جامع امرأته وهي بحشية من دبرها في قبلها كان ولدها أحول، فذكر ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**كذبت اليهود**»

فأنزل الله تعالىٰ ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ **[البَقَرَة: ٢٢٣]** الآية

﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ يعني يجوز لكم مجامعة نسائكم كيف شئتم قائما وقاعدا ومضطجعا أو لهم فضلا عليهم من الدبر في فرجها علىٰ أي هيئة كانت، يشترط أن يكون الإيلاج في الفرج لا في الدبر ولا حال الحيض حتى تطهر

وعليك بالجماع في ليلة الاثنين فإن الولد يأتي قارئًا وحافظًا لكتاب الله راضيًا بما قسم الله تعالىٰ

وليلة الثلاثاء فإن الولد يأتي سخي اليد رحيم القلب طاهر اللسان، فإنه يرزق الشهادة مع الشهداء لا إله إلا الله محمد رسول الله

وليلة الخميس قبل صلاة الفجر فإنه يأتي حكيمًا عالمًا يغير الشيطان منه

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٩٨٠) كتاب، باب من سورة البقرة

وأحمد بن حنبل في مسنده (١/ ٢٩٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ١٩٨)، وابن حبان في صحيحه (١٧٢١. الموارد)، وابن كثير في تفسيره (١/ ٣٨٢)، والتبريزى في مشكاة المصابيح (٣١٩١)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٢٣٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٢٥١)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٦٢) .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٥٥)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٣٤٨)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٦٧)، والقرطبي في تفسيره (١٧/ ١١٠)، وابن أبي حاتم في علل الحديث (١٣١٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢٩٧)، وذكر الحافظ ابن حجر في الفتح (٩/ ٣٠٨)

وليلة الجمعة فإنه يأتي عابدًا مخلصًا، ويوم الجمعة قبل الصلاة يأتي سعيدًا ويموت شهيدًا)[١]

عن ابن عباس قال: كان الحي من الأنصار وهم أهل وثن مع هذا الحي وهم أهل كتاب يرون لهم فضلا عليهم بالعلم

وكانوا يقتدون بكثير من فعلهم[٢]، وكان من شأن أهل الكتاب أن لا يأتوا النساء إلا علىٰ حرف[٣]، وذلك استر ما يكون المرأة فكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا ذلك من فعلهم، وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحًا منكرًا ويتلذذون بهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات، فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار فذهب يصنع بها ذلك فأنكرته عليه، وقالت إنما كنا نؤتى علىٰ حرف فإن شئت فاصنع ذلك، وإلا فاجتنبني حتى سرى أمرهما، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ **[البَقَرَة: ٢٢٣]** يعني: موضع الولد ﴿فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ **[البَقَرَة: ٢٢٣]** مقبلات ومدبرات ومستلقيات[٤]

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) في حديث مسلم [١١٧. (١٤٣٥)] كتاب النكاح، ١٩. باب جواز جماعه امرأته في قبلها، من قدامها ومن ورائها من غير غرض للدبر عن جابر قال: كانت اليهود تقول: إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها كان الولد أحول، فنزلت: ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾

قال النووي: قال العلماء: وقوله تعالىٰ: ﴿ فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ أي موضع الزرع من المرأة وهو قبلها الذي يزرع فيه المني لابتغاء الولد، ففيه إباحة وطئها في قبلها إن شاء من بين يديها وإن شاء من ورائها وإن شاء مكبوبة، وأما الدبر فليس هو بحرث ولا موضع زرع، ومعنى قوله: ﴿ أنى شئتم ﴾ أي كيف شئتم واتفق العلماء الذين يعتد بهم علىٰ تحريم وطء المرأة في دبرها حائضا كانت أو طاهرا لأحاديث كثيرة مشهورة كحديث« **ملعون من أتى امرأة في دبرها**» . شرح مسلم للنووي (٦/١٠) طبعة دار الكتب العلمية . .

(٣) بالهامش: بأن يقف خلقها ويولج ذكره في فرجها لا في دبرها، فإن الوطء في الدبر حرام في جميع الأديان

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٢١٦٤) كتاب النكاح، باب في جامع النكاح

والترمذي في سننه (٢٩٧٨) كتاب تفسير القرآن من سورة البقرة، والنسائي في الكبرى في عشرة النساء وابن ماجه في سننه باب النهي عن إتيان النساء في أدبارهن .

وقال الكلبي: تذاكر المهاجرون والأنصار واليهود إتيان النساء في مجلس لهم.

فقال المهاجرون: نأتيهن باركات قائمات ومستلقيات وبين أيديهن أو خلفهن بحيث أن يكون المأتى واحد

فقالت: اليهود: ما أنتم إلا مثل البهائم، ولكنا نأتيهم علىٰ هيئة واحدة، وإنا نجد في التوراة أن كل إتيان للنساء غير الاستلقاء دنئ ومنه يكون الحول في الولد

فذكر المسلمون ذلك لرسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنا كنا في جاهليتنا وبعد ما أسلمنا نأتي النساء كيف شئنا، وأن اليهود عاتبوا علينا

فأكذب الله اليهود وأنزل يرخص ﴿نساؤكم.﴾ الآية

عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن**» (١)

وقال ﷺ: «**لا ينظر الله تعالىٰ إلى رجل أتى امرأته في دبرها**» (٢)

ويروى لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلا أو امرأة في دبرها»

---

(١) أخرجه: الترمذي في سننه (١١٦٤) كتاب النكاح، باب ما جاء في كراهية إتيان النساء في أدبارهن وابن ماجه في سننه (١٩٢٤) كتاب النكاح باب النهي عن إتيان النساء في أدبارهن

وأحمد بن حنبل في مسنده (١/ ٨٦، ٤/ ٣٤٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤١١، ٧/ ١٩٦)، وابن حبان في صحيحه (١٢٩٩ . الموارد)، والطبراني في المعجم الكبير (٤/ ٩٧، ١٠٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٤٣)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٦٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٩٠)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٣٧٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣١٩٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ٢٥١) .

(٢) أخرجه: الترمذي في سننه (١١٦٥) وابن ماجه (١٩٢٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ٢٥٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٨٩)

وقال ﷺ: «**ملعون من أتى امرأته في دبرها**» (١)

باب آداب الجماع

ويستحب أن يبدأ باسم الله تعالىٰ ويقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [**الإخلاص**: ١] أولاً، ويكبر ويهلل ويقول: بسم الله العلي العظيم، اللهم اجعلها ذرية طيبة (إن كنت قدرت أن تخرج ذلك من حبلى)(٢)

وقال ﷺ: «**لو أن أحدكم إذا أتى أهله فقال: اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإن كان بينهما ولدًا لم يضره الشيطان**(٣)، **وإذا قربت من الإنزال فقل في نفسك ولا تحرك شفتيك الحمد لله** ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ

---

(١) بالهامش: قوله إن الذي يأتي امرأته في دبرها لا ينظر الله إليه بنظر الرحمة حتى يتوب

وهذا أن فعله بأجنبية حكمه حكم الزنى وإن فعله بامرأته أو أمته فهو مجرم ولكن لا يحد ويعزر لأنه وطئ شبهة بثبوت حقه علىٰ المرأة فهو كما إذا وطئ أحد أمة مشركة بينه وبين غيره.

والحديث أخرجه: أبو داود في النكاح (٢١٦٢) باب النكاح باب في جامع النكاح، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٤٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٩٠)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٦٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣١٩٣)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٣/ ١٨٠)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٣٧٥) .

(٢) كذا بالأصل

(٣) أخرجه: البخاري في صحيحه (٥١٦٥)، كتاب النكاح، ٦٧، باب ما يقول الرجل إذا أتى أهله ومسلم في صحيحه [١١٦ . (١٤٣٤) كتاب النكاح باب ما يستحب أن يقول عند الجماع.

وأبو داود في سننه (٢١٦١) والترمذي في سننه (١٩٢)، وابن ماجه في سننه (١٩١٩)، وأحمد في مسنده (١/ ٢٨٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٤١٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ٣١١)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٦٧)، والقرطبي في تفسيره (١/ ٩٨) .

بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهۡرًاۗ﴾ [الفرقان: ٥٤] الآيـة (ولا يجامعها فـي حال الحيض ولا في دبرها)[١]

باب حقوق الزوجة علىٰ الزوج

وروي أن امرأة معاذ قالت: يا رسول الله ما حق الزوجة علىٰ زوجها؟

قال: أن لا يضرب وجهها ولا يقبحها، وأن يطعمها مما يأكل ويلبسها مما يلبس ولا يهجرها

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ [٢]: «**المرأة إذا صلت خمسها وصامت شهرها وأحصنت فرجها وأطاعت بعلها آن لها أن تدخل من أي أبواب الجنة شاءت**»

وقال ﷺ: «**لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**» [٣]

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٣٠٨) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٢٥٤)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٣/ ١٠٣٧)

(٣) أخرجـه: أبو داود فـي سننه (٢١٤٠) كتاب النكـاح ، ٤١ . بـاب في حق الزوج علىٰ المرأة

والترمذي في سننه (١١٥٩) كتاب النكاح، باب ما جاء في حق الزوج علىٰ المرأة، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٨١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٨٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٣١٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٢٥٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٩١)، والطبراني في المعجم الكبير (٥/ ٢٣٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٥٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٥٥، ٥٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ٣٠٦)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٢٢٨) .

وقال ﷺ: «**أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة**»[(١)][(٢)]

واعلم أن حقوق المرأة علىٰ زوجها ثلاثة: الصداق وحق المعاشرة وحق المعاملة

أما حق الصداق بأن لا يجورها في إذهاب صداقها، وليعمل بأمر الله تعالىٰ في ذلك وهو قوله: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ﴾ [(٣)]

وقوله: ﴿فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ [(٤)]

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**ثلاثة أنا أكون خصمهم يوم القيامة رجل ظلم امرأته في صداقها، ورجل منع الأجير أجرته، ورجل ظلم مملوكه**» [(٥)]

(وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**من تزوج امرأة بصداق مثلها وهو ينوي أن لا يؤديه إليها فهو زانٍ، ومن استدان دينا وهو ينوي أنه لا يعطيه فهو سارق**» [(٦)] من تنبيه الغافلين)[(٧)]

وروي: ما من امرأة تهب من مهرها درهما لزوجها بطيبة قلبها لوجه الله إلا

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (١٨٥٤) كتاب النكاح، باب حق الزوج علىٰ المرأة، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ٣٠٣)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ١٤١)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٧٣)

(٣) سورة النساء (٤)

(٤) سورة النساء(٢٠)

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢٧٠)، كتاب الإجارة باب إثم من منع أجر الأجير وابن ماجه في سننه (٢٤٤٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ١٤، ١٢١)، والطحاوي في مشكل الآثار (٢/ ٣٥٩، ٤/ ١٤٢)، والزيلعي في نصب الراية (٤/ ١٣٢) .

(٦) أخرجه الزبيدي في الاتحاف (١/ ١٠، ١١/١٠)، والخطيب في تاريخ بغداد (٦/ ٣١٣)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ١٣٤، ١٣٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢٨٤، ١٣١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٠٢)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٣٥٣)

(٧) وجدناه بالهامش

أعطاها يوم القيامة بكل درهم ألف ألف نور، وتقوم من قبرها مستورة عورتها ووجهها مثل القمر ليلة البدر ويشفع يوم القيامة بكل درهم خلقًا ممن قد استوجب النار، ولا تفزع يوم القيامة وتكون في أعلى قصر في الجنة»

(عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته والرجل راع علىٰ أهل بيته وهو مسئول عنهم والعبد راع في مال سيده وهو مسئول عنه**»(١) من تنبيه الغافلين)

وأما المعاشرة بالمعروف أن لا تجهل حقها وأن تظهر الحسن الجميل من أمرها وتدفن القبيح ويعفوا عنها عن حقه إذا تقصرت وأن تنفق عليها بالمعروف

وروي عن النبي ﷺ قال: «**خياركم عند الله أحسنكم أخلاقًا وخيركم خيركم لنسائكم ولبناتكم فإن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**» (٢)

وأما حق المعاملة بأن تعينها علىٰ أمور البيت ولا تتكبر عليها

وقد روى سعيد بن المسيب عن علي ﷺ قال: دخل علينا رسول الله ﷺ وفاطمة قاعدة عند القدر وأنا أنقي عدسًا قال: يا أبا الحسن اسمع مني ما أقول ولا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨٩٣)، كتاب الجمعة باب الجمعة في القرى والمدن ومسلم في صحيحه [٢٠ . (١٨٢٩)] كتاب الإمارة ٥ . باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث علىٰ الرفق بالرعية ، وأبو داود في سننه (٢٩٢٨)، كتاب الخراج، باب ما يلزم الإمام من حق الرعية والترمذي في سننه (١٧٠٥)، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الإمام .
وأحمد في مسنده (٣/ ٥، ٥٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٨٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٨)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٣١٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٩) .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (١١٦٢)، كتاب النكاح باب ما جاء في حق المرأة علىٰ زوجها وابن ماجه في سننه (١٩٧٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٧٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٩)، وابن حبان في صحيحه (١١٣١ . الموارد) وأحمد في مسنده (٢/ ٤٧٢)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٤٦٣) والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٤٥)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٣٥٥) .

قول إلا بأمر الله تعالىٰ: ما من رجل يعين امرأته[١] في البيت إلا كان له بكل شعرة علىٰ بدنه عبادة سنة، ومن كان في خدمة البيت كتب الله اسمه في ديوان الشهداء، وله بكل قدم ثواب حجة وعمرة، يا علي لخدمة البيت ساعة خير من عتق ألف رقبة، ومن ألف غزوة وألف عيادة مريض وخير له من أن تصدق بوزنه ذهبًا

يا علي: خدمة العيال كفارة الكبائر، وتطفئ غضب الرب، وخدمة العيال مهور حور العين)

عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيرًا فإنهن عندكم عوان لا تملك لأنفسهن شيئًا، وإنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى**» [٢]

(قال الفقيه رحمه الله: حق المرأة علىٰ الزوج خمسة أشياء:

أولها: يخدمها من وراء الستر ولا يدعها حتى تخرج من الستر، فإنها عورة وخروجها إثم وترك المروءة

والثاني: أن يعلمها ما تحتاج إليه من العلم مما لا بد لها من الكلام، الوضوء، الصلاة، الصوم

والثالث: أن يطعم من الحلال[٣]

---

(١) حديث «كان النبي ﷺ يخصف نعله ويخيط ثوبه» أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ١٦٧)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٤٩٢)، ودلائل النبوة للبيهقي (١/ ٣٢٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٨٢٢)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٩٨، ١٤٧)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٣٥٤)

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (١٨٥١)، كتاب النكاح، باب حق المرأة علىٰ الزوج، والألباني في آداب الزفاف (١٤٩)

(٣) روى البخاري في صحيحه (٥٢) كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، عن النعمان بن بشير قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه. ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**»

والرابع: أن لا يظلمها فإنها أمانة عنده

والخامس: إن تطاولت عليه يحتمل ذلك منها ويقدم نصيحة لها لكي لا تقع في أمر هو أضر لها مما وقعت فيه من تنبيه الغافلين)[(١)]

عن ميمونة زوجة النبي ﷺ قالت[(٢)]: قال رسول الله ﷺ: «**خيار الرجال من أمتي خيارهم لنسائهم ، وخير النساء من أمتي خيرهن لأزواجهن يرفع لكل امرأة منهن كل يوم وليلة أجر ألف شهيد قتلوا في سبيل الله صابرين محتسبين .**

فضل إحداهن علىٰ الحور العين كفضل محمد ﷺ علىٰ أدنى رجل منكم

وخير النساء من أمتي من تأتي سترة زوجها في كل شيء يهواه ما خلا معصيته .

وخير لرجال من أمتي متى تطلق بامرأته لطف الوالدة بولدها، لكل رجل منهم في كل يوم وليلة أجر مائة ألف شهيد قتلوا في سبيل الله صابرين محتسبين[(٣)]

فقام عمر بن الخطاب ﷺ يا رسول الله وكيف يكون للمرأة أجر ألف شهيد قتلوا في سبيل الله وللرجل أجر مائة ألف شهيد؟

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (١١٦٢) كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة علىٰ زوجها.
وابن ماجه في سننه (١٩٨٧) كتاب النكاح، باب حسن معاشرة النساء، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٣٥٥) وابن حبان في صحيحه (١٣١١) الموارد، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٧٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٩)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٤٥).

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) روى الترمذي في سننه (١٦٤٤) كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الشهداء عند الله، عن عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك الذي يرفع الناس إليه أعينهم يوم القيامة هكذا ورفع رأسه حتى وقعت قلنسوته قال فما أدري أقلنسوة عمر أراد أم قلنسوة النبي ﷺ، قال: ورجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فكأنما ضرب جلده بشوك طلح من الجبن أتاه سهم غرب فقتله فهو في الدرجة الثانية ورجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة، ورجل مؤمن أسرف علىٰ نفسه لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الرابعة**»

قال: أما علمت أن المرأة أعظم أجرًا من الرجل وأفضل ثوابًا، وأن الله ليرفع الرجل في الجنة درجات فوق درجاته برضاء زوجته في الدنيا ودعائها له

أما علمت أن أعظم وزر بعد الشرك بالله المرأة إذا عصت زوجها

فاتقوا الله في الصنفين، فإن الله تعالىٰ سائلكم عنهما اليتيم[(١)] والمرأة

فمن أحسن إليهما فقد أبلغ إلى الله ورضوانه ومن أساء إليهما قد استوجب من الله بسخطه

وحق الزوج علىٰ الزوجة كحقي عليكم فمن ضيع حقي فقد ضيع حق الله، ومن ضيع حق الله فقد باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير

عن أبي بردة عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: ثلاث يدعون الله فلا يستجاب لهم، رجل كان له دين فلم يشهد، ورجل أعطى سفيها مالا وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النِّساء: ٥]

ورجل كانت له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها

---

(١) روى البخاري في صحيحه (٦٠٠٦) كتاب الأدب، ٢٤. باب فضل من يعول يتما، عن سهل ابن سعد عن النبي ﷺ قال: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**» وقال بإصبعيه السبابة والوسطى، وكذا رواه مسلم في صحيحه [٤٢. (٢٩٨٣)] كتاب الزهد والرقائق، ٣. باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتم

قال النووي: قوله: «**كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة**»: القائم بأموره من نفقة وكسوة وتأديب وتربية وغير ذلك وهذه الفضيلة تحصل لمن كفله من مال نفسه، أو من مال اليتيم بولاية شرعية .

وأما قوله: (له أو لغيره) فالذي له أن يكون قريبا له كجده وأمه وجدته وأخيه وأخته وعمه وخاله وعمته وخالته وغيرهم من أقاربه والذي لغيره أن يكون أجنبيا .

النووي في شرح مسلم (١٨/٨٨) طبعة دار الكتب العلمية .

باب حقوق الزوج علىٰ الزوجة

اعلم أن حقوق الزوج كثيرة كما قال الشافعي رحمة الله عليه: النكاح[١] نوع رق وهي رقيقة له، قال الله تعالىٰ: قد جعلتك سيدها فلا تجعلها مربيتك فتكون عندها

ويجب علىٰ المرأة إطاعة الزوج في كل ما يطلب منها في نفسها مما لا معصية فيه

وقال رسول الله ﷺ: «**أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة**»[٢].

وذكر رسول الله ﷺ النساء فقال «**حاملات مرضعات رحيمات بأولادهن لولا ما بين أزواجهن دخل مطيباتهن الجنة**»[٣]

وقال ﷺ: «**اطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء، فقيل: لم يا رسول الله؟**

---

(١) قال أبو الحسن النيسابوري: قال الأزهري: أصل النكاح في كلام العرب الوطء، وقيل: للتزويج نكاح لأنه سبب الوطء وقال الفارسي: فرقت العرب بينهما فإذا قال نكح فلانة فلاته أرادوا تزوجها، وإذا قالوا: نكح فلان امرأته أو زوجته لم يريدوا إلا الوطء وقال ابن فارس والجوهري وغيرهما من أهل اللغة: النكاح الوطء وقد يكون العقدة، ويقال نكحتها ونكحت هي أي تزوجت وأنكحته زوجته وهي ناكح أي ذات زوج واستنكحها تزوجها هذا كلام أهل اللغة، عند الفقهاء ففيها ثلاثة أوجه أصحها حقيقة في العقد مجاز في الوطء، والثاني: حقيقة في الوطء مجاز في العقد والثالث حقيقة فيهما في بالاشتراك
شرح مسلم للنووي (٩/ ١٤٦) .

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (١٨٥٤) كتاب النكاح باب حق الزوج علىٰ المرأة، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ٣٠٣) والحاكم في المستدرك (٤/ ١٧٣)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ١٤١)

(٣) أخرجه: ابن ماجه في صحيحه (٢٠١٣) كتاب النكاح، ٦٢ . باب في المرأة تؤذي زوجها، أحمد في مسنده (٥/ ٢٥٢)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٧٣)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٣٠٢)، والطبراني في المعجم الصغير (٢/ ٤٧)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٦٠٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٥٤)

قال رسول الله ﷺ: «تكثرت اللعن وتكفرن العشير» (١)

يعني الزوج المباشر

(عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ **«أيما امرأة أعانت زوجها علىٰ طلب العلم كانت معي في الجنة»** (٢)

وفي خبر آخر: اطلعت إلىٰ الجنة فإذا أقل أهلها النساء فقلت: أين النساء

فقيل: يشغلهن الأحمران الذهب والزعفران، يعني الحلي ومصبغات الثياب)(٣)

وقال ﷺ: **«يا عائشة ليس للمرأة أن تزور والديها إلا بإذنه، يا عائشة: ما من امرأة تؤذي زوجها بلسانها إلا جعل الله لسانها يوم القيامة ستين ذراعا ثم يعقد خلفها**

يا عائشة ما من امرأة تسيء النظر إلىٰ زوجها إلا حولها الله يوم القيامة ممسوخة الجسد، وما من امرأة أخذها الطلق إلا ولها عتق رقبة، وبكل رضعة عتق رقبة

يا عائشة: نظر المرأة في وجه زوجها عبادة وتكفير للذنوب

وفي رواية: وما من امرأة تصبح وتمسي والزوج غير راض عنها إلا لعنها كل

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه (١٤٦٠) كتاب الزكاة باب الزكاة علىٰ الأقارب ، ومسلم في صحيحه [١٣٢ . (٧٩)] كتاب الإيمان ، ٣٤ . باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات

والترمذي (٢٦١٣)، وابن ماجه (٤٠٠٣) وأحمد في مسنده (٣٦٣٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٣٠٨)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٩٠)، وابن عبد البر في التمهيد (٣/ ٣٢٦) والزيلعي في نصب الراية (٤/ ٩٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٩) والألباني في إرواء الغليل (٢٤٨)، والقرطبي في تفسيره (٣/ ٨٢) .

(٣) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٥/ ٤٠١)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٥٩).

ملك بين السماء والأرض، وتصبح وتمسي في سخط الله

وما من امرأة نظرت إلىٰ زوجها بوجه عابس إلا كتب الله عليها بعدد كل نجم في السماء خطيئة

وما من امرأة قالت لزوجها ما رأيت منك خيرا قط، إلا حرّم الله عليها نعيم الجنة وكتب عليها بكل شعرة علىٰ جسدها عشر خطيئات وما من امرأة هجرت زوجها لا يقبل الله صلاتها[١]

وما من امرأة خففت عن زوجها من مهرها إلا كانت لها بكل درهم حجة مبرورة، وغفر لها ذنوبها كلها

وقالت عائشة رضي الله عنها: أتت فتاة إلىٰ رسول الله فقالت: يا نبي الله إني فتاة يخطب إلي وإني أكره التزويج فما حق الزوج علىٰ المرأة؟

قال[٢]: لو كان من قرنه إلىٰ قدميه صديدًا فلحسته ما أديت شكره، فقالت: لا أتزوج إذًا

قال رسول الله ﷺ: «**بل تزوجي فإنه خير لك**»

وقال ابن عباس أتت امرأة إلىٰ رسول الله ﷺ فقالت: إني امرأة أيم وأريد أن أتزوج، فما حق الزوج علىٰ المرأة؟

فقال ﷺ[٣]: «**إن من حق الزوج علىٰ المرأة إذا أرادها علىٰ نفسها وهي علىٰ ظهر**

---

(١) قال النووي في حديث الآتى قريبًا «**إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح**»: هذا دليل علىٰ تحريم امتناعها من فراشه لغير عذر شرعي، وليس الحيض بعذر في الامتناع لأن له حقا في الاستمتاع بها فوق الإزار

ومعنى الحديث أن اللعنة تستمر عليها حتى تزول المعصية بطلوع الفجر والاستغناء عنها أو بتوبتها ورجوعها إلى الفراش .

(٢) أخرجه: أحمد في مسنده (٣/ ١٥٩)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٥٩)

(٣) أخرجه: العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٥٩)

بعير لا تمنعه من ليل أو نهار، وفي كل وقت، وإن كانت صائمة لأنه لا يحل لها أن تصوم إلا بإذنه» [(١)]

وينبغي أن تعرض نفسها عليه في كل ليلة

عن أبي هريرة أنه قال: إذا دعا الرجل امرأته إلىٰ فراشه فأبت فبات غضبان، لعنتها الملائكة حتى تصبح[(٢)]

ومن حقه أن لا تعطي شيئًا إلا بإذنه، فإذا فعلت ذلك كان الوزر عليها والأجر له

ومـن حقه أن لا تصوم تطوعـًا إلا بإذنه، فإن فعلت جاعـت وعطشت ولم يقبـل منـها، وكان الأجر له والوزر عليـها ومن حقه أن لا تخرج مـن بيتـها إلا بإذنه

فإن فعلت لعنتها الملائكة حتى ترجع إلىٰ بيتها وتتوب

فحقوق الزوج علىٰ الزوجة كثيرة، وها هنا أمران

أحدهما الصيانة والستر

والثاني: ترك المطالبة بما وراء الحاجة، التعفف عن كسبه إذا كان حرامًا وكان عادة نساء السلف تقول لزوجها إياك وكسب الحرام فإنا نصبر علىٰ الجوع ولا نصبر علىٰ النار

---

(١) روى البخاري في صحيحه (٥١٩٥) كتاب النكاح، ٨٧. باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « **لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن في بيته إلا بإذنه، وما أنفقت من نفقة عن غير أمره فإنه يؤدى إليه شطره»**

(٢) أخرجه:. البخاري في صحيحه (٥١٩٤) كتاب النكاح، ٨٦. باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها

ومسلم فـي صحيحه [١٢٠. (١٤٣٦)] كتاب النكاح ٢٠. باب تحريم امتناعها من فراش زوجها.

السنن الكبرى (٧/ ٢٩٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٢٤٦) .

(أقل ما تسأل المرأة يوم القيامة عن صلاتها ثم عن حق زوجها . من تنبيه الغافلين)(١)

ومن أدابها أن لا تفاخر علىٰ الزوج بجمالها ولا تزدري زوجها لقبحه

ومن آدابها ملازمة الصلاح والانقباض من غيبة زوجها، والرجوع إلىٰ اللعب والنشاط وأسباب اللذة في حضوره معها ولا يسمع منها إلا حسنًا ولا ينظر إلا جميلا ولا يشم إلا طيبًا ، ولا تفعل إلا عجيبًا

إن دنا منها أقرت، وإن بعد عنها قربت، ولا تراجعه بأقوال ولا تأذى له بأحوال.

فهكذا كان ادآب المرأة الصالحة(٢)، بل النساء في زماننا علىٰ ضد إلا من وفقها الله بل إن دنا منها نفرت، وإن قرب إليها شردت وإن التمس منها بعدت، وسوفت، وإن تركها غارت وغضبت، تؤذي بلسانها وتقل بإحسانها لا توافق له بأقوال ولا تراجع له بأحوال

وقال ﷺ: «**لو كنت آمرًا أحد أن يسجد لأحد غير الله تعالىٰ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**» (٣)

عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال: «**لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا**

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) حديث: «**خير متاع الدنيا المرأة الصالحة**» أخرجه: مسلم في صحيحه [٦٤] كتاب الرضاع، ١٧. باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، عن عبد الله بن عمرو

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٢١٤٠) كتاب النكاح، باب في حق الزوج علىٰ المرأة، والترمذي (١١٥٩) كتاب النكاح باب ما جاء في حق الزوج علىٰ المرأة، وأحمد في نسنده (٤/ ٣٨١، ٦/ ٧٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٨٧)، مجمع الزوائد (٤/ ٣١٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٢٥٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٩١، ٢٩٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ٣٠٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٥٤)

قالت زوجته من الحور العين لا تؤذينه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا» (١)

عن جابر قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبلت امرأة حتى قامت علىٰ رأسه وهو في نفر من أصحابه فقالت: السلام عليك يا رسول الله وافدة النساء ليست من امرأة يبلغها مسيري إليك إلا أعجبها ذلك يا رسول الله إن الله رب الرجال ورب النساء وحواء أم النساء والرجال وآدم أب الرجال والنساء، فالرجال إذا خرجوا في سبيل الله فقتلوا فأحياء عند ربهم يرزقون فرحين وإذا خرجوا فلهم من الأجر ما قد علمن ونحن نجلس عليهم ونخدمهم فهل لنا من الأجر من شيء

قال: «**نعم اقرئي النساء مني السلام وقولي لهن إن طاعة الزوج واعترافًا له بحقه ما هنالك وقليل منكن تفعله**» (٢)

(ويقال أن المرأة إذا صلت ولم تدع لزوجها ردت عليها صلاتها حتى تدعوا لزوجها . تنبيه الغافلين)(٣)

وقال ﷺ: «**مهنة احداكن في بيتها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله**» (٤).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (١١٧٤) كتاب الرضاع وابن ماجه في سننه (٢٠١٤)، كتاب النكاح باب في المرأة تؤذي زوجها

وأحمد في مسنده (٥/ ٢٤٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٢٥٨)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٤٠٨)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٤٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٥٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٢٢٠)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٥٢٨)، وابن أبي حاتم في علل الحديث (١٢٦٤) وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٧٣) .

(٢) أخرجه: ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ١٤١)، والجامع الكبير (مخطوط) (٢/ ٤٦٤).

(٣) وجدناه بالهامش

(٤) أخرجه:. ابن الجوزي في العلل المتناهبة (٢/ ١٤٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٣٠٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٥٣)

عن عمر رضي الله عنه أنه قال: سُئل رسول الله ﷺ: هل على النساء جهاد؟ قال: **«نعم، جهادهن الغيرة يجاهدون أنفسهن فإن صبرن فإنهن مجاهدات»**

باب حقوق الجيران

قال رسول الله ﷺ: **«الجيران ثلاثة جار له حق واحد وهو المشرك وجار له حقان وهو المسلم، وجار له ثلاثة حقوق وهو جار مسلم ذو رحم»** [١]

(وروي عن النبي ﷺ أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ يشكوا جاره فقال النبي ﷺ: **«كف أذاك عنه واصبر على أذاه»**

(قال الفقيه رحمه الله: ينبغي للمسلم أن يصبر على أذى الجار ولا يؤذي جاره بحال

والأذى يكون بعدة أشياء باليد واللسان وبالعورة فأما الأمان باللسان فهو أن لا يتكلم بكلام لو دخل عليه جاره لسكت أو بلغ إلى جاره فاستحى منه، وأما أمانه بيده فهو أن يكون جاره لو كان بالسوق يذكر (. . . . .)[٢] في منزله فأنه لا يخاف عليه ويقول منزلي ومنزلة سواء وأمانه بالعورة فهو أنه لو كان في السفر فبلغه أن جاره دخل منزله يسكن قلبه وفرح له. من تنبيه الغافلين)[٣]

وروي أن رجلا أتى إلى رسول الله ﷺ يشكوا جاره، فأمره رسول الله ﷺ أن

---

(١) أخرجه: الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٦٤)،)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٢٠٧)، والقرطبي في تفسيره (٥/ ١٨٤)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣٠٤)، وابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٦٣)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٩٣)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (٤١)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٢١٢)

(٢) كلمات غير واضحة بالأصل

(٣) وجدناه بالهامش

ينادي علىٰ باب المسجد ألا إن أربعين دارا فجار يعني أربعون هكذا في أربع جهات.

وقال: «**إن الجار الفقير يتعلق بالجار الغني يوم القيامة يقول يا رب سل هذا لم منعني معروفه وسد بابه دوني**»(١) وقيل يا رسول الله إن فلانه تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال ﷺ: «**هي في النار**» (٢)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة جارتها ولو بفرسن شاة**» (٣)

برواية معاذ بن جبل رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره**»

قيل يا رسول الله وما حق الجار؟ قال «**عشرة إذا دعاك أن تجيبه وإذا استعانك أن تعينه وإن احتاج إليك أن تنفق عليه وإن سألك أن تعطيه وإن استقرضك أن تقرضه وإن أصابه خير أن تهنئه، وإن أصابه شر أن تعزيه وإن مرض أن تعوده وإن مات أن تشهده وأن لا تؤذيه، وإن لا تطيل عليه البنيان فيسد عليه الريح إلا بإذنه**)

---

(١) روى الترمذي في سننه (٢٤٠٦) كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان، عن عقبه بن عامر قال: قلت يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «**أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك علىٰ خطيئتك**»

ورقم (٢٤٠٧) عن أبى سعيد الخدري رفعه قال: إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول: اتق الله فينا فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا.

(٢) أخرجه الذهبي في ميزان الاعتدال (١٢٣٦)، وابن حجر في لسان الميزان (٢/ ١٢٩)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٢/ ٤٥٥)

(٣) أخرجه: أحمد في مسنده (٢/ ٤٤٠)، وابن حبان في صحيحه (٢٠٥٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٦٨، ١٦٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٥٦)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٢١٢)، والشجري في أماليه (١/ ٣٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٩٩٢)

وقال ﷺ: «**لا يمنعن أحدكم جاره أن يضع خشبة في حائطه**»(١)

وجملة حق الجار أن يبدأ بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عن حاله السؤال ويعوده في مرضه، ويعزيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء، ويهنئه ويبارك له بالفرح ويظهر سروره معه ويصفح عن زلاته ولا يتطلع من السطح إلىٰ عوراته ولا يضايقه بوضع الجذع ولا في مصب الماء في ميزابه ولا في طرح التراب من فنائه ولا يضيق طريقه إلىٰ داره ولا يديم ويأثم بالنظر إلىٰ خادمته، ويتلطف لولده في كلامه، ويرشده إلىٰ أمر دينه ودنياه، ولا يستطيل عليه البناء إلا بإذنه فيحجب عنه الشمس والريح، وإن اشتريت فاكهة فاهد له فإن لم تفعل فأدخلها سرًا ولا تخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده»

فقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله**»(٢)

قال مجاهد كنت عند ابن عمر رضي الله عنه وغلام له يسلخ شاة فقال يا غلام إذا سلخت فأبدأ بجارنا اليهودي حتى قال ذلك مرارًا، قال كم نقول هذا؟ فقال: إن رسول الله ﷺ لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه(٣) وشكى بعضهم كثرة الفأر في داره فقيل له اقتنيت هرة فقال إني أخشى أن يسمع الفأر صوت الهرة فيهرب إلىٰ دار الجيران فأكون قد أحببت لهم ما لا أحب لنفسي

وقال ﷺ: «**إن من شعار المسلم المسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهني**»

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٠١، ٨/ ١٢) ومسلم في صحيحه [٩٠. (١٠٣٠)] كتاب الزكاة باب الحث علىٰ الصدقة ولو بالقليل وأحمد في مسنده (٢/ ٤٦٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٧٧، ٦/ ٦٠)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣١٠)

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٧٤، ٤٤٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٦٨)، والدارقطني في سننه (٤/ ٢٢٨)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣١٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٣٧٨)، والخطيب في تاريخ بغداد (٢/ ١٥١)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (٤٣)، والحميدي في مسنده (١٠٧٧)

(٣) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣٠٨)

وقال رجل: يا رسول الله كيف لي أن أعلم أني أحسنت أو أسأت ، فقال ﷺ: **«إذا سمعت جيرانك يقولون: قد أحسنت فقد أحسنت وإذا سمعتهم قد قالوا: أسأت فقد أسأت»** (١)

(عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: **«من أذى جاره في غير حق حرَّم الله عليه ريح الجنة ومأواه النار لأن الله يسأل الجار عن جارة كما يسأله عن أهل بيته فمن ضيع حق جاره فليس منا لأن حق الجار أعظم الحقوق وبهذا المعنى قال** ﷺ: **«من أذى جاره ورثه الله ولده»**

قال ﷺ: **«لا تؤذوا جاركم بقتار طعامكم. القتار البخار (وحرمة الجار علىٰ الجار كحرمة أبيه وأمه)**(٢) **وقال** ﷺ: **«أكرموا جاركم ولو كان كافرًا»**

(عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ (٣): **«سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ويقول لهم ادخلوا النار مع الداخلين الفاعل والمفعول به ـ يعني اللواط ـ والناكح يده وناكح البهيمة وناكح المرأة في دبرها والجامع بين المرأة وابنتها والزاني بحليلة جاره والمؤذي جاره حتى يلعنه الناس)**. تنبيه الغافلين(٤)

---

(١) حديث: **«ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»** أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٢)، كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار، ومسلم في صحيحه (١٤٥) كتاب البر والصلة باب الوصية بالجار والإحسان إليه وأبو داود وأحمد في مسنده (٢/ ٨٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٧٥)

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (٤٢٢٣) وأحمد في مسنده (١/ ٤٠٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٢٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٩٧٤٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٤٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٧١)، وابن حبان في صحيحه (٢٠٥٧)، الموارد، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٥٠٥، ٦/ ٣١٠)

(٣) وجدناه بالهامش

والحديث أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣٠٨) .

(٤) أخرجه الألباني في إرواء الغليل (٨/ ٥٨)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ١٤٤)، وابن كثير في تفسيره (١/ ٣٨٥، ٥/ ٤٥٨)

حكاية في حق الجار: حكي أن الإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله كان له جار مطرب فإذا اشتغل الإمام بالدرس مع المتعلمين فكان يشوش بصوته

فقال المتعلمون ائذن يا إمام أن نخرب بيته ونسوقه من أهل المحلة، فقال أبو حنيفة رحمه الله هو عامي لا يعرف حق الجار ولنا علم ينبغي لنا أن نعرف حق الجار فاصبروا حتى يصلحه الله أو نتخلص منه، فكلما أذاهم اشتغلوا بالصبر ولم يتلفظوا به، فلما كان يمشي فأخذه العسس فجعلوه في السجن(١)

فأُخبر الإمام عن المطرب الجار، فقال الإمام الأعظم أبو حنيفة هو جارنا وعلينا حق الجار ينبغي لنا أن نذهب إلىٰ الأمير ، فقال المتعلمون هو يستحق الضرب والقتل لأنه لا يحفظ حقك ولا يستحي منكم بل يزاحمكم بعوده وصوته فقال أبو حنيفة مقابلة الوفاء بالجفاء من أداب العابدين فلبس الإمام ثوبه وتعمم عمامته وذهب إلىٰ باب الأمير فأخبروا الأمير بأن الإمام الأعظم قد قدم إلىٰ داره فاستقبله الأمير وبجله بالتعظيم وسأل عن سبب مجيئه

فقال أبو حنيفة رحمه الله: إن لنا جارًا أخذه العسس في البارحة وأدخلوه في السجن، فسمعت البكاء من أهله وأولاده فجئت إليك لأشفع له فخلصه من السجن واعف عن تقصيره ليعفوا الله عنك

قال الخليفة: وهبت لك كل من أخذ في البارحة وسُجن ، فأمر الخليفة بتخليته وتطليقهم، ففتحوا باب السجن وخلوا سبيلهم وهذا حصل للمطرب بسبب بركة جوار الإمام الأعظم(٢) ثم تاب المطرب وصاحب الإمام وقيل خدم

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) قال الذهبي في تاريخ الإسلام: كان الإمام أبو حنيفة النعمان خزازاً ينفق من كسبه ولا يقبل جوائز السلطان تورعاً وله دار وصناع ومعاش متسع، وكان معدوداً في الأجواد الأسخياء والأولياء الأذكياء، مع الدين والعبادة والتهجد وكثرة التلاوة وقيام الليل، ضرب غير مرة علىٰ أن يلي القضاء فلم يفعل

ولما أمره المنصور يتولى القضاء قال أبو حنيفة: والله ما أنا بمأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب فلا أصلح لذلك، فقال: كذبت بل تصلح، فقال: كيف يحل لك أن تولي من يكذب؟، =

العلماء سنين بين العلماء ثم مات رَحِمَهُ اللَّهُ

وحكي أن لمالك بن دينار[(١)] جار ذمي فحفر بالوعة بإيذاء محرابه كل يوم يبول ويطهره الشيخ ويجففه ولا يشتغل بسؤاله، فمضى علىٰ ذلك سنين فتعجب الذمي من صبره وبشاشة وجهه فقال لمالك: هل تعرف ما هذا الماء الذي يسيل إلىٰ بيتك من بيتي فقال الشيخ ما لي حاجة أن أسأل عن كيفيته

فقال الذمي: إنه بول، فقال الشيخ: للجار علىٰ الجار حق وإن كان كافرًا لقوله: ﷺ **«اكرموا الجار ولو كان كافرًا»** [(٢)]

فأسلم الذمي، فقال لو لم يكن دينك حقا لما تحملت إيذائي ودخل الإسلام من بركة تحمل الشيخ

فينبغي للعاقل أن يحسن إلىٰ الناس ويسترهم ويحترز من إيذائهم ولهذا المعنى: كفى للمحسن إحسانه وكفى للمسيء إساءته

= وقال الفقيه أبو عبد الله الصيمري: لم يقبل العهد بالقضاء فضرب وحبس ومات في السجن، وتوفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٥٠)

قال ابن المبارك: أبو حنيفة أفقه الناس، وقال الشافعي: الناس في الفقه عيال علىٰ أبي حنيفة وقال يزيد بن هارون: ما رأيت أحدا أورع ولا أعقل من أبي حنيفة، وقال أبو يوسف: قال أبو حنيفة علمنا هذا رأي وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاءنا بأحسن منه قبلناه .

تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (١٤١. ١٥٠) .

(١) مالك بن دينار أبو يحيى أبو هاشم السلمي الناجي، البصري، الزاهد، القرشي، صدوق عابد، أخرج له: البخاري تعليقًا وأصحاب السنن الأربعة توفي سنة (١٢٣، ١٢٤)

ترجمته: تهذيب التهذيب (١٠/ ١٤) تقريب التهذيب (٢/ ٢٢٤)، تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٣٠٩)، الجرح والتعديل (٨/ ٩١٦)، ميزان الاعتدال (٣/ ٤٢٦)، الثقات (٤١٨)، المغني (٥١٣٩) .

(٢) لم أقف عليه

باب صلة الرحم

قال رسول الله ﷺ: «**من سره أن يمد له في عمره ويوسع عليه فليتق الله وليصل رحمه**»(١)

قال أبو ذر: أوصاني خليلي ﷺ بصلة الرحم وأن أدبرت، وأن أقول الحق وإن كان مرًّا

قال رسول الله ﷺ: «**إن أعجل الطاعات ثوابًا صلة الرحم حتى أن أهل البيت ليكونوا فجارًا يُنمى أموالهم ويُكثر عددهم إذا وصلوا أرحامهم**» (٢)

وقال زيد بن أسلم: لما خرج رسول الله ﷺ إلىٰ مكة عرض له رجل فقال: إن كنت تريد النساء البيض والنوق الأدم، فعليك بني مدلج

فقال ﷺ: «**إن الله منعني من بني مدلج لصلتهم الرحم**» (٣)

وروي لما ابتلع يونس الحوت خرقت به البحار السبع في أسرع من طرفة عين، فمر الحوت بقارون ومعه ملك موكل بعذابه، فسمع قارون تسبيح يونس (بالعمرانية)(٤)

فلما سمع قال للملك الموكل بعذابه: من هذا

---

(١) أخرجه: أحمد في مسنده (٣/ ٢٦٦)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٦٠)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣١١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣١٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٣٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ١٠٧)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (٤٤)

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٠٣٨)، الهيثمى في مجمع الزوائد (٨/ ١٥٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٧٧)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (٤٥)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٨، ١٢٤)

(٣) أخرجه:. الخرائطي في مكارم الأخلاق (٤٥)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٢١٥)

(٤) كذا بالأصل

فأوحى الله إليه أنه يونس بن متى[(١)] فأعلمه، فقال قارون: يا يونس ما فعل أخي هارون بن عمران؟ فقال: مات

قال: ما فعل أخي موسى بن عمران؟ قال: مات

قال: ما فعلت أختي كلثوم أم عمران، قال: ماتت

وقال: انقطع رحمي، فأوحى الله إلىٰ الملك الموكل بعذابه ارفع عن قارون العذاب أيام بذكره رحمه وبكائه عليهم

باب حق الوالدين علىٰ الولد

قال رسول الله ﷺ: «**بر الوالدين أفضل من الصلاة والصيام والحج والجهاد**» [(٢)]

(عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**من حق الولد علىٰ الوالد ثلاثة أشياء: أن يحسن اسمه أول ما يولد، ويعلمه الكتاب إذا عقل، ويزوجه إذا أدرك**» [(٣)]

(١) قال أهل التفسير: بعث الله يونس ﷺ إلى أهل نينوى من أرض الموصل، فدعاهم إلى الله عز وجل فكذبوه وتمردوا علىٰ كفرهم وعنادهم فلما طال ذلك عليه من أمرهم خرج من بين أظهرهم، ووعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث فلما كشف الله عنهم العذاب خرج مغاضبًا وركب السفينة في البحر فلجت بهم واضطربت وماجت بهم ونقلت بما فيها فلما اقترعوا وقعت القرعة عليه، فلما استقر في جوف الحوت حسب أنه مات فحرك جوارحه فتحركت ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾
مختصرًا من قصص الأنبياء ص ٢٩٠ ,

(٢) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣١٤)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٥٧)، والفتني في تذكرة الموضوعات (٢٠١)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٢١٦).

(٣) وجدناه بالهامش، وأخرجه: الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٤٧)

وقال ﷺ: «**من أصبح مرضيًا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان من الجنة، ومن أصبح ساخطـًا لأبويه أصبح له بابـان مفتوحان من النـار، وإن كان واحدًا فواحدًا**» (١)

وقال ﷺ: «**إن الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد رحها عاق ولا قاطع الرحم**» (٢)

(عن ابن عمر رضي الله عنه من زار قبر أمه أو أبيه أو قرابته كانت له حجة مبرورة، ومن كان زوارًا حتى يموت زارت الملائكة قبره)(٣)

وقال يا موسى من بر والديه وعقني كتبته بارًا ومن برّني وعق والديه كتبته عاقًا)(٤)

وقيل لما دخل يعقوب علىٰ يوسف عليهما السلام لم يقم له، فأوحى الله إليه أتتعاظم أن تقوم لأبيك وعزتي وجلالي لا أخرج من صلبك نبيًا

وقال ﷺ: «**البر بعد وفاتهما الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا تصل إلا بهما**»

قال ﷺ: «**بر الوالدة ضعفان**» (٥)

قيل يا رسول الله كيف ذلك؟ قال: «**هي أرحم من الأب**»

---

(١) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣١٤)، وابن أبي حاتم في العلل (٢١٢٣)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٢١٦)

(٢) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣١٥)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار)٢/ ٢/ ٢١٦)، والفتني في تذكرة الموضوعات (٢٠١)

(٣) وجدناه بالهامش

(٤) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ٣٤٠)، والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٢٦٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٥٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٧٦٨)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٤٧٤)، والشجري في أماليه (٢/ ١٢٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٧٤)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٤٩)

(٥) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣١٦)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٢١٧).

(وإذا كان الولد صالحًا وقد علمه الوالد القرآن والعلم فيكون أجره لوالده من غير أن ينقص من أجر ولده شيئًا وإذا كان الوالد لا يعلم ولده القرآن ويعلمه طريق الفسق فيكون وزره علىٰ أبيه من غير أن ينقص من وزره شيئًا)(١)

واعلم أن طاعة الأبوين واجبة عليه وليس له الخروج لطلب علم نفلاً والحج الذي هو فرد الإسلام لأنه علىٰ التراخي ولا إلىٰ الجهاد إلا بإذنهم(٢)

لما روي عنه ﷺ: «**أن رجلاً جاء إلىٰ رسول الله ﷺ من اليمن مهاجرًا وأراد الجهاد فقال: هل باليمن أبوك؟ قال: نعم، فقال هل أذن لك؟، فقال: لا، فقال ﷺ: فارجع إلىٰ أبويك فاستأذنهما فإن فعلا فجيء هذه، وإلا فبرهما ما استطعت فإن ذلك خير ما تلقى الله به بعد التوحيد**» (٣)

وجاء آخر إليه يستشيره في الغزو فقال ألك والدة؟

قال: نعم، قال: فالزمها فإن الجنة عند رجليها» (٤)

وقد ورد في الحديث: «**بين البار وبين الأنبياء درجة، وبين العاق وإبليس دركة، فأول الناس الذين يريدون الحوض البارون وأول من يشرب من الحوض البارون وأول من ينظر إلىٰ الله البارون**»

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) قال النووي: فيما رواه مسلم «**جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد فقال: أحي والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد**» وفي رواية أبايعك علىٰ الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى، قال: وفيه حجة لما قاله العلماء: أنه لا يجوز الجهاد إلا بإذنهما إذا كانا مسلمين أو بإذن المسلم منهما فلو كانا مشركين لم يشترط إذنهما عند الشافعي ومن وافقه وشرطه الثوري هذا كله إذا لم يحضر الصف ويتعين القتال وإلا فحينئذ يجوز بغير إذن وأجمع العلماء علىٰ الأمر ببر الوالدين وأن عقوقهما حرام من الكبائر
شرح مسلم النووي (١٦/ ٨٤) طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣٢٢)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٢١٩).

(٤) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣٢٢)، والسيوطي في الدر المنثور(٤/ ١٧٣)

عن معاذ بن جبل قال: كلم الله تعالىٰ عبده موسى ثلاثة الآف وخمسمائة كلمة وقال في آخر كلامه قال: يا رب أوصني ، قال: أوصيك بأمك حتى قال تسع مرات، فقال: أوصني فقال: أوصيك بأبيك حتى قال ثلاث مرات

ثم قال: يا موسى اسمع منى حقا أقول أنه من بر والديه كتب له في الدنيا وليا، وفي القبر مؤنسًا وفي المحشر رحيمًا وعلىٰ الصراط[1] دليلاً وفي الجنة محدثًا يكلمني بلا واسطة ولا ترجمان

يا موسى إلا إن رضاهما رضا في وسخطهما سخطي

يا موسى لو أن عاق الوالدين لقيني بأعمال الأنبياء لم أقبل وجعلت مصيره إلىٰ النار

باب حق الولد علىٰ الوالد

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الأذى وأدب وعلم، وإذا بلغ تسع سنين، فإذا بلغ ثلاثة عشر سنة ضرب**[2] **علىٰ الصلاة وإذا بلغ ستة عشر سنة زوج**

---

(١) أجمع السلف علىٰ إثباته وهو جسر علىٰ متن جهنم يمر عليه الناس كلهم فالمؤمنون ينجون علىٰ حسب حالهم أي منازلهم، والآخرون يسقطون فيها أعاذنا الله الكريم منها

وأصحابنا المتكلمون وغيرهم من السلف يقولون: إن الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف كما في رواية أبي سعيد الخضري في حديث مسلم (٣٠٢/ ١٨٣) كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الروية، وفي آخره قال أبو سعيد بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف .

(٢) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣١٧)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٢١٧)، وعبد الرزاق في مصنفه (٧٩٦٩، ٧٩٧٢)

ثم يأخذ بيده ويقول أدبتك وعلمتك وأنكحتك أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة[(١)]

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ يومًا: «**اغسلي وجه أسامة فجعلت أغسله وأنا اتقيه فضرب يدي ثم أخذه رسول الله ﷺ فغسل وجهه ثم قبله ثم قال: قد أحسن بنا إذا لم يكن جارية**» [(٢)]

وقال ﷺ: «**ريح الولد من ريح الجنة**» [(٣)]

باب حقوق المملكة[(٤)]

روي أنه كان آخر من أوصى به رسول الله ﷺ أنه قال: «**اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تكتسون ، ولا تكلفوهم من العمل بما لا يطيقون فما أحسنتم فأمسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فإن الله ملككم إياهم**» [(٥)]

(١) علموا أولادكم الصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر أخرجه الترمذي في سننه (٤٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢٢٩(/ ٣/ ٨٤)، الحاكم في المستدرك (١/ ٢٥٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٩٤)

(٢) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣٢٠)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٢١٨)

(٣) أخرجه: الزبيدي في الاتحاف (٦/ ٣٢٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٥٦)، والقيسراني في تذكرة الموضوعات (٤٦٥)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٥٢٥)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٢١٨)، والفتني في تذكرة الموضوعات (١٣١) وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٦/ ٢١٦٩)

(٤) كذا بالأصل وأظنها «**المماليك**»

(٥) أخرجه: أحمد في مسنده (١/ ٧٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١١)، وابن حبان في صحيحه (١٢٢٠ . الموارد)، والبخاري في الأدب المفرد (١٥٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٦/ ١١٧)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٣٥٢، ٦/ ٣٢٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٦٠)

روي أنه ﷺ رأى رجلا راكبًا وغلامه ماشيًا يسعى خلفه فقال له: «**يا عبد الله احمله فإنما هو أخوك، روحه مثل روحك**»

وقال ﷺ: «**أول من يدخلون الجنة ثلاث: الشهيد، وعبد مملوك يحسن عبادة الله وينصح سيده، ورجل متعفف ذو عيال**» (١)

وقال ﷺ: «**إخوانكم جعلهم الله تعالىٰ تحت أيديكم فمن جعل الله تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه عليه**» (٢)

وقال ﷺ: «**إذا ابتاع بخادم فليكن أول شيء يطعمه الحلو فإنه أطيب لنفسه**» (٣)

وقال ﷺ: «**إذا أتى احدكم خادمه بطعام فليجلسه فاليأكل معه، فإن لم يفعل فليناوله**» (٤)

وقال ﷺ: «**لا يدخل الجنة سيء الملكة**(٥)، **أراد المسيء إلىٰ عبده وطوع يده**»

وأمر ﷺ بأن يعفوا عنهم، ولو أذنبوا في اليوم سبعين مرة، ونهى عن شتم المماليك وضربهم

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٠) كتاب الإيمان، ٢٢ باب المعاصي من أمر الجاهلية، وانظر رقم (٢٥٤٥، ٦٠٥٠)، ومسلم في صحيحه (٤٠) كتاب الإيمان وأبو داود في سننه (٥١٥٨)، وابن ماجه في سننه (٣١٩٠)، وأحمد بن حنيل في مسنده (٥/ ١٥٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٣٤٥)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣٢٣)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٤/ ١٣)

(٣) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣٢٣)، وابن حجر في المطالب العالية (٢٧٨٢)

(٤) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٦/ ٢٢٢)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٢٢١).

(٥) أخرجه: البخاري في صحيحه (٢٥٥٧)، ١٥٤٦)، وأحمد في مسنده (١/ ٤٤٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢٣٨)، وابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٦٤)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣٢٦)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٤/ ١٣)

وقال الحسن: أشد الناس عذابًا يوم القيامة رجل سن ضلالة فأتبع عليها، ورجل سيء الملكة ، ورجل فارغ استعان بنعم الله علىٰ معاصيه

باب حقوق الأخوة والصحبة في الله

قال رسول الله ﷺ: «**مثل الأخوين مثل اليدين يغسل أحدهم الأخرى**»[(١)] **إن حق الأخوة رابطة بين الشخصين كحق النكاح بين الزوجين فحقوق الأخوة بثمان خصال:**

الأول: المال، وهو أن ينزل بمنزلة نفسه ويرضى بمشاركته إياه، حتى يسمع بمشارطته علىٰ المال

وقال الحسن: كان أحدهم يشق إزاره نصفين لأخيه قال: من رضي من الإخوان بترك الأفضال، فليواخ أهل القبور

وقال علي بن الحسين لرجل هل يدخل أحدكم يده في كم أخيه أو في كيسه، فيأخذ منه ما يريد من غير إذن

فقال: لا، قال: فلستم بإخوان

وقال أبو سليمان الداراني: كان لي أخ بالعراق فكنت أحبه بالتواتر فأقول من مالك شيء فألقى إليّ كيسه فآخذ منه ما أريد فجئته ذات يوم فقلت: أحتاج إلىٰ شيء.

(١) أخرجه الترمذي في سننه (١٩٤٦)، وابن ماجه في سننه (٣٦٩١)، وأحمد في مسنده (١/ ٧، ١٢)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٩٩٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢٣٦)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣٢٤، ٨/ ١٩٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢١٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٦٠)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (٧٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ١٩٤)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٥٣١)، وابن أبي حاتم في علل الحديث (٢٣٦٧)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٢٤٧)

فقال: كم تريد، فخرج حلاوة إخائه من قلبي

الثاني: إعانة النفس في قضاء الحاجات لأخيه مع البشاشة والاستبشار(١)

وقال ﷺ: «**ألا وإن لله أواني في أرضه وهي القلوب، فأحب الأواني إلىٰ الله أصفاها وأصلبها وأرقها**» (٢)

يعني أصفاها من الذنوب وأرقها علىٰ الإخوان وأصلبها في الدين

وقال الحسن: إخواننا أحب إلينا من أهلينا وأولادنا، لأن أهلينا يذكروننا بالدنيا وإخواننا يذكروننا بالآخرة

وقال بعضهم: إذا استقضيت أخاك الحاجة(٣) فلم يقضها، فذكره ثانيًا فلعله نسي، فإن لم يقضها فكبر عليه وقرأ هذه الآية ﴿**وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ**﴾ [**الأنعَام: ٣٦**]

الثالث: حفظ القلب فكما يجب عليك بالسكون بلسانك عن مساويه ويجب عليك السكوت بقلبك من سوء ظنه، فإن سوء الظن غيبة القلب، وهي مني عنه

وقال ﷺ: « **كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائما، فكشف الريح عنه ثوبه، قالوا: نستره(٤) ونتقيه .**

---

(١) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٦/ ٢٠٤)

(٢) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٦/ ٢٠٩)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ١٧٣).

(٣) روى الترمذي في صحيحه (١٩٧٠) كتاب البر والصلة، ٤٥. باب ما جاء في طلاقة الوجه وحسن البشر، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق، وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك**» وقال الترمذي: حديث حسن

(٤) روى الترمذي في سننه (١٩٣٠)، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الستره علىٰ المسلم، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر علىٰ معسر في الدنيا يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر علىٰ مسلم في الدنيا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان** =

قال: بل تكشفون عورته

قالوا: سبحان الله، من يفعل هذا؟

قال: أحدكم يسمع بكلمة في أخيه فيزيد عليها ويسمعها أعظم من ذلك

وقيل:

وترى الكريم إذا تصدم وده يخفى القبيح ويظهر الإحسان
وترى اللئيم إذا انقضى وصله يخفى الجميل ويظهر البهتان

وقيل: إذا قلت لأخيك: قم، فقال: إلىٰ أين فلا تصحبه، يعني ينبغي أن يقوم ولا يسأل

الرابع: النطق بما يحبه، فكما تقتضي السكوت عن المكاره فتقضي أيضًا النطق بالمحاب، ومن قنع بالسكوت فليصحب أهل القبور

ومعنى السكوت عن المكاره وهو دق الأذى وعليه أن يتودد بلسانه، ومن ذلك أن يدعوه بأحب أسمائه إليه في غيبته وحضوره

= **العبد في عون أخيه»**

قال النووي فيما رواه مسلم (٧٢/ ٢٥٩٠) كتاب البر والصلة، ٢١. باب بشارة من ستر الله تعالىٰ عيبه في الدنيا من حديث أبي هريرة رفعه: «**لا يستر الله عبدا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة**»: قال القاضي يحتمل وجهين أحدهما: أن يستر معاصيه وعيوبه يحتمل وجهين: أحدهما أن يستر معاصيه وعيوبه عن إذاعتها في أهل الموقف .

والثاني ترك محاسبته عليها وترك ذكرها. قال: والأول أظهر لما جاء في الحديث الآخر يقرره بذنوبه يقول سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم .

وقال النووي أيضا: وأما الستر المندوب إليه هنا فالمراد به الستر علىٰ ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروفا بالأذى والفساد، فأما المعروف بذلك فيستحب ألا يستر عليه بل ترفع قضيته إلى ولي الأمر إن لم يخف من ذلك مفسدة لأن الستر علىٰ هذا يطمعه في الإيذاء والفساد وانتهاك الحرمات وجسارة غيره علىٰ مثل فعله هذا كله في ستر معصية وقعت وانقضت، وأما معصية رآه عليها وهو بعد متلبس بها فتجب المبادرة بإنكارها عليه ومنعه منها علىٰ من قدر علىٰ ذلك ولا يحل تأخيرها فإن عجز لزمه رفعها إلى ولي الأمر إذا لم تترتب علىٰ ذلك مفسدة .

النووي في شرح مسلم (١٦/ ١١١، ١١٨) .

الخامس: العفو عن زلاته في دينه بارتكاب معصيته أو في حقك بتقصير الأخوة

قال النخعي(١): لا تهجوا أخاك عند الذنب بذنبه فإنه يرتكبه اليوم ويتركه الغد، فإنه يعوج مرة ويستقيم أخرى

وإن كان زلته في الدين ينبغي أن يتلطف بالنصح بما يقيم، لما روي: كان لعمر رضي الله عنه أخ في الله، فخرج إلى الشام، فسأل عنه بعض من قدم إليه وقال: ما فعل أخي؟

قال: ذلك أخ الشيطان

قال له: أسكت، قال: إنه قارف الكبائر حتى وقع في شرب الخمر(٢)

قال: إذا أردت الخروج فأذني فكتب عند خروجه: «**بسم الله الرحمن الرحيم،**

---

(١) هو إبراهيم بن يزيد بن قبيس بن الأسود بن عمرو بن ربيعة أبو عمران أبو عمار النخعي الكوفي الفقيه الأعور، ثقة إلا أنه يُرسل كثيرًا أخرج له الستة توفي سنة (٩٦، ٩٥)

ترجمته: تهذيب التهذيب (١/ ١٧٧)، تقريب التهذيب (١/ ٤٦)، خلاصة تهذيب الكمال (١/ ٥٩)، الكاشف (١/ ٩٦)، تاريخ البخاري الكبير (١/ ٣٣٣)، تاريخ البخاري الصغير (١/ ٢١٠، ٢١١، ٢٢٢)، الجرح والتعديل (٢/ ١٤٥، ميزان الاعتدال (١/ ٧٤)، لسان الميزان (٧/ ١٧١)، تذكرة الحفاظ (١/ ٧٣)، الوافي بالوفيات (٦/ ١٦٩)، سير الأعلام (٤/ ٥٢٠)، طبقات الحفاظ (٢٩)، الحلية (٤/ ٢١٧)، طبقات ابن سعد (٦/ ١٨٨)، مجمع (٧/ ١٣٩)، تاريخ واسط (٤٨، ١٩٦، ٢١٧)، الترغيب والترهيب (١٩) .

(٢) اتفقوا على أن الخمر حرام قليلها وكثيرها وفيها الحد وهي من المحرمات بل هي أم الكبائر كما قال عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وقد كان الناس يشربون الخمر حتى هاجر الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة فكثر سؤال المسلمين عنها وعن لعب الميسر لما كانوا يرونه من شرورهما ومفاسدهما فأنزل الله تعالى ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾

اختلاف الأئمة العلماء وهامشه (٢/ ٢٩١، ٢٩٢)

من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية .

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب»(١)

ثم كتب عتابه تحت ذلك، فدفع إليه

فلما قرأ الكتاب بكى وقال: صدق الله، ونصح لي عمر، فرجع وتاب

السادس: الدعاء للأخ في حياته ومماته بكل ما يحبه لنفسه ولأهله كلما (نفسه)(٢) دعوة الأخ لأخيه بالغيب لا ترد» (٣)

السابع: الوفاء والإخلاص، ومعنى الوفاء الثبات علىٰ الحب إلىٰ الموت، وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه لأن قليل الوفاء بعد الموت خير من كثير في حال الحياة

وروي أن محمد بن عبد الحكم الشافعي(٤) ﷺ بمصر ويقول ما يقيضني بمصر غيره ولولا صحبة محمد لنا لخرجت من مصر فاعتل محمد فعاداه الشافعي ﷺ

---

(١) سورة غافر (١/ ٣)

(٢) حديث ما من عبد مسلم يدعوا لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك ولك بمثل، أخرجه مسلم في صحيحه (٨٦/ ٢٧٣٢)، كتاب الذكر والدعاء ، ٢٣ . باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٥٣)، والشجري في أماليه (١/ ٢٥٠)، والقرطبي في تفسيره (٥/ ٢٩٩)، والقيسراني في تذكرة الموضوعات (٨٠٣)، وفي الأذكار النووية (٣٥٦)

(٣) كذا بالأصل

(٤) محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث الإمام الفقيه أبو عبد الله المصريّ لزم الشافعي مدة وتفقّه به، وثّقه النَّسائي وقال مرّة: لا بأس به، وقال غيره: كان أبوه قد مناه إلى الشافعي فكان الشافعي معجبًا به، لذكائه وحرصه علىٰ الفقه، قال ابن خزيمة: ما رأيت في فقه الإسلام أعرف بأقاويل الصحابة والتابعين بمحمد بن عبد الله بن عبد الحكم

قال عنه ابن أبي حاتم: صدوق ثقة، أحد فقهاء مصر من أصحاب مالك، وقال أبو إسحاق الشيرازي جُعل فيمحنة القرآن إلى ابن أبي داود ولم يُجب إلى ما طلب منه ورد إلى مصر وقال غيره: إنه ضرب فضرب واختفى وقعت بينه وبين البويطي وحشة في مرض الشافعي وذلك لما مرض الشافعي جاء ابن عبد الحكم يُنازع البويطي في مجلس الشافعي فقال البويطي: أنا أحق منك فجاء الحُصيري وكان بمصر فقال: قال الشافعي ليس أحد أحق بمجلسي من البويطي وغضب ابن عبد الحكم فترك مجلس الشافعي .

فتنفس وقال: الحبيب فعدته، فمرضت من حزني عليه

وأتى الحبيب يعودني فبرأت من نظري إليه

ومن الوفاء أن لا يصادق عدو صديقه

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **إذا طلع صديقك عدوك فقد أشركا في العداوة**

الثامن: أن لا يكلف أخاه ما يشق عليه، بل يروح عليه لا يكلف التواضع له والقيام بحقوقه، بل لا يقصد محبته إلا لله بتركا بدعائه واستئناسا بلقائه

وقال بعض الحكماء: من جعل نفسه عند الإخوان فوق قدره أثم أثموا، ومن جعل نفسه في قدره تعب وتعبوا وجعل نفسه دون قدره سلم وسلموا

وقال بعضهم: إذا عمل الرجل في بيت أخيه خمس خصال فقد تم أنسه:

إذا كان عنده ودخل الخلاء ونام وصلى وأن يجامع أهله إذا حضرت معه في بيت أخيه

وإذا تم هذه الخمسة فقد تم الاتحاد فهكذا حقوق الأخوة في الله

فهرس المحتويات